تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(إضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

٤ . (وفي الأرض قطع...) إن من الدليل على أن هذا النظام الجاري قائم بتدبير مدبّر وراءه، أن في الأرض قطعاً متجاورات متقاربة بعضها من بعض، متشابهة في طبع ترابها، وفيها جنات من أعناب والعنب من الثمرات التي تختلف اختلافاً عظيماً في الشكل واللون والطعم. وفيها زرع مختلف في جِنْسِهِ وصنفه من القمح والشعير وغير ذلك، وفيها نخيل صنوان أي امثال نابتة على أصل مشترك فيه، وغير صنوان أي متفرقة، نسقي الجميع من ماء واحد ونفضل بعضها على بعض بما فيه من المزية المطلوبة في شيء من صفاته.

٥ . (وإن تعجب فعجب...) أشار في هذه الآية إلى شبهتهم في البعث، ومعنى الجملة على ما يرشد إليه حذف متعلق (تعجب): إن تحقق منك تعجّب ولا محالة يتحقق لأن الإنسان لا يَخْلو منه، فقولهم هذا عجيب يجب أن يتعلق به تعجّبك.

٦ . (ويستعجلونك بالسّيّئة...) يسألك الذين كفروا أن تنزل عليهم العقوبة الالهية قبل الرحمة والعافية بعدما سمعوك تتذرهم بعذاب الله، استهزاءً. وهم على علم بالعقوبات النازلة قبلهم على الامم الماضين الذين كفروا برسلهم.

٧ . (ويقول الّذين كفروا...) إنهم يقترحون عليك آية . وعندهم القرآن أفضل آية . وليس إليك شيء من ذلك وإنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار، وقد جرت سنّة الله في عباده أن يبعث في كل قوم هادياً يهديهم.

(٣٤٧/١)

---

٨ . (الله يعلم ما تحمل...) اشارة إلى ثلاث من أعمال الارحام في أيام الحمل، فما تحمله كل انثى: هو الجنين، وما تغيضه الأرحام: هو دم الحيض، وما تزداده هو الدم الذي تدفعه إلى خارج، كدم النفاس والدم، أو الحمرة التي تراها أيام الحمل أحياناً، وهو الذي يظهر من بعض ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام وربّما ينسب إلى إبن عبّاس. (عالم الغيب والشّهادة) إن الذي يمكن أنْ يعلم به أرباب العلم وهو الذي لا يخرج عن حد وجودهم، والذي لا يمكن أن يعلموا به لكونه غيباً خارجاً عن حد وجودهم، هما معاً معلومان مشهودان له تعالى لاحاطته بكل شيء. (الكبير المتعال) إسمان من أسمائه تعالى الحُسنى.

١٠ . (سواء منكم من...) السارب: هو الذاهب في الطريق المعلن بنفسه.
١١ . (له معقبات من بين...) ان لكل من الناس على أي حال كان، معقبات يعقبونه في مسيره إلى الله من بين يديه ومن خلفه، أي في حاضر حاله وماضيه يحفظونه بأمر الله من أن يتغير حاله بهلاك أو فساد أو شقاء بأمر آخر من الله، وهذا الأمر الآخر الذي يغير الحال إنّما يؤثر أثره إذا غيَّر قومٌ ما بأنفسهم، فعند ذلك يغيّر الله ما عندهم من نعمه ويريد بهم السوء، وإذا أراد بقوم سوء فلا مَرَدّ له، لأنهم لا والي لهم يلي أمرهم من دونه حتى يرد ما أراد الله بهم من سوء.
١٢ . (هو الّذي يريكم...) هو الذي يظهر لعيونكم البرق ليظهر فيكم صفتا الخوف والطمع، كما أن المسافر يخافه والحاضر يطمع فيه، وأهل البحر يخافونه وأهل البر يطمعون فيه ويخاف صاعقته ويطمع في غيثه، ويخلق بإنشائه السحابات التي تثقل بالمياه التي تحملها.

(٣٤٨/١)

---

١٣ . (... ويرسل الصّواعق فيصيب...) الصواعق: جمع صاعقة وهي القطعة النارية النازلة من السماء عن برق ورعد، والمحال: مصدر ماحله يماحله، إذا ماكرهُ وقاواه ليتبيّن أيّهما أشد، وجادله لإظهار مساويه ومعائبه. فقوله: (وهم يُجادلون في الله وهو شديد المحال) معناه: إن الوثنيين يجادلون في ربوبيته تعالى بتلفيق الحجة على ربوبية أربابهم كالتمسك بدأب آبائهم، والله سبحانه شديد المماحلة لأنه عليم بمساويهم ومعائبهم، قدير على إظهارها.
١٤ . (له دعوة الحق...) المراد: حق الدعاء وهو الذي يستجاب ولا يرد. (والّذين يدعون) الذين يدعوهم المشركون من دون الله لا يستجيب أولئك المدعوون للمشركين بشيء.
١٥ . (ولله يسجد من في...) قال الراغب: الغدوة والغداة: من أول النهار. وقال في المجمع: الآصال جمع أصل وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس. فتسمية سقوط ظلال الأشياء بالغدو والآصال على الأرض سجوداً منها لله سبحانه مبنية على تمثيلها في هذه الحال معنى السجدة الذاتية التي لها في ذواتها بمثال حسي ينبه الحس لمعنى السجدة الذاتية.

(٣٤٩/١)

---

١٦ . (قل من ربّ السّماوات...) أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسألهم: من هو الذي يملك السماوات والأرض وما فيهما ويدبر أمرها؟ ثم أمره أن يجيب هو نفسه عن السؤال ويقول: (الله) لأنهم وهم مشركون معاندون يمتنعون عن الإقرار بتوحيد الربوبية، وفي ذلك تلويح إلى أنهم لا

يعقلون حجة ولا يفقهون حديثاً. (قل هل يستوي الأعمى...) مثلان ضربهما الله سبحانه بعد تمام الحجة وإتمامها عليهم وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يضربهما لهم يبين باحدهما حال المؤمن والكافر، ويبين بالثاني أن الكفر بالحق ظلمات كما ان الكافر الواقع فيها غير بصير، والايمان بالحق نور كما ان المؤمن الآخذ به بصير. (أم جعلوا لله شركاء) يقول لنبيه صلى الله عليه وآله: هؤلاء تمت عليهم الحجة في توحيد الربوبية، فلم يبق لهم إلاّ أن يقولوا بشركة شركائهم في الخلق والإيجاد، فهل هم قائلون بأن شركاءهم خلقوا خلقاً كخلقه ثم تشابه الخلق عليهم فقالوا بربوبيتهم إجمالاً مع الله. ثمّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يلقي إليهم ما يقطع دابر هذا الاحتمال فقال: (قل الله خالق كل شيء).

(٣٥٠/١)

---

١٧ . (أنزل من السّماء...) أنزل الله سبحانه من السماء ماءً بالإمطار فسالت الأودية الواقعة في محل الأمطار المختلفة بالسعة والضيق والكبر والصغر بقدرها، فاحتمل السيل الواقع في كل واحد من الأودية المختلفة زبداً طافياً عالياً يستر الماء ستراً. (وممّا يوقدون عليه في النّار...) ويخرج من الفلزات والمواد الأرضية التي يوقدون عليها في النار طلباً للزينة كالذهب والفضة أو طلباً لمتاع كالحديد وغيره، زبد مثل الزبد الذي يربو السيل يطفو على المادة المذابة ويعلوه. (وكذلك يضرب الله الحق والباطل) يثبت الله الحق والباطل نظير ما فعل في السيل وزبده وما يوقدون عليه في النار وزبده. (فأما الزبد فيذهب جفاءً...) فاما الزبد الذي كان يطفو على السيل ويعلوه أو يخرج مما يوقدون عليه في النار، فيذهب جفاءً ويصير باطلاً متلاشياً، وأما الماء الخالص أو العين الأرضية المصوغة، فيمكث في الأرض ينتفع به الناس. (وكذلك يضرب الله الأمثال) إن الأمثال المضروبة للناس في كلامه تعالى تشابه المثل المضروب في هذه الآية، في أنها تميز الحق من الباطل وتبين للناس ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم.

١٨ . (للّذين استجابوا لربّهم...) للذين استجابوا لدعوة ربهم الحقة العاقبة الحسنى، والذين لم يستجيبوا له لهم من عاقبة الأمر ما يرضون أن يفدوا للتخلص منه فوق ما يمكنهم أن يتمنوه.

١٩ . (أفمن يعلم أنّما...) وفيه نفي التساوي بين من استقر في قلبه العلم بالحق، ومن جهل الحق، وفي توصيف الجاهل بالحق بالاعمى إيماء إلى أن العالم به بصير. (الّذين يوفون بعهد...) المراد بهذا العهد والميثاق: هو ما عاهدوا به ربهم وواثقوه بلسان فطرتهم أن يوحدوه ويجروا على ما يقتضيه توحيده من الآثار، وهذا عهد عاهدته الفطرة وعقد عقدته.

(٣٥١/١)

٢٠ . (والّذين يصلون ما أمر...) المراد: كل صلة أمر الله سبحانه بها ومن أشهر مصاديقها صلة الرحم. (ويخشون ربهم ويخافون...) أشار إلى أن في ترك الصلة مخالفة لأمر الله، فليخش الله في ذلك، وعملاً سيئاً مكتوباً في صحيفة العمل محفوظاً على الانسان يجب أن يخاف من حسابه السيّئ.

٢١ . (والّذين صبروا ابتغاء...) إطلاق الصبر يدل على اتصافهم بجميع شُعبه وأقسامِه. (إبتغاء وجه ربّهم) طلباً لوجه ربهم. (واقاموا الصّلاة) جعلوها قائمة غير ساقطة بالاخلال بأجزائها وشرائطها أو بالاستهانة بأمرها. (وانفقوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية) المراد: مطلق الانفاق. (ويدرأون بالحسنة السّيّئة) إذا صادفوا سيئة جاؤوا بحسنة تزيد عليها أو تعادلها فيدفعون بها السيئة.

٢٢ . ٢٤ . (جنّات عدن يدخلونها...) العدن: الاستقرار، والآية بيان لعاقبة هذا الحق الذي أخذوه وعملوا به وبشرى لهم أنهم سيصاحبون الصالحين من أرحامهم وأهليهم من الآباء والامهات والذراري والإخوان والاخوات وغيرهم. (والملائكة يدخلون عليهم...) وهذا عقبى أعمالهم الصّالحة التي داموا عليها. (سلام عليكم بما صبرتم...) قول الملائكة وقد خاطبوهم بالأمن والسّلام الخالد وعقبى محمودة لا يعتريها ذم وسوء أبداً.

٢٥ . (والّذين ينقضون عهد...) بيان حال غير المؤمنين بطريق المقابلة.

٢٦ . (الله يبسط الرّزق...) بيان أن ما أُوتي الفريقان من العاقبة المحمودة والجنة الخالدة ومن اللعنة وسوء الدار هو من الرزق الذي يرزقه الله من يشاء وكيف يشاء من غير حجر عليه أو إلزام.

٢٧ . (ويقول الّذين كفروا...) عود إلى قول الكفار، وإنّما أرادوا به أنه لو أُنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله آية من ربّه لاهتدوا به واستجابوا له، وهم لا يعدون القرآن النازل إليه آية، فأجاب تعالى عن قولهم بقوله آمراً نبيّه أن يلقيه إليهم: (قل إنّ الله يضل من يشاء...) فأفاد أن الأمر ليس إلى الآية حتى يهتدوا بنزولها ويضلوا بعدم نزولها، بل أمر الإضلال والهداية إلى الله سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

٢٨ . (الّذين آمنوا وتطمئن...) الاطمئنان: السكون والاستقرار، والاطمئنان إلى الشيء: السكون إليه.

٢٩ . (والّذين آمنوا وعملوا...) طوبى: مؤنّث أطيب وفي الآية تهنئة الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، بأطيب الحياة أو العيش، وحسن المرجع.

٣٠ . (كذلك أرسلناك...) وأرسلناك في أمّة قد خلت من قبلها أمم، إرسالاً يماثل هذه السنّة الجارية

ويجري في أمره على وفق هذا النظام، لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وتبلغهم ما يتضمنه هذا الكتاب، وهم يكفرون بالرّحمن. ثم أمر تعالى: انّ يصرِّح لهم القول في التوحيد فقال: (قل هو ربّي لا إله إلاّ هو...).

(٣٥٣/١)

---

٣١ . (ولو أن قرآناً سيّرت...) المراد بتسيير الجبال: قلعها من أصولها وإذهابها من مكان إلى مكان. وبتقطيع الأرض: شقها وجعلها قطعة قطعة، وبتكليم الموتى: إحياؤهم لاستخبارهم عما جرى عليهم بعد الموت، ليستدل على حقيّة الدار الآخرة فإن هذا هو الذي كانوا يقترحونه. (أفلم ييأس الّذين آمنوا...) الآية لا تخلو من إشارة إلى أن المؤمنين كانوا يودّون أن يؤمن الكفّار، ولعلهم لمودتهم ذلك لمّا سمعوا قول الكفار: (لولا أُنزل عليه آية من ربّه) طمعوا في إيمانهم ورجوا منهم الاهتداء إن أنزل الله عليهم آية أُخرى غير القرآن، فسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله أن يجيبهم على ذلك فأيأسهم الله من إيمانهم [أي الكفّار] في هذه الآيات. (ولا يزال الّذين كفروا...) ولا يزال هؤلاء الذين كفروا بدعوتك الحقّة تصيبهم مصيبة قارعة أو تحلّ تلك المصيبة القارعة قريباً من دارهم، فلا يزالون كذلك حتى يأتي ما وعدهم من العذاب.

٣٢ . (ولقد استُهزئ بِرسُل...) قد استُهزئ برسل من قبلك بالكفر وطلب الآيات، كما كفر هؤلاء بدعوتك ثمّ اقترحوا عليك آية مع وجود آية القرآن، فامليت وأمهلت للذين كفروا ثم أخذتهم بالعذاب فكيف كان عقابي؟

(٣٥٤/١)

---

٣٣ . (أفمن هو قائم على...) إذا كان الله سبحانه يهدي من يشاء فيجازيه بأحسن الثواب ويضل من يشاء فيجازيه باشد العقاب وله الأمر جميعاً، فهو قائم على كل نفس بما كسبت ومهيمن مدبر لنظام الأعمال، فهل يعدله غيره حتى يشاركه في الوهيته؟ (قل سموهم أم تنبِّئونه بما...) صفوهم فإن صفات الأشياء هي التي تعين بها شؤونها وآثارها، فلو كانت هذه الأصنام شركاء لله شفعاء عنده، وجب أن يكون لها من الصفات ما يسوى لها الطريق لهذا الشأن، كما يقال فيه تعالى أنه حي عليم قدير خالق مالك مدبر، فهو رب كل شيء، لكن الأصنام إذا ذكرت فقيل: هبل أو اللات أو العزى لم يوجد لها من الصفات ما يظهر به أنها شريكة لله شفيعة عنده. (أم تنبِّئونه بما لا يعلم) فلو كان له شريك في الأرض لعلم به، والله سبحانه يدبِّر الأمر كلّه ولا يرى لغيره أثراً في ذلك لا موافقاً ولا

مخالفاً. (أم بظاهر من القول) بل أتتبئونه بأن له شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة. (بل زيّن للّذين كفروا...) زيّن لهم المكر وصدّوا به عن السبيل.

٣٤ . (لهم عذاب في الحياة...) في الآية إيجاز القول فيما وعد الله الذين كفروا من العذاب في الآيات السابقة.

٣٥ . (مثل الجنّة الّتي...) بيان ما خص الله به المتقين من الوعد الجميل، مقابلة لما أوعد به الذين كفروا.

٣٦ . (والّذين آتيناهم الكتاب...) الظاهر أن المراد بالذين اوتوا الكتاب: اليهود والنصارى أو هم والمجوس، فالظاهر أن يكونوا هم المعنيون بالآية وخاصة المحقون من النصارى وهم القائلون بكون المسيح بشراً رسولاً كالنجاشي وأصحابه. (ومن الاحزاب من ينكر بعضه) ومن أحزاب أهل الكتاب من ينكر بعض ما أُنزل إليك، وهو ما دل منه على التوحيد ونفي التثليث وسائر ما يخالف ما عند أهل الكتاب من المعارف والأحكام المحرفة.

(٣٥٥/١)

---

٣٧ . (وكذلك أنزلناه حكماً...) وكما أنزلنا على الذين اوتوا الكتاب كتابهم، أنزلنا هذا القرآن عليك، بلسانك مشتملاً على حكم، أو حاكماً بين الناس، ولئن اتبعت أهواء أهل الكتاب، فتمنيت أن ينزل عليك آية غير القرآن كما يقترحون، أو داهنت وملت إلى اتّباع بعض ما عندهُم من الاحكام المنسوخة أو المحرفة، أخذناك بالعقوبة وليس لك ولي يلي أمرك من دون الله ولا واق يقيك منه.

٣٨ . (ولقد أرسلنا رسلاً...) لما نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن اتباع أهوائهم فيما اقترحوا عليه من إنزال آية غير القرآن، ذكّره بحقيقة الحال التي تؤيسه من الطمع في ذلك ويعزم عليه أن يتوكل على الله ويرجع إليه الامور.

٣٩ . (يمحو الله ما يشاء...) مضمون الآية: ان لِلّه سبحانه في كل وقت وأجل كتاباً، أي حكماً وقضاءً وأنه يمحو ما يشاء من هذه الكتب والاحكام والاقضية ويثبت ما يشاء، أي يغيّر الثابت في وقت فيضع في الوقت الثاني مكانه قضاءً آخر، لكن عنده بالنسبة إلى كل وقت قضاءً لا يتغير ولا يقبل المحو والإثبات، وهو الأصل الذي ترجع إليه الاقضية الأخر وتنشأ منه، فيمحو ويثبت على حسب ما يقتضيه هو.

٤٠ . (وإن ما نرينّك بعض...) في الآية إيضاح لما للنبيّ صلى الله عليه وآله من الوظيفة وهو الاشتغال بأمر الانذار والتبليغ فحسب، فلا ينبغي له أن يتبع أهواءهم في نزول آية عليه كما اقترحوا، حتى أنه لا ينبغي له أن ينتظر نتيجة بلاغه أو حلول ما أوعدهم الله من العذاب بهم.

٤١ . (أولم يروا أنا نأتي...) إتيان الأرض ونقصها من أطرافها: كناية عن نقص أهلها بالإماتة

والإهلاك (والله يحكم لا معقب لحكمه...) إن الغلبة لله سبحانه فإنه يحكم، وليس قبال حكمه أحد يعقبه ليغلبه بالمنع والرد، وهو سبحانه يحاسب كل عمل بمجرَّد وقوعه بلا مهلة، حتى يتصرف فيه غيره بالاخلال.

(٣٥٦/١)

---

٤٢ . (قد مكر الّذين...) وقد مكر الذين من قبلهم فلم ينفعهم مكرهم ولم يقدروا على صدنا من أن نأتي الأرض فننقصها من أطرافها، فالله سبحانه يملك المكر كله ويبطله ويردهُ إلى أهله فليعتبروا. (يعلم ما تكسب كل نفس) في مقام التعليل لملكه تعالى كل مكر.

٤٣ . (ويقول الّذين كفروا...) أنكروا أصل الرسالة. (قل كفى بالله شهيداً...) استشهاد بالله سبحانه وهو وليّ أمرِ الإرسال. (ومن عنده علم الكتاب) وردت الروايات من طرق أهل البيت عليه السلام أن الآية نزلت في عليّ عليه السلام.

«سورة إبراهيم»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الر كتاب أنزلناه...) هذا الكتاب أنزلناه إليك (لتخرج النّاس من الظّلماتِ إلى النّور) ظاهر السياق عموم الناس لا خصوص قومه صلى الله عليه وآله ولا خصوص المؤمنين منهم.

٢ . (الله الّذي له ما في...) المراد بما في السماوات والأرض: كل ما في الكون فيشمل نفس السماوات والأرض كما يشمل ما فيهما، فهو تعالى يملك كل شيء من كل جهة بحقيقة معنى الملك. (وويل للكافرين من عذاب شديد) بيان لما تقتضيه صفة العزة من القهر لمن يردّ دعوته ويكفر بنعمته.

٣ . (الّذين يستحبون الحياة...) استحباب الدنيا على الآخرة: اختيار الدنيا وترك الآخرة (ويصدون عن سبيل الله...) يكفون انفسهم عن الاستنان بسنة الله والتدين بدينه، أو يصدون ويصرفون الناس عن الايمان بالله واليوم الآخر والتشرع بشريعته عناداً منهم للحق.

٤ . (وما أرسلنا من رسول...) المراد بارسال الرسول بلسان قومه: ارساله بلسان القوم الذين كان يعيش فيهم ويخالطهم ويعاشرهم، وليس المراد به الإرسال بلسان القوم الذين هو منهم نسباً. (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) إشارة إلى أن امر الهدى والضلال إلى الله لا يتحقق شيء منهما إلاّ عن مشيّة منه تعالى فمن اتبع الحق ولم يعانده هداه الله، ومن جاحده واتبع هواه أضله الله.

(٣٥٧/١)

---

٥ . (ولقد أرسلنا موسى...) [لمّا كان] الكلام في السورة مبنياً على الانذار والتذكير بعزة الله سبحانه، فقد ناسب أن يذكر ارسال موسى بالآيات لهداية قومه، فان قصة رسالته من أوضح مصاديق العزة الالهية من بين الرسل. (وذكرهم بأيّام الله) لا شك أن المراد بها أيام خاصة، ونسبة أيام خاصة إلى الله سبحانه ليس إلاّ لظهور أمره تعالى فيها ظهوراً لا يبقى معه لغيره ظهور، كيوم الموت ويوم القيامة.

٦ . (وإذ قال موسى لقومه...) واذكر أيها الرسول لزيادة التثبّت في أن الله عزيز حميد إذ قال موسى لقومه وهم بنو إسرائيل: إذكروا نعمة الله عليكم يوم أنجاكم من آل فرعون وخاصة من القبط، والحال أنهم مستمرون على إذاقتكم سوء العذاب، ويكثرون ذبح الذكور من أولادكم وعلى استبقاء حياة نسائكم للاسترقاق، وفي ذلكم بلاء ومحنة من ربّكم عظيم.

٧ . (وإذ تأذّن ربّكم...) التأذن: الاعلام. وقد بيّن تعالى كون الشكر موجباً لمزيد النعمة، والكفر لشديد العذاب في مواضع من كلامه، وقد حكى عن نوح فيما ناجى ربّه ودعا على قومه: (فقلت استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً يُرسل السّماء عليكم مِدراراً ويُمددكم بأموال وبنين) نوح . ١٢.

٨ . (وقال موسى إن تكفروا...) ان الله غني وإن كفر من في الأرض جميعاً فانه غني بالذات عن كل شيء فلا ينتفع بشكر ولا يتضرّر بكفر، وانما يعود النفع والضرر إلى الإنسان فيما أتى به. وهو تعالى محمود سواء حمده حامد باللّسان أو لم يحمده.

---

٩ . (ألم يأتكمُ نبأُ...) من كلام موسى عليه السّلام يذكر قومه من أيام الله في الامم الماضين ممّن فنيت أشخاصهم وخمدت أنفاسهم وعفت آثارهم وانقطعت أخبارهم فلا يعلمهم بحقيقة حالهم تفصيلاً إلاّ الله كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم. (جاءتهم رسلهم بالبيِّنات...) الظاهر أن المراد به أن رسلهم جاؤوهم بحجج بيّنة تبيّن الحقّ وتجليه من غير أي ابهام وريب، فمنعوهم أن يتفوّهوا بالحقّ وسدّوا عليهم طريق التكلم.

١٠ . (قالت رسلهم أفي الله...) برهان على توحيد الربوبية. (ويؤخركم إلى أجل مسمّى) لا يعاجلكم بالعقوبة والهلاك ويؤخركم إلى الأجل الذي لا يؤجّل. (قالوا إن انتم إلاّ بشر...) انّ الرسل عليه السلام لمّا احتجّوا على كفّار أُممهم في النبوّة العامّة بقوله: (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخِّركم الى أجل مسمّىً) عادت الكفّار إليهم بطلب الدليل منهم على ما يدّعونه من النبوّة لأنفسهم بقولهم: (إن أنتم إلاّ بشر مثلنا) ثم صرّحوا بما يطلبونه من الدليل وهو الآية المعجزة بقولهم: (فأتونا بسلطان مبين).

فالمعنى: سلّمنا أن من مقتضى العناية الالهية أن يدعونا الى المغفرة والرحمة، لكنّا لا نسلم لكم أن

هذه الدعوة قائمة بكم فإنّكم بشر مثلنا، فإن كنتم صادقين في دعواكم هذه فأتونا بسلطان مبين، أي ببرهان قاطع يتسلّط على عقولنا ويضطرّنا الى الإذعان بنبوّتكم، وهو آية معجزة غيبيّة تخرق العادة كما أن ما تدّعونه خارق مثلها.

(٣٥٩/١)

---

١١ . (قالت لهم رسلهم...) ان كوننا بشراً مثلكم مسلّم، لكنّه يوجب خلاف ما استوجبتموه، فمن الجائز أن ينعم الله بالوحي والرسالة على بعض عباده دون بعض فانّ الله يمن على من يشاء منهم. وامّا قولكم: (فاتونا بسلطان مبين) فانه مبني على كون النبيّ ذا شخصية ملكوتية وقدرة غيبية فعّالة لما تشاء، والأمر ليس كذلك فما النبيّ إلاّ بشر مثلكم يوحى إليه بالرسالة وليس له من الأمر شيء، وما كان له أن يأتي بآية من عنده إلاّ أن يشاء الله ذلك ويأذن فيه.

١٢ . (وما لنا إلاّ نتوكّل...) ما الذي نملكه من العذر في أن لا نتوكل على الله والحال أنه تعالى هدانا سبلنا فلنصبرن على إيذائكم لنا في سبيل الدعوة إليه متوكلين عليه حتى يحكم بما يريد ويفعل ما يشاء.

١٣، ١٤ . (وقال الّذين كفروا...) هذا تهديد منهم بعد ما عجزوا في مناظرتهم وخسروا في محاججتهم، والخطاب للرسل والذين آمنوا معهم. (فاوحى إليهم ربّهم...) فاوحى ربُّ الرسل إليهم لنهلكنّ هؤلاء المهددين لكم بظلمهم ولنسكننكم هذه الأرض التي هددوكم بالاخراج منها ونورثكم إياها لصفةِ مخافتكم مني ومن وعيدي وكذلك نفعل فنورث الأرض عبادنا المتقين.

١٥ . (واستفتحوا وخاب كل...) الاستفتاح: طلب الفتح والنصر. والخيبة: انقطاع الرجاء والخسران والهلاك.

١٦، ١٧ . (من ورائه جهنّم...) الصديد: القيح السائل من الجرح. والتجرع: تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار، والاساغة: إجراء الشراب في الحلق.

في الدرّ المنثور أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة النار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية وصحّحه، وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي أمامة عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله: (ويسقى من ماء صديد يتجرّعه...) قال: يُقرّب إليه فيتكرّهه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطّع أمعاءه حتى يخرج من دبره.

(٣٦٠/١)

---

١٨ . (مثل الّذين كفروا...) تمثيل لاعمال الكفار من حيث ترتّب نتائجها عليها وبيان أنها حبط باطلة لا أثر لها من جهة السعادة.

١٩، ٢٠ . (ألَم ترَ أن الله خلق...) ألم تعلم أن الله خلق هذا الخلق المشهود عن عزّة منه وغنى، وأنّه إن يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد، وما ذلك عليه تعالى بعزيز وهو الله عز اسمه له الاسماء الحسنى وكل العزةِ والكبرياء.

٢١ . (وبرزوا لله جميعاً...) ظهروا له تعالى ظهوراً لا يحجبهم عنه حاجب (فقال الضعفاء للّذين...) فقال الضعفاء المقلدون للذين استكبروا منهم إنّا كنا في الدنيا لكم تابعين مطيعين من غير أن نسألكم حجة على ما تأمروننا به فهل أنتم مفيدون لنا اليوم تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله الذي قضى علينا. (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) ظاهر السياق أن المراد بالهداية هنا الهداية إلى طريق التخلص من العذاب ويمكن أن يكون المراد بها الهداية إلى الدين الحق في الدنيا، والمآل واحد. (سواء علينا أجزعنا...) الامران متساويان علينا وبالنسبة إلينا وهما الجزع والصبر لا مهرب لنا عن العذاب اللازم.

(٣٦١/١)

---

٢٢ . (وقال الشّيطان لما قضي...) ان ابليس يريد بكلامه ردّ اللوم على فعل المعاصي إليهم والتبرّي من شركهم (انّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم) وعدكم الله وعداً حقّقه الوقوع وصدقته المشاهدة من البعث، ووعدتكم أنا أن لا بعث ولا حساب ولا جنّة ولا نار ولم أفِ بما وعدت، فقد وعد الله أهل الايمان حياة طيبة وعيشة سعيدة، وأهل الشركِ المعرضين عن ذكره معيشةً ضنكا، ووعد الجميع بعثاً وحساباً وجنةً وناراً في الآخرة. ووعد ابليس أولياءه بالأهواء اللذيذة وصرفهم عن البعث والحساب. (وما كان لي عليكم من سلطان...) وما كان في الدنيا لي عليكم من تسلط فاجبركم على معصية الله لكن دعوتكم من غير أي سلطان فاستجبتم لي، (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) ما أنا بمغيثكم ومنجيكُم وما انتم بمغيثيَّ ومنجيّ. (إنّي كفرت بما اشركتمونِ...) إني تبرأت من اشراككم اياي في الدنيا.

٢٣ . (وادخل الّذين آمنوا...) بيان ما ينتهي إليه حال السعداء من المؤمنين.

٢٤ . (ألم تر كيف ضرب...) المراد بالكلمة الطيبة التي شبهت بشجرة طيبة هو الاعتقاد الحق الثابت. فإنه تعالى يقول بعد وهو كالنتيجة المأخوذة من التمثيل: (يُثبِّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة). فالقول بالوحدانية والاستقامة عليه هو حق القول الذي له أصل ثابت محفوظ وله فروع نشأت ونمت من عقائد حقّة فرعية وأخلاق زاكية وأعمال صالحة. ثم ختم الله سبحانه الآية بقوله: (ويضرب الله الأمثال...) ليتذكّر بها المتذكِّر أن لا محيص لمريد السعادة عن

التحقّق بكلمة التوحيد والاستقامة عليها.

٢٦ . (ومثل كلمة خبيثة...) هي كلمة الشرك مثلت بشجرة خبيثة مفروضة اِقتلعت من فوق الأرض ليس لها أصلٌ ثابت وما لها من قرار، وإذ كانت خبيثة فلا أثر لها إلاّ الضرّ والشرّ.

(٣٦٢/١)

---

٢٧ . (يثبت الله الّذين...) إن الذين آمنوا إذا ثبتوا على ايمانهم واستقاموا ثبتهم الله عليه في الدنيا والآخرة. (ويضل الله الظّالمين) ان الله يضل أهل الكفر بحرمانهم من صراط الهداية.

٢٨ . (ألم تر إلى الّذين...) ألم تنظر إلى الأئمة والرؤساء من الامم السابقة ومن امتك الذين بدّلوا شكر نعمةِ الله كفراً واتبعهم قومهم فحلّوا وأحلّوا قومهم دار الهلاكِ وهو الشقاء والنار.

٢٩ . (جهنّم يصلونها وبئس القرار) الآية تشمل كل امام ضلال ممن تقدم وتأخر.

٣٠ . (وجعلوا لله أنداداً...) الأنداد جمع ندّ وهو المثل وهم الآلهة الذين اتخذوهم آلهة من دون الله من الملائكة والجنّ والأُنس. وقد كانوا على بصيرة من أمر التوحيد لم يتّخذوا الأنداد عن غفلة أو خطأ، بل عمدوا إلى ذلك ابتغاء عرض الحياة الدنيا، وليستعبدوا الناس ويستدرّوهم بإضلالهم عن سبيل الله، ولذلك علّل اتخاذهم الأنداد بقوله: (ليضلّوا عن سبيله). ثم أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يوعدهم بالنار التي إليها مرجعهم، لا مرجع لهم سواها، فقال: (قل تمتّعوا فإنّ مصيركم الى النار).

٣١ . (قل لعبادي الّذين...) أمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يأمر عباده الذين آمنوا بالتزام سبيله من قبل أن يأتي يوم القيامة فلا يسعهم تدارك ما فات منهم من السعادة بشيء من الأسباب الدائرة بينهم، لذلك وهي ترجع إلى أحد شيئين: أمّا المعاوضة باعطاء شيء وأخذ ما يعادله وهو البيع بالمعنى الأعمّ، وإمّا الخلّة والمحبّة، ولا أثر من هذه الأسباب في يوم محض للحساب والجزاء.

٣٢، ٣٣ . (الله الّذي خلقَ...) اورد في هذه الآية إلى تمام ثلاث آيات الحجة على اختصاص الربوبية بنفسه تعالى وتقدس من طريق اختصاص التدبير العام به من نظم الخلقة وانزال الماء واخراج الرزق وتسخير البحار . الفلك . والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار.

(٣٦٣/١)

فقوله: (وأنزل من السّماء ماءً...) المطر النازل منها والذي يعيش به ذوات الحياة من النبات والحيوان. (وسخّر لكم الفلك) تسخير الفلك هو جعلها بحيث تنفع الناس في مقاصدهم. (وسخّر لكم

الأنهار) المياه الجارية في مختلف أقطار الأرض. (وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين...) الدأب: إدامة السير.

٣٤ . (وآتاكم من كل ما سألتموه...) ان الله تعالى أعطى النوع الإنساني ما سأله فما من حاجة من حوائجه إلاّ دفع كلها أو بعضها حسب ما تقتضيه حكمته البالغة.

٣٥، ٣٦ . (وإذ قال إبراهيم...) والمراد بالأمن الذي سأله عليه السّلام، الأمن التشريعي دون التكويني فهو يسأل ربّه أن يشرع لأرض مكّة حكم الحرمة والأمن. (واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام...) سؤاله عليه السّلام أن يجنبه الله ويبعده وبنيه من عبادة الاصنام والتجأ إليه تعالى من الاضلال الذي نسبه اليهنّ في قوله: (ربّ انهن أضللن) أي إنّي إنما أسألُك أن تبعدني وبني عن عبادتهن لانهن أضللن كثيراً من الناس، إنه عليه السّلام يُلحق الذين اتبعوه من بعده بنفسه وأمّا غير متّبعيه فيُخلّي بينهم وبين ربّهم الغفور الرحيم.

٣٧ . (ربّنا إنّي أسكنتُ...) إنه عليه السّلام إنّما دعا بهذا الدعاء في أواخر عمره بعد ما بنى الكعبة وبنى الناس بلدة مكّة وعمروها، (ربّنا ليقيموا الصّلاة) يفيد أنه عليه السّلام إنما اختار وادياً غير ذي زرع أعزل من أمتعة الحياة ليتمحّضوا في عبادة الله من غير أن تشغلهم شواغل الدنيا. (فاجعل افئدة من النّاس تهوي إليهم) تحنّ وتميل إليهم بالمساكنة معهم أو بالحجّ إلى البيت فيأنسوا بهم.

٣٨ . (ربنّا انّك تعلم...) انك تعلم ما نخفي وما نعلن لانك الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٣٩ . (الحمد لله الّذي...) انه تعالى إنما وهبهما له باستجابة دعائه للولد فحمد الله على ما وهبهما وأثنى عليه في استجابة دعائه في ذلك.

(٣٦٤/١)

---

٤٠ . (ربِّي اجعلني مقيم...) دعاء يشترك فيه عليه السّلام هو وذريته. (ربّنا اغفر لي ولوالدي...) ختم عليه السّلام دعاءه بطلب المغفرة للمؤمنين يوم القيامة، وفي الآية دليل على أنه عليه السّلام لم يكن ولد آزر المشرك لصلبه فانه عليه السّلام يستغفر لوالديه وهو على الكبر وفي آخر عهده، وقد تبرأ من آزر في أوائل عهده.

٤٢ . (ولا تحسبنّ الله غافلاً...) ولا تحسبنّ الله ولا تظننّه غافلاً عما يعمل هؤلاء الظالمون، إنما يمهلهم الله ويؤخر عقابهم إلى يوم تسكن فيه أبصارهم فلا تطرف.

٤٣ . (مهطعين مقنعي رؤوسهم...) انهم مادّون لأعناقهم رافعون لرؤوسهم لا يقدرون على ردّ طرفهم وقلوبهم مدهوشة خالية عن كل تحيُّل وتدبير من شدةِ هولِ يوم القيامة. وفي الآية اِنذار للظالمين وتعزية لغيرهم.

٤٤ . (وأنذرِ النّاس يوم...) انذار للناس بعذاب الاستئصال الذي يقطع دابر الظالمين منهم. (أوَ لَم تكونوا أقسمتم) ألم تكونوا أقسمتم من قبل نزول العذاب ما لكم من زوال، وانكم بما عندكم من القوة والسطوة ووسائل الدفاع أُمّة خالدة مسيطرة على الحوادث فما لكم تستمهلون إلى أجل قريب.

٤٥ . (وسكنتم في مساكن...) أولم تكونوا سكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم من الامم السابقة، وظهر لكم أن هذه الدعوة حقة ويتعقبها لو ردّت عذاب مستأصل.

٤٦ . (وقد مكروا مكرهم...) تبين لكم كيف فعلنا بهم، والحال انهم مكروا ما بوسعهم من المكر والله محيط بمكرهم، وان كان مكرهم عظيماً موجباً لزوال الجبال.

٤٧ . (فلا تحسبنّ الله مخلف...) إذا كان الأمر كذلك فلا تحسبن الله مخلفاً لما وعدَ رُسله من نصرهم ومؤاخذة المتخلفين عن دعوتهم، وكيف يخلف وعده وهو عزيز ذو انتقام شديد.

٤٨ . (يوم تبدّل الأرض...) الآية تنبئ عن نظام غير هذا النظام الذي نعهده (وبرزوا لله الواحد القهّار) فلا يحول بينهم وبينه حائِل فهم بارزون له بروزاً مطلقاً.

(٣٦٥/١)

٤٩، ٥٠ . (وترى المجرمين يومئذ...) المقرنين: من التقرين وهو جمع الشيء إلى نظيره. والأصفاد: جمع الصفد وهو الغل الذي يجمع اليد إلى العنق. والسرابيل: جمع السربال وهو القميص. والقطران: شيء أسود منتن تطلى به الابِل.

٥١ . (ليجزي الله كلّ نفس...) ان الذي تجزى به كل نفس هو عين ما كسبته من حسنة أو سيئة.

٥٢ . (هذا بلاغ للنّاس...) البلاغ بمعنى التبليغ على ما ذكره الرّاغب.

«سورة الحِجر»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الر تلك آيات الكتاب...) هذه الآيات العالية منزلة، الرفيعة درجة التي ننزلها إليك، آيات الكتاب الالهي وآيات قرآن عظيم الشأن فاصل بين الحق والباطل. فالآية تدلُّ على أن الذين كفروا سيندمون على كفرهم ويتمنون أن لو كانوا مسلمين، بعد انطواء بساط الحياة الدنيا.

٣ . (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا...) امرٌ برفع اليد عنهم وتركهم وما هم فيه من الباطل، وهو كناية عن النهي عن الجدال معهم والاحتجاج عليهم، لانهم سوف يعلمون ذلك فانّ الحق ظاهر لا محالة.

٤، ٥ . (وما أهلكنا من قرية...) لكل أُمة كتابٌ معلوم عند الله مكتوب فيه أجلهم لا يقدرون أن يستقدموه ولا يستأخروه ساعة.

٦ . (وقالوا يا أيّها الّذي...) كلام خارج مخرج الاستهزاء، ولذلك خاطبوه صلّى الله عليه وآله لا باسمه، بل بوصف نزول الذكر عليه كما كان يدعيه.

٧ . (لو ما تأتينا بالملائكة...) هلّا تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً في دعوى النبوة.
٨ . (ما ننزّل الملائكة إلاّ بالحق...) إنما اقترحوا نزول الملائكة ليشاهدوهم في صورهم الأصلية حتى يصدّقوا وهذا الحال لا يتمهّد لهم إلاّ بالموت.
٩ . (إنّا نحن نزّلنا الذِّكر...) نحن أنزلنا هذا الذِّكر إنزالاً تدريجياً وإنّا له لحافظون بما له من صفة الذِّكر وبما لنا من العناية الكاملة به.
١٠، ١١ . (ولقد أرسلنا من قبلك...) الشيع: جمع شيعة وهم الفرقة المتفقة على سنة أو مذهب يتبعونه.

١٢، ١٣ . (كذلك نسلكه في...) ان حال رسالتك ودعوتك بالذكر المنزل إليك تشبه حال الرسالة من قبلك، فكما أرسلنا من قبلك رسلاً فقابلوهم بالردّ والاستهزاء، كذلك ندخل هذا الذكر وننفذه في قلوب هؤلاء المجرمين، وقد مضت طريقة الاولين وسنتهم في أنهم يستهزئون بالحق ولا يتبعونه.
١٤، ١٥ . (ولو فتحنا عليهم...) ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ويسرنا لهم الدخول في عالمها فداموا يعرجون فيه عروجاً بعد عروج حتى يتكرر لهم مشاهدة ما فيه من أسرار الغيب وملكوت الأشياء لقالوا إنما غشيت أبصارُنا فشاهدت أموراً لا حقيقة لها بل نحن قوم مسحورون.
١٦ . ١٨ . (ولقد جعلنا في السّماء...) ولقد جعلنا في السماء بروجاً وقصوراً هي منازل الشمس والقمر وزيناها أي السماء للناظرين بزينة النجوم والكواكب وحفظناها من كل شيطان رجيم أن ينفذ فيها فيطلع على ما تحتويه من الملكوت، إلاّ من استرق السمع من الشياطين بالاقتراب منه ليسمع ما يحدث به الملائكة من أحاديث الغيب المتعلقة بمستقبل الحوادث وغيرها فانه يتبعه شهاب مبين.
١٩ . (والأرض مددناها والقينا...) والأرض بسطناها وطرحنا فيها جبالاً ثابتة لتسكّنها من الميد، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . ثقيل واقع تحت الجاذبية أو متناسب . مقداراً تقتضيه الحكمة.
٢٠ . (وجعلنا لكم فيها...) وجعلنا لكم معشر البشر في الأرض أشياء تعيشون بها ممّا تُدام به الحياة ولغيركم من ارباب الحياة مثل ذلك.
[٢٦٣]
٢١ . (وإن من شيء...) هذه الخزائن فوق عالمنا المشهود لانه تعالى وصفها بانها عنده.
٢٢ . (وأرسلنا الرياح لواقح...) اللواقح: جمع لاقحة من اللقح. (فانزلنا من السّماء ماءً فاسقيناكموه) اشارة إلى المطر النازل من السحاب.

٢٣ . (وإنّا لنحن نحيي...) يريد بيان رجوع كل التدبير إليه، (ونحن الوارثون) الباقون بعد اماتتكم المتصرفون فيما خولناكموه من امتعة الحياة كانه تعالى يقول: الينا تدبير امركم ونحن محيطون بكم، نحييكم بما لم تكونوا فنحنُ قبلكم، ونميتكم ونرثكُم فنحنُ بعدكُم.

٢٤ . (ولقد علمنا المستقدمين...) الآية دالة على علمه بمن استقدم منهم بالوجود ومن استأخر، أي المتقدمين من الناس والمتأخرين على ما يفيده السّياق.

٢٥ . (وإنّ ربّك هو يحشرهم...) هو يحشرهم لا غير فهو الربّ.

٢٦، ٢٧ . (ولقد خلقنا الإنسان...) اقسم لقد خلقنا النوع الانساني من طين قد جفّ بعد أن كان سائلاً متغيراً منتناً، ونوع الجان بدأنا خلقه من ريح حادة اشتعلت فصارت ناراً.

٢٨ . (وإذ قال ربّك...) التقدير: واذكر إذ قال ربّك.

٢٩ . (فإذا سوّيته ونفخت...) فإذا عدلتُ تركيبه وأتممتُ صنع بدنه واوجدت الروح الكريم المنسوب إليّ الذي أربط بينه وبين بدنه فقعوا وخرّوا على الأرض ساجدين له.

٣٠، ٣١ . (فسجد الملائكة كُلهم...) المراد أن الملائكة سجدوا له بحيث لم يبق منهم أحد، وقد استثنى من ذلك ابليس ولم يكن منهم، ومعنى الآيتين ظاهر.

٣٢ . (قال يا ابليسُ ما لك...) ما بالك لم تسجد.

٣٣ . (قال لم أكن لاسجد...) في التعبير بقوله: (لم اكن لاسجد) دون أن يقول: لا أسجد أو لست أسجد، دلالة على أن الاباء مقتضى ذاته.

٣٤، ٣٥ . (قال فأخرج منها فانك رجيم...) الرجيم: من الرجم وهو الطرد. واللعن: هو الطرد والابعاد من الرحمة.

٣٦ . (قال ربِّ فانظرني...) الانظار: هو الامهال.

٣٧، ٣٨ . (قال فانّك من المنظرين...) يوم الوقت المعلوم غير يوم يبعثون، فلم يسمح له بانظاره إلى يوم يبعثون، بل إلى يوم هو غيره ولا محالة هو قبل يوم البعث.

٣٩ . (قال ربّ بما اغويتني...) أتسبب بإغوائك اياي إلى التزيين لهم وأُلقي إليهم ما استقرّ فيّ من الغواية.

٤٠ . (إلاّ عبادك منهم...) استثنى من عموم الاغواء طائفة خاصة من البشر وهم المخلصون.

٤١ . (قال هذا صراط...) كناية على أنّ الأمر إليه تعالى لا غنى فيه عنه بوجه.

٤٢ . (إنّ عبادي ليس...) هذا هو القضاء الذي أشار سبحانه إليه في الآية السابقة في أمر الاغواء، وذكر أن له وحده ليس لغيره فيه صنع ولا نصيب.

٤٣ . (وان جهنّم لموعدهُم...) كأنه تعالى يقول له: ما ذكرته من السلطان على الغاوين ليس لك من نفسك ولم تعجزنا بل نحن سلطناك عليهم لاتباعهم لك على أنا سنجازيهم بعذاب جهنم.

٤٤ . (لها سبعة أبواب...) كون جهنم لها سبعة أبواب هو كون العذاب المعد فيها متنوعاً إلى سبعة انواع، ثم انقسم كل نوع إنقساماً حسب انقسام الجزء الداخل الماكث فيه.

٤٥، ٤٦ . (ان المتقين في جنّات...) انهم مستقرون في جنات وعيون، يقال لهم: ادخلوها بسلام لا يوصف ولا

[٢٦٤]

يكتنه نعته في حال كونكم آمنين من كل شر وضرّ.

٤٧، ٤٨ . (ونزعنا ما في صدورهم...) يصف تعالى حال المتقين في سعادتهم بدخول الجنة، فذكر أنهم في أمن من قبل انفسهم لان الله نزع ما في صدورهم من غلّ فلا يهم الواحد منهم بصاحبه سوء بل هم إخوان على سرر متقابلين، وانهم في أمن من ناحية الأسباب والعوامل الخارجية فلا يمسهم نصب أصلاً، وانهم في أمن وسلام من ناحية ربهم فما هم من الجنة بمخرجين أبداً فلهم السعادة والكرامة من كل جهة.

٤٩، ٥٠ . (نبئ عبادي أني...) المراد بقوله: (عبادي) على ما يفيده سياق الآيات مطلق العباد، فليس لأحد أن ييأس من مغفرته وليس لأحد أن يحقر عذابه.

٥١ . (ونبئهم عن ضيفِ...) المراد بالضيف: الملائكة المكرمون الذين ارسلوا لبشارة إبراهيم بالولد ولهلاك قوم لوط.

٥٢، ٥٣ . (إذ دخلوا عليه...) نسلم عليك سلاماً. وقول إبراهيم: (إنّا منكم وجلون) خائفون. وقولهم: (لا توجل) تسكين لوجله وتأمين له وتطييب لنفسه بانهم رسل ربه، وقد دخلوا عليه ليبشروه بغلام عليم أي بولد يكون غلاماً وعليما.

٥٤ . (قال أبشرتموني على...) إني لأعجب من بشارتكم إياي والحال إني شيخ هرم فنى شبابي وفقدتُ قوى بدني، والعادة تستدعي أن لا يولد لمن هذا شأنه ولد.

٥٥، ٥٦ . (قالوا بشرناك بالحق...) ان بشارتنا ملازمة للحق غير منفكة منه فلا تدفعها بالاستبعاد فتكون من القانطين من رحمةِ الله، وقد قابلهم إبراهيم عليه السّلام على نحو التكنية فقال: ان القنوط من رحمةِ الله ممّا يختص بالضالين ولستُ أنا بضال فليس سؤالي سؤال قانط مستبعد.

٥٧ . (قال فما خطبكم...) الخطب: الأمر الجليل والشأن العظيم.

٥٨، ٥٩ . (قالوا إنا أُرسلنا...) جواب الملائكة لسؤال إبراهيم (قالوا إنا أُرسلنا) من عند الله سبحانه (إلى قوم مجرمين) نكروهم ولم يسموهم صوناً للسان عن التصريح باسمهم ثم استثنوا وقالوا: (إلاّ آل لوط) وهم لوط وخاصته (انا لمنجوهم) مخلصوهم من العذاب. ثم استثنوا اِمرأة لوط من آله للدلالة على أن النجاة لا تشملها.

٦١، ٦٢ . (فلما جاء آل لوط...) إنما قال لهم لوط عليه السلام ذلك لكونهم ظاهرين بصور غلمان مرد حسان.

٦٣، ٦٤ . (قالوا بل جئناك...) الامتراء: من المرية وهو الشك، والمراد بما كانوا فيه يمترون: العذاب الذي كان ينذرهم به لوط وهم يشكون فيه، والمراد باتيانهم بالحق: اتيانهم بقضاء حق في أمر القوم لا معدل عنه.

٦٥ . (فاسرِ باهلك بقطع من اللّيل...) يجب عليك أن تسير باهلك ليلاً وتأخذ أنت وراءهم لئلا يتخلفوا عن السير ولا يتساهلوا فيه ولا يلتفت أحد منكم إلى ورائه وامضوا حيث تؤمرون.

---

٦٦ . (وقضينا إليه ذلك...) وقضينا أمرنا العظيم في عذابهم موحياً ذلك إلى لوط عليه السلام وهو أن دابر هؤلاء وأثرهم الذي من شأنه أن يبقى بعدهم من نسل وبناء وعمل مقطوع.

٦٧ . ٧٠ . (وجاء أهل المدينة...) (وجاء) إلى لوط (أهل المدينة) جمع كثير منهم يريدون أضيافه وهم (يستبشرون) لولعهم بالفحشاء وخاصة بالداخلين في بلادهم من خارج فاستقبلهم لوط مدافعاً عن اضيافه (قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بالعمل الشنيع بهم (واتقوا الله ولا تخزون. قالوا) المهاجمون من أهل المدينة: ألم نقطع عذرك في ايوائهم (أوَ لم ننهك عن العالمين) أن تؤويهم وتشفع فيهم وتدافع عنهم.

٧١ . (قال هؤلاء بناتي...) عرض عليهم بناته، كما تقدم بيانه في سورة هود.

٧٢ . ٧٤ . (لعمرك إنهم لفي...) اقسم بحياتك وبقائك يا محمّد انهم لفي سكرتهم، وهي غفلتهم بانغمارهم في الفحشاء والمنكر، يتردّدون متحيِّرين (فاخذتهم الصّيحة) وهي الصوت الهائل (مشرقين) حال كونهم داخلين في

[٢٦٥]

إشراق الصبح، فجعلنا عالي بلادهم سافلها وفوقها تحتها.

٧٥ . ٧٧ . (انّ في ذلك لآيات...) ان في ذلك أي فيما جرى من الأمر على قوم لوط وفي بلادهم، لعلامات من بقايا الآثار للمتفرسين، لم تعفُ ولم تنمحِ بالكلية بعد، ان في ذلك لآية للمؤمنين تدل

على حقية الانذار والدعوة.

٧٨، ٧٩ . (وانّ كان أصحاب الأيكة...) الأيكة: واحدة الأيك وهو الشجر الملتف بعضه ببعض. وهؤلاء . كما ذكروا . هم قوم شعيب عليه السّلام أو طائفة من قومه.

٨٠ . (ولقد كذب أصحاب...) أصحاب الحجر: هم ثمود قوم صالح، والحجر: اسم بلدة كانوا يسكنونها.

٨١ . (وآتيناهم آياتنا فكانوا...) المراد بالآيات: المعجزات والخوارق . كما هو الظاهر . والمراد بها الناقة وشربها وما ظهر لهم بعد عقرها إلى أن اهلكوا.

٨٢ . (وكانوا ينحتون من...) كانوا يسكنون الغيران والكهوف المنحوتة من الحجارة، آمنين من الحوادث الأرضية والسماوية بزعمهم.

---

٨٣ . (فاخذتهم الصيحة مصبحين) صيحة العذاب التي كان فيها هلاكهم.

٨٤ . (فما أغنى عنهم...) من الأعمال لتأمين سعادتهم في الحياة.

٨٥، ٨٦ . (وما خلقنا السّماواتِ والأرض...) ان خلقها جميعاً لا ينفك عن الحق، (فاصفح الصفح الجميل) إذا كانت الخلقة بالحق وهناك يوم فيه يحاسبون ويجازون لا ريب فيه فلا تشغل نفسك بما ترى منهم من التكذيب والاستهزاء واعف عنهم من غير أن تقع فيهم بعتاب أو مناقشة وجدال فان ربك الذي خلقك وخلقهم هو عليم بحالك وحالهم ووراءهم يوم لا يفوتونه.

٨٧ . (ولقد آتيناك سبعاً...) السبع المثاني: هي سورة الحمد.

٨٨ . (لا تمدنّ عينيك...) لا تتجاوز عن النظر عما أنعمناك به من النعم الظاهرة والباطنة، إلى ما متعنا به أزواجاً قليلة أو أصنافاً من الكفار. (ولا تحزن عليهم) من جهة تماديهم في التكذيب والاستهزاء.

٨٩ . (وقُل إنّي انا النذير...) لا دعوى لي إلاّ أني نذير أُنذركم بعذاب الله سبحانه، مبين ابين لكم ما تحتاجون إلى بيانه، وليس لي وراء ذلك من الأمر شيء.

٩٠ . (كما أنزلنا على المقتسمين) المراد بالمقتسمين: هم الذين يصفهم قوله بعد: [في الآية التالية].

٩١ . ٩٣ . (الّذين جعلوا القرآن...) قوم من قريش جزأوا القرآن أجزاءً فقالوا: سحر، وقالوا: أساطير الأوّلين، وقالوا: مفترى، وتفرّقوا في مداخل طرق مكّة أيّام الموسم يصدّون الناس الواردين عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فانزل الله عليهم العذاب وأهلكهم.

٩٤ . ٩٦ . (فاصدع بما تؤمر...) إذا كان الأمر كما ذكرناه (فاصدع بما تؤمر) واعلن الدعوة وأظهر الحق (واعرض عن المشركين أنا) أي لاننا (كفيناك المستهزئين) بانزال العذابِ عليهم وهم

(الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون).

٩٧ . (ولقد نعلم أنك...) رجع ثانياً إلى حزنه صلّى الله عليه وآله وضيق صدره من استهزائهم لمزيد العناية بتسليته وتطييب نفسه وتقوية روحه.

٩٨، ٩٩ . (فسبح بحمدِ ربّك...) وصاه سبحانه بالتسبيح والتحميد والسجدة والعبادة. والمراد باتيان اليقين: حلول الأجل ونزول الموت.

«سورة النّحل»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (أتى أمرُ الله...) المراد بالأمر: ما وعد الله النبيّ صلّى الله عليه وآله والذين آمنوا، وأوعدَ المشركين مرةً بعد مرة في كلامه سينصر المؤمنين ويخزي الكافرين.

٢ . (ينزل الملائكة بالرّوح...) ان الله منزّه ومتعال عن شركهم، ولتنزهه وتعاليه عن الشريك، ينزل سبحانه الملائكة بمصاحبة الروح الذي هو من سنخ أمره وكلمته في الايحاء . أو بسببه . على من يشاء من عباده، أن أنذروا أن لا إله إلاّ أنا فاتقون.

٣ . (خلق السّماوات والأرض...) الخصيم: من الخصومة وهي الجدال.

٥ . (والأنعام خلقها لكم...) الأنعام: جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم.

٦ . (ولكم فيها جمال...) لكم في الانعام منظر حسن حين تردّونها بالعشي إلى منازلها وحين تخرجونها بالغداة إلى مراعيها.

٧ . (وتحمل اثقالكم إلى...) ان الانعام كالابل وبعض البقر تحملُ أمتعتكم الثقيلة إلى بلد ليس يتيسّر لكم بلوغه إلاّ بمشقة تتحملها أنفسكم، فرفع عنكم المشاق بخلقها وتسخيرها لكم، (ان ربّكم لرؤوف رحيم).

٨ . (والخيل والبغال والحمير...) والخيل والبغال والحمير خلقها لتركبوها، (وزينة) انكم تركبونها وتتخذونها زينةً وجمالاً. (ويخلق ما لا تعلمون) يخلقُ ما لا علم لكم به من الحيوان وغيره.

٩ . (وعلى الله قصد...) القصدُ: استقامة الطريق وهو كونه قيماً على سالكيه يوصلهم إلى الغاية. (ومنها جائر) ومن السبيل ما هو جائر أي مائل عن الغاية، وقد نسب سبحانه قصد السبيل إلى نفسه دون السبيل الجائر لان سبيل الضلال ليس سبيلاً مجعولاً له وإنما هو الخروج عن السبيل وعدمُ التلبُّس بسلوكه فليس بسبيل حقيقة. وانما هو عدمُ السبيل.

١٠ . (هو الّذي أنزل...) شروع في نوع آخر من النعم وهي النعم النباتية. (تسيمون) من الاسامة: وهي رعي المواشي.

١١ . (ينبت لكم به...) لعل التصريح باسماء هذه الثمرات الثلاث بخصوصها وعطف الباقي عليها لكونها ممّا يقتاتُ بها غالباً.

١٢ . (وسخّر لكم اللّيل والنّهار...) تكرر الكلامُ في معنى تسخير الليلِ والنهار والشمس والقمر والنجوم.

١٣ . (وما ذرأ لكم في...) الذرء: الخلق.

١٤ . (وهو الّذي سخّر...) هذا فصل آخر من النعم الالهية وهو نعم البحر. والمراد باكل اللحم الطري من البحر: هو أكلُ لحوم الحيتان المصطادة منه، وباستخراج حلية تلبسونها: ما يستخرج منه بالغوص من أمثال اللؤلؤ والمرجان التي تتحلّى وتتزيّن بها النساء. (وترى الفلك مواخر فيه) تشاهد السفائن تشق ماءه عن اليمين والشمال، (ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) ولتطلبوا بعض رزقه في ركوب البحر وإرسالِ السفائن فيه (ولعلّكم تشكرون) ومن الغايات في تسخير البحر واجراء الفلك فيه شكركم له المرجوّ منكم إذ هو من زيادته تعالى في النعمة. لعلكم تشكرونه على هذا الزائد. [٢٦٧]

١٥ . (وألقى في الأرض...) طرح على الأرض جبالاً ثوابت لئلا تضطرب وتميل يميناً وشمالاً فيختلّ بذلك نظام معاشكم. (وسبلاً لعلّكم تهتدون) وجعل سبلاً لغاية الاهتداء المرجو منكم.

١٦ . (وعلامات وبالنّجم...) وجعل علامات تستدلّون بها على الأشياء الغائبة عن الحس وهي كل آية وإمارة طبيعية أو وضعية تدلُّ على مدلولها ومنها الشواخص والنصب واللغات والاشارات وغيرها.

١٧ . (أفمن يخلق كمن لا يخلق...) انّ الله سبحانه يخلقُ الأشياء ويستمر في خلقها فلا يستوي هو ومن لا يخلق شيئاً.

١٨ . (وإن تعدّوا نعمةَ...) إشارة إلى كثرة النعم الألهية كثرة خارجة عن حيطة الاحصاء.

١٩ . (والله يعلم ما تسرون...) اشارة إلى الركن الثالث من أركان الربوبية وهو العلم.

٢٠ . (والّذين يدعون من...) اشارة إلى فقدان الركن الأول من أركان الربوبية في آلهتهم الذين يدعون من دون الله ويتفرع عليه الركن الثاني وهو إيتاء النعمة، فليس الذين يدعونهم آلهة وأرباباً،

والله الرّب.

٢١ . (أمواتُ غير أحياء...) اشارة إلى فقدان الركن الثالث من أركان الربوبية في أصنامهم وهو العلم بما يسرّون وما يعلنون.

٢٢ . (الهكم إله واحد...) الهكم واحد على ما تدل عليه الآيات الواضحة في دلالتها. فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرةٌ للحق جاحدةٌ له عناداً وهم مستكبرون عن الانقياد للحق من غير حجة ولا برهان.

٢٣ . (لا جرم أن الله...) من المحقق . أو حق . ان الله يعلم ما يخفونه من أعمالهم وما يظهرونه فيسيجزيهم بما عملوا ويؤاخذهم على ما أنكروا واستكبروا إنه لا يحب المستكبرين.

٢٤ . (وإذا قيل لهم...) يمكن أن يكون القائل من المشركين، ويمكن أن يكون شاكاً متحيراً باحثاً.

٢٥ . (وليحملوا أوزارهم...) التقدير: قالوا أساطير الأولين ليضلوهم وهم أنفسهم ضالون فيحملوا أوزار أنفسهم كاملة ومن أوزار أولئك الذين يضلونهم بغير علم. وتقييده سبحانَه قوله: (يضلّونهم) بقوله: (بغير علم) للدلالة على أن الذين أضلهم هؤلاء المشركون الذين قالوا: أساطير الأولين، إنّما ضلّوا باتباعهم لهم تقليداً وبغير علم فالقائلون أئمة الضلال.

٢٦ . (قد مكر الّذين...) تهديد للمشركين الذين كانوا يمكرون بالله ورسوله بتذكيرهم ما فعل الله بالماكرين من قبلهم من مستكبري الأُمم الماضية.

٢٧ . (ثمّ يوم القيامةِ...) إن الله سبحانه سيخزيهم يوم القيامة ويضرب عليهم الذلة والهوان بقوله: أين شركائي الذين كنتم تشاقون أهل الحق فيهم وتخاصمونهم وتوجدون الاختلاف في دينِ الله. (قال الّذين اوتوا العلم...) وهؤلاء الذين وصفهم الله بانهم اوتوا العلم، هم الذين رزقوا العلم بالله وانكشفت لهم حقيقة التوحيد.

---

٢٨ . (الّذين تتوفاهم الملائكة...) الكافرون هم الذين تتوفاهم الملائكة ويقبضون أرواحهم والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله فالقوا السلم وقدموا ألخضوع والانقياد مظهرين بذلك أنهم ما كانوا يعملون من سوء، فيردّ عليهم قولهم ويكذبون ويقالُ لهم: بلى قد فعلتم وعملتم، ان الله عليم بما كنتم تعملون قبل ورودكم هذا المورد وهو الموت.

٢٩ . (فادخلوا أبوابَ جهنّم...) ليدخل كل واحد منكم باباً من جهنم يناسب عمله وموقفه من الكفر. [٢٦٨]

٣٠، ٣١ . (وقيل للّذين اتقوا...) وقيل للمتقين من المؤمنين ماذا أنزل ربكم من الكتاب وما شأنه؟ قالوا أنزل خيراً، وكونه خيراً هو إن للذين أحسنوا في هذه الدنيا مثوبةً وحسنة ولدار الآخرة خيرٌ لهم

جزاء. ثمّ مدح دارهم ليكون تأكيداً للقول فقال: (ولنعم دار المتّقين)، ثمّ بيّن دار المتقين بقوله: (جناتُ عدن يدخلونها...).

٣٢ . (الّذين تتوفّاهم الملائكة...) ان المتقين هم الذين تتوفاهم الملائكة متعرّين عن خبث الظلم . الشرك والمعاصي . يقولون لهم سلامٌ عليكم . وهو تأمين قولي لهم . ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون . وهو هداية لهم إليها.

٣٣ . (هل ينظرون إلاّ...) المراد باتيان الملائكة: نزولهم لعذاب الاستئصال. والمراد باتيان أمر الربّ تعالى: قيام الساعة وفصل القضاء والانتقام الالهي منهم. (كذلك فعل الّذين...) الذين من قبلهم مثل فعلهم من الجحود والاستهزاء. (وما ظلمهم الله ولكن...) الذي نزل بهم من العذاب لم يستوجبه إلاّ الظلم، غير أن هذا الظلم كان هو ظلمهم أنفسهم لا ظلماً منه تعالى وتقدّس.

٣٤ . (فأصابهم سيّئات ما عملوا...) حاق بهم: حلّ بهم. والذي كانوا به يستهزئون: هو العذاب الذي كان رسلهم ينذرونهم به.

---

٣٥ . (وقال الّذين أشركوا...) مغزى مرادهم أن عبادتهم لغير الله وتحريمهم لما حرّموه وبالجملة عامة أعمالهم، لم تتعلّق بها مشيئة من الله بنهي، ولو تعلّقت لم يعملوها ضرورة. (كذلك فعل الّذين من قبلهم) على هذا الطريق الذي سلكه هؤلاء سلك الذين من قبلهم. (فهل على الرّسل إلاّ البلاغ المبين) بلغهم الرسالة بلاغاً مبيناً تتم به الحجة عليهم، فانما وظيفة الرسل البلاغ المبين.

٣٦ . (ولقد بعثنا في...) اشارة إلى أن بعث الرّسول أمر لا تختص به امة دون أمة بل هو سنة إلهية جارية في جميع الناس. (أن اعبدوا الله...) فما كانت حقيقة بعث الرسول إلاّ أن يدعوهم إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت، (فمنهم من هدى...) كانت كل من هذه الامم مثل هذه الأمة منقسمة إلى طائفتين فبعضهم هو من هداه الله إلى ما دعاهم إليه الرّسول من عبادة الله واجتناب الطاغوت، وبعض هذه الامم . الطائفة الثانية منهم . هو من حقت عليه الضلالة.

٣٧ . (ان تحرص على هداهم...) ان تحرص على هداهم لم ينفعهم حرصك شيئاً فليسوا ممّن يمكن له الاهتداء: فان الله هو الذي يهدي من اهتدى، وهو لا يهديهم، فانه يضلهم ولا يناقض تعالى فعل نفسه، وليس لهم ناصرون ينصرونهم عليه.

٣٨ . (وأقسموا بالله جهد...) قال في المجمع: بلغوا في القسم كل مبلغ. وقولهم: (لا يبعث الله من يموت) إنكارهم للحشر. (بلى وعداً عليه حقاً) ليس الأمر كما يقولون بل يبعث الله من يموت وعده وعداً ثابتاً عليه حقاً. (ولكن أكثر النّاس لا يعلمون) لا يعلمون انه من الوعد الذي لا يخلف والقضاء الذي لا يتغير.

٣٩ . (ليبين لهم الّذي...) ان الكافرين إنما يعلمون أنهم كانوا كاذبين في نفي المعاد من جهة تبين الاختلاف الذي ظهر بينهم وبين الرسل، بسبب اثبات المعاد ونفيه، وظهور المعاد لهم عياناً.

(٣٧٧/١)

---

٤٠ . (إنّما قولنا لشيء...) انه تعالى يسمّي أمره قولاً كما يسمى أمره وقوله من حيث قوته واحكامه وخروجه عن الابهام وكونه مراداً حكماً وقضاء.

[٢٦٩]

٤١ . (والّذين هاجروا في الله...) وعد جميل للمهاجرين والمراد بكون المهاجرة في الله ان يكون طلب مرضاته محيطاً بهم في مهاجرتهم لا يخرجون منه إلى غرض آخر.

٤٢ . (الّذين صبروا وعلى...) [وصف] المهاجرين بالصبر والتوكل.

٤٣ . (وما أرسلنا من...) بيان أن الرّسل كانوا رجالاً من البشر (فاسألوا أهل الذكر...) ارشاد إلى أصل عام عقلاني وهو وجوب رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة، (بالبيّنات والزبر) أرسلناهم بالبينات والزبر وهي الآيات الواضحة الدالة على رسالتهم والكتب المنزلة عليهم. (وأنزلنا إليك الذّكر...) إنما اخترناك لتوجيه والقاء القول لامرين: أحدهما: أن تبين للناس ما نزل تدريجاً إليهم. والثاني: رجاء أن يتفكروا فيك فيتبصّروا ان ما جئت به حق من عند الله.

٤٥ . (أفأمن الّذين مكروا...) فإذا دلّت الآيات البينات على أن الله هو ربهم لا شريك له في ربوبيته وان الرسالة ليست بامر محال، فهؤلاء الذين يعرضون عن ذلك ويمكرون بالله ورسله هل أمنوا أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب وهم لا يشعرون، أي يفاجئهم من غير أن ينتبهوا بتوجهه إليهم قبل نزوله.

٤٦ . (أو يأخذهم في تقلبهم...) التقلب: هو التحول من حال إلى حال، والمراد به: تحول المشركين في مقاصدهم واعمالهم السيئة وانتقالهم من نعمة إلى نعمة اخرى من نعم الحياة الدنيا، والمعنى: يعذبهم بنفس ما يتقلبون فيه فتعود النعمة نقمة، (فما هم بمعجزين) ليسوا بمعجزين لله فيما أراد.

٤٧ . (أو يأخذهم على تخوف...) الأخذ على تخوف: هو العذاب مبنياً على المخافة بان يشعروا بالعذاب فيتقوه ويحذروه بما استطاعوا من توبة وندامة ونحوهما.

(٣٧٨/١)

---

٤٨ . (أوَ لم يروا إلى...) أولم ينظروا (إلى ما خلق الله من شيء) من هذه الاجسام القائمة على بسيط الأرض من جبل أو بناء أو شجر أو أي جسم منتصب (يتفيأ) ويرجع ويدور (ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله) واقعة على الأرض تذللاً وتعبداً له سبحانه (وهم داخرون) خاضعون صاغرون.

٤٩ . (ولله يسجد ما في...) له يخضع وينقاد خضوعاً وانقياداً ذاتياً.

٥٠ . (يخافون ربّهم من...) مخافتهم هي تأثرهم الذاتي عمّا يشاهدونه من مقام ربّهم ولا يغفلون عنه قط.

٥١ . (وقال الله لا تتخذوا...) لا تتخذوا إلهين اثنين: إله الخلق وإله التدبير الذي له العبادة إنما هو، أي الاله إله واحد له الخلق والتدبير جميعاً.

٥٢ . (وله ما في السّماوات...) قال في المفردات: الواصب: الدائم أي حق الإنسان أن يطيعه دائماً في جميع أحواله.

٥٣ . (وما بكم من نعمة...) ان جميع النعم التي عندكم من أنعامه تعالى عليكم وانتم تعلمون ذلك ثمّ إذا حلّ بكم شيء من الضرّ وسوء حال يسير رفعتم أصواتكم بالتضرع وجأرتم إليه لا إلى غيره ولو كان لغيره صنيعة عندكم لتوجهتم إليه فهو سبحانه منعم النعمة وكاشف الضرّ فما بالكم لا تخصونه بالعبادة ولا تطيعونه.

٥٤ . (ثمّ إذا كشف الضرّ...) شروع في ذمهم وتوبيخهم.

٥٥ . (ليكفروا بما آتيناهم...) انهم إنما يشركون بربهم ليكفروا بما أعطيناهم من النعمة بكشفِ الضر عنهم ولا يشكروه.

٥٦ . (ويجعلون لما لا يعلمون...) ويجعل المشركون لالهتهم التي لا يعلمون من حالها أنها تفتر وتنفع نصيباً ممّا رزقناهم.

٥٧ . (ويجعلون لله البنات...) عتاب آخر لهم في حكم حكموا به جهلاً من غير علم فاحترموا لأنفسهم وأساؤا الأدب، مجترئين على الله سبحانه، حيث اختاروا لأنفسهم البنين وكرهوا البنات، لكنّهم نسبوها إلى الله سبحانه.

٥٨ . (وإذا بشر أحدهم...) ينسبون إلى ربّهم البنات والحال أنهم إذا بشر أحدهم بالانثى فقيل: ولدت لك بنت، اسود وجهه من الغيظ وهو يتجرع غيظه.

(٣٧٩/١)

---

٥٩ . (يتوارى من القوم...) يستخفي هذا المبشر بالبنت من القوم، من سوء ما بشر به على عقيدته

ويتفكر في أمره: أيمسك ما بشربه وهي البنت على ذلة من امساكه وحفظه، أم يخفيه في التراب كما كان ذلك عادتهم في المواليد من البنات. (ألا ساء ما يحكمون) هو حكمهم أن له البنات ولهم البنون لا لهوان البنات وكرامة البنين في نفس الأمر، بل معنى هذا الحكم عندهم أن يكون لله ما يكرهون ولهم ما يحبون.

٦٠ . (للّذين لا يؤمنون...) ان عدم الإيمان بالآخرة واستخفاف أمر الحساب والجزاء، هو مصدرُ كل عمل سيّء ومورده فكل مثل سوء وصفة قبح يلزم الإنسان ويلحقه فانما يأتيه من قبل نسيان الأخرة، كما أن كل مثل حسن وصفة حمد بالعكس من ذلك. (ولله المثل الأعلى) لله المثل الذي هو أعلى دون المثل الذي هو سيّء، ودون المثل الذي هو حسن عال من صفات الكمال الذي تتصف به الممكنات وليس باعلى.

٦١ . (ولو يؤاخذ الله...) ولو أخذ الله الناس بظلمهم مستمراً على المؤاخذة ما ترك على الأرض من انسان يدب ويتحرّك. (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمّى) فلا يعاجل في مؤاخذتهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى.

٦٢ . (ويجعلون لله ما يكرهون...) عود إلى نسبة المشركين إليه تعالى البنات واختيارهم لأنفسهم البنين وهم يكرهون البنات ويحبون البنين، (وتصف ألسنتهم الكذب) تخبر السنتهم الخبر الكاذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى من الحياة وهي أن يخلفهم البنون.

٦٣ . (تالله لقد أرسلنا...) تالله لقد أرسلنا رسلنا إلى امم من قبلك، كاليهود والنصارى والمجوس ممن لم ينقرضوا كعاد وثمود، فزين لهم الشيطان أعمالهم فاتبعوه واعرضوا عن رسلنا، فهو وليهم اليوم وهم متفقون على الضلال ولهم يوم القيامة عذاب أليم.

(٣٨٠/١)

---

٦٤ . (وما أنزلنا عليك...) هذا حال الناس في الاختلاف في المعارف الحقة والاحكام الإلهية، وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتكشف لهؤلاء المختلفين الحق الذي اختلف فيه فيتم لهم الحجّة، وليكون هدىً ورحمة لقوم يؤمنون يهديهم الله به إلى الحق ويرحمهم بالايمان به والعمل.

٦٥ . (والله أنزل من...) يريد انبات الأرض بعدما انقطعت عنه بحلولِ الشتاء، بماءِ السماء الذي هو المطر.

٦٦ . (وان لكم في...) لكم في الابل والبقر والغنم لأمراً أمكنكم أن تعتبروا به وتتعظوا. (من بين فرث ودم) نسقيكم ممّا في بطونه لبناً خارجاً من بين فرثِ ودم خالصاً غير مختلط.

٦٧ . (ومن ثمراتِ النّخيل...) تتخذون ممّا ذكر من ثمراتِ النخيل والاعناب ما هو مسكر كالخمر بانواعها ورزقاً حسناً كالتمر والزبيب والدبس وغير ذلك ممّا يقتاتُ به. ولا دلالة في الآية على إباحة

استعمال المسكر ولا على تحسين استعماله، ان لم تدل على نوع من القبيحة من جهة مقابلته بالرّزق الحسن، وهي مكية تخاطب المشركين وتدعوهم إلى التوحيد.

٦٨، ٦٩ . (وأوحى ربّك إلى النّحل...) الهمه من طريق غريزته التي أودعها في بنيته، وأمر النحل وهو زنبور العسل وهو في حياته الاجتماعية ومسيرته وصنعته لعجيب.

٧٠ . (والله خلقكم ثمّ يتوفّاكم...) والله خلقكم معشر الناس ثمّ يتوفاكم في عمر متوسط ومنكم من يُردُّ إلى سنِّ الهرم وينتهي إلى أن لا يعلم بعد علم شيئاً لضعف القوى، وهذا آية أن حياتكم وموتكم وكذا شعوركم وعلمكم ليست بايديكم وإلاّ اخترتم البقاء على الوفاة، والعلم على عدمه بل ذلك على ما له من عجيب النظام مُنته إلى علمه وقدرته تعالى، ولهذا علّله بقوله: (إنّ الله عليم قدير).

---

٧١ . (والله فضّل بعضكم...) والله فرق بينكم بأن فضل بعضكم على بعض في الرزق، فبعضكم حرّ مستقل في التصرّف فيه، وبعضكم عبد تبع له لا يتصرّف إلاّ عن إذن، فليس الذين فضّلوا برادّي رزقهم الذي رزقوه على سبيل الحرية والاستقلال على ما ملكت أيمانهم حتى يكون هؤلاء المفضلون والمفضل عليهم في الرّزق سواء، فليسوا سواء بل هي نعمة

[٢٧١]

تختص بالمفضلين أفبنعمةِ الله يجحدون؟

٧٢ . (والله جعل لكم...) والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً تألفونها وتأنسون بها، وجعل لكم من أزواجكم بالإيلاد بنيناً وحفدة وأعواناً تستعينون بخدمتهم على حوائجكم وتدفعون بهم عن أنفسكم المكاره، ورزقكم من الطيبات وهي ما تستطيبونه من أمتعة الحياة. ثم وبّخهم بقوله: (أفبالباطل) وهي الأصنام والأوثان ومن ذلك القول بالبنات لله، والأحكام التي يشرعها لهم أئمتهم أئمة الضلال (يؤمنون وبنعمةِ الله هم يكفرون) والنعمة هي جعل الأزواج من أنفسهم وجعل البنين والحفدة من أزواجهم فان ذلك من أعظم النعم وأجلاها.

٧٣ . (ويعبدون من دون الله...) يكفرون بنعمةِ الله ويعبدون من دون الله ما لا يملك...الخ.

٧٤ . (فلا تضربوا لله) إذا كان الأمر على ما ذكره فلا تصفوه سبحانه بما تشبهونه بغيره وتقيسونه إلى خلقه لأن الله يعلم وأنتم لا تعلمون حقائق الأمور وكنهه تعالى.

٧٥ . (ضرب الله مثلاً...) الجملة من تمام الحجة ومحصّلها أنه لا يستوي المملوك الذي لا يقدر أن يتصرف في شيء وينعم بشيء، والمالك الذي يملك الرّزق ويقدر على التصرف فيه فيتصرف وينعم كيف يشاء، والله سبحانه هو المحمود بكل حد إذ ما من نعمة إلاّ وهي من خلقه فله كل صفة يحمد

عليها كالخلق والرزق والرحمة والمغفرة والاحسان والانعام وغيرها، فله كل ثناء جميل، وما يعبدون من دونه مملوك لا يقدر على شيء فهو سبحانه الرب وحدهُ دون غيره.

(٣٨٢/١)

---

٧٦ . (وضرب الله مثلاً...) الغرض من المثل المضروب في الآية: اِقامة حجة على التوحيد مع إشارة إلى النبوة والتشريع.

٧٧ . (ولله غيب السّماوات...) ان الله سبحانه يملك غيب السماوات والأرض ملكاً له أن يتصرف فيه كيف يشاء كما يملك شهادتهما وكيف لا؟ وغيب الشيء لا يفارق شهادته وهو موجود ثابت معه وله الخلق والأمر، والساعة الموعودة ليست بأمر محال حتى لا يتعلق بها قدره، بل هي من غيب السّماوات والأرض وحقيقتها المستورة عن الافهام اليوم فهي مما استقر عليه ملكه تعالى، وله أن يتصرف فيه بالاخفاء يوماً وبالاظهار آخر. وليست بصعبة عليه تعالى فانما امرها كلمح البصر أو أقرب من ذلك لان الله على كل شيء قدير.

٧٨ . (والله أخرجكم من...) اخرجكم من أرحامهن بالتولد والحال أن نفوسكم خالية من هذه المعلومات التي أحرزتموها من طريق الحسّ والخيال والعقل بعد ذلك.

٧٩ . (ألم يروا إلى الطّير...) ألم ينظر إلى الطير حال كونها مسخرات لله سبحانه في جو السماء والهواء البعيد من الأرض (انّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) في كونها مسخرات في جو السماء، فان للطير وهو في الجو دفيفاً وصفيفاً وبسطاً لاجنحتها وقبضاً وسكوناً وانتقالاً وصعوداً ونزولاً، وهي جميعاً آيات لقوم يؤمنون كما ذكره الله.

٨٠ . (والله جعل لكم...) جعل بعض بيوتكم سكناً تسكنون إليه، ومن البيوت ما لا يسكن إليه كالمتخذ لادخار الأموال واختزان الأمتعة وغير ذلك (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً) وهي القباب والخيام (تستخفونها) تعدونها خفيفة من جهة الحمل.

[٢٧٢]

٨١ . (والله جعل لكم...) اكنان الجبال: وهي الكهوف. (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ) قميصاً يحفظكم من الحرّ. (وسرابيل تقيكم بأسكم) الظاهر أن المراد به درع الحديد ونحوه. (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) إمتنان عليهم باتمام النعم التي ذكرها، وكانت الغاية المرجوة من ذلك اسلامهم لله عن معرفتها.

(٣٨٣/١)

---

٨٢ . (فان تولّوا فانّما...) لمّا فرغ سبحانه عن ذكر ما أُريد ذكره من النعم والاحتجاج بها، ختمها بما مدلولها العتاب واللّوم والوعيد على الكفر، ويتضمّن ذكر وحدانيّته تعالى في الربوبية والمعاد والنبوّة. وقد بدأ ذلك ببيان وظيفة النبيّ صلى الله عليه وآله في رسالته وهو البلاغ، فقال: (فإن تولّوا) أي يتفرّع على هذا البيان الذي ليس فيه إلاّ دعوتهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم، أنهم إن تولّوا وأعرضوا عن الإصغاء إليه والإهتداء به (فإنّما عليك البلاغ المبين) والتبليغ الواضح الذي لا إبهام فيه ولا ستر عليه، لأنك رسول وما على الرسول إلاّ ذلك.

٨٣ . (يعرفون نعمة الله...) يعرفون نعمة الله بعنوان أنها نعمة منه ومقتضاه أن يؤمنوا به وبرسوله واليوم الآخر ويسلموا في العمل، ثمّ إذا وردوا مورد العمل عملوا بما هو من آثار الانكار دون المعرفة، وأكثرهم لا يكتفون بمجرّد الانكار العملي، بل يزيدون عليه بكمال الكفر والعناد مع الحق والجحود والاصرار عليه.

٨٤ . (ويوم نبعث من كل...) المراد بهذا اليوم: يوم القيامة، وبهؤلاء الشهداء الذين يبعث كل واحد منهم من امة، شهداء الأعمال الذين تحملوا حقائق أعمال امتهم في الدنيا. (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم أن يعتبوا الله ويرضوه.

٨٥ . (وإذا رأى الّذين...) وإذا قضي الأمرُ بعذابهم وأشرفوا على العذاب بمشاهدة النار فلا مخلص لهم عنه بتخفيف أو بإنظار وإمهال.

٨٦ . (وإذا رأى الّذين أشركوا...) ان شركاءهم ردّوا إليهم وكذبوهم.

٨٧ . (وألقوا إلى الله...) لما ظهر لهم الحق يوم القيامة وكذبهم شركاؤهم، بطل ما زعموه وضلّ عنهم ما افتروه فلم يبق إلاّ التسليم لله سبحانه فسلّموا له مضطرّين وانقادوا له كارهين.

٨٨ . (الّذين كفروا وصدّوا...) استئناف متعرض لحال أئمة الكفر وبالخصوص بعدما أشار إلى حال عامة الضالين والمشركين في الآياتِ السابقةِ.

---

٨٩ . (ويوم نبعث في كل...) كانه قيل: سيبعثُ شهداء يشهدون على الناس باعمالهم وانت منهم ولذلك نزلنا عليك كتاباً يبيّن الحقّ والباطل ويميّز بينهما حتى تشهد به يوم القيامة على الظالمين بظلمهم، وقد كان الكتاب هدىً ورحمةً وبشرى لهم وكنت هادياً ورحمة ومبشراً به.

٩٠ . (ان الله يأمر...) ابتدأ سبحانه بهذه الأحكام الثلاثة التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الإنساني. وفي التفسير المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام أن المراد بذي القربى: الامام من قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله. (وينهى عن الفحشاء والمنكر) الفحش والفحشاء والفاحشة: ما عظم قبحه من الافعال والأقوال. والمنكر: ما لا يعرفه الناس في مجتمعهم من

الأعمال التي تكون متروكة عندهم لقبحها أو اثمها. والبغي: المراد به في الآية هو التعدّي على الغير ظلماً.

٩١ . (وأوفوا بعهد الله...) ظاهر إضافة العهد إلى الله تعالى في قوله: (وأوفوا بعهد الله) ان المراد به هو العهد الذي يعاهد فيه الله على كذا دون مطلق العهد. والمراد باليمين: هو اليمين بالحلفِ بالله سبحانه. والمراد بتوكيدها: احكامها بالقصدِ والعزم وكونها لأمر راجح. (ان الله يعلم ما تفعلون...) في معنى تأكيد النهي بأن العمل مبغوض وهو به عليم.

٩٢ . (ولا تكونوا كالّتي نقضت...) في معنى التفسير لقوله في الآية السابقة (ولا تنقضوا الإيمان...) هو تمثيل

بمرأة تغزل الغزل بقوة ثمّ تعود فتنقض ما أتعبت نفسها فيه وغزلته من بعد قوة، وتجعله أنكاثاً لا فتل فيه ولا إبرام. (تتّخذون أيمانكم دخلاً...) تتخذون أيمانكم وسيلة للغدر والخدعة والخيانة تطيبون بها نفوس الناس ثمّ تخونون وتخدعونهم بنقضها، وإنما يفعلون ذلك لتكون أمة . وهم الحالفون . أربى وأزيد سهماً من زخارف الدنيا من أمة . وهم المحلوف لهم. (إنّما يبلوكم الله به...) ان ذلك امتحان إلهي يمتحنكم به وأقسم ليبينّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فتعلمون عند ذلك حقيقة ما أنتم عليه اليوم من التكالب على الدنيا وسلوك سبيل الباطل ويتبيّن لكم يومئذ من هو الضال ومن هو المهتدي.

٩٣ . (ولو شاء الله لجعلكم...) ان اختلافهم ليس يناقض الغرض الالهي في خلقهم ولا أنهم معجزون له سبحانه ولو شاء لجعلهم امة واحدة لا اختلاف بينهم، ولكن الله سبحانه جعلهم مختلفين بالهداية والاضلال فهدى قوماً واضل آخرين.

٩٤ . (ولا تتّخذوا أيمانكم دخلاً...) ولا تتخذوا أيمانكم وسيلة دخل بينكم حتى يؤديكم ذلك إلى الزوال عمّا ثبتم عليه ونقض ما أبرمتموه، وفيه اعراض عن سبيل الله الذي هو التزام الفطرة والتحرز عن الغدر والخدعة والخيانة والدغل. وبالجملة الافساد في الأرض بعد اصلاحها، ويؤديكم ذلك إلى أن تذوقوا السوء والشقاء في حياتكم الدنيا، ولكم عذاب عظيم في الأخرى.

٩٥ . (ولا تشتروا بعهد الله...) المراد بعهد الله: العهد الذي عوهد به الله مطلقاً، والمراد بالاشتراء به ثمناً قليلاً بقرينة ذيل الآية: أن يبدل العهد من شيء من حطام الدنيا فينقض لنيله نسي المبدل منه ثمناً لانه عرض.

٩٦ . (ما عندكم ينفد...) ان الذي عندكم في الحياة الدنيا زائل، نافد، وما عند الله سبحانه مما يعد المتقين منكم باق لا يزول ولا يفنى، والباقي خيرٌ من النافد بصريح حكم العقل. (ولنجزين الّذين صبروا أجرهم) وعد مؤكد على مطلق الصبر، سواء كان صبراً على الطاعة أو عن المعصية أو عند المصيبة غير انه يجب أن يكون صبراً في جنب الله ولوجه الله.

٩٧ . (من عمل صالحاً...) وعد جميل للمؤمنين إن عملوا عملاً صالحاً، وبشرى للاناث إن الله لا يفرق بينهن وبين الذكور في قبول ايمانهن. (فلنحيينه حياةً طيبة) ان الله سبحانه يكرم المؤمن الذي يعمل صالحاً بحياة جديدة غير ما يشاركه سائر الناس من الحياة العامة.

٩٨ . (فإذا قرأت القرآن) إذا قرأت القرآن فاطلب منه تعالى ما دمت تقرأه أن يعيذك من الشيطان الرجيم أن يغويك.

٩٩ . (انّه ليس له سلطان...) إستعذ بالله حين القراءة ليعيذك منه لانه ليس له سلطان على من آمن بالله وتوكل عليه.

١٠٠ . (إنّما سلطانه على الّذين...) ينحصر سلطان الشيطان في الذين يتخذونه ولياً لهم يدبّر امورهم كما يريد، وفي الذين يشركون به إذ يتخذونه ولياً من دون الله ورباً مطاعاً.

١٠١ . (وإذا بدلنا آية...) إشارة إلى النسخ وحكمته. (قالوا إنّما أنت مفتر) القول للمشركين يخاطبون النبيّ صلّى الله عليه وآله. (بل أكثرهم لا يعلمون) أكثر هؤلاء المشركين الذين يتهمونك بقولهم: (إنّما أنت مفتر) لا يعلمون حقيقة هذا التبديل والحكمة المؤدية إليه.

١٠٢ . (قل نزّله روح القدس...) روح طاهرة عن قذارات المادة، وهو المسمّى في موضع آخر من كلامه تعالى بالروح الأمين، وفي موضع آخر بجبريل. (وهدىً وبشرىً للمسلمين) وهم الذين يسلمون الحكم لله من غير إعتراض.

١٠٣ . ١٠٥ . (ولقد نعلم أنهم يقولون...) افتراء آخر منهم على النبيّ صلّى الله عليه وآله، أنه كان هناك رجل أعجمي غير فصيح في منطقة عنده شيء من معارف الأديان وأحاديث النبوة ربما لاقاه النبيّ صلّى الله عليه وآله فاتهموه

[٢٧٤]

بانه يأخذ ما يدعيه وحياً منه والرجل هو الذي يعلمه. وملخص الجواب مأخوذ من جميع الآيات

الثلاث: ان ما اتهمتموه به أن بشراً يعلمه ثمّ هو ينسبه إلى الله افتراء، ان أردتم أنه يعلمه القرآن بلفظه بالتلقين عليه وان القرآن كلامه لا كلام الله فجوابه أن هذا الرجل لسانه أعجمي وهذا القرآن عربي مبين. وان أردتم أن الرجل يعلمه معاني القرآن وهو ينسبه إلى الله افتراء عليه فالجواب عنه أن الذي يتضمنه القرآن معارف حقة لا يرتاب ذو لبّ فيها وتضطرّ العقول إلى قبولها، قد هدى الله النبيّ إليها فهو مؤمن بآيات الله، إذ لو لم يكن مؤمناً لم يهده الله، والله لا يهدي من لا يؤمن بآياته، وإذ كان مؤمناً بآياتِ الله فهو لا يفتري على الله الكذب، فانه لا يفتري عليه إلاّ من لا يؤمن بآياته، فليس هذا القرآن بمفترى، ولا مأخوذاً من بشر ومنسوباً إلى الله سبحانه كذباً.

١٠٦ . (من كفر بالله...) شرط جوابه قوله: (فعليهم غضبٌ من الله) وقوله: (إلاّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان) استثناء من عموم الشرط والمراد: استثنى من اكره على الكفر بعد الإيمان فكفر في الظاهر وقلبه مطمئن بالإيمان. (ولكن من شرح بالكفر صدراً) بسط صدره للكفر فقبله قبول رضى ووعاه.

١٠٧ . (ذلك بانهم استحبوا...) بيان لسبب حلول غضب الله بهم وثبوت العذاب العظيم عليهم وهو أنهم اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة.

١٠٨ . (أُولئك الّذين طبع...) انهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فلا تنال قلوبهم ولا سمعهم وابصارهم ما يدلهم على الآخرة، وهم غافلون عنها لا يتنبهون لشيء من أمرها.

---

١٠٩ . (لا جرم أنّهم في الآخرة...) لأنهم ضيعوا رأس مالهم في الدنيا فبقوا لا زاد لهم يعيشون به في اخراهم.

١١٠ . (ثمّ ان ربّك...) وعد جميل للمهاجرين من بعد ما فتنوا، بالمغفرة والرحمة يوم القيامة قبال ما أوعد غيرهم بالخسران التام يومئذ، وقد قيد ذلك بالجهاد والصبر بعد المهاجرة.

١١١ . (يوم تأتي كل نفس...) فاليوم تأتي النفس وتحضر للحساب وهي تجادل وتصر على الدفاع عن نفسها بما تقدر عليه من الاعذار.

١١٢ . (وضرب الله مثلاً...) ضرب الله مثلاً مثل قرية كان أهلها آمنين من كل شر وسوء، يأتيهم رزقهم طيباً واسعاً من كل مكان، فكفر أهلها بهذه النعم الالهية ولم يشكروه سبحانه فأنالهم الله شيئاً يسيراً من نقمته . بسلب هذه النعم . وهو الجوع والخوف اللذان عماهم وشملاهم قبال ما استمروا عليه بكفران الأنعم جزاءً لكفرانهم.

١١٣ . (ولقد جاءهم رسول...) [هذه هي] النعمة المعنوية التي أضافها إلى نعمه المادية المذكورة، لكنهم كذبوا رسولهم الذي هو منهم يعرفونه ويدرون انه انما يدعوهم لأمر إلهي ويهديهم إلى سبيل

الرشاد وسعادة الجد فظلموا ذلك فأخذهم العذاب بظلمهم.

١١٤ . (فكلوا ممّا رزقكم الله...) فكلوا مما رزقكم الله حال كونه حلالاً طيباً أي لستم بممنوعين منه وأنتم تستطيبونه، فكلوا منه واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون.

١١٥ . (إنّما حرّم عليكم...) تقدّم الكلام في معنى الآية في تفسير سورة البقرة الآية ١٧٣ وسورة المائدة الآية ٣ وسورة الأنعام الآية ١٤٥. وبالرجوع الى السنّة يظهر أن هذه هي المحرّمات الأصلية التي عُني بها في الكتاب، وما سوى هذه الأربع من المحرّمات، فهي ممّا حرّمه النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر من ربّه.

[٢٧٥]

(٣٨٩/١)

١١٦، ١١٧ . (ولا تقولوا لما تصف...) النهي عن الابتداع بادخال حلال أو حرام في الأحكام الجارية في المجتمع، المعمولة بينهم من دون ان ينزل به الوحي، فإن ذلك من إدخال ما ليس من الدين في الدين وافتراء على الله وان لم ينسبه واضعه إليه تعالى. وذلك أن الدِّين في عرف القرآن هو سنّة الحياة، وقد تكرّر منه سبحانه قوله: (يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عِوَجاً) أو ما يقرب منه، فالدِّين لله ومن زاد فيه شيئاً فقد نسبه إليه تعالى إفتراءً.

١١٨ . (وعلى الّذين هادوا...) انّا حرّمنا عليهم ذلك وما ظلمناهم في تحريمه ولكنهم كانوا يظلمون انفسهم فنحرم عليهم بعض الأشياء، أي أنه كان محلّلاً لهم مأذوناً فيه، لكنهم ظلموا أنفسهم وعصوا ربّهم فجزيناهم بتحريمه عقوبة.

١١٩ . (ثمّ ان ربّك للّذين...) وبعد ذلك كله باب المغفرة والرحمة مفتوح، وان ربك للذين عملوا عملاً سوء وهو السيئة بجهالة ثمّ تابوا من بعد ذلك واصلحوا حتى تتبين التوبة وتستقر، ان ربك من بعدِ التوبة لغفور رحيم.

١٢٠ . (انّ إبراهيم كان امة...) قال في المفردات: قائماً مقام جماعة في عبادة الله. (قانتاً لله حنيفاً...) القنوت: الاطاعة والعبادة أو دوامها. والحنف: الميل من الطرفين إلى حاقّ الوسط وهو الاعتدال.

١٢١ . (شاكراً لانعمه إجتباه...) اجتباء الله الإنسان: هو اخلاصه لنفسه وجمعه من التفرق في المذاهب المختلفة.

١٢٢ . (وآتيناه في الدّنيا...) الحسنة: هي المعيشة الحسنة فقد كان عليه السّلام ذا مال كثير ومروّة عظيمة.

١٢٣ . (ثمّ أوصينا إليك...) تكرار اتصافه بالحنف ونفي الشرك لمزيد العناية به.

١٢٤ . (انّما جعل السبت...) إنما جعل يوم السبت أو قطع العمل للعبادة يوماً في كل اسبوع، تشديداً وابتلاءً وفتنة وكلفة على اليهود الذين اختلفوا فيه بعد تشريعه، بين من قبله ومن ردّه ومن احتال فيه للعمل مع التظاهر بقبوله، وان ربّك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

---

١٢٥ . (ادع إلى سبيل ربّك...) لا شك في أنه يستفاد من الآية أن هذه الثلاثة: الحكمة والموعظة والمجادلة، من طرق التكليم والمفاوضة، فقد أمر بالدعوة باحد هذه الأمور فهي من أنحاء الدعوة وطرقها.

١٢٦ . (وان عاقبتم فعاقبوا...) وان اردتم مجازاة الكفار وعذابهم فجازوهم على ما فعلوا بكم بمثل ما عذبوكم به مجازاة لكم على ايمانكم وجهادكم في الله. (ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين) صبرتم على مُرّ ما عوقبتم به ولم تعاقبوا ولم تكافئوا، لهو خير لكم بما أنكم صابرون، لما فيه من ايثار رضي الله وثوابه.

١٢٧ . (واصبر وما صبرك...) أمر للنبيّ صلّى الله عليه وآله بالصبر وبشرى له أن الله قواه على الصبر على مرّ ما يلقاه في سبيله فانه تعالى يذكر أنّ صبره انما بحول وقوة من ربّه.

١٢٨ . (انّ الله مع الّذين...) الآية تعليل لقوله: (ولا تكُ في ضيق ممّا يمكرون) ووعد بالنصر.

«سورة الإسراء»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (سبحان الّذي أسرى...) لينزه تنزيهاً من اسرى بعظمته وكبريائه وبالغ قدرته وسلطانه، بعبده محمّد في جوف ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس الذي بارك حوله ليريه بعظمته وكبريائه آياته الكبرى، وإنّما فعل به ذلك لانه سميع بصير علم بما سمع من مقاله ورأى من حاله انه خليق ان يكرم هذه التكرمة.

٢ . (وآتينا موسى الكتاب...) الكتاب كثيراً ما يطلق في كلامه تعالى على مجموع الشرائع المكتوبة على الناس القاضية بينهم فيما اختلفوا فيه من الاعتقاد والعمل. (وجعلناه هدىً لبني إسرائيل) كونه هدىً أي هادياً لهم هو بيانه لهم شرائع ربهم التي لو أخذوها وعملوا بها لاهتدوا إلى الحق ونالوا سعادة الدارين.

٣ . (ذرّيّة من حملنا...) إنا جزينا نوحاً بما كان عبداً شكوراً لنا انّا ابقينا دعوته واجرينا سنّته وطريقته في ذرية من حملناهم معه في السفينة.

٤ . (وقضينا إلى بني إسرائيل...) وأخبرنا وأعلمنا بني إسرائيل اخباراً قاطعاً في الكتاب وهو التوراة: أُقسم وأُحق هذا القول انكم شعب اسرائيل ستفسدون في الأرض، وهي أرض فلسطين، وما يتبعها مرة بعد مرة وتعلون علواً كبيراً وتطغون طغياناً عظيماً.

٥ . (فاذا جاء وعد...) فإذا جاء الوعد الذي وعدناه على المرة الأولى من افسادكم مرتين، بعثنا وانهضنا عليكم من الناس عباداً لنا أولي بأس وشدة شديدة، فدخلوا بالقهر والغلبة أرضكم وتوسطوا في دياركم فأذلوكم واذهبوا استقلالكم وعلوّكم وسؤددكم، وكان وعداً مفعولاً لا محيص عنه.

٦ . (ثمّ رددنا لكم الكرّة...) انّ بني إسرائيل ستعود الدولة لهم على اعدائهم بعد وعد المرة الأولى، فيغلبونهم ويقهرونهم ويتخلصون من استعبادهم واسترقاقهم، وأن هذه الدولة سترجع إليهم تدريجاً في برهة معتد بها من الزمان.

٧ . (إن أحسنتم أحسنتم...) ان كلاً من إحسانكم واساءتكم يختص بانفسكم دون أن يلحق غيركم. (فإذا جاء وعد الآخرة...) فإذا جاء وعد المرّة الآخرة وهي الثانية من الافسادتين، بعثناهم ليسؤوا وجوهكم بظهور الحزن والكآبة والذلّة والمسكنة، وليدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أوّل مرّة وليهلكوا الذي غلبوا عليه ويفنوا الذي مروا عليه اهلاكاً وافناءً.

٨ . (عسى ربّكم أن يرحمكم...) ترجٍّ للرحمة على تقدير أن يتوبوا ويرجعوا إلى الطاعة والاحسان. (وانْ عدتم عدنا...) وان تعودوا إلى الافساد والعلو، بعدما رجعتم عنه ورحمكم ربّكم، نعد إلى العقوبة والنكال، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ومكاناً حابساً لا يستطيعون منه خروجاً.

٩ . (انّ هذا القرآن يهدي...) للملّة التي هي أقوم. (ويبشِّر الّذين آمنوا...) في الآية جعل حق للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الله سبحانه، ولا محذور في أن يكون لهم على الله حق إذا كان الله سبحانه هو الجاعل له.

١٠ . (وانّ الّذين لا يؤمنون...) الاعتاد: الاعداد والتهيئة.

١١ . (ويدع الإنسان بالشر...) ان جنس الإنسان عجول لا يفرق لعجلته بين الخير والشر، بل يطلب كل ما لاح له ويسأل كل ما بدا له من غير تمييز بين الخير والشر والحق والباطل، فيرد الشر كما يرد الخير ويهجم على الباطل كما يهجم على الحق.

[٢٧٧]

١٢ . (وجعلنا اللّيل والنّهار...) الليل والنهار هما آيتان لله سبحانه تدلان بذاتهما على توحده

بالربوبية. (لتبتغوا فضلاً من ربّكم) متفرع على قوله: (وجعلنا آية النّهار مبصرة) أي جعلناها مضيئة لتطلبوا فيه رزقاً من ربكم فإن الرّزق فضله وعطاؤه تعالى. (ولتعلموا عدد السنين والحساب) لتعلموا بمحو الليل وأبصار النهار عدد السنين بجعل عدد من الأيام واحداً يعقد عليه، وتعلموا بذلك حساب الأوقات والآجال.

١٣ . (وكل إنسان ألزمناه...) المراد بالطائر: ما يستدل به على الميمنة والمشأمة. والطائر الذي الزمه الله الإنسان في عنقه هو عمله، ومعنى إلزامه إياه ان الله قضى ان يقوم كل عمل بعامله ويعود إليه خيره وشره ونفعه وضره من غير أنْ يفارقه إلى غيره.

١٤ . (إقرأ كتابك كفى...) ان العمل سواء كان خيراً أو شراً لازم لصاحبه لا يفارقه وهو أيضاً محفوظ عليه في كتاب سيخرج له يوم القيامة وينشر بين يديه ويحاسب عليه.

١٥ . (...ولا تزر وازرة وزر...) قال في المفردات: الوزر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل، ويعبر بذلك عن الاثم. (وما كنّا معذّبين حتّى نبعث...) ان الله سبحانه برحمته الواسعة وعنايته الكاملة لا يعذب الناسَ بعذاب الاستئصال وهو عذاب الدنيا إلاّ بعد أن يبعث رسولاً ينذرهم به.

١٦ . (وإذا أردْنا أن نهلك...) إذا دنا وقت هلاكهم.

١٧ . (وكم أهلكنا من القرون...) الآية لا تخلو من إشعار بأن سنة الاهلاك انّما شرعت في القرون الانسانية بعد نوح عليه السلام.

---

١٨ . (من كان يريد العاجلة...) الذي يريد الحياة العاجلة وهي الحياة الدنيا، (عجلنا له فيها) أسرعنا في إعطائه ما يريده في الدنيا، لكن لا بإعطائه ما يريده بل باعطائه ما نريده.

١٩ . (ومن أراد الآخرة...) الحياة الآخرة (وسعى لها سعيها) وسعى وجدّ للآخرة السعي الذي يختص بها. (وهو مؤمن) مؤمن بالله. (فاولئك كان سعيهم مشكوراً) يشكره الله بحسن قبوله والثناء على سعيه.

٢٠ . (كُلاً نُمدّ هؤلاء...) كلاً من الفريقين المعجل لهم والمشكور سعيهم. (وما كان عطاء ربّك محظوراً) أي ممنوعاً . والحظر المنع . فاهل الدنيا واهل الآخرة مستمدون من عطائه منعمون بنعمته ممنونون بمنّته.

٢١ . (انظر كيف فضلنا...) أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينظر إلى ما بين أهل الدنيا من التفاضل والاعتبار، ليجعل ذلك ذريعة إلى فهم ما بين أهل الآخرة من تفاوت الدرجات والتفاضل في المقامات، فإن اختلاف الاحوال في الدنيا يؤدي إلى اختلاف الادراكات الباطنة والنيات والأعمال التي يتيسّر للإنسان أن يأتي بها، والاختلاف ذلك يؤدي إلى اختلاف الدرجات في الآخرة.

٢٢ . (ولا تجعل مع الله...) لا تشرك بالله سبحانه حتى يؤديك ذلك إلى أن تقصد وتحتبس عن السير إلى درجات القرب، وأنت مذموم لا ينصرك الله ولا ناصر دونه.

٢٣ . (وقضى ربّك إلاّ...) وقضى ربك بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً. (اما يبلغنّ عندك الكبر) الآية تدل على وجوب اِكرامهما ورعاية الادب التام في معاشرتهما ومحاورتهما في جميع الأوقات وخاصة وقت بلوغ الكبر من أحدهما أو كليهما.

٢٤ . (واخفض لهما جناح...) واجههما في معاشرتك ومحاورتك مواجهة يلوح منها تواضعك وخضوعك لهما وتذللك قبالهما رحمة بهما.

[٢٧٨]

٢٥ . (ربّكم أعلم بما في...) أعلم منكم به، (إن تكونوا صالحين) إن تكونوا صالحين وعلم الله من نفوسكم ورجعتم وتبتم إليه في بادرة ظهرت منكم على والديكم، غفر الله لكم ذلك إنه كان للاوابين غفوراً.

---

٢٦ . (وآت ذا القربى...) تقدم الكلام فيه في نظائره.

٢٧ . (إنّ المبذرين كانوا...) لا تبذر إنك إن تبذر كنت من المبذرين والمبذرون اخوان الشياطين.

٢٨ . (وإما تعرضَنّ عنهم...) المراد الاعراض عمّن سأله شيئاً من المال ينفقه له ويسد به خلّته. (ابتغاء رحمة من ربّك ترجوها) كنت تعرض عنهم لا لكونك مليئاً بالمال شحيحاً به، ولا لأنّك فاقد له آيس من حصوله، بل لأنّك فاقد له مبتغ وطالب لرحمة من ربك ترجوها، يعني الرّزق. (فقل لهم قولاً ميسوراً) سهلاً ليناً.

٢٩ . (ولا تجعل يدك مغلولة...) جعل اليد مغلولة إلى العنق: كناية عن الامساك، وبسط اليد كل البسط: كناية عن إنفاق الإنسان [كل ما عنده] بحيث لا يبقي شيئاً.

٣٠ . (انّ ربّك يبسط...) ان هذا دأب ربك وسنّته الجارية يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء، فلا يبسطه كل البسط ولا يمسك عنه كل الامساك رعاية لمصلحة العباد، انّه كان بعباده خبيراً بصيراً.

٣١ . (ولا تقتلوا أولادكم...) في الآية نهي شديد عن قتل الأولاد خوفاً من الفقر والحاجة.

٣٢ . (ولا تقربوا الزّنا...) نهي عن الزنا، وقد بالغ في تحريمه حيث نهاهم عن أن يقربوه.

٣٣ . (ولا تقتلوا النّفس الّتي...) نهي عن قتل النفس المحترمة إلاّ بالحق أي إلاّ أن يكون قتلاً بالحق. ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا بحسب التشريع لوليّه وهو ولي دمه سلطنة على القصاص وأخذ الدية والعفو، فلا يسرف الولي في القتل بأن يقتل غير القاتل، أو يقتل أكثر من الواحد لأنه كان

منصوراً فلا يفوته القاتل بسبب انّا نصرناه. أو فلا يسرف اعتماداً على انّا نصرناه.
٣٤ . (ولا تقربوا مال اليتيم...) نهي عن أكل مال اليتيم وهو من الكبائر التي أوعد الله عليها النار.

(٣٩٥/١)

---

٣٥ . (واوفوا الكيل إذا...) القسطاس المستقيم: هو الميزان العادل لا يخسر في وزنه. وكون ايفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم خيراً: لما فيه من الاتقاء من استراق أموال الناس واختلاسها. وكونهما أحسن تأويلاً: لما فيهما من رعاية الرشد والاستقامة في تقدير الناس معيشتهم.
٣٦ . (ولا تقفُ ما ليس...) لا تتبع ماليس لك به علم لأن الله سبحانه سيسأل عن السمع والبصر والفؤاد وهي الوسائل التي يستعملها الانسان لتحصيل العلم.
٣٧ . (ولا تمشي في الأرض...) نهي عن استعظام الإنسان نفسه بأكثر مما هو عليه لمثل البطر والأشر والكبر والخيلاء، وانما ذكر المشي في الأرض مرحاً لظهور ذلك فيه.
٣٨ . (كل ذلك كان سيئهُ...) الاشارة بذلك إلى ما تقدم من الواجبات والمحرمات، والمعنى: كل ما تقدّم كان سيئه عند ربّك مكروهاً لا يريده الله تعالى.
٣٩ . (ذلك ممّا أوحى...) ذلك: اشارة إلى ما تقدم من تفصيل التكاليف. (ولا تجعل مع الله إلهاً) كرر سبحانه النهي عن الشرك وقد نهى عنه سابقاً اعتناءً بشأن التوحيد وتفخيماً لأمره.
٤٠ . (أفأصفاكم ربّكم بالبنين...) إذا كان سبحانه ربكم لا رب غيره وهو الذي يتولى أمر كل شيء فهل تقولون أنّه آثركُم بكرامة لم يتكرم بها هو نفسه، وهو أنه خصكم بالبنين ولم يتخذ لنفسه من الولد إلاّ الاناث وهم الملائكة، انكم لتقولون قولاً عظيماً من حيث استتباعه التبعة السيئة.
٤١ . (ولقد صرفنا في...) وأقسم لقد رددنا الكلام معهم في أمر التوحيد ونفي الشريك من وجه إلى وجه وحولناه من لحن إلى لحن في هذا القرآن، فاوردناه بمختلف العبارات وبيناه باقسام البيانات ليتذكروا ويتبين لهم الحق. (فما يزيدهم
[٢٧٩]
إلاّ نفوراً) ما يزيدهم التصريف إلاّ انزعاجاً.

(٣٩٦/١)

---

٤٢ . (قل لو كان معه...) لو كان معه آلهة كما يقولون وكان يمكن أن ينال غيره تعالى شيئاً من ملكه لطلب أولئك الآلهة أن ينالوا ملكه فيعزلوه عن عرشه ويزدادوا ملكاً لحبهم ذلك ضرورة، لكن لا

سبيل لأحد إليه تعالى عن ذلك.

٤٣ . (سبحانه وتعالى عمّا يقولون...) الآية تنزيه له تعالى عمّا يقولونه.

٤٤ . (تسبح له السّماوات...) يثبت لأجزاء العالم المشهود التسبيح وإنها تسبح الله وتنزهه عمّا يقولون من الشريك وينسبون إليه. (انّه كان حليماً غفوراً) يمهل فلا يعاجل بالعقوبة ويغفر لمن تاب ورجع إليه.

٤٥ . (وإذا قرأت القرآن...) إذا قرأت القرآن وتلوته عليهم جعلنا بينك وبين المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً معنوياً محجوباً عن فهمهم فلا يسعهم أن يسمعوا ذكره تعالى، ولا أن يعرفوك بالرّسالة الحقة، ولا أن يؤمنوا بالمعاد.

٤٦ . (وجعلنا على قلوبهم...) اغشينا قلوبهم باغشية وحجب، حذار أن يفقهوا القرآن، وجعلنا في آذانهم وقراً وثقلاً ان يسمعوه، فهم لا يسمعون القرآن سمع قبول ولا يفقهونه فقه ايمان وتصديق، كل ذلك مجازاة لهم بما كفروا وفسقوا. وإذا ذكرت ربك على نعت التوحيد ونفي الشريك ولّوا على أدبارهم نافرين واعرضوا عنه مستدبرين.

٤٧ . (ونحن أعلم بما...) في الآية اِشعار بل دلالة على انهم كانوا لا يأتونه صلّى الله عليه وآله وسلم لاستماع القرآن علناً وحذراً من اللائمة وانما يأتونه متسترين مستخفين، حتى إذا رأى بعضهم بعضاً على هذا الحال تلاوموا بالنجوى خوفاً أن يحس النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنون بموقفهم، فقال بعضهم لبعض: إن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً.

٤٨ . (انظر كيف ضربوا...) المثل بمعنى الوصف، وضرب الامثال التوصيف بالصفات، ومعنى الآية ظاهر.

٤٩ . (وقالوا إذا كنّا...) في الآية مضي في بيان عدم فقههم بمعارف القرآن حيث استبعدوا البعث وهو من أهم ما يثبته القرآن وأوضح ما قامت عليه الحجج من طريق الوحي والعقل.

٥٠، ٥١ . (قل كونوا حجارة...) قل لهم ليكونوا شيئاً أشد من العظام والرفات، حجارةً أو حديداً أو مخلوقاً آخر من الأشياء التي تكبر في صدورهم ويبالغون في استبعاد ان يخلق منه الانسان، فليكونوا ما شاءوا، فان الله سيعيد إليهم خلقهم الأوّل ويبعثهم. (فسينغضون إليك رؤوسهم) فإذا قرعتهم بالحجة وذكرتهم بقدرة الله على كل شيء وفطره ايّاهم أوّل مرّة وجدتهم يحركون إليك رؤوسهم تحريك المستهزئ المستخف بك المستهين له ويقولون: متى هو قل: عسى أن يكون قريباً، فانّه لا سبيل إلى العلم به وهو من الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله.

٥٢ . (يوم يدعوكم فتستجيبون...) تستجيبون حامدين له تعدون البعث والاعادة منه فعلاً جميلاً

يحمد فاعله ويثنى عليه. (وتظنون ان لبثتم إلاّ قليلاً) تزعمون يوم البعث، إنكم لم تلبثوا في القبور بعد الموت إلاّ زماناً قليلاً وترون ان اليوم كان قريباً منكم جداً.

٥٣ . (وقل لعبادي يقولوا...) ان المؤمنين قبل الهجرة ربما كانوا يحاورون المشركين فيغلظون لهم في القول ويخاشنونهم بالكلام، وربما جبهوهم بانهم أهل النار، وإنهم معشر المؤمنين أهل الجنة ببركة من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم فكان ذلك يهيج المشركين عليهم ويزيد في عداوتهم فامر الله سبحانه نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأمرهم بقول التي هي أحسن.

٥٤ . (ربّكم أعلم بكم...) في مقام تعليل الأمر السابق ويفيد انه يجب على المؤمنين ان يتحرزوا من اغلاظ القول على غيرهم، والقضاء بما الله أعلم به من سعادة أو شقاء.

٥٥ . (وربّك أعلم بمن...) كأنه قيل: وكيف لا يكون أعلم بكم وهو أعلم بمن في السّماوات والأرض وأنتم منهم. (ولقد فضلنا بعض...) الجملة تذكر فضل داود عليه السّلام بكتابه الذي هو زبور وفيه أحسن الكلمات في تسبيحه وحمده تعالى، وفيه تحريض للمؤمنين ان يرغبوا في أحسن القول.

(٣٩٨/١)

---

٥٦ . (قل ادعوا الّذين...) الآية تحتج على نفي الوهية آلهتهم من دون الله، بأن الرب المستحق للعبادة يجب أن يكون

[٢٨٠]

قادراً على إيصال النفع ودفع الضر.

٥٧ . (أُولئك الّذين يدعون...) أولئك الذين يدعوهم المشركون من الملائكة والجن والانس، يطلبون ما يتقربون به إلى ربهم يستعلمون أيهم أقرب حتى يسلكوا سبيله ويقتدوا باعماله ليتقربوا إليه تعالى، ويرجون رحمته من كل ما يستمدون به في وجودهم ويخافون عذابه فيطيعونه ولا يعصونه، انّ عذاب ربك كان محذوراً يجب التحرز منه.

٥٨ . (وان من قرية...) ذكروا ان المراد بالعذاب الشديد: عذاب الاستئصال، فيبقى للاهلاك المقابل له الاماتة بحتف الأنف، فالمعنى ما من قرية إلاّ نحن نميت أهلها قبل يوم القيامة أو نعذبهم عذاب الاستئصال قبل يوم القيامة.

٥٩ . (وما منعنا أن نرسل...) انا لم نرسل الآيات التي يقترحونها . والمقترحون هم قريش . لانّا لو ارسلناها لم يؤمنوا وكذبوا بها فيستحقوا عذاب الاستئصال، كما إنا ارسلناها إلى الأولين بعد اقتراحهم اياها فكذبوا بها فاهلكناهم، لكنا قضينا على هذه الأمة ان لا نعذبهم إلاّ بعد مهلة ونظرة. (وما نرسل بالآيات...) ان الحكمة في الارسال بالآيات التخويف والانذار.

٦٠ . (وإذ قلنا لك...) ورد من طرق أهل السنة واتفقت عليه احاديث ائمة أهل البيت عليهم السّلام

ان المراد بالرؤيا في الآية هي رؤية رآها النبيّ صلّى الله عليه وآله في بني امية والشجرة شجرتهم.
٦١ . (واذ قلنا للملائكة...) واذكر اذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس انكر الأمر بالسجدة وقال: أ أسجد لمن خلقته من طين وقد خلقتني من نار وهي اشرف من الطين.
٦٢ . (قل أرأيتك هذا...) قال ابليس بعد ما عصى: رب أرأيت هذا الذي فضّلته أقسم لئن اخّرتني إلى يوم القيامة لالجمنّ ذريته إلاّ قليلاً منهم وهم المخلصون.
٦٣ . (قال اذهب فمن تبعك...) الجزاء الموفور: الجزاء الذي يوفى كله.

(٣٩٩/١)

---

٦٤ . (واستفزز من استطعت...) استنهض للمعصية من استطعت ان تستنهضه من ذرية آدم. واجلب عليهم بخيلك ورجلك وصح عليهم لسوقهم إلى معصية الله باعوانك وجيوشك. (وشاركهم في الأموال والأولاد) مشاركة الشيطان للإنسان في ماله أو ولده: مساهمته له في الاختصاص والانتفاع. (وعدهم وما يعدهم الشّيطان...) ما يعدهم إلاّ وعداً غاراً باظهار الخطأ في صورة الصواب والباطل على هيئة الحق.
٦٥ . (ان عبادي ليس...) المراد بعبادي أعم من المخلصين الذين استثناهم ابليس بقوله: (إلاّ قليلاً)، بل غير الغاوين من اتباع ابليس. (وكفى بربّك وكيلا) قائماً على نفوسهم وأعمالهم حافظاً لمنافعهم متولياً لامورهم.
٦٦ . (ربّكم الّذي يزجي...) الازجاء على ما في مجمع البيان: سوق الشيء حالاً بعد حال. فالمراد به: اجراء السفن في البحر بإرسال الرياح ونحوه.
٦٧ . (وإذا مسكم الضر...) وإذا اشتد عليكم الأمر في البحر بالاشراف على الغرق نسيتم كل إله تدعونه وتسألونه حوائجكم إلاّ الله. (فلمّا نجاكم إلى البر اعرضتم) فلما نجاكم من الغرق وكشف عنكم الضر اعرضتم عنه أو عن دعائه.
٦٨ . (أفأمنتم أن يخسف...) يوبخهم الله تعالى على اعراضهم عن دعائه في البر، فانهم لا مؤمن لهم من مهلكات الحوادث في البر، كما لا مؤمن لهم حال مس الضر في البحر. فمن الجائز أن يخسف الله بهم جانب البر أو يرسل عليهم ريحاً
[٢٨١]
حاصباً فيهلكهم بذلك ثم لا يجدوا لانفسهم وكيلاً يدفع عنهم الشدة والبلاء ويعيد إليهم الأمن والسّلام.
٦٩ . (أم أمنتم أن يعيدكم...) أم هل امنتم بنجاتكم إلى البر أن يعيدكم الله في البحر تارة أخرى، فيرسل عليكم ريحاً كاسرة للسفن أو مهلكة، فيغرقكم بسبب كفركم ثم لا تجدوا بسبب الإغراق أحداً يتبع الله لكم عليه، فيسأله لم فعل هذا بكم ويواخذه على ما فعل.

٧٠ . (ولقد كرّمنا بني آدم...) المراد بالتكريم: تخصيص الشيء بالعناية وتشريفه بما يختص به. (وحملناهم في البر والبحر) حملناهم على السفن والدواب وغير ذلك يركبونها إلى مقاصدهم وابتغاء فضل ربهم ورزقه ورزقناهم من الطيبات من الأشياء التي يستطيبونها. (وفضلناهم على كثير) وفضلنا بني آدم على كثير مما خلقنا وهم الحيوانات والجن.

٧١ . (يوم ندعو كل...) اليوم: يوم القيامة والظاهر أن المراد بامام كل اناس في الآية: من ائتموا به سواء كان امام حق أو امام باطل. (فمن اوتي كتابه بيمينه...) فيتفرقون حينئذ فريقين فالذين اعطوا صحيفة أعمالهم بأيمانهم فاولئك يقرأون كتابهم فرحين مستبشرين مسرورين بالسعادة ولا يظلمون مقدار فتيل بل يوفون اجورهم تامة كاملة.

٧٢ . (ومن كان في هذه...) ومن كان في هذه الحياة الدنيا لا يعرف الامام الحق ولا يسلك سبيل الحق، فهو في الحياة الآخرة لا يجد السعادة والفلاح ولا يهتدي إلى المغفرة والرحمة.

٧٣ . (وإن كادوا ليفتنونك...) وان المشركين اقتربوا ان يزلوك ويصرفوك عما أوحينا إليك لتتخذ من السيرة والعمل ما يخالفه، فيكون في ذلك افتراء علينا لانتسابه بعملك إلينا واذاً لاتخذوك صديقاً.

٧٤ . (ولولا أن ثبتناك...) ولولا ان ثبتناك بعصمتنا، دنوت من قبل ان تميل إليهم قليلاً، لكنا ثبتناك فلم تدن من أدنى الميل إليهم.

٧٥ . (إذاً لاذقناك ضعف...) لو قاربت ان تميل إليهم بعض الميل لأذقناك الضعف من العذاب الذي نعذب به المجرمين في حياتهم والضعف مما نعذِّبهم به في مماتهم.

٧٦ . (وان كادوا ليستفزونك...) وان المشركين قاربوا ان يزعجوك من أرض مكّة لإخراجك منها، ولو كان منهم وخرجت منها، لم يمكثوا بعدك فيها إلاّ قليلاً فهم هالكون لا محالة.

٧٧ . (سنّة من قد أرسلنا...) وإذاً نهلكهم لسنتنا التي سنناها لأجل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا واجريناها، ولست تجد لسنتنا تحويلاً وتبديلاً.

٧٨ . (أقم الصّلاة لدلوك...) المروي عن ائمة أهل البيت عليهم السّلام من طرق الشيعة تفسير دلوك الشمس بزوالها وغسق الليل بمنتصفه، وقد اتفقت الروايات على ان صلاة الصبح هي المراد بقرآن الفجر.

٧٩ . (ومن اللّيل فتهجد...) واسهر بعض الليل بالقرآن . وهو الصّلاة . حال كونها صلاة زائدة لك

على الفريضة.

٨٠ . (وقل ربّ ادخلني...) العناية في اضافة الادخال والاخراج إلى الصدق: ان يكون الدخول والخروج في كل أمر منعوتاً بالصدق جارياً على الحقيقة، واجعل لي من لدنك سلطنة بنصرتي على ما اهم به من الأمور واشتغل به من الأعمال.

٨١ . (وقل جاء الحق...) الزهوق: هو الهلاك والبطلان، والمعنى ظاهر.

٨٢ . (وننزل من القرآن...) ان القرآن يزيد المؤمنين صحة واستقامة على صحتهم واستقامتهم بالايمان، وسعادة على سعادتهم، وانْ زاد الكافرين شيئاً فانما يزيدهم نقصاً وخساراً.

٨٣ . (وإذا انعمنا على...) إنا إذا انعمنا على الإنسان هذا الموجود الواقع في مجرى الاسباب، اشتغل بظواهر

[٢٨٢]

الأسباب وأخلد إليها فنسينا فلم يذكرنا ولم يشكرنا، وإذا ناله شيء يسير من الشر فسلب منه الخير وزالت عنه اسبابه ورأى ذلك، كان شديد اليأس من الخير، لكونه متعلقاً باسبابه وهو يرى بطلان اسبابه ولا يرى لربه في ذلك صنعاً.

٨٤ . (قل كل يعمل...) الآية الكريمة ترتب عمل الإنسان على شاكلته، بمعنى ان العمل يناسبها ويوافقها.

٨٥ . (ويسألونك عن الرّوح...) السؤال هو إنما عن حقيقة مطلق الروح الوارد في كلامه سبحانه، (وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً) ما عندكم من العلم بالروح الذي آتاكم الله ذلك قليل من كثير.

٨٦ . (ولئن شئنا لنذهبنّ...) الروح النازل عليك الملقي بالقرآن إليك من أمرنا غير خارج من قدرتنا، وأقسم لئن شئنا لنذهبنّ بهذا الروح الذي هو كلمتنا الملقاة إليك ثمّ لا تجد أحداً يكون وكيلاً به لك علينا يدافع عنك ويطالبنا به ويجبرنا على رد ما اذهبنا به.

---

٨٧ . (إلاّ رحمة من ربّك...) فما اختصصت بما اختصصت به ولا أعطيت ما اعطيت من نزول الروح وملازمته اياك إلاّ رحمة من ربّك.

٨٨ . (قل لئن اجتمعت...) الظهير: المعين. وفي الآية تحدٍّ ظاهر.

٨٩ . (ولقد صرفنا للنّاس...) واقسم لقد كررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يوضح لهم الحق ويدعوهم إلى الإيمان بنا والشكر لنعمنا، فابى أكثر الناس إلاّ أن يكفروا ولا يشكروا.

٩٠ . ٩٣ . (وقالوا لن نؤمن...) قالت قريش (لن نؤمن لك) يا محمّد (حتّى تفجّر) وتشق (لنا من الأرض) أرض مكة لقلّة مائها (ينبوعاً) عيناً لا ينضب ماؤها (أو تكون) بالاعجاز (لك جنّة من

نخيل وعنب فتفجر الأنهار) تشقها أو تجريها (خلالها) وسط تلك الجنة واثناءها (تفجيراً)، (أو تسقط السّماء كما زعمت كسفاً) وقطعاً (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) مقابلاً نعاينهم ونشاهدهم (أو يكون لك بيت من زخرف) وذهب (أو ترقى) وتصعد (في السّماء ولن نؤمن لرقيك) وصعودك (حتّى تنزل علينا) منها (كتاباً نقرأه) ونتلوه (قل سبحان ربّي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً) ان كنتم اقترحتم عليّ هذه الأمور وطلبتموها منّي بما أنا محمّد فانّما أنا بشر ولا قدرة للبشر على شيء من هذه الأُمور، وان كنتم اقترحتموها لأني رسول ادعى الرسالة فلا شأن لي إلاّ حمل الرّسالة وتبليغها.

٩٤، ٩٥ . (وما منع النّاس...) ان الذي يمنع الناس ان يؤمنوا برسالتك انهم [ينكرون] رسالة البشر من جانب الله سبحانه. وقد أخطأوا في ذلك، فان مقتضى الحياة الأرضية وعناية الله بهداية عباده ان ينزل إلى بعضهم ملكاً من السماء رسولاً، حتى ان الملائكة لو كانوا كالإنسان عائشين في الأرض لنزّل الله إلى بعضهم وهو رسولهم ملكاً من السّماء رسولاً حاملاً لوحيه.

(٤٠٣/١)

---

٩٦ . (قل كفى بالله...) لمّا احتجّ عليهم بما احتجّ، وبيّن لهم ما بيّن من أمر معجزة رسالته وهي القرآن، وهم على عنادهم وجحودهم، أمر أن يرجع الأمر الى شهادة الله، فهو شهيد بما وقع منه ومنهم، فقد بلّغ ما أُرسل به ودعا واحتجّ وأعذر، وقد سمعوا وتمّت الحجّة واستكبروا وعتوا.

فالكلام في معنى قطع المحاجّة وترك المخاصمة، وردّ الأمر الى مالك الأمر فليقض ما هو قاض.

٩٧، ٩٨ . (ومن يهد الله...) خاطبهم باعلام قطع المحاجة فان الهداية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد، فمن هداه فهو المهتدي لا غير، ومن اضله ولم يهده فلن تجد يا محمّد له من أولياء من دونه يهدونه، والله لا يهدي هؤلاء، فانقطع عنهم ولا

[٢٨٣]

تكلف نفسك في دعوتهم رجاء أن يؤمنوا.

٩٩ . (أوَ لم يروا ان الله...) احتجاج منه تعالى على البعث بعد الموت. (وجعل لهم أجلاً...) الظاهر ان المراد بالأجل هو زمان الموت، والتذكير بالموت الذي لا ريب فيه ليعتبروا به ويكفوا عن الجرأة على الله وتكذيب آياته فهو قادر على بعثهم والانتقام منهم بما صنعوا.

١٠٠ . (قل لو أنتم...) فسر القتور بالبخيل المبالغ في الامساك، ومعنى الآية ظاهر.

١٠١ . (ولقد آتينا موسى...) الذي اوتي موسى عليه السّلام من الآيات على ما يقصه القرآن أكثر من تسع، غير ان الآيات التي أتى بها لدعوة فرعون فيما يذكره القرآن تسع وهي: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفدع والدم والسنون ونقص من الثمرات، فالظاهر انها هي المرادة بالآيات التسع. (إنّي لأظنك يا موسى مسحوراً) سحرت فاختل عقلك.

١٠٢ . (قال لقد علمت...) قال موسى مخاطباً لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلاّ ربّ السّماوات والأرض أنزلها بصائر يتبصر بها لتمييز الحق من الباطل، واني لأظنك يا فرعون هالكاً لعنادك وجحودك.

١٠٣ . (فاراد أن يستفزهم...) الاستفزاز: الازعاج والاخراج بعنف.

---

١٠٤ . (وقلنا من بعده...) وقلنا من بعد غرق فرعون لبني إسرائيل اسكنوا الأرض المقدسة . وكان فرعون يريد أن يستفزهم من الأرض . فإذا كان يوم القيامة جئنا بكم ملتفين مجتمعين للحساب وفصل القضاء. ليس ببعيد ان يكون المراد: انا أمرناهم بعد غرق فرعون ان اسكنوا الأرض المقدسة التي كان يمنعكم منها فرعون والبثوا فيها حتى إذا جاء وعد الآخرة التي يلتف بكم فيها البلاء بالقتل والاسر والجلاء جمعناكم منها وجئنا بكم لفيفاً، وذلك اسارتهم واجلاؤهم إلى بابل.

١٠٥ . (وبالحق أنزلناه وبالحق...) أنزله إنزالاً مصاحباً للحق وقد نزل هو من عنده نزولاً مصاحباً للحق فهو مصون من الباطل.

١٠٦ . (وقرآناً فرقناه لتقرأه...) قال في المجمع: معنى فرقناه: فصلناه ونزلناه آية آية وسورة سورة.

١٠٧ . (قل آمنوا به...) المراد من كونهم اوتوا العلم من قبله: أنهم استعدوا لفهم كلمة الحق وقبولها لتجهزهم بالعلم، بحقيقة معناه وايراثه اياهم وصف الخشوع، فيزيدهم القرآن المتلوّ عليهم خشوعاً.

١٠٨ . (ويقولون سبحان ربّنا...) ينزهونه تعالى عن كل نقص.

١٠٩ . (ويخرّون للاذقان يبكون...) انهم يخضعون ويخشعون.

١١٠ . (قل ادعوا الله...) ادعوا باسم الله أو باسم الرحمان فالدعاء دعاؤه (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) لا تجهر في صلواتك كلها ولا تخافت فيها كلها بل اتخذْ سبيلاً وسطاً تجهر في بعض وتخافت في بعض.

١١١ . (وقل الحمد لله...) ثناء عليه تعالى بما لهُ من اطلاق الملك الذي يتفرع عليه نفي الولد والشريك والولي.

«سورة الكهف»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الحمد لله الّذي أنزل...) افتتح تعالى الكلام في السورة بالثناء على نفسه بما نزل على عبده قرآناً لا انحراف فيه عن الحق بوجه وهو قيم على مصالح عباده.

٢، ٣ . (قيماً لينذر بأساً شديداً...) لينذر الذين لا يعملون الصالحات، والمراد بالأجر الحسن: الجنّة بقرينة قوله في الآية التالية: (ماكثين فيه أبداً) والمعنى ظاهر.

٤ . (وينذر الّذين قالوا...) وهم عامة الوثنيين القائلين بأن الملائكة ابناء أو بنات له والنصارى القائلين بأن المسيح ابن الله، وقد نسب القرآن إلى اليهود انهم قالوا: عزير ابن الله.

٥ . (ما لهم به من علم...) رد سبحانه قولهم عليهم أولاً بأنه قول منهم جهلاً بغير علم وثانياً بقوله (إن يقولون إلاّ كذبا).

٦ . (فلعلك باخع نفسك...) البخوع والبخع: القتل والاهلاك. والأسف: شدة الحزن. والمراد بهذا الحديث: القرآن.

٧، ٨ . (إنّا جعلنا ما على...) لا تتحرج ولا تتأسف عليهم إذا اعرضوا عن دعوتك، فما هم بسابقين ولا معجزين، وإنّما حقيقة حياتهم هذه نوع تسخير الهي، اسكناهم الأرض ثم جعلنا ما على الأرض زينة يفتتن الناظر إليها لتتعلق به نفوسهم، فنبلوهم أيهم أحسن عملاً وإنّا لجاعلون هذا الذي زين لهم بعينه كالصعيد الجرز الذي ليس فيه نبت ولا شيء مما ترغب فيه النفس.

٩ . (ام حسبت أن أصحاب...) الرقيم: من الرقم وهو الكتابة والخط. وامّا تسميتهم أصحاب الرقيم فقد قيل: ان قصتهم منقوشة في لوح منصوب هناك أو محفوظ في خزانة الملوك.

١٠ . (إذ أوى الفتية...) انهم هربوا من قوم يتتبّعون المؤمنين ويسفكون دماءهم ويكرهونهم على عبادة غير الله، والتجأوا إلى كهف وهم لا يدرون ماذا سيجري عليهم ولا يهتدون الى سبيل للنجاة يسلكون ومن هنا يظهر أن المراد بالرشد: الاهتداء إلى ما فيه نجاتهم.

١١ . (فضربنا على آذانهم...) معنى الآية ظاهر وقد دل فيها على كونهم نائمين في الكهف طول المدة لا ميتين.

١٢ . (ثمّ بعثناهم لنعلم...) المراد بالبعث: هو الايقاظ. (لنعلم أي الحزبين أحصى) والمراد بالحزبين: الطائفتان من أصحاب الكهف حين سأل بعضهم بعضاً بعد البعث قائلاً: كم لبثتم؟

١٣ . (نحن نقص عليك...) شروع في ذكر ما يهم من خصوصيات قصتهم تفصيلاً، (انّهم فتية آمنوا بربّهم) آمنوا ايماناً مرضياً لربهم ولولا ذلك لم ينسبه إليهم قطعاً.

١٤، ١٥ . (وربطنا على قلوبهم...) الربط: على القلوب كناية عن سلب القلق والاضطراب عنها، والشطط: الخروج عن الحد والتجاوز عن الحق، والسلطان: الحجة والبرهان. والآيات الثلاث تحكي

الشطر الأوّل من محاورتهم حين انتهضوا لمخالفة الوثنية، فبدأوا باثبات توحيده بقولهم: (ربّنا ربّ السّماوات والأرض) ثمّ اكدوا ذلك بقولهم: (لن ندعو من دونه إلهاً) ثمّ كروا على القوم في عبادتهم غير الله سبحانه باتخاذهم آلهة فقالوا: (هؤلاء قومنا اتخذوا...) فردوا قولهم بأنهم لا برهان لهم على ما يدعونه يدل عليه دلالة بيّنة وان عليهم ان يقيموا برهاناً قاطعاً على قولهم، فلو لم

[٢٨٥]

يقيموه كان قولهم من القول بغير علم في الله وهو افتراء الكذب عليه تعالى.

١٦ . (وإذ اعتزلتموهم...) هذا هو الشطر الثاني من محاورتهم جرت بينهم بعد خروجهم من بين الناس واعتزالهم إياهم وما يعبدون من دون الله، وتنحيهم عن الجميع، يشير به بعضهم عليهم ان يدخلوا الكهف ويتستروا فيه من اعداء الدين وقد تفرسوا بهدي الهي أنهم لو فعلوا ذلك، عاملهم الله من لطفه ورحمته بما فيه نجاتهم من تحكم القوم وظلمهم.

١٧ . (وترى الشّمس إذا...) وترى انت وكل راء يفرض اطلاعه عليهم وهم في الكهف، يرى الشمس إذا طلعت تتزاور وتتمايل عن كهفهم جانب اليمين فيقع نورها عليه، وإذا غربت تقطع جانب الشمال فيقع شعاعها عليه وهم في متسع من الكهف لا تناله الشمس.

(٤٠٧/١)

---

١٨ . (وتحسبهم ايقاظاً وهم...) الايقاظ جمع يقظ ويقظان. والرقود: جمع راقد وهو النائم، وفي الكلام تلويح إلى إنهم كانوا مفتوحي الاعين حال نومهم كالايقاظ. (ونقلبهم ذات اليمين...) ونقلبهم جهة اليمين وجهة الشمال، (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) الوصيد: فناء البيت. (لو اطّلعت عليهم لولّيت...) بيان انهم وحالهم هذا الحال كان له منظر موحش هائل لو اشرف عليهم الإنسان فر منهم خوفاً.

١٩ . (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا...) التساؤل: سؤال بعض القوم بعضاً، والورق: الدراهم، وقيل هي الفضة مضروبة كانت أو غيرها. (قال قائل منهم كم لبثتم) كأن السائل استشعر طولاً في لبثهم ممّا وجده من لوثة النوم الثقيل بعد التيقظ. (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) ترددوا في جوابهم بين اليوم وبعض اليوم. (فابعثوا أحدكم بورقكم...) تتمّة المحاورة وفيه أمر أو عرض لهم ان يرسلوا رسولاً منهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً يتغذون به. (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) ليتكلف اللطف مع أهل المدينة في ذهابه ومجيئه، ومعاملته لهم كي لا يقع خصومة أو منازعة لتؤدي إلى معرفتهم بحالكم.

٢٠ . (انّهم انْ يظهروا عليكم...) يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم. (يرجموكم) أي يقتلوكم بالحجارة وهو شرّ القتل، وفي اختيار الرّجم على غيره من أصناف القتل، إشعار بأن أهل المدينة عامّة كانوا يعادونهم لدينهم، فلو ظهروا عليهم بادروا إليهم وتشاركوا في قتلهم، والقتل الذي هذا شأنه يكون

بالرّجم عادة.

٢١ . (وكذلك اعثرنا عليهم...) وكما انمناهم ثمّ بعثناهم، اطلعنا الناس عليهم في زمان يتنازعون أي الناس بينهم في أمر البعث، ليعلموا أنّ وعد الله بالبعث حق وان الساعة لا ريب فيها. (فقالوا ابنوا عليهم...) القائلون هم المشركون من القوم.

(٤٠٨/١)

---

٢٢ . (سيقولون ثلاثة رابعهم...) يذكر تعالى اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف وأقوالهم فيه، وهي على ما ذكره تعالى . وقوله الحق . ثلاثة مترتبة متصاعدة أحدها انهم ثلاثة رابعهم كلبهم والثاني انهم خمسة وسادسهم كلبهم وقد عقبه بقوله: (رجماً بالغيب) أي قولاً بغير علم والقول الثالث انهم سبعة وثامنهم كلبهم، وقد ذكره الله سبحانه ولم يعقبه بشيء يدل على تزييفه، ولا يخلو ذلك من أشعار بانه القول الحق. (قل ربّي أعلم بعدتهم...) أمرٌ للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يقضي في عدّتهم حق القضاء وهو انّ الله أعلم بها. (فلا تمارِ فيهم...) وإذا كان ربك أعلم وقد انبأك نبأهم فلا تحاجهم في الفتية إلاّ محاجة ظاهرة غير متعمق فيها . أو محاجة ذاهبة لحجتهم . ولا تطلب الفتيا في الفتية من أحد منهم فربك حسبك.

[٢٨٦]

٢٣ . (ولا تقولن لشيء إنّي...) ولا تقولن لشيء . أي لأجل شيء تعزم عليه . إنّي فاعل ذلك غداً في حال من الأحوال أو زمان من الازمنة، إلاّ في حال أو في زمان يلابس قولك المشيئة بأن تقول: إني فاعل ذلك غداً ان اذن الله في فعله.

٢٤ . (...واذكر ربّك إذا نسيت...) اتصال الآية واشتراكها مع ما قبلها في سياق التكليف يقضي ان يكون المراد من النسيان: نسيان الاستثناء. (وقل عسى ان يهدين) وارجُ ان يهديك ربك إلى أمر هو أقرب رشداً من النسيان، ثمّ الذكر وهو الذكر الدائم من غير نسيان.

٢٥ . (ولبثوا في كهفهم...) بيان لمدة لبثهم في الكهف على حال النوم.

٢٦ . (قل الله أعلم...) مشعر بأن مدة لبثهم المذكورة في الآية السابقة لم تكن مسلمة عند الناس، فامر النبيّ صلّى الله عليه وآله ان يحتج في ذلك بعلم الله وانه أعلم بهم من غيره.

٢٧ . (واتل ما أوحي إليك...) الملتحد: اسم مكان من الالتحاد بمعنى الميل. لا تهلك نفسك على آثارهم أسفاً واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لأنه لا مغيِّر لكلماته فهي حقة ثابتة ولأنك لا تجد من دونه ملتحداً تميل إليه.

(٤٠٩/١)

٢٨ . (واصبر نفسك مع الّذين...) قال الراغب: الصبر: الامساك في ضيق والمراد بدعائهم ربّهم بالغداة والعشي: الاستمرار على الدعاء والجري عليه دائماً. (لا تعد عيناك عنهم) لا تجاوزهم ولا تتركهم عيناك والحال انك تريد زينة الحياة الدنيا. (ولا تطع من اغفلنا قلبه...) المراد باغفال قلبه: تسليط الغفلة عليه وإنسائه ذكر الله سبحانه على سبيل المجازاة حيث انهم عاندوا الحق فأضلهم الله باغفالهم عن ذكره.

٢٩ . (وقل الحق من ربّكم...) لا تأسف عليهم وائل ما أوحي إليك واصبر نفسك مع هؤلاء المؤمنين من الفقراء، وقل للكفار: الحق من ربكم ولا تزد على ذلك فمن شاء منهم أن يؤمن فليؤمن ومن شاء منهم ان يكفر فليكفر فليختاروا ما شاؤوا فقد اعتدنا (للظّالمين ناراً...) قال في المجمع: السرادق: الفسطاط المحيط بما فيه. وقال: المهل: خثارة الزيت، وقيل هو النحاس الذائب. وقال: المرتفق: المتكأ.

٣٠ . (إنّ الّذين آمنوا...) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سنوفيهم اجرهم فانهم محسنون وأنا لا نضيع اجر من أحسن عملاً.

٣١ . (أولئك لهم جنّات...) العدن هو الاقامة، وجنات عدن: جنات إقامة، والسندس: مارقّ من الديباج. والاستبرق: ما غلظ منه، والأرائك: جمع أريكة وهي السرير.

٣٢ . (واضرب لهم مثلاً...) واضرب لهؤلاء المتولهين بزينة الحياة الدنيا المعرضين عن ذكر الله مثلاً ليتبيَّن لهم انهم لم يتعلقوا في ذلك إلاّ بسراب وهمي لا واقع له. (جنتين من أعناب) من كروم (وحففناهما بنخل) جعلنا النخل محيطة بهما حافة من حولهما. (وجعلنا بينهما زرعاً) بين الجنتين ووسطهما، وبذلك تواصلت العمارة وتمت واجتمعت له الاقوات والفواكه.

٣٣ . (كلتا الجنّتين آتت...) المراد بايتائهما الأكل: اثمار أشجارهما من الاعناب والنخيل. (ولم تظلم منه شيئاً) ولم تنقص من اكله شيئاً بل اثمرت ما في وسعها من ذلك (وفجرنا خلالهما نهرا) شققنا وسطهما نهراً من الماء يسقيهما ويرفع حاجتهما إلى الشرب بأقرب وسيلة من غير كلفة.

[٢٨٧]

٣٤ . (وكان له ثمر...) الضمير للرّجل. والثمر: أنواع المال، كما في الصحاح وعن القاموس.

(فقال لصاحبه وهو يحاوره) فقال الذي جعلنا له الجنتين لصاحبه والحال انه يحاوره: (أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفرا) أي ولداً فلم ير إلاّ نفسه ونسي ان ربه هو الذي سلّطه على ما عنده من المال واعزه

بمن عنده من النفر.

٣٥ . (ودخل جنّته وهو ظالم...) الضمائر الأربع راجعة إلى الرجل. (وهو ظالم لنفسه) انما كان ظالماً لأنه تكبر على صاحبه. (قال ما أظنّ أن تبيد...) نفي الظن بأمر: كناية عن كونه فرضاً وتقديراً لا يلتفت إليه حتى يظن به ويمال إليه، فمعنى ما اظن ان تبيد هذه: ان بقاءها ودوامها مما تطمئن إليه النفس ولا تتردد فيه حتى تتفكر في بيده وتظن انه سيفنى.

٣٦ . (وما أظن السّاعة قائمة...) من المستبعد أنْ تقوم الساعة، ولئن قامت ورددت إلى ربي لاجدن بكرامة نفسي . ولا يقول: يؤتيني . خيراً من هذه الجنة منقلباً انقلب إليه.

٣٧ . (قال له صاحبه...) ابطل هذا المؤمن دعوى صاحبه الكافر بقوله: (اكفرت بالّذي خلقك من تراب...) بالفات نظره إلى أصله وهو التراب ثمّ النطفة فان ذلك هو أصل الإنسان.

٣٨ . (لكنا هو الله ربّي...) كأنه قال: ولا أُشرك به أحداً لأنه ربّي ولا يجوز الاشراك به لربوبيته. وهذا بيان حال من المؤمن قبال ما ادعاه الكافر لنفسه.

(٤١١/١)

---

٣٩ . ٤١ . (ولولا إذ دخلت...) من تتمة قول المؤمن لصاحبه الكافر، وهو تحضيض وتوبيخ لصاحبه إذ قال لمّا دخل جنته: (ما أظنّ أن تبيد هذه أبداً) وكان عليه ان يبدله من قوله: (ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله) فينسب الأمر كلّه إلى مشيئة الله. (ان ترن أنا أقل...) ان ترني أنا أقل منك مالاً وولداً فلا بأس والأمر في ذلك إلى ربي، فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها أي على جنتك مرامي من عذابه السماوي، كبرد أو ريح سموم أو صاعقة أو نحو ذلك، فتصبح أرضاً خالية ملساء لا شجر عليها ولا زرع، أو يصبح ماؤها غائراً فلن تستطيع ان تطلبه لامعانه في الغور.

٤٢ . (وأُحيط بثمره فأصبح...) واهلكت أنواع ماله أو فسد ثمر جنته، فاصبح نادماً على المال الذي انفق والجنة خربة ويقول: يا ليتني لم اشرك بربي أحداً، ولم اسكن إلى ما سكنت إليه واغتررت به من نفسي وسائر الاسباب التي لم تنفعني شيئاً.

٤٣ . (ولم تكن له فئة...) الفئة: الجماعة، والمنتصر: الممتنع.

٤٤ . (هنالك الولاية لله...) الولاية بمعنى مالكية التدبير وهو المعني الساري في جميع اشتقاقاتها.

٤٥ . (واضرب لهم مثل...) هذا هو المثل الثاني ضرب لتمثيل الحياة الدنيا بما يقارنها من الزينة السريعة الزوال.

٤٦ . (المال والبنون زينة...) الآية بمنزلة النتيجة للمثل السابق وهي ان المال والبنين وان تعلقت بها القلوب وتاقت إليها النفوس، تتوقع منها الانتفاع وتحف بها الآمال، لكنها زينة سريعة الزوال.

(والباقيات الصّالحات خير...) المراد بالباقيات الصّالحات: الأعمال الصالحة، فإن أعمال الإنسان محفوظة له عند الله.

٤٧ . (يوم نسير الجّبال...) المستفاد من السياق ان بروز الأرض مترتب على تسيير الجبال، فإذا زالت الجبال والتلال ترى الأرض بارزة لا تغيب ناحية منها عن اخرى بحائل حاجز. (وحشرناهم فلم نغادر...) لم نترك منهم أحداً فالحشر عام للجميع.

---

٤٨ . (وعرضوا على ربّك...) ضمير الجمع في قوله: (عرضوا) للمشركين. (لقد جئتمونا كما خلقناكم) بيان خطأهم وضلالهم في الدنيا إذ تعلّقوا بزينتها وزخرفها فشغلهم ذلك عن سلوك سبيل الله والأخذ بدينه.

[٢٨٨]

٤٩ . (ووضع الكتابُ فترى...) وضع الكتاب: نصبه ليحكم عليه. والويل: الهلاك. (فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه) اشفاقهم مما فيه دليل على كونه كتاب الأعمال أو كتاباً فيه الأعمال. (ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب...) قولهم هذا اظهار للدهشة والفزع من سلطة الكتاب في احصائه للذنوب، أو لمطلق الحوادث ومنها الذنوب.

٥٠ . (واذ قلنا للملائكة...) واذكر هذه الواقعة حتى يظهر لهم انّ ابليس . وهو من الجن . وذريته عدو لهم لا يريدون الخير، فلا ينبغي لهم أن يفتتنوا بما يزينه لهم هو وذريته من ملاذ الدنيا وشهواتها والاعراض عن ذكر الله، ولا ان يطيعوهم فيما يدعونهم إليه من الباطل. وقد ختم الآية بتقبيح اتخاذهم اياهم أولياء من دون الله الذي معناه اتخاذهم ابليس بدلاً منه سبحانه فقال: (بئس للظّالمين بدلا).

٥١ . (ما اشهدتهم خلق السّماوات...) ظاهر السياق كون ضميري الجمع لابليس وذريته. والمراد بالاشهاد: الاحضار والاعلام عياناً. والعضد: ما بين المرفق والكتف من الانسان، ويستعار للمعين كاليد وهو المراد هاهنا.

٥٢ . (ويوم يقول نادوا...) واذكر لهم يوم يقول الله لهم نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم لي شركاء، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وبان انهم ليسوا لي شركاء ولو كانوا لاستجابوا. (وجعلنا بينهم موبقاً) الموبق: اسم مكان من وبق وبوقاً بمعنى هلك.

٥٣ . (ورأى المجرمون النّار...) المراد بالظن هو العلم. والمراد بمواقعة النار الوقوع فيها على ما قيل. ولا يبعد أن يكون المراد: حصول الوقوع من الجانبين فهم واقعون في النار بدخولهم فيها والنار

واقعة فيهم باشتعالهم بها. (ولم يجدوا مصرفاً) لم يجدوا محلاً ينصرفون إليه ويعدلون عن النار ولا مناص.

(٤١٣/١)

---

٥٤ . (ولقد صرفنا في هذا...) الجدل: الكلام على سبيل المنازعة والمشاجرة.

٥٥ . (وما منع النّاس...) ان الناس لا يطلبون ايماناً ينفعهم، والذي يريدونه ان يأخذهم عذاب الاستئصال على سنّة الأولين فيهلكوا ولا يؤمنوا، أو يقابلهم العذاب عياناً فيؤمنوا اضطراراً فلا ينفعهم الإيمان.

٥٦ . (وما نرسل المرسلين...) تعزية للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن لا يضيق صدره من انكار المنكرين واعراضهم عن ذكر الله، فما كانت وظيفة المرسلين إلاّ التبشير والانذار وليس عليهم وراء ذلك من بأس.

٥٧ . (ومن أظلم ممّن ذكر...) اعظام وتكبير لظلمهم والظلم يعظم ويكبر بحسب متعلقه، وإذا كان هو الله سبحانه بآياته فهو أكبر من كل ظلم. والمراد بنسيان ما قدّمت يداه: عدم مبالاته بما يأتيه من الاعراض عن الحق، والاستهزاء به وهو يعلم أنه حق. (وان تدعهم إلى الهدى...) إيئاس من ايمانهم بعدما ضرب الله الحجاب على قلوبهم وآذانهم، فلا يسعهم بعد ذلك ان يهتدوا بانفسهم بتعقل الحق، ولا أنْ يسترشدوا بهداية غيرهم بالسمع والاتباع.

٥٨ . (وربّك الغفور ذو الرّحمة...) لو يؤاخذهم ربك لعجل لهم العذاب، ولكن لم يعجل لأنه الغفور ذو الرحمة، بل حتم عليهم العذاب بجعله لهم موعِداً لا ملجأ لهم يلجأون منه إليه.

٥٩ . (وتلك القرى أهلكناهم...) معنى الآية ظاهر، وهي مسوقة لبيان أن تأخير مهلكهم وتأجيله ليس ببدع منا بل السنّة الإلهية في الأمم الماضين الذين اهلكهم الله لما ظلموا كانت جارية على ذلك، فكان الله يهلكهم ويجعل لمهلكهم موعدا.

٦٠ . (وإذْ قال موسى...) واذكر إذ قال موسى لفتاه لا أزال اسير حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى دهراً طويلاً.

٦١ . (فلمّا بلغا مجمع...) ظاهر قوله: (نسيا حوتهما) أن يكونا وضعاه في مكان من الصخرة مشرف على البحر فيسقط في البحر أو يأخذه البحر بمد ونحوه فيغيب فيه ويغور في أعماقه بنحو عجيب كالدخول في السرب، ويؤيده ما في

[٢٨٩]

(٤١٤/١)

بعض الروايات ان العلامة كانت هي افتقاد الحوت والله أعلم.

٦٢ . (فلمّا جاوزا قال...) ولما جاوزا مجمع البحرين أمر موسى فتاه أن يأتي بالغداء وهو الحوت الذي حملاه ليتغديا به، ولقد لقيا من سفرهما تعبا.

٦٣ . (قال أرأيت إذ أوينا...) يذكره حال اويهما إلى الصخرة ونزولهما عندها ليستريحا قليلاً، (فإنّي نسيت الحوت) نسيت حال الحوت التي شاهدتها منه فلم اذكرها لك. (وما أَنسانيه إلاّ الشّيطان) وما أَنساني ذكر الحوت لك إلاّ الشيطان، فهو لم ينس نفس الحوت وإنّما نسي أن يذكر حاله الّتي شاهد منه لموسى.

٦٤ . (قال ذلك ما كنّا...) إن موسى كان مأموراً من طريق الوحي ان يلقي العالم في مجمع البحرين وكان علامة المحل الذي يجده ويلقاه فيه ما وقع من أمر الحوت. ولذلك لما سمع موسى من فتاه ما سمع من أمر الحوت قال ما قال، ورجعا إلى المكان الذي فارقاه فوجدا عبداً... الخ.

٦٥ . (فوجدا عبداً من...) المراد بقوله: (رحمة من عندنا) هو النبوة والله أعلم.

٦٦ . (قال له موسى...) قال له موسى: هل أتبعك اتباعاً مبنياً على هذا الأساس وهو أن تعلّمني ممّا علمت لارشد به، أو تعلمني ممّا علمت أمراً ذا رَشد.

٦٧ . (قال إنّك لن...) إخبار بأنه لا يطيق الطريق الذي يتخذه في تعليمه إن اتبعه، لا أنه لا يتحمل العلم.

٦٨ . (وكيف تصبر على...) الخبر: العلم وهو تمييز. والمعنى: لا يحيط به خبرك.

٦٩ . (قال ستجدني إن شاء الله...) وعده الصبر لكن قيده بالمشيئة فلم يكذب إذ لم يصبر.

٧٠ . (قال فإن اتبعتني...) فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء تشاهده من أمري تشق عليك مشاهدته حتى أبتدئ أنا بذكر منه.

٧١ . (فانطلقا حتّى إذا...) المنطلقان هما موسى والخضر، وهو ظاهر في أن موسى لم يصحب فتاه في مسيره مع الخضر.

٧٢ . (قال ألم أقل إنّك...) إنكار لسؤال موسى وتذكير لما قاله من قبل: (إنّك لن تستطيع).

٧٣ . (قال لا تؤاخذني بما...) لا تؤاخذني بنسياني الوعد وغفلتي عنه ولا تكلفني عسراً من أمري.

٧٤ . (فانطلقا حتّى إذا لقيا...) فخرجا من السفينة وانطلقا. (أقتلت نفساً زكية) اقتلت بغير قصاص نفساً بريئة من الذنوب المستوجبة للقتل؟ (لقد جئت شيئاً نكرا) منكراً يستنكره الطبع ولا يعرفه

المجتمع.

٧٥ . (قال ألم أقل لك...) زيادة (لك) نوع تقريع له انه لم يصغ إلى وصيته.

٧٦ . (قال إن سألتك...) إن سألتك بعد هذه المرة أو هذه المسألة فلا تصاحبني، أي يجوز لك أن لا تصاحبني.

٧٧ . (فانطلقا حتّى إذا...) المراد بالاستطعام: طلب الطعام [بالضيافة]. (قال لو شئت لتّخذت عليه أجراً) السّياق يشهد أنهما كانا جائعين، فذكره موسى أخذ الاجرة على عمله، إذ لو كان أخذ أجراً أمكنهما أن يشتريا به شيئاً من الطعام يسدان به جوعهما.

[٢٩٠]

٧٨ . (قال هذا فراق...) قال الخضر هذا القول بعد الاعتراض الثالث لأن موسى كان قبل ذلك يعتذر إليه، كما في الأوّل أو يستمهله كما في الثاني.

٧٩ . (أما السّفينة فكانت...) إن السفينة كانت لعدة من المساكين يعملون بها في البحر وكان هناك ملك جبار أمر بغصب السفن، فاردت بخرقها أن احدث فيها عيباً فلا يطمع فيها الجبار ويدعها لهم.

٨٠ . (وأمّا الغلام فكان...) الاظهر من سياق الآية وما سيأتي من قوله: (وما فعلته عن أمري) أن يكون المراد بالخشية: التحذر عن رأفة ورحمة مجازاً، لا معناه الحقيقي الذي هو التأثر القلبي الخاص المنفي عنه تعالى وعن أنبيائه.

٨١ . (فأردنا أن يبدّلهما...) الآية تلوح إلى أن إيمان أبويه كان ذا قدر عند الله ويستدعي ولداً مؤمناً صالحاً يصل رحمهما، وقد كان المقضي في الغلام خلاف ذلك، فأمر الله الخضر بقتله ليبدلهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما.

---

٨٢ . (وأمّا الجّدار فكان...) ذكر يتْم الغلامين ووجود كنز لهما تحت الجدار ولو انقض لظهر وَضاع وكون أبيهما صالحاً كل ذلك توطئة وتمهيد لقوله: (فاراد ربّك أن يبلغا أشدّهما) فرحمته تعالى سبب لارادة بلوغهما واستخراجهما كنزهما، وكان يتوقف على قيام الجدار فاقامه الخضر. (وما فعلته عن أمري) كناية عن أنه إنما فعل ما فعل عن أمر غيره وهو الله سبحانه لا عن أمر أمَرَتْه به نفسه.

٨٣ . (ويسألونك عن ذي القرنين...) يسألونك عن شأن ذي القرنين.

٨٤ . (إنّا مكنّا له...) التمكين: الاقدار. فالتمكن في الأرض: القدرة على التصرف فيها بالملك كيفما شاء وأراد. والسبب: الوصلة والوسيلة.

٨٥ . (فاتْبع سبباً...) لحق سبباً واتخذ وسيلة يسير بها نحو مغرب الشمس.
٨٦ . (حتّى إذا بلغ...) المراد بمغرب الشمس: آخر المعمورة يومئذ من جانب الغرب. وذكروا أن المراد بالعين الحمئة: العين ذات الحمأة وهي الطين الأسود، وأن المراد بوجدان الشمس تغرب في عين حمئة: أنه وقف على ساحل بحر لا مطمع في وجود بر وراءه فرأى الشمس كأنها تغرب في البحر. (قلنا ياذا القرنين...) استخبرناه ماذا تريد أن تفعل بهم من العذاب والاحسان وقد غلبتهم واستوليتَ عليهم؟
٨٧ . (أمّا من ظلم...) نعَذب الظالم منهم، (ثمّ يرد إلى ربّه فيعذّبه...) يعذبه عذاباً لا عهد له به.
٨٨ . (وأمّا من آمن...) وأما من آمن وعمل عملاً صالحاً فله المثوبة الحسنى. (وسنقول له من أمرنا يسرا) وسنقول له قولاً ميسوراً من أمرنا أي نكلفه بما يتيسر له ولا يشق عليه.
٨٩، ٩٠ . (ثمّ اتبع سببا حتّى...) ثمّ هيأ سبباً للسير فسار نحو المشرق حتى إذا بلغ الصحراء من الجانب الشرقي فوجد الشمس تطلع على قوم بدويين لم نجعل لهم من دونها سترا. كانوا يعيشون على الصعيد من غير أن يكون لهم بيوت يأوون إليها ويستترون بها من الشمس وعراة لا لباس عليهم.

(٤١٧/١)

---

٩١ . (كذلك وقد أحطنا...) كناية عن كون ما اختاره وأتى به بهداية من الله وأمر.
٩٢، ٩٣ . (ثمّ أتْبع سبباً حتّى إذا...) السد: الجبل وكل حاجز يسد طريق العبور وكأن المراد بهما الجبلان. (وجد من دونهما قوماً) قريباً منهما، (لا يكادون يفقهون قولا) كناية عن بساطتهم وسذاجة فهمهم.
٩٤ . (قالوا يا ذا القرنين...) الظاهر أن القائلين هم القوم الذين وجدهم من دون الجبلين. وياجوج ومأجوج: جيلان من الناس كانوا يأتونهم من وراء الجبلين فيغيرون عليهم. (فهل نجعل لك خرجا) عرضوا عليه أن يعطوه مالاً
[٢٩١]
على أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً يمنع من تجاوزهم وتعديهم عليهم.
٩٥ . (قال ما مكنّي فيه...) ما مكنني فيه وأقرني عليه ربي من السعة والقدرة خير من المال الذي تعدونني به فلا حاجة لي إليه. (فاعينوني بقوة) فاعينوني بما اتقوى به على بنائه.
٩٦ . (آتوني زبر الحديد...) الزبر: جمع زبرة وهي القطعة، وساوى بمعنى: سوّى. والصدفين: تثنية الصدف وهو أحد جانبي الجبل. (قال انفخوا) المراد: نصب المنافخ على السد لإحماء ما وضع فيه من الحديد وافراغ القطر على خلله.

٩٧ . (فما اسطاعوا أن...) التقدير: فبنى السد فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوه أوينقبوه.
٩٨ . (قال هذا رحمة...) قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربّي أي نعمة ووقاية يدفع به شر ياجوج ومأجوج عن أمم من الناس وتبقى هذه الرحمة إلى مجيء وعد ربّي فإذا جاء وعد ربّي جعله مدكوكاً وسوى به الأرض.
٩٩، ١٠٠ . (وتركنا بعضهم يومئذ...) المراد: انهم يضطربون يومئذ من شدّة الهول اضطراب البحر ويعرض عنهم ربّهم فلا يشملهم برحمته، ولا يصلح شأنهم بعنايته. (ونفخ في الصّور) هي النفخة الثانية التي فيها الاحياء.

---

١٠١ . (الّذين كانت أعينهم...) تفسير للكافرين وهؤلاء هم الذين ضرب الله بينهم وبين ذكره سداً حاجزاً، فجعل أعينهم في غطاء عن ذكره واخذ [قدرة] السمع عن آذانهم، فانقطع الطريق بينهم وبين الحق وهو ذكر الله.
١٠٢ . (أفحسب الّذين كفروا...) قال في المجمع: معناه افحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتّخذوا من دوني أرباباً ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم.
١٠٣ . (قل هل ننبئكم...) ظاهر السّياق أن الخطاب للمشركين وهو مسوق سوق الكناية.
١٠٤ . (الّذين ضلّ سعيهم...) إنباء بالاخسرين اعمالاً وهم الذين عرض في الآية السّابقة على المشركين، أن ينبئهم بهم ويعرفهم ايّاهم، فعرّفهم بأنهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا.
١٠٥ . (أولئك الّذين كفروا...) تعريف ثان وتفسير بعد تفسير للأخسرين اعمالاً.
١٠٦ . (ذلك جزاؤهم جهنم...) الأمر ذلك أي حالهم ما وصفناه. (جزاؤهم جهنّم) كلام مستأنف ينبئ عن عاقبة أمرهم.
١٠٧ . (انّ الّذين آمنوا...) الفردوس: يذكّر ويؤنث، قيل هي البستان بالرومية، وقيل الجنّة بالحبشية، وقيل عربية وهي الجنّة الملتفة بالأشجار والغالب عليها الكرم.
١٠٨ . (خالدين فيها لا يبغون...) البغي: الطلب، والحول: التحول.
١٠٩ . (قل لو كان البحر...) في تفسير القمّي عن أبي عبدالله عليه السلام في الآية قال: اخبرك انّ كلام الله ليس له آخر ولا غاية ولا ينقطع أبداً.
١١٠ . (قل إنّما أنا بشر...) كانوا يزعمون انه إذا ادعى النبوة فقد ادعى كينونة الهية وقدرة غيبية: ولذا كانوا يقترحون عليه بما لا يعلمه ولا يقدر عليه إلاّ الله، لكنه صلّى الله عليه وآله وسلّم نفى ذلك كله بأمر الله عن نفسه ولم يثبت لنفسه إلاّ أنه يوحى إليه. (فمن كان يرجو...) مشتمل على اجمال الدعوة الدينية وهو العمل الصّالح لوجه الله وحده لا شريك له.

«سورة مريم»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(٤١٩/١)

---

١ . (كهيعص) السور القرآنية المصدرة بالحروف المقطعة لا تخلو من ارتباط بين مضامينها وبين تلك الحروف.

٢ . (ذكر رحمة ربِّك...) المراد بالرحمة: استجابته سبحانه دعاء زكريا.

٣ . (إذ نادى ربّه...) النداء والمناداة: الجهر بالدعوة خلاف المناجاة، ولا ينافيه توصيفه بالخفاء لإمكانه الجهر بالدعوة في خلاء من الناس لا يسمعون معه الدعوة.

٤ . (قال ربِّ إنّي...) الوهن: الضعف ونقصان القوة. (واشتعل الرأس شيباً) اشتعل الشيب في الرأس وانتشر.

٥ . (وإنّي خفت الموالي...) المراد بالموالي العمومة وبنو العم وقيل: العصبة، وقيل: بنو العم فحسب، وقيل: الورثة، المراد: خفت فعل الموالي من ورائي أي بعد موتي. وهو كناية عن خوفه أن يموت بلا عقب. (وكانت امرأتي عاقراً) العاقر: المرأة التي لا تلد.

٦ . (يرثني ويرث من آل...) المراد بالوراثة: وراثة ما تركه الميت من الاموال وامتعة الحياة.

٧ . (يا زكريّا إنّا نبشرك...) في الآية دلالة على ان الله سبحانه هو الذي سمّاه يحيى، وهو قوله: (اسمه يحيى) وانه لم يسمّ بهذا الاسم قبله أحد، وهو قوله (لم نجعل له من قبل سميّا) أي شريكاً في الاسم. وليس من البعيد أن يراد بالسميّ: المثل.

٨ . (قال ربِّ أنّي...) استفهامه عليه السلام عن كون الغلام مع عقر امرأته وبلوغه العتي مبني على استعجاب البشرى واستفسار خصوصياتها، دون الاستبعاد والانكار.

٩ . (قال كذلك قال ربُّك...) جواب عمّا استفهمه واستفسره لتطيب به نفسه، ويسكن جأشه والتقدير: «هو كذلك» أي الأمر واقع على ما أخبرناك به في البشرى لا ريب فيه.

١٠ . (قال ربِّ اجعل...) المراد بعدم تكليم الناس: عدم القدرة على تكليمهم فكان عليه السلام يذكر الله بفنون الذكر ولا يقدر على تكليم الناس إلاّ رمزاً واشارة.

١١ . (فخرج على قومه...) قال في المجمع: سمي المحراب محراباً لأن المتوجه إليه في صلاته كالمحارب الشيطان على صلاته.

(٤٢٠/١)

---

١٢ . (يا يحيى خذ الكتاب...) يا يحيى خذ الكتاب بقوة في جانبي العلم والعمل، (وآتيناه الحكم صبيّا) إنّا أعطيناه العلم بالمعارف الحقيقية وهو صبي لم يبلغ الحلم بعد.

١٣ . (وحناناً من لدنّا...) الحنان: العطف والاشفاق.

١٤ . (وبرّاً بوالديه ولم...) البر: الاحسان. والجبّار قال في المجمع: الذي لا يرى لأحد عليه حقاً وفيه جبرية وجبروت. والعصيّ: من العصيان والأصل في معناه الامتناع.

١٥ . (وسلام عليه يوم...) سلام عليه يوم ولد فلا يمسه مكروه في الدنيا يزاحم سعادته، وسلام عليه يوم يموت، فسيعيش في البرزخ عيشة نعيمة، وسلامٌ عليه يوم يبعث حيّاً فيحيى فيها بحقيقة الحياة ولا نصب ولا تعب.

١٦ . (واذكر في الكتاب...) واذكر يا محمّد في الكتاب نبأ مريم حين اعتزلت من أهلها في مكان شرقي وكأنّه

[٣٠٦]

المسجد.

١٧ . (فاتخذت من دونهم...) كأنها اتخذت الحجاب من دون أهلها لتنقطع عنهم وتعتكف للعبادة. (فارسلنا إليها روحنا) الروح المرسل إليها هو المتمثل لها بشراً سوياً ومعنى تمثّله لها بشراً ترائيه لها، وظهوره في حاستها في صورة البشر.

١٨ . (قالت إني اعوذ...) إني أعوذُ واعتصم بالرحمن منك ان كنت تقيّاً ومن الواجب أن تكون تقيّاً، فليردعك تقواك عن أن تتعرض بي وتقصدني بسوء.

١٩ . (قال انّما أنا رسول...) جواب الروح لمريم.

٢٠ . (قالت أنّى يكون...) كيف يكون لي ولد ولم يخالطني قبل هذا الحين رجل لا من طريق الحلال بالنكاح ولا من طريق الحرام بالزّنا.

٢١ . (قال كذلك قال ربّك...) ولنجعله آية للناس بخلقته، ورحمة منا برسالته والآيات الجارية على يده.

٢٢ . (فحملته فانتبذت به...) حملت بالولد فانفردت واعتزلت به مكاناً بعيداً من أهله.

---

٢٣ . (فأجاءها المخاض...) دفعها والجأها الطلق إلى جذع نخلة كان هناك لوضع حملها، وقالت استحياءً من الناس يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً وشيئاً لا يعبأ به، منسياً لا يذكر فلم يقع فيه الناس كما سيقع الناس فيّ.

٢٤ . (فناداها من تحتها...) لا يبعد ان يستفاد من ترتب قوله: (فناداها) على قوله: (قالت يا ليتني)

أنها إنّما قالت هذه الكلمة حين الوضع أو بعده فعقبها عليه السّلام بقوله: (إلاّ تحزني) تسلية لها لما أصابها من الحزن والغم الشديد. (قد جعل ربّك تحتك سريّا) السري: جدول الماء.

٢٥ . (وهزي إليك بجذع...) الآية لا تخلو من إشعار بانّ النخلة كانت يابسة وإنّما اخضرّت وأورقت واثمرت رطباً جنياً لساعتها.

٢٦ . (فكلي واشربي وقرّي...) فكلي من الرطب الجني الذي يسقط واشربي من السري الذي تحتك وكوني على مسرّة من غير أن تحزني واما ما تخافين من تهمة الناس ومساءتهم فالزمي السكوت ولا تكلمي أحداً فأنا اكفيكهم.

٢٧ . (فأتت به قومها...) الضميران في (به) و (تحمله) لعيسى، والاستفهام إنكاري حملهم عليه ما شاهدوه من عجيب أمرها مع مالها من سابقة الزهد والاحتجاب، والفري: هو العظيم.

٢٨ . (يا أُخت هارون ما كان...) البغي: الزانيه، ومعنى الآية ظاهر.

٢٩ . (فأشارت إليه قالوا...) إرجاع لهم إليه حتى يجيبهم ويكشف لهم عن حقيقة الأمر، وهو جري منها على ما أمرها به حين ولد.

٣٠ . (قال إنّي عبدالله...) شروع منه عليه السلام في الجواب وقد بدأ بقوله: (إنّي عبدالله) اعترافاً بالعبودية لله ليبطل به غلو الغالين وتتم الحجة عليهم. (آتاني الكتاب) أخبار باعطاء الكتاب والظاهر هو الإنجيل، (وجعلني نبيّاً) إعلام بنبوّته.

٣١ . (وجعلني مباركاً...) كونه عليه السلام مباركاً أينما كان هو كونه محلاً لكل بركة. (وأوصاني بالصّلاة والزّكاة) إشارة إلى تشريع الصّلاة والزّكاة في شريعته.

---

٣٢ . (وبرّاً بوالدتي ولم...) جعلني حنيناً رؤوفاً بالناس ومن ذلك اني برٌّ بوالدتي ولستُ جباراً شقياً بالنسبة إلى سائر الناس.

٣٣ . (والسّلام عليّ يوم...) تسليم منه على نفسه في المواطن الثلاثة الكليّة التي تستقبله في كونه ووجوده.

٣٤ . (ذلك عيسى بن مريم...) ذلك عيسى بن مريم الذي يشكّون ويتنازعون فيه.

٣٥ . (ما كان لِلّه أن...) نفي وابطال لما قالت به النصارى من بنوّة المسيح. (إذا قضى أمراً فانّما يقول له كن)

[٣٠٧]

حجّة اقيمت على ذلك، وقد عبر بلفظ القضاء للدلالة على ملاك الاستحالة.

٣٦ . (وإن الله ربيّ...) من كلام عيسى عليه السلام ختم كلامه بالمربوبية كما بدأ كلامه بالشهادة

على العبودية ليقطع به دابر غلو الغالين في حقّه ويتم الحجّة عليهم.

٣٧ . (فاختلف الأحزاب...) إختلاف الأحزاب هو قول كل منهم فيه عليه السلام خلاف ما يقوله الآخرون.

٣٨ . (أسمع بهم وأبصر...) ما اسمعهم وابصرهم بالحق يوم يأتوننا ويرجعون إلينا، وهو يوم القيامة فيتبين لهم وجه الحق فيما اختلفوا فيه.

٣٩ . (وأنذرهم يوم الحسرة...) وخوفهم يوماً يقضى فيه الأمر فيتحتم عليهم الهلاك الدائم فينقطعون عن سعادتهم الخالدة التي فيها قرّة أعينهم، فيتحسرون عليها حسرة لا تقدّر بقدر، إذ غفلوا في الدنيا فلم يسلكوا الصراط الذي يهديهم ويوصلهم إليها بالاستقامة، وهو الايمان بالله وحده وتنزيهه عن الولد والشريك.

٤٠ . (إنّا نحن نرث الأرض...) إن الله سبحانه هو الباقي بعد فناء كل شيء فهو الباقي بعد فناء الأرض، يملك عنها ما كانت تملكه من الوجود وآثار الوجود، وهو الباقي بعد فناء الإنسان، يملك ما كان يملكه.

٤١ . (واذكر في الكتاب...) الظاهر أن الصدّيق اسم مبالغة من الصدق، فهو الذي يبالغ في الصدق فيقول ما يفعل ويفعل ما يقول لا مناقضة بين قوله وفعله، وكذلك كان إبراهيم عليه السلام.

(٤٢٣/١)

٤٢، ٤٣ . (إذ قال لأبيه...) نبّه إبراهيم أباه فيما القي إليه من الخطاب، أولاً: أن طريقه الذي يسلكه بعبادة الأصنام لغو باطل، وثانياً: أن له من العلم ما ليس عنده فليتبعه ليهديه إلى طريق الحق.

٤٤، ٤٥ . (يا أبتِ لا تعبد...) يا أبت لا تطع الشيطان فيما أمرك به من عبادة الأصنام لأنّ الشيطان عصي مقيم على معصية الله الذي هو مصدر كل رحمة ونعمة، فهو لا يأمر إلاّ بما فيه معصيته والحرمان عن رحمته، وإنما أنهاك عن معصيته في طاعة الشيطان، لأني أخاف يا أبتِ أن يأخذك شيء من عذاب خذلانه، وتنقطع عنك رحمته فلا يبقى لتولّي أمرك إلاّ الشيطان، فتكون ولياً للشيطان والشيطان مولاك.

٤٦ . (قال أراغب أنت عن آلهتي...) الرغبة عن الشيء نقيض الرغبة فيه كما في المجمع، والانتهاء: الكفّ عن الفعل بعد النهي، والرجم: الرمي بالحجارة، والمعروف من معناه القتل برمي الحجارة، والهجر هو الترك والمفارقة، والملي: الدهر الطويل.

٤٧ . (قال سلامٌ عليك...) قابل إبراهيم عليه السلام أباه فيما أساء إليه وهدّده بالسّلام الذي فيه إحسان واعطاء أمن، ووعده أن يستغفر له ربّه.

٤٨ . (وأعتزلكم وما تدعون...) وعد بإعتزالهم والابتعاد منهم ومن اصنامهم، ليخلو بربه ويخلص

الدعاء له رجاء أن لا يكون بسبب دعائه شقيّاً.

٤٩ . (فلمّا اعتزلهم وما يعبدون...) لعلّ الاقتصار على ذكر إسحاق لتعلق الغرض بذكر توالي النبوّة في الشجرة الإسرائيلية ولذلك عقّب إسحاق بذكر يعقوب فان في نسله جمعاً غفيراً من الأنبياء.

٥٠ . (ووهبنا لهم من رحمتنا...) من الممكن أن يكون المراد به الامامة. (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) وجعلنا لهم ثناءً جميلاً صادقاً رفيع القدر.

٥١ . (واذكر في الكتاب...) معنى المخلص: الذي أخلصه الله لنفسه فلا نصيب لغيره تعالى فيه لا في نفسه ولا في عمله.

٥٢ . (وناديناه من جانب...) الأيمن: صفة لجانب، أي الجانب الأيمن من الطور. وفي المجمع: النجي بمعنى المناجي.

---

٥٣ . (ووهبنا له من رحمتنا...) إشارة إلى إجابة ما دعا به موسى عندما أوحي إليه لأوّل مرة في الطور إذ قال: (واجعل لي وزيراً...) طه: ٣٢.

٥٤ . (وَاذكر في الكتاب...) هو إسماعيل ابن حزقيل من أنبياء بني إسرائيل.

[٣٠٨]

٥٥ . (وكان يأمر أهله...) المراد بأهله: خاصته من عترته وعشيرته وقومه. والمراد بكونه عند ربه مرضيّاً: كون نفسه مرضيّة.

٥٦ . (واذكر في الكتاب إدريس...) قالوا: إن إدريس النبيّ كان إسمه اخنوخ وهو من أجداد نوح عليه السلام على ما ذكر في سفر التكوين من التوراة، وإنّما اشتهر بإدريس لكثرة اشتغاله بالدرس.

٥٧ . (ورفعناه مكاناً عليّاً...) من الممكن أن يستفاد من سياق القصص أن المراد بالمكان العليّ الذي رفع إليه: درجة من درجات القرب.

٥٨ . (أُولئك الّذين أنعم...) هم زكريا ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عليه السلام. والمعنى: أُولئك المنعم عليهم الذين بعضهم من النبيين من ذرية آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذرّيّة إبراهيم وإسرائيل وبعضهم من أهل الهداية والاجتباء، خاضعون للرحمن خاشعون.

٥٩ . (فخلف من بعدهم...) قام مقام أُولئك الذين أنعم الله عليهم، قوم سوء أضاعوا ما أخذوه منهم من الصّلاة والتوجه العبادي إلى الله سبحانه، بالتهاون فيه والاعراض عنه، واتبعوا الشهوات الصارفة لهم عن المجاهدة في الله والتوجه إليه.

٦٠ . (إلاّ من تاب وآمن...) استثناء من الآية السابقة فهؤلاء الراجعون إلى الله سبحانه ملحقون

باولئك الذين أنعم الله عليهم وهم معهم لا منهم.

٦١ . (جنّات عدن الّتي...) العدن الاقامة ففي تسميتها به إشارة إلى خلودها لداخليها. والوعد بالغيب: هو الوعد بما ليس تحت إدراك الموعود له. وكون الوعد مأتياً: عدم تخلفه.

(٤٢٥/١)

---

٦٢ . (لا يسمعون فيها لغواً...) عدم سمع اللغو من أخص صفات الجنة، وقد ذكره الله سبحانه وامتن به في مواضع من كلامه. (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّا...) الظاهر أن اتيان الرّزق بكرة وعشيّا كناية عن تواليه من غير انقطاع.

٦٣ . (تلك الجنّة الّتي...) الأرث والوارثة: هو أن ينتقل مال أو ما يشبهه من شخص إلى آخر وإذ كانت الجنّة في معرض العطاء لكل إنسان بحسب الوعد الإلهي المشروط بالايمان والعمل الصالح، فاختصاص المتقين بها بعد حرمان غيرهم عنها باضاعة الصّلاة واتباع الشهوات، وراثة المتقين.

٦٤ . (وما نتنزل إلاّ بأمر...) التنزل: هو النزول على مهل وتؤدة. (له ما بين أيدينا وما خلفنا...) يفيد احاطة ملكه تعالى بهم ملكاً حقيقياً لايجري فيه تصرف غيره، إلاّ عن اذن منه ومشيئة.

٦٥ . (ربّ السّماوات والأرض...) كيف لا يملك ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، وكيف يكون نسياً وهو تعالى ربّ السّماوات والأرض وما بينهما (فاعبده واصطبر) فاعبده وحده واصطبر لعبادته فليس هناك من يسمى رباً غير ربّك.

٦٦ . (ويقول الإنسان إذا...) إنكارٌ للبعث في صورة الاستبعاد.

٦٧ . (أَوَ لا يذكر الإنسان...) الاستفهام للتعجيب والاستبعاد، ومعنى الآية ظاهر.

٦٨ . (فوربّك لنحشرنهم...) فاقسم بربك لنجمعنهم . يوم القيامة . واولياءهم او قرناءهم من الشياطين، ثم لنحصرنهم حول جهنم لاذاقة العذاب وهم باركون على ركبهم من الذلة، أو وهم جماعات وزمرة زمرة.

٦٩ . (ثمّ لننزعنّ من...) ثمّ لنستخرجن من كل جماعة متشكلة أشدهم تمرداً على الرحمن، وهم الرؤساء وأئمة الضلال، وقيل المعنى: لنستخرجن الأشد ثم الأشد حتى يحاط بهم.

٧٠ . (ثمّ لنحن أعلم...) ثمّ اقسم لنحن أعلم بمن أولى بالنار مقاساة لحرها، أي ان الأمر في دركات عذابهم ومراتب استحقاقهم، لا يشتبه علينا.

(٤٢٦/١)

---

٧١ . (وإنْ منكم إلاّ واردها...) الخطاب للناس عامة مؤمنيهم وكافريهم. والورود لا يدل على ازيد من الحضور والاشراف عن قصد . على ما يستفاد من كتب اللغة.

٧٢ . (ثمّ ننجّي الّذين...) ما من أحد منكم . متق أو ظالم . إلاّ وهو سيرد النار، كان هذا الايراد واجباً مقضياً على

[٣٠٩]

ربّك، ثمّ ننجي الذين اتقوا منها ونترك الظالمين فيها.

٧٣ . (وإذا تتلى عليهم...) وإذا تتلى على الناس . وهم الفريقان الكفار والمؤمنون . آياتنا وهي ظاهرات في حجّتها قال فريق منهم وهم الذين كفروا للفريق الآخر وهم الذين آمنوا: أيّ هذين الفريقين خير من جهة المسكن واحسن من حيث المجلس، . ولا محالة هم الكفار . يريدون أن لازم ذلك أن يكونوا هم سعداء في طريقتهم وملّتهم.

٧٤ . (وكم أهلكنا قبلهم...) القرن: الناس المقترنون في زمن واحد. والمعنى أنهم يتفوّهون بهذه الشبهة الواهيَة . نحن خير منكم مقاماً واحسن نديّا . استخفافاً للمؤمنين، والحال أنا أهلكنا قروناً كثيرة قبلهم هم أحسن من حيث الأمتعة والمناظر.

٧٥ . (قل من كان في...) المراد: أن من استقرت عليه الضلالة واستمر هو عليها . والمراد به الكفار كناية . فقد أوجب الله على نفسه ان يمده بما منه ضلالته، كالزخارف الدنيوية فينصرف بذلك عن الحق حتى يأتيه أمر الله من عذاب أو ساعة بالمفاجأة والمباغتة فيظهر له الحق عند ذلك ولن ينتفع به.

٧٦ . (ويزيد الله الّذين اهتدوا...) هذه الآية تبين حال الفريق الآخر، وهم المؤمنون وأن الله سبحانه يمد المهتدين منهم وهم المؤمنون بالهدى، فيزيدهم هدىً على هداهم فيوفقون للأعمال الباقية الصالحة وهي خير أجراً وخير داراً.

٧٧ . (أفرأيت الّذي كفر...) مسوق للتعجيب. (وقال لأُوتين مالاً وولداً) إنه انما كفر بآيات الله زاعماً أن ذلك طريقة ميمونة مباركة تجلب لسالكها العزّة والقدرة وترزقه الخير والسعادة في الدنيا.

---

٧٨ . (أطَّلع الغيب أم...) رد سبحانه عليه قوله: (لأوتين مالاً...) بأنه رجم بالغيب لا طريق له إلى العلم فليس بمطلع على الغيب حتى يعلم بأنه سيؤتى بكفره ما يأمله، ولا يتخذ عهداً عند الله حتى يطمئن إليه في ذلك.

٧٩ . (كلاّ سنكتب ما يقول...) الأقرب أن يكون المراد من كتابة قوله: تثبيته ليترتب عليه أثره.

٨٠ . (ونرثه ما يقول...) المراد بوراثة ما يقول: أنه سيموت ويفنى ويترك قوله: لاوتين بكفرى مالاً

وولداً. (ويَأتينا فردا) وحده وليس معه شيء ممّا كان ينتصر به.

٨١ . (واتخذوا من دون...) هؤلاء الآلهة هم الملائكة والجنّ والقديسون من الإنس وجبابرة الملوك. ومعنى كونهم له عزاً: كونهم شفعاء لهم يقرّبونهم إلى الله بالشفاعة.

٨٢ . (كلّا سيكفرون بعبادتهم...) سيكفر الآلهة بعبادة هؤلاء المشركين ويكون الآلهة ضداً لهم يعادونهم.

٨٣ . (ألم تر أنّا أرسلنا...) الأز والهز بمعنى واحد: وهو التحريك بشدة وإزعاج. والمراد: تهييج الشياطين إياهم إلى الشر والفساد وتحريضهم على اتباع الباطل وإضلالهم بالتزلزل عن الثبات والاستقامة على الحق.

٨٤ . (فلا تعجل عليهم...) فلا تعجل عليهم بالقبض أو بالقضاء ولا يضيق صدرك عن تأخير ذلك، إنّما نعد لهم أنفاسهم أو أعمالهم عدّاً.

٨٥ . (يوم نحشر المتّقين...) المراد بحشرهم إلى الرحمن: حشرهم إلى الجنّة.

٨٦ . (ونسوق المجرمين إلى...) الورد: كناية عن العطاش.

٨٧ . (لا يملكون الشفاعة...) ليس كل من يهوى الإنسان شفاعته فاتخذه إلهاً ليشفع له يكون شفيعاً، بل إنّما يملك الشفاعة بعهد من الله.٨٨ . (وقالوا اتّخذ الرّحمن...) من قول الوثنيين وبعض خاصتهم.

٨٩ . ٩١ . (لقد جئتم شيئاً إدّا...) لقد أتيتم بقولكم هذا أمراً منكراً فظيعاً، تكاد السماوات يتفطرن ويتشققن منه، وتنشق الأرض وتسقط الجبال على السهل سقوط انهدام، إذ دعوا للرحمان ولدا.

---

٩٢ . ٩٥ . (وما ينبغي للرّحمن أن...) المراد باتيان كل منهم عبداً له: توجه الكل إليه ومثوله بين يديه في صفة المملوكية المحضة. والمراد باحصائهم وعدّهم: تثبيت العبودية لهم، والمراد بإتيانه له يوم القيامة فرداً: اتيانه يومئذ صفر الكف لا يملك شيئاً ممّا كان يملكه بحسب ظاهر النظر في الدنيا.

[٣١٠]

٩٦ . (إنّ الّذين آمنوا...) في الآية وعد جميل منه تعالى أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات مودة في القلوب. وقد ورد في اسباب النزول من طرق الشيعة وأهل السنة أن الآية نزلت في عليّ عليه السلام.

٩٧ . (فانّما يسّرناه بلسانك...) معنى تيسره بلسانه: تنزيله على اللسان العربي الذي كان هو لسانه صلى الله عليه وآله فتنبئ الآية انه تعالى يسّره بلسانه ليتيسر له التبشير والانذار. واللّدُّ: جمع الدّ

من اللدد وهو الخصومة.

٩٨ . (وكم أهلكنا قبلهم...) انهم وان كانوا خصماء مجادلين لكنهم غير معجزي الله بخصامهم، فكم اهلكنا قبلهم من قرن فبادوا فلا يحس منهم أحد ولا يسمع لهم صوت.

«سورة طه»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (طه ما أنزلنا عليك...) ما أنزلنا القرآن لتتعب نفسك في سبيل تبليغه بالتكلف في حمل الناس عليه.

٣ . (إلاّ تذكرة لمن...) ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب به نفسك، ولكن لتذكّر الخاشعين بكلام الهي منزل من بعده.

٤ . (تنزيلاً ممّن خلق...) العلى: جمع عليا مؤنث اعلى.

٥ . (الرّحمن على العرش...) الاستواء على العرش: كناية عن الاحتواء على الملك والأخذ بزمام تدبير الأمور.

٦ . (له ما في السّماوات...) بين في هذه الآية أحد ركني الربوبية وهو الملك، فان معنى الربوبية هو الملك والتدبير.

٧ . (وإن تجهر بالقول...) وإن تجهر بقولك وأعلنت ما تريده، أو أسررته في نفسك وكتمته، أو كان أخفى من ذلك بأن كان خفياً حتى عليك نفسك، فان الله يعلمه.

---

٨ . (ألله لا إله إلاّ هو...) المراد بالأسماء الحسنى: الألفاظ الدالة على المعاني الوصفية الجميلة البالغة في الجمال كالحي والعليم والقدير.

٩ . (وهل أتاك حديث...) الاستفهام للتقرير والحديث.

١٠ . (إذ رأى ناراً...) سياق الآية وما يتلوها يشهد أنه كان [موسى عليه السلام] في منصرفه من مدين إلى مصر ومعه أهله وهم بالقرب من وادي طوى في طور سيناء في ليلة شاتية مظلمة، وقد ضلوا الطريق إذ رأى ناراً، فرأى أن يذهب إليها فان وجد عندها أحداً سأله الطريق، وإلاّ أخذ قبساً من النار ليضرموا به ناراً فيصطلوا بها.

١١، ١٢ . (فلما أتاها نودي...) نودي يا موسى ها أنا ذا ربك وأنت بمحضر مني وقد تقدّس الوادي بذلك فالتزم شرط الأدب واخلعْ نعليك.

١٣ . (وأنا اخترتك فاستمع...) إختياره تعالى لموسى، إنّما هو لغاية إلهية وهي إعطاء النبوة والرّسالة.

١٤ . (إنّني أنا الله...) هذا هو الوحي الذي أُمر عليه السلام بالاستماع له.
١٥ . (إنّ السّاعة آتية...) تعليل لقوله في الآية السابقة: (فاعبدني). وقوله: (أكاد أُخفيها) ظاهر إطلاق الاخفاء ان المراد: يقرب أن أُخفيها وأكتمها فلا أُخبر عنها أصلاً.
١٦ . (فلا يصدّنك عنها...) إذا كانت الساعة آتية والجزاء واقعاً، فلا يصرفنّك عن الإيمان بها، الذين اتبعوا أهواءهم فصاروا يكفرون بها، حتى تنصرف فتهلك.
١٧ . (وما تلك بيمينك...) سُئل عليه السلام عمّا في يده اليمنى وكانت عصاه، ليسميها ويذكر أوصافها فيتبين انها جماد لا حياة له، حتى يأخذ تبديلها حيّة تسعى مكانه في نفسه عليه السلام.
١٨ . (قال هي عصاي...) التوكي والاتكاء على العصا: الاعتماد عليها. والهش: خبط ورق الشجرة وضربه بالعصا ليتساقط على الغنم فيأكله. والمأرب: جمع مأرب وهي الحاجة.
[٣١١]
١٩، ٢٠ . (قال القها يا موسى...) أمر سبحانه موسى أن يلقي عصاه عن يمينه، فلما ألقى العصا صارت حيّة تتحرّك.

(٤٣٠/١)

---

٢١ . (قال خذها ولا تخف...) [في الآية] دلالة على خوفه عليه السلام ممّا شاهده عن حيّة ساعية.
٢٢ . (واضمم يدك إلى...) اجمع يدك تحت ابطك، أي ادخلها في جيبك تخرج بيضاء من غير برص أو حالة سيئة.
٢٣ . (لنريك من آياتنا...) كأنه قيل: أجرينا ما أجرينا على يدك لنريك بعض آياتنا الكبرى.
٢٤ . (إذهب إلى فرعون...) هذا هو أمر الرّسالة.
٢٥ . (قال ربّ اشرح...) سأل ربّه أن يوسع صدره لما يحمّله ربه من أعباء الرسالة ولما ستستقبله من العظائم والشدائد في مسيره في الدعوة.
٢٦ . (ويسّر لي أمري...) هو الأمر الذي قلَّده من الرّسالة.
٢٧، ٢٨ . (واحلل عقدة من...) سؤال له آخر يرجع إلى عقدة في لسانه، أي عقدة تمنع من فقه قولي.
٢٩ . ٣٢ . (واجعل لي وزيراً...) يسال ربّه أن يجعل له وزيراً من أهله ويبيِّنه أنه هارون أخي، وإنّما يسأل ذلك لأن الأمر كثير الجوانب متباعد الأطراف لا يسع موسى أن يقوم به وحده بل يحتاج إلى وزير يشاركه في ذلك، فيقوم ببعض الأمر فيخفف عنه فيما يقوم به هذا الوزير، ويكون مؤيداً لموسى فيما يقوم به موسى، وهذا معنى قوله . وهو بمنزلة التفسير لجعله وزيراً . (أشدد به أزري وأشركه في أمري).

٣٣، ٣٤ . (كي نسبحك كثيراً...) المراد: أن يسبِّحاه ويذكراه معاً بين الناس في مجامعهم ونواديهم.
٣٦ . (قال قد أُوتيت...) إجابة لأدعيته جميعاً.
٣٧ . (ولقد منّنا عليك...) إمتنان بما صنعه به أوّل عمره.

(٤٣١/١)

٣٨، ٣٩ . (إذ أوحينا إلى أُمك...) المراد به: الالهام وهو نوع من القذف في القلب في يقظة أو نوم. إذ أوحينا وألهمنا أُمّك بما يوحى ويلهم، وهو أن ضعيه . أو ألقيه . في التابوت وهو الصندوق، فالقيه في اليم والبحر وهو النيل، فمن المقضي من عندنا أن يلقيه البحر بالساحل والشاطئ يأخذه عدوّ لي وعدوّ له وهو فرعون لأنه كان يعادي الله بدعوى الالوهية ويعادي موسى بقتله الأطفال، أوحيناه إلى امك. (والقيت عليك محبة...) معنى القاء محبة منه عليه، كونه بحيث يحبّه كل من يراه، (ولتصنع على عيني) وليحسن إليك على عيني أي بمرأى مني.
٤٠ . (إذ تمشي أختك...) في وقت تمشي اختك لتجوس خبرك وترى ما يصنع بك، فتجد عمال فرعون يطلبون مرضعاً ترضعك فتقول لهم: هل أدلكّم على من يكفله بالحضانة والارضاع. فرددناك إلى أُمك كي تسر ولا تحزن. (وقتلت نفساً فنجيناك من الغمّ) قصة قتله عليه السلام القبطي وائتمار الملأ أن يقتلوه وفراره من مصر وتزوجه هناك ببنت شعيب النبيّ، وبقائه عنده بين أهل مدين عشر سنين.
٤١ . (واصطنعتك لنفسي...) وجعلتك خالصاً لنفسي فيما عندك من النعم.
٤٢ . (إذهب أنت واخوك...) تجديد للأمر السابق. (ولا تنيا في ذكري) نهي عن الوني وهو الفتور.
٤٣ . (إذهبا إلى فرعون...) جمعهما في الأمر ثانياً فخاطب موسى وهارون معاً.
٤٤ . (فقولا له قولاً ليّناً...) المنع من أن يكلّماه بخشونة وعنف وهو من أوجب آداب الدعوة (لعلّه يتذكر أو يخشى) لعلّة يؤمن أو يقرب من ذلك فيجيبكم إلى بعض ما تسألانه.
٤٥ . (قالا ربّنا إنّنا...) الفرط: التقدم، والمراد به بقرينة مقابلته الطغيان: أن يعجّل بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار الآية المعجزة. والمراد بأن يطغى: أن يتجاوز حدّه في ظلمه.
٤٦ . (قال لا تخافا إنّني...) لا تخافا من فرطه وطغيانه إنني حاضر معكما أسمع ما يقال وأرى ما يفعل.

(٤٣٢/١)

---

٤٧ . (فأتياه فقولا إنّا...) جدد أمرهما بالذهاب إلى فرعون بعد تأمينهما ووعدهما بالحفظ والنصر.

٤٨ . (إنا قد أُوحي إلينا...) إنما نسلّم على المهتدين فحسب، لأن الله سبحانه أوحي إلينا أن العذاب وهو خلاف السّلام على من كذّب بآيات الله . أو الدعوة الحقّة التي هي الهدى . وتولى وأعرض عنها.

٤٩ . (قال فمن ربّكما...) حكاية لمحاورة موسى وفرعون.

٥٠ . (قال ربّنا الّذي...) مشتمل على البرهان

[٣١٢]

على كونه تعالى رب كل شيء لا ربّ غيره.

٥١ . (قال فما بال...) ما حال الأمم والأجيال الإنسانية الماضية التي ماتوا وفنوا، لا خبر عنهم ولا أثر، كيف يجزون بأعمالهم ولا عامل في الوجود ولا عمل، وليسوا اليوم إلاّ أحاديث وأساطير؟

٥٢ . (قال علمها عند ربّي...) إنّ جزاء القرون الأُولى معلومة لربي محفوظة عنده في كتاب لا يتطرق إليه خطأ ولا تغيير ولا غيبة ولا زوال.

٥٣، ٥٤ . (الّذي جعل لكم...) إشارة إلى قرار الانسان في الأرض لإدامة الحياة وهو من الهداية، (وجعل لكم فيها سبلاً) إشارة إلى مسالك الإنسان التي يسلكها في الأرض لإدراك مآربه وهو أيضاً من الهداية. (وانزل من السّماء ماءً...) إشارة إلى هداية الإنسان والأنعام إلى أكل النبات لإبقاء الحياة. (إن في ذلك لآيات لاولي النهى) النهى: جمع نهية وهو العقل سمِّي به لنهيه عن اتّباع الهوى.

٥٥ . (منها خلقناكم وفيها...) الآية تصف إبتداء خلق الانسان من الأرض، ثم إعادته فيها، ثمّ إخراجه منها للرجوع إلى الله.

٥٦ . (ولقد أريناه آياتنا...) الظاهر أن المراد بالآيات: العصا واليد وسائر الآيات التي أراها موسى فرعون أيام دعوته قبل الغرق.

٥٧ . (قال أجئتنا لتخرجنا...) الضمير لفرعون وقد اتّهم موسى أوّلاً بالسحر، وثانياً بأنه يريد إخراج القبط من أرضهم وهي أرض مصر.

٥٨ . (فلنأتينّك بسحر مثله...) فاقسم لنأتينك بسحر يماثل سحرك لقطع حجّتك وإبطال إرادتك.

---

٥٩ . (قال موعدكم يوم...) الضمير لموسى وقد جعل الموعد يوم الزينة، ويظهر من السياق أنه كان يوماً لهم يجري بينهم مجري العيد. والضحى: وقت انبساط الشمس من النهار.

٦٠ . (فتولّى فرعون فجمع...) ظاهر السّياق أن المراد بتولي فرعون: إنصرافه عن مجلس المواعدة

للتهيّؤ لما واعد. والمراد بجمع كيده: جمع ما يكاد به من السحرة وسائر ما يتوسل به إلى تعمية الناس والتلبيس عليهم. (ثمّ أتى) ثمّ أتى الموعد وحضره.

٦١ . (قال لهم موسى...) الويل: كلمة عذاب وتهديد. والسحت بفتح السين: استيصال الشعر بالحلق. والاسحات: الاستئصال والاهلاك. (فيسحتكم بعذاب) تفريع على النهي، أي لا تشركوا بالله حتى يستأصلكم ويهلككم بعذاب بسبب شرككم.

٦٢ . ٦٤ . (فتنازعوا أمرهم بينهم...) التنازع: قريب المعنى من الاختلاف، والنجوى: الكلام الذي يسار به. والطريقة المثلى: السنة التي هي أقرب من الحق أو من أمنيتهم وهي السنة الوثنية. ويظهر أن التنازع والاختلاف إنّما ظهر بينهم عن موعظة وعظهم بها موسى، فأثّرت فيهم بعض أثرها. وأن الاختلاف إنّما ظهر أوّل ما ظهر بين السحرة، ولما رأى فرعون وأياديه، تنازع القوم . وفيه خزيهم وخذلانهم . أسروهم النجوى ولم يكلموهم فيما ألقاه إليهم موسى من الحكمة والموعظة، بل عدلوا عن ذلك إلى ما اتهمه فرعون بالسحر وطرح خطة سياسية لإخراج أُمة القبط من أرضهم، وأضافوا إلى ذلك أمراً آخر من الجلاء والخروج من الديار والأموال، وهو ذهاب طريقتهم المثلى وسنتهم القومية التي هي ملة الوثنية الحاكمة فيهم قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل. فلو اختلفوا وتركوا مقابلة موسى واستعلى هو عليهم كان في ذلك فناؤهم بالمرّة. فالرأي هو أن يجمعوا كل كيد لهم ثمّ يدعوا الاختلاف ويأتوا صفّاً حتى يستعلوا.

(٤٣٤/١)

٦٥، ٦٦ . (قالوا يا موسى...) هذا تخيير منهم لموسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يصبر حتى يلقوا ثم يأتي بما يأتي، (قال موسى بل ألقوا) فاخلى لهم الظرف كي يأتوا بما يأتون به وهو معتمد على ربه واثق بوعده من غير قلق واضطراب. (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه...) الذي خيّل إلى موسى خيّل إلى غيره من الناظرين من الناس كما ذكره في موضع آخر: (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) الأعراف: ١١٦.

٦٧ . (فاوجس في نفسه...) كأنه قيل: أحس في نفسه نوعاً من الخوف لا يعبأ به.

٦٨ . (قلنا لا تخف إنّك...) إنك فوقهم من كل جهة، وإذا كان كذلك لم يضرك شيء من كيدهم وسحرهم فلا موجب لأن تخاف.

[٣١٣]

٦٩ . (وألقِ ما في يمينك...) أمر بالقاء العصا لتكون حية وتلقف ما صنعوا بالسحر. (إن ما صنعوا كيد ساحر...) ما معهم كيد ساحر لا حقيقة له وما معه آية معجزة ذات حقيقة، والحق يعلو ولا يعلى عليه.

٧٠ . (فألقى السّحرة سجداً...) في التعبير بقوله: (فالقى السّحرة) بالبناء للمفعول إشارة إلى اذلال القدرة الإلهية لهم وغشيان الحق بظهوره إياهم بحيث لم يجدوا بدّاً دون أن يخرّوا على الأرضِ سجّداً كأنهم لا إرادة لهم في ذلك. (آمنا بربِّ هارون وموسى) شهادة منهم بالإيمان.

٧١ . (قال آمنتم له...) تهديد من فرعون للسحرة حيث آمنوا. (إنّه لكبيركم الذي علمكم السّحر) رمي لهم بتوطئة سياسية كأنهم تواطأوا مع رئيسهم، وإنما رماهم بهذا القول تهييجاً للعامّة عليهم، كما رمى موسى عليه السلام بمثله في أوّل يوم.

(٤٣٥/١)

---

٧٢ . (قالوا لن نؤثرك...) كلام بليغ في منطوقه بعيد في معناه، فهؤلاء قوم كانوا قبل ساعة وقد ملأت هيبة فرعون وأُبهته قلوبهم وأذلّت زينات الدنيا وزخارفها التي عنده نفوسهم فما لبثوا دون أن ظهرت لهم آيات الحق، فبهرت أبصارهم فطاحت عند ذلك ما كانوا يرون لفرعون من عزة وسلطان ولما عنده من زينة الدنيا وزخرفها من قدر ومنزلة، وغشيت قلوبهم فأزالت منها رذيلة الجبن والملق، ومكنت فيها التعلق بالحق والدخول تحت ولاية الله والاعتزاز بعزته، فلا يريدون إلاّ ما أراده الله ولا يرجون إلاّ الله ولا يخافون إلاّ الله عزَّ إسمه.

٧٣ . (إنّا آمنّا بربِّنا...) إنما اخترنا الله الذي فطرنا عليك وآمنا به ليغفر لنا خطايانا والسحر الذي أكرهتنا عليه. (والله خير وأبقى) خيرٌ من كل خير وأبقى من كل باق.

٧٤ . (إنه من يأت ربّه...) تعليل لجعل غفران الخطايا غاية للايمان بالله.

٧٥، ٧٦ . (ومن يأته مؤمناً...) الآيتان تصفان ما يستتبعه الإيمان والعمل الصّالح، كما كانت الآية السابقة تصف ما يستتبعه الإجرام الحاصل بكفر أو معصية.

٧٧ . ٧٩ . (ولقد أوحينا إلى...) الاسراء: السير بالليل. والمراد بعبادي: بنو إسرائيل. واليبس . على ما ذكره الراغب . المكان الذي كان فيه ماء ثمّ ذهب. والدرك: تبعة الشيء. قيل: وفي قوله: (وأضلّ فرعون قومه وما هدى) تكذيب لقول فرعون وقومه فيما خاطبهم: (وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد) المؤمن: ٢٩.

٨٠ . (يا بني إسرائيل قد...) المراد به: فرعون أغرقه وأنجى بني إسرائيل منه بعد طول المحنة. (وواعدناكم جانب الطور...) لعلّ المراد بهذه المواعدة: مواعدة موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة.

٨١ . (كلوا من طيّبات...) إباحة في صورة الأمر. (ولا تطغوا فيه فيحل...) ضمير فيه راجع إلى الأكل المتعلق بالطيبات وذلك بكفران النعمة وعدم أداء شكره. (فيحل عليكم غضبي) يجب غضبي ويلزم.

٨٢ . (وإنّي غفار لمن تاب...) وعد بالرحمة المؤكدة عقيب الوعيد الشديد.

٨٣، ٨٤ . (وما أعجلك عن قومك...) ظاهر السّياق أنه سؤال عن السبب الذي أوجب لموسى أن يستعجل عن قومه فيحضر ميعاد الطور قبلهم، كأنه كان المترقب أن يحضروا الطور جميعاً فتقدّم عليهم موسى في الحضور وخلّفهم، فقيل له: (وما أعجلك عن قومك يا موسى) فقال: (هم أُولاء على أثري) إنهم لسائرون على أثري وسيلحقون بي عن قريب (وعجلت إليك ربّي لترضى) والسبب في عجلي هو أن أحصّل رضاك يا رّب. والظاهر أن المراد بالقوم وقد ذكر أنهم على أثره: هم السبعون رجلاً الذين اختارهم لميقات ربّه.

٨٥ . (قال فإنا قد فتنّا...) الفتنة: الامتحان والاختبار. فكأنه قيل: لا تكن واثقاً على ما خلّفتهم فيه فإنا قد فتنّاهم فضلّوا.

٨٦ . (فرجع إلى قومه...) فرجع موسى إلى قومه والحال أنه غضبان شديد الغضب . أو حزين . وأخذ يلومهم على ما فعلوا، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً . وهو أنْ ينزل عليهم التوراة فيها حكم الله وفي الأخذ بها سعادة دنياهم وأُخراهم . أو وعده تعالى أن ينجيهم من عدوّهم ويمكنهم في الأرض ويخصهم بنعمه العظام (أفطال عليكم العهد)

[٣١٤]

وهو مدّة مفارقة موسى إياهم حتى يكونوا آيسين من رجوعه فيختل النظم بينهم (أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربّكم) فطغوتم بالكفر به بعد الإيمان وعبدتم العجل (فاخلفتم موعدي) وتركتم ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي.

٨٧ . (قالوا ما اخلفنا...) ما خالفناك ونحن نملك من أمرنا شيئاً . كما قيل . ومن الممكن أن يكون المراد: أنّا لم نصرف في صوغ العجل شيئاً من أموالنا حتى نكون قاصدين لهذا الأمر. (ولكنا حملنا أوزاراً) لكن كانت معنا أثقال من زينة القوم، ولعل المراد به قوم فرعون، فطرحناها (فكذلك ألقى السامري) ألقى ما طرحناها في النار أو ألقى ما عنده كما ألقينا ما عندنا ممّا حملنا، فأخرج العجل.

٨٨ . (فاخرج لهم عجلاً...) الجسد: هو الجثة التي لا روح فيها. والخوار: صوت العجل. وضمير «نسي» قيل لموسى والمعنى: قالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى إلهه هذا وهو هنا وذهب يطلبه في الطور. وقيل الضمير للسامري والمراد به: نسيانه تعالى بعد ذكره والإيمان به أي نسي

السامري ربه فأتى بما أتى وأضل القوم.

٨٩ . (أفلا يرون إلاّ يرجع...) توبيخ لهم حيث عبدوه وهم يرون أنه لا يرجع قولاً بأن يستجيب لمن يدعوه، ولا يملك لهم ضراً فيدفعه عنهم ولا نفعاً بأن يجلبه ويوصله إليهم.

٩٠، ٩١ . (ولقد قال لهم هارون...) قال لهم نبيُّهم هارون إنه فتنة فتنوا به، وإن ربهم الرحمن عزّ إسمه، وأن من الواجب عليهم أن يتبعوه ويطيعوا أمره. فردّوا على هارون قائلين: لن نبرح ولن نزال عليه عاكفين أي ملازمين لعبادته حتى يرجع إلينا موسى فنرى ماذا يقول فيه وماذا يأمرنا به.

٩٢، ٩٣ . (قال يا هارون ما منعك...) قال موسى معاتباً لهارون: ما منعك عن اتباع طريقتي، وهو منعهم عن الضلال والشدة في جنب الله، أفعصيت أمري أن تتبعني، ولا تتبع سبيل المفسدين؟

٩٤ . (قال يابن أُمّ لا تأخذ...) أصله يابن أُمي وهي كلمة استرحام واسترآف قالها لاسكات غضب موسى، ويظهر من قوله: (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أنه أخذ بلحيته ورأسه غضباً ليضربه. (إنّي خشيت أن تقول فرقت...) تعليل لمحذوف يدل عليه اللفظ ومحصّله: لو كنت مانعتهم عن عبادة العجل لم يطعني إلاّ بعض القوم وأدى ذلك إلى تفرقهم فرقتين: مؤمن مطيع، ومشرك عاص فخشيت أن تقول [إذا ما] رجعت وشاهدت ما فيه القوم من التفرق والتحزب: فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي.

٩٥ . (قال فما خطبك...) الخطب: الأمر الخطير الذي يهمّك.

٩٦ . (قال بصرت بما لم...) الآية تتضمن جواب السامري عمّا سأله موسى عليه السلام.

---

٩٧ . (قال فاذهب فإن...) قضاء بطرده عن المجتمع بحيث لا يخالط القوم ولا يمس أحداً ولا يمسّه أحد بأخذ أو عطاء أو إيواء أو صحبة أو تكليم وغير ذلك. (وأن لك موعداً لن تخلفه) ظاهره أنه إخبار عن هلاكه في وقت عيّنه الله وقضاه قضاءً محتوماً، ويحتمل الدعاء عليه، وقيل: المراد به عذاب الآخرة. (وانظر إلى الهك) فيه دلالة على أنه كان اتخذه إلهاً له يعبده. (لنحرقنّه ثمّ لننسفنّه...) أقسم لنحرقنّه بالنار ثمّ لنذرينّه في البحر ذرواً.

٩٨ . (إنّما الهكم الله...) الظاهر أنه من تمام كلام موسى عليه السلام يخاطب به السامري وبني إسرائيل، وقد قرر بكلامه هذا توحّده تعالى في الوهيته فلا يشاركه فيها غيره من عجل أو أي شريك مفروض، وهو بسياقه من لطيف الاستدلال، فقد استدلّ فيه بأنه تعالى هو الله على أنه لا إله إلاّ هو، وبذلك على أنه لا غير إلههم.

٩٩ . (كذلك نقص عليك...) على هذا النحو قصصنا قصة موسى، وعلى شاكلته نقصُّ عليك من أخبار ما قد مضى من الحوادث والأُمم. (وقد آتيناك من لدنّا ذكرا) المراد به: القرآن الكريم أو ما

يشتمل عليه من المعارف المتنوعة.

١٠٠ . (من أعرض عنه...) من أعرض عن الذكر فإنه يحمل يوم القيامة ثقلاً عظيم الخطر.

١٠١ . (خالدين فيها...) المراد من خلودهم في الوزْر: خلودهم في جزائه وهو العذاب بنحو الكناية. (وساء لهم يوم القيامة حملاً) وبئس الحمل حملهم يوم القيامة.

[٣١٥]

١٠٢ . (يوم ينفخ في الصّور...) كناية عن الاحضار والدعوة. وعن الفرّاء أن المراد بكونهم زرقاً: كونهم عمياً لأن العين إذا ذهب نورها إزرق ناظرها، وهو معنى حسن.

١٠٣ . (يتخافتون بينهم...) التخافت: تكليم القوم بعضهم بعضاً بخفض الصوت. (إن لبثتم إلاّ عشراً) يقولون ما لبثتم في الدنيا قبل الحشر إلاّ عشرة أيام.

(٤٣٩/١)

---

١٠٤ . (نحن أعلم ما يقولون...) لنا إحاطة علمية بجميع ما يقولون في تقرير لبثهم إذ يقول أمثلهم طريقة، أي الأقرب منهم إلى الصدق: إن لبثتم في الأرض إلاّ يوماً لأن اللبث المحدود الأرضي لا مقدار له إذا قيس من اللبث الأبدي الخالد.

١٠٥ . ١٠٧ . (ويسألونك عن الجّبال...) تدل الآية على أنهم سألوه صلى الله عليه وآله عن حال الجبال يوم القيامة فاجيب عنه بالآيات (فقل ينسفها ربّي نسفاً) يذرأها ويثيرها فلا يبقى في مستقرها شيء. (فيذرها قاعاً صفصفا) فيتركها أرضاً مستوية ملساء لا شيء عليها. (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) لا يرى راء فيها منخفضاً كالأودية ولا مرتفعاً كالروابي والتلال.

١٠٨ . (يومئذ يتبعون الداعي...) ليس لهم إذا دعوا إلاّ الاتباع محضاً من غير أي توقف أو استنكاف أو تثبط أو مساهلة فيه. (وخشعت الأصوات للرّحمن) وانخفضت الأصوات لإستغراقهم في المذلّة والمسكنة لله فلا يسمع السامع إلاّ صوتاً خفياً.

١٠٩ . (يومئذ لا تنفع الشّفاعة...) نفي نفع الشفاعة: كناية عن أن القضاء بالعدل. (إلاّ من أذن له الرّحمن) الاستثناء يدل على أن العناية في الكلام متعلقة بنفي الشفعاء لا بتأثير الشفاعة في المشفوع لهم، والمراد الإذن في الكلام للشفاعة فإن التكلم يومئذ منوط بإذنه.

١١٠ . (يعلم ما بين أيديهم...) الآية تصف علمه تعالى بهم في موقف الجزاء، فيجزيهم بما فعلوا. (وعنت الوجوه) العنوة: هي الذلة قبال قهر القاهر. (وقد خاب من حمل ظلماً) المراد بهم المجرمون غير المؤمنين.

١١٢ . (ومن يعمل من الصّالحات...) بيان استطرادي لحال المؤمنين الصلحاء.

١١٣ . (وكذلك أنزلناه قرآناً...) وعلى ذلك النحو من البيان المعجز أنزلنا الكتاب والحال أنه قرآن مقروّ عربي وأتينا فيه ببعض ما أوعدناهم في صورة بعد صورة. (لعلّهم يتّقون أو يحدث لهم ذكراً) لعلهم يتحرزون المعاداة مع الحق لحصول الخشية في قلوبهم باحتمال الخطر، لاحتمال كونه حقاً، أو يحدث لهم ذكراً للحق فيعتقدوا به.

١١٤ . (فتعالى الله الملك...) تسبيح وتنزيه له عن كل ما لا يليق بساحة قدسه. (ولا تعجل بالقرآن) نهي عن العجل بقراءته. (من قبل أن يقضي إليك وحيه) من قبل أن يتم وحيه من ملك الوحي.

(وقل ربّي زدني علماً) يؤول المعنى إلى: أنك تعجل بقراءة ما لم ينزل بعد لأن عندك علماً به في الجملة، لكن لا تكتف به واطلب من الله علماً جديداً بالصبر واستماع بقية الوحي.

١١٥ . (ولقد عهدنا إلى آدم...) وأُقسم لقد وصينا آدم من قبل فترك الوصية، ولم نجد له قصداً جازماً إلى حفظها، أو صبراً عليها.

١١٦ . (وإذ قلنا للملائكة...) التقدير: أذكر عهدنا إليه واذكر وقتاً أمرنا الملائكة بالسجود له فسجدوا إلاّ إبليس، حتى يظهر أنه نسي ولم يعزم على حفظ الوصية.

١١٧ . (فقلنا يا آدم إن...) فلما أبى قلنا إرشاداً لآدم إلى ما فيه صلاح أمره ونصحاً: إنّ هذا الآبي عن السجدة . إبليس . عدو لك ولزوجك. (فلا يخرجنكما من الجنّة) لا تطعه أو لا تغفل عن كيده وتسويله حتى يتسلط عليكما ويقوى على إخراجكما من الجنّة.

١١٨، ١١٩ . (إنّ لك أن لا تجوع...) في الترتيب: أن لا تجوع فيها ولا تظمأ ولا تعرى ولا تضحى.

١٢٠ . (فوسوس إليه الشّيطان...) المراد بشجرة الخلد: الشجرة المنهية. والبلى: صيرورة الشيء خلقاً خلاف الجديد. فيؤول المعنى إلى نحو قولنا: هل ادلّك على شجرة ترزق بأكل ثمرتها حياة خالدة وملكاً دائماً.

١٢١ . (فأكلا منها فبدت...) تقدّم تفسيره في سورة الأعراف. (وعصى آدم ربّه...) إنّما هي معصية أمر ارشادي

[٣١٦]

لا مولوي، والأنبياء عليه السلام معصومون من المعصية والمخالفة في أمر يرجع إلى الدين.

١٢٢ . (ثمّ اجتباه ربّه...) الآية تدل على إعطاء العصمة له.

١٢٣ . (قال اهبطا منها...) تقدم تفسير مثله في سورتي البقرة والأعراف. (فامّا يأتينّكم منِّي هدىً...) في الآية قضاء منه تعالى متفرع على الهبوط. (فلا يضلّ ولا يشقى) لا يضل في طريقه ولا يشقى في غايته التي هي عاقبة أمره.

١٢٤ . (ومَن اعرض عن...) الضنك: هو الضيق من كل شيء. (فان له معيشة ضنكا) ضيقة. وذلك إن من نسي ربّه وانقطع عن ذكره لم يبق له إلاّ أنْ يتعلق بالدنيا ويجعلها مطلوبه الوحيد الذي يسعى له ويهتم بإصلاح معيشته والتوسع فيها والتمتع منها، فهو دائماً في ضيق صدر وحنق ممّا وجد متعلق القلب بما وراءه. (ونحشره يوم القيامة أعمى) بحيث لا يهتدي إلى ما فيه سعادته وهو الجنّة.

١٢٥ . (قال ربّ لم حشرتني...) النظام الحاكم في الدنيا لا دليل على عمومه للنظام الأخروي، فمن الجائز أن يتبعّض الأمر هناك فيكون المجرم أعمى لا يبصر ما فيه سعادة حياته وفلاحه وفوزه بالكرامة، وهو يشاهد ما يتم به الحجّة عليه وما يفزعه من أهوال القيامة وما يشتد به العذاب عليه من النار وغيرها.

١٢٦ . (قال كذلك أتتك...) إن حشرك اليوم أعمى وتركك لا تبصر شيئاً مثل تركك آياتنا في الدنيا وبعبارة أخرى إنّما جازيناك في هذا اليوم بمثل ما فعلت في الدنيا.

١٢٧ . (وكذلك نجزي من...) الإشارة إلى ما تقدم من مؤاخذة من أعرض عن ذكر الله ونسي آيات ربِّه، فانه تجاوز منه عن حد العبودية وكفر بآيات ربه، فجزاؤه جزاء من نسي آيات ربه وتركها بعد ما عهد إليه، معرضاً عن ذكره. (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) من عذاب الدنيا.

(٤٤٢/١)

---

١٢٨ . (أفلم يهد لهم كم...) أفلم يبيّن لهم طريق الاعتبار والإيمان بالآيات، كثرة إهلاكنا القرون التي كانت قبلهم وهم يمشون في مساكنهم، كما كان يمر أهل مكة في أسفارهم بمساكن عاد باحقاف اليمن ومساكن ثمود وأصحاب الأيكة. (إنّ في ذلك لآيات لأُولي النهى) أرباب العقول.

١٢٩ . (ولولا كلمة سبقت...) لولا أن الكلمة التي سبقت من ربّك . وفي إضافة الرب إلى ضمير الخطاب اعزاز وتأييد للنبيّ صلى الله عليه وآله تقضي بتأخير عذابهم، والأجل المسمّى يعين وقته في ظرف التأخير، لكان الهلاك ملازماً لهم بمجرّد الاسراف والكفر.

١٣٠ . (فاصبر على ما يقولون...) كأنه قيل: إذا كان من قضاء الله أن يؤخر عذابهم ولا يعاجلهم بالانتقام على ما يقولون، فلا يبقى لك إلاّ أن تصبر راضياً على ما قضاه الله من الأمر وتنزهه عما يقولونه، وتحمده على ما تواجهه من آثار قضائه، فليس إلاّ الصبر الجميل، فاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربّك لعلّك ترضى.

١٣١ . (ولا تمدَّنَّ عينيك...) لا تطل النظر إلى زينة الحياة الدنيا وبهجتها التي متعنا بها أصنافاً أو أزواجاً معدودة منهم لنمتحنهم فيما متّعناهم به، والذي سيرزقك ربّك في الآخرة خير وأبقى.
١٣٢ . (وأمر أهلك بالصّلاة...) المراد بقوله (أهلك) بحسب انطباقه على وقت النزول: خديجة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وكان من أهله وفي بيته، أو هما وبعض بنات النبيّ صلى الله عليه وآله. (لا نسألك رزقاً نحن نرزقك) كناية عن أنّا في غنىً منك وأنت المحتاج المفتقر إلينا.
١٣٣ . (وقالوا لولا يأتينا...) حكاية قول مشركي مكة، وإنّما قالوا هذا تعريضاً للقرآن أنه ليس بآية دالّة على النبوّة، فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون. والبيّنة: الشاهد المبين أو البيّن وقيل: هو البيان.

---

١٣٤ . (ولو أنّا اهلكناهم...) ولو أنّا أهلكناهم لإسرافهم وكفرهم بعذاب من قبل أن تأتيهم البينة، لم تتم عليهم الحجّة ولكانت الحجّة لهم علينا، ولقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك وهي التي تدل عليها البينة، من قبل أنْ نذل بعذاب الاستئصال ونخزى.
١٣٥ . (قل كل متربص...) كل منا ومنكم متربص منتظر، فنحن ننتظر ما وعده الله لنا فيكم وفي تقدّم دينه وتمام نوره، وأنتم تنتظرون بنا الدوائر لتبطلوا الدعوة الحقة، وكل منا ومنكم يسلك سبيلاً إلى مطلوبه، فتربصوا وانتظروا فستعلمون أي طائفة منا ومنكم أصحاب الطريق المستقيم.
«سورة الأنبياء»
بسم الله الرّحمن الرّحيم
١ . (إقترب للنّاس حسابهم...) إقترب للناس حساب أعمالهم، والحال أنهم في غفلة مستمرة أو عظيمة، معرضون عنه باشتغالهم بشواغل الدنيا وعدم التهيؤ له بالتوبة والإيمان والتقوى.
٢ . (ما يأتيهم من ذكر...) المراد بالذكر: ما يذكر به الله سبحانه من وحي إلهي كالكتب السماوية ومنها القرآن الكريم. والمراد بإتيانه لهم: نزوله على النبيّ وإسماعه وتبليغه. ومحدث: بمعنى جديد.
٣ . (...وأسروا النجوى...) إسرار النجوى: المبالغة في كتمان القول وإخفائه. (هل هذا إلاّ بشر مثلكم...) هو الذي تناجوا به، وقد كانوا يصرحون بتكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله ويعلنون بأنه بشر وأن القرآن سحر من غير أن يخفوا شيئاً من ذلك، لكنهم إنّما أسرّوه في نجواهم إذ كان ذلك منهم شورى يستشير بعضهم فيه بعضاً ماذا يقابلون به النبيّ صلى الله عليه وآله ويجيبون عمّا يسألهم من الايمان بالله وبرسالته.
٤ . (قال ربّي يعلم...) انه تعالى محيط علماً بكل قول سراً أو جهراً وفي أي مكان، وهو السميع لأقوالكم العليم بأفعالكم فالأمر إليه وليس لي من الأمر شيء.

٥ . (بل قالوا اضغاث...) تدرج منهم في الرمي والتكذيب: (فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) المراد بالأولين: الأنبياء الماضون، أي فليأتنا بآية كما أتي الأولون من الآيات مثل الناقة والعصا واليد البيضاء.

٦ . (ما آمنت قبلهم من...) انهم كاذبون في وعدهم ولو أنزلنا شيئاً ممّا اقترحوه من آيات الأولين لم يؤمنوا بها، فإن الأوّلين من أهل القرى اقترحوها فأنزلناها فلم يؤمنوا بها فاهلكناهم.

٧ . (وما أرسلنا قبلك...) جواب عما احتجوا به على نفي نبوته صلى الله عليه وآله بأن الماضين من الأنبياء لم يكونوا إلاّ رجالاً.

٨ . (وما جعلناهم جسداً...) هم رجال من البشر وما سلبنا عنهم خواص البشرية بأن نجعلهم جسداً خالياً من روح الحياة لا يأكل ولا يشرب، ولا عصمناهم من الموت فيكونوا خالدين.

٩ . (ثمّ صدقناهم الوعد...) ما وعدناهم من النصرة واعلاء كلمتهم كلمة الحق. (فانجيناهم ومن نشاء) الرسل والمؤمنين. والمسرفون هم المشركون المتعدون طور العبودية.

١٠ . (لقد أرسلنا إليكم...) امتنان منه تعالى بإنزال القرآن على هذه الأُمّة.

١١ . ١٥ . (وكم قصمنا من قرية...) أهلكنا (من قرية) أي أهلها (كانت ظالمة) لنفسها بالاسراف والكفر (وأنشأنا) وأوجدنا (قوماً آخرين فلمّا أحسوا) ووجدوا بالحس أي أهل القرية الظالمة (بأسنا) وعذابنا (إذا هم منها يركضون) ويعدون هاربين كالمنهزمين فيقال لهم توبيخاً وتقريعاً (لا تركضوا منها وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه) من النعم (ومساكنكم) وإلى مساكنكم (لعلّكم تسألون) أي لعل المساكين وأرباب الحوائج يهجمون عليكم بالسؤال. (قالوا) تندّماً (يا ويلنا إنا كنّا ظالمين فما زالت تلك) وهي كلمتهم يا ويلنا المشتملة على الاعتراف بربوبيته تعالى وظلم أنفسهم (دعواهم حتّى جعلناهم حصيداً) محصوداً مقطوعاً (خامدين) ساكنين ساكتين.

١٦، ١٧ . (وما خلقنا السّماء والأرض...) إن هناك معاداً سيحاسب فيه الناس، ولولا ذلك لكانت الخلقة عبثاً، وكان الله سبحانه لاعباً لاهياً بها، تعالى عن ذلك.

[٣١٨]

١٨ . (بل نقذف بالحق...) ما خلقنا العالم لعباً أو لم نرد اتخاذ اللهو، بل سنتنا أن نرمي بالحق على الباطل رمياً بعيداً فيهلكه فيفاجئه الذهاب والتلف.

١٩، ٢٠ . (وله من في السّماوات...) ان ملكه تعالى عام شامل لجميع من في السماوات والأرض. والمراد بقوله (ومن عنده) المخصوصون بموهبة القرب والحضور وربما انطبق على الملائكة المقرَّبين، وقوله: (يسبِّحون اللّيل والنّهار لا يفترون) بمنزلة التفسير لقوله: (ولا يتحسّرون) أي لا يَأخذهم عي وكلال، بل يسبحون الليل والنهار من غير فتور. والتسبيح بالليل والنهار كناية عن دوام التسبيح من غير انقطاع.

٢١ . (أم اتّخذوا آلهة...) الانشار: إحياء الموتى فالمراد به المعاد. وتقييد قوله: (أم اتخذوا آلهة) بقوله: (في الأرض) قيل: ليشير به إلى أنهم إذا كانوا من الأرض كان حكمهم حكم عامة أهل الأرض من الموت ثمّ البعث فمن الذي يميتهم ثمّ يبعثهم؟

٢٢ . (لو كان فيهما آلهة...) تقرير حجة الآية أنه لو فرض للعالم آلهة فوق الواحد لكانوا مختلفين ذاتاً متباينين حقيقة وتباين حقائقهم يقضي بتباين تدبيرهم فتتفاسد التدبيرات وتفسد السماء والأرض.

٢٣ . (لا يُسأل عما يفعل...) الضمير في لا يسأل له تعالى والضمير في (وهم يسألون) للآلهة الذين يدعونهم، فهم المسؤولون والله سبحانه لا يُسأل عن فعله.

(٤٤٦/١)

---

٢٤ . (أم اتّخذوا من دونه...) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لهؤلاء المتّخذين الآلهة من دون الله هاتوا برهانكم على دعواكم فان الدعوى التي لا دليل عليها لا تسمع ولا يجوز عقلاً أن يركن إليها، والذي استند إليه في طلب الدليل أن الكتب السماوية النازلة من عند الله سبحانه لا توافقكم على ما ادّعيتم، بل تخالفكم فيه، فما في القرآن من الوحي النازل عليّ وهو ذكر من معي والوحي النازل على من سبقني من الأنبياء وهو ذكر من قبلي في أمر عبادة الاله يحصر الالوهيّة والعبادة فيه تعالى.

٢٥ . (وما أرسلنا من قبلك...) تثبيت لما قيل في الآية السابقة إن الذكر، يذكر توحيده ووجوب عبادته.

٢٦ . (وقالوا اتّخذ الرّحمن...) ظاهر السّياق يشهد أنه حكاية قول الوثنيين إن الملائكة أولاده سبحانه. فالمراد بالعباد المكرمين: الملائكة.

٢٧ . (لا يسبقونه بالقول...) يعملون بأمره لا بغير أمره، وبعبارة أُخرى ارادتهم وعملهم تابعان لارادته فلا يريدون إلاّ ما أراد ولا يعملون إلاّ ما أراد وهو كمال العبودية.

٢٨ . (يعلم ما بين أيديهم...) إنّما أكرم الله ذواتهم وحمد آثارهم، لأنه يعلم اعمالهم وأقوالهم وهي ما بين أيديهم، ويعلم السبب الذي به وجدوا والأصل الذي عليه نشأوا وهو ما خلفهم. (ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى) إنما يشفعون لمن ارتضاه الله، والمراد به: إرتضاء دينه.

٢٩ . (ومن يقل منهم إني...) من قال كذا كان ظالماً ونجزيه جهنم لأنها جزاء الظالم.
٣٠ . (أَوَ لَم يَرَ الّذين...) المراد بالرؤية: العلم الفكري. والرتق والفتق: معنيان متقابلان.
٣١ . (وجعلنا في الأرض...) وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت لئلا تميل وتضطرب الأرض بهم، وجعلنا في تلك الجبال طرقاً واسعة هي سبل، لعلهم يهتدون منها إلى مقاصدهم ومواطنهم.

(٤٤٧/١)

---

٣٢ . (وجعلنا السّماء سقفاً...) كأن المراد بكون السماء محفوظة: حفظها من الشياطين. والمراد بآيات السماء: الحوادث المختلفة السماوية التي تدل على وحدة التدبير واستناده إلى موجدها الواحد.
٣٣ . (وهو الّذي خلق...) بيان الأوضاع والأحوال الحادثة بالنسبة إلى الأرض وفي جوها.
٣٤ . (وما جعلنا لبشر من...) يلوح من الآية أنهم كانوا يسلّون أنفسهم بأن النبيّ صلى الله عليه وآله سيموت فيتخلصون من
[٣١٩]
دعوته، فاجاب عنه: بأنا لم نجعل لبشر من قبلك الخلد حتى يتوقع ذلك لك، بل إنك ميت وإنهم ميتون، ولا ينفعهم موتك شيئاً.
٣٥ . (كل نفس ذائقة الموت...) المراد بالنفس في قوله: (كل نفس ذائقة الموت) الإنسان دون الروح الإنساني إذ لم يعهد نسبة الموت إلى الروح في كلامه تعالى حتى تحمل عليه. (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ونمتحنكم بما تكرهونه من مرض وفقر ونحوه وما تريدونه من صحة وغنى ونحوهما إمتحاناً، كأنه قيل: نحيي كلاً منكم حياة محدودة مؤجلة
ونمتحنكم فيها بالشر والخير إمتحاناً ثمّ إلى ربّكم ترجعون فيقضي عليكم ولكم.
٣٦ . (وإذا رآك الّذين...) إذا رآك الذين كفروا وهم المشركون، ما يتخذونك ولا يعاملون معك إلاّ بالهزء والسخرية، قائلين بعضهم لبعض: أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء، فيأنفون لآلهتهم حيث تذكرها، والحال أنهم بذكر الرحمن كافرون ولا يعدونه جرماً ولا يأنفون له.
٣٧ . (خلق الإنسان من عجل...) كناية عن بلوغ الانسان في العجل كأنه خلق من عجل ولا يعرف سواه، والكلام وارد مورد التعجيب. (سأُريكم آياتي فلا تستعجلون) المراد بإراءة الآيات: تعذيبهم بنار جهنم.
٣٨ . (ويقولون متى هذا الوعد...) القائلون هم الذين كفروا والمخاطبون هم النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنون. والوعد: هو ما اشتملت عليه الآية السابقة وتفسره الآية اللاحقة.

(٤٤٨/١)

٣٩ . (لو يعلم الّذين كفروا...) ليت الذين كفروا يعلمون الوقت الذي لا يدفعون النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم، لا باستقلال من أنفسهم ولا هم ينصرون في دفعها.

٤٠ . (بل تأتيهم بغتة...) لا يدفعون النار عن وجوههم وظهورهم بل تأتيهم من حيث لا يشعرون بها ولا يدرون، فتكون مباغتة لهم فلا يستطيعون ردّها ولا يمهلون في إتيانها.

٤١ . (ولقد استهزئ برسل...) الحيق: الحلول والمراد بما كانوا به يستهزئون: العذاب وفي الآية تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله وتخويف وتهديد للذين كفروا.

٤٢ . (قل من يكلأكم...) إسألهم من الذي يحفظهم من الرحمن إن أراد أن يعذبهم. (بل هم عن ذكر ربّهم) أي القرآن (معرضون) فلا يعتنون به ولا يريدون أن يصغوا إليه إذا تلوته عليهم.

٤٣ . (أم لهم آلهة تمنعهم...) بل اسألهم: ألهم آلهة من دوننا تمنعهم منّا. (ولا يستطيعون نصر أنفسهم) التقدير: ليس لهم آلهة كذلك لأنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم بأن ينصر بعضهم بعضاً ولا هم منّا يجارون ويحفظون، فكيف ينصرون عبادهم من المشركين أو يجيرونهم.

٤٤ . (بل متعنا هؤلاء...) بل متعنا هؤلاء المشركين وآباءهم ودام لهم التمتع حتى طال عليهم العمر فاغتروا بذلك ونسوا ذكر الله وأعرضوا عن عبادته. (أفلا يرون أنا نأتي الأرض...) أفلا يرون أن الأرض تنقص منها أُمة بعد أمة بالانقراض بأمر الله فماذا يمنعه أن يهلكهم، أفهم الغالبون إن أرادهم الله سبحانه بضر أو هلاك وانقراض.

٤٥ . (قل إنّما أُنذركم...) إن الذي انذركم به وحي إلهي لا ريب فيه، وإنما لا يؤثر فيكم أثره وهو الهداية، لأن فيكم صمماً لا تسمعون الأنذار، فالنقص في ناحيتكم لا فيه.

٤٦ . (ولئن مستهم نفحة...) النفحة: الوقعة من العذاب، والمراد: أن الانذار بآيات الذكر لا ينفعهم، بل هؤلاء

يحتاجون إلى نفحة من العذاب حتى يضطروا فيؤمنوا ويعترفوا بظلمهم.

٤٧ . (ونضع الموازين القسط...) القسط: العدل، والتقدير: الموازين ذوات القسط. (وإن كان مثقال حبّة) وإن كان العمل الموزون مقدار حبّة من خردل في ثقله أتينا بها وكفى بنا حاسبين. وحبّة الخردل يضرب بها المثل في دقتها وصغرها وحقارتها.

٤٨ . (ولقد آتينا موسى...) المراد بالفرقان والضياء والذكر: التوراة، آتاها الله موسى وأخاه هارون

شريكه في النبوّة.

٥٠ . (وهذا ذكر مبارك...) الإشارة بهذا إلى القرآن، وإنما سمّي ذكراً مباركاً لأنه ثابت دائم كثير البركات، ينتفع به المؤمن والكافر في المجتمع البشري، وتتنعم به الدنيا سواء عرفته أو انكرته، أقرت بحقه أو جحدته.

٥١ . (ولقد آتينا إبراهيم...) وأُقسم لقد أعطينا إبراهيم ما يستعد له ويليق به من الرشد وإصابة الواقع وكنا عالمين بمبلغ إستعداده ولياقته.

٥٢ . (إذ قال لأبيه وقومه...) يريد عليه السلام بهذه التماثيل: الأصنام التي كانوا نصبوها للعبادة وتقريب القرابين. وكان سؤاله عن حقيقتها ليعرف ما شأنها.

٥٣ . (قالوا وجدنا آباءنا...) جواب القوم. ولما كان سؤاله عليه السلام عن حقيقة الأصنام راجعاً بالحقيقة إلى سؤال السبب لعبادتهم إيّاها، تمسكوا في التعليل بذيل السنة القومية، فذكروا ان ذلك من سنة آبائهم وجدودهم يعبدونها.

٥٤ . (قال لقد كنتم...) كونهم في ضلال مبين ما سيورده في محاجّة القوم بعد كسر الأصنام من قوله: (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم).

٥٥ . (قالوا أجئتنا بالحق...) سؤال تعجب واستبعاد، وهو شأن المقلد التابع من غير بصيرة إذا صادف إنكاراً لما هو فيه، ولذا سألوه أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. أي أتقول ما تقوله جداً أم تلعب به؟

---

٥٦ . (قال بل ربّكم...) رد لمذهبهم في الالوهية بجميع جهاته، وإثبات أن لا إله إلاّ الله وهو التوحيد. ثمّ كشف عليه السلام بقوله: (وأنا على ذلكم من الشّاهدين) عن انه معترف مقر بما قاله ملتزم بلوازمه وآثاره، شاهد عليه شهادة إقرار والتزام.

٥٧ . (وتالله لأكيدنّ أصنامكم...) الكيد: التدبير الخفي على الشيء بما يسوؤه، وفي قوله: (بعد أن تولوا مدبرين) دلالة على أنهم كانوا يخرجون من البلد أو من بيت الأصنام أحياناً لعيد كان لهم، أو نحوه فيبقى الجو خالياً.

٥٨ . (فجعلهم جذاذاً إلاّ...) فجعل الأصنام قطعاً مكسورة إلاّ صنماً كبيراً من بينهم.

٥٩ . (قالوا من فعل هذا...) إستفهام بداعي التأسف وتحقيق الأمر للحصول على الفاعل.

٦٠ . (قالوا سمعنا فتىً...) سمعنا فتىً يذكر الآلهة بالسوء، فإن يكن فهو الذي فعل هذا بهم.

٦١ . (قالوا فأتوا به...) المراد: احضاره في مجمع من الناس ومرآهم وكأن المراد بشهادتهم: أن يشهدوا عليه بأنه كان يذكرهم بالسوء، فيكون ذلك ذريعة إلى أخذ الاقرار منه بالجذ والكسر.

٦٢ . (قالوا أ أَنَت فعلت...) الاستفهام . كما قيل . للتقرير بالفاعل. وفي قولهم (بآلهتنا) تلويح إلى أنهم ما كانوا يعدونه من عبدة الأصنام.

٦٣ . (قال بل فعله كبيرهم...) قال: بل شاهد الحال وهو صيرورة الجميع جذاذاً وبقاء كبيرهم سالماً، يشهد أن قد فعله كبيرهم هذا. (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) أمر بأن يسألوا الأصنام عن حقيقة الحال وأن الذي فعل بهم هذا من هو؟ فيخبروهم به إنْ كانوا ينطقون.

٦٤ . (فرجعوا إلى أنفسهم...) إستعارة بالكناية عن تنبههم وتفكرهم في أنفسهم، (فقالوا إنّكم أنتم الظّالمون) قال كل لنفسه مخاطباً لها: إنك أنت الظالم حيث تعبد جماداً لا ينطق.

٦٥ . (ثمّ نكسوا على...) كناية أو إستعارة بالكناية عن قلبهم الباطل على مكان الحق الذي ظهر لهم فرفعوا الباطل

[٣٢١]

(٤٥١/١)

وهو كون إبراهيم ظالماً، على الحق وهو كونهم هم الظالمين. (لقد علمت...) أن دفاعك عن نفسك برمي كبير الأصنام بالفعل وهو الجذ وتعليق ذلك باستنطاق الآلهة مع العلم بأنهم لا ينطقون، دليل على أنك أنت الفاعل الظالم.

٦٦ . (قال أفتعبدون من...) أتم الحجة عليهم في كون أصنامهم غير مستحقة للعبادة.

٦٧ . (أُفّ لكم ولما تعبدون...) تزجر وتبر منهم ومن آلهتهم بعد إبطال أُلوهيتها.

٦٨ . (قالوا حرِّقوه وانصروا...) قضوا عليه بثبوت الجرم وأن جزاءه أن يحرق بالنار. ولذلك قالوا: حرّقوه وانصروا آلهتكم بتعظيم أمرهم ومجازاة من أهانهم.

٦٩ . (قلنا يا نار كوني...) خطاب تكويني للنار تبدلت به خاصة حرارتها وإحراقها وإفنائها، برداً وسلاماً بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام على طريق خرق العادة.

٧٠ . (وأرادوا به كيداً...) إحتالوا عليه ليطفئوا نوره ويبطلوا حجّته فجعلناهم الأخسرين، حيث خسروا ببطلان كيدهم وعدم تأثيره وزادوا خسارة حيث أظهره الله عليهم بالحفظ والإنجاء.

٧١ . (ونجّيناه ولوطاً إلى...) الأرض المذكورة هي أرض الشام التي هاجر إليها إبراهيم، ولوط أوّل من آمن به وهاجر معه.

٧٢ . (ووهبنا له إسحاق...) النافلة: العطيّة.

٧٣ . (وجعلناهم أئمة يهدون...) الظاهر رجوع الضمير في (جعلناهم) إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأنهم مؤيدون بروح القدس والطهارة مسددون بقوة ربانية تدعوهم إلى فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهي الإنفاق المالي الخاص بشريعتهم.

٧٤، ٧٥ . (ولوطاً آتيناه حكماً...) الحكم بمعنى فصل الخصومات، أو بمعنى الحكمة. والقرية التي كانت تعمل الخبائث: سدوم التي نزل بها لوط في مهاجرته مع إبراهيم عليهما السّلام. والمراد بالخبائث: الأعمال الخبيثة، والمراد بالرحمة: ألولاية أو النبوة.

(٤٥٢/١)

٧٦، ٧٧ . (ونوحاً إذ نادى من...) واذكر نوحاً إذ نادى ربه قبل إبراهيم ومن ذكر معه، فاستجبنا له. ونداؤه ما حكاه سبحانه من قوله: (رب إني مغلوب فانتصر). والمراد باهله: خاصته إلاّ امرأته وابنه الغريق، والكرب: الغم الشديد.

٧٨، ٧٩ . (وداود وسليمان إذ...) واذكر داود وسليمان حين (يحكمان في الحرث) حين (نفشت فيه غنم القوم) أي تفرقت فيه ليلاً وأفسدته (وكنا لحكمهم) لحكم الأنبياء (شاهدين) حاضرين نرى ونسمع ونوقفهم على وجه الصواب فيه (ففهمناها) الحكومة والقضية (سليمان وكلاً) من داود وسليمان (آتينا حكماً وعلماً). (وسخّرنا مع داود...) معنى تسخير الجبال والطير مع داود يسبحن معه: أن لهما تسبيحاً في نفسهما.

٨٠ . (وعلّمناه صنعة لبوس...) علمناه كيف يصنع لكم الدرع لتحرزكم وتمنعكم شدة وقع السلاح.

٨١ . (ولسليمان الرِّيح عاصفة...) وسخرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، وهي أرض الشام التي كان يأوي فيها سليمان وكنا عالمين بكل شيء.

[٣٢٢]

٨٢ . (ومن الشّياطين من يغوصون...) كان الغوص لاستخراج البحر من اللآلئ وغيرها. والمراد بالعمل الذي دون ذلك: ما ذكره بقوله: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) سبأ: ١٣، والمراد بحفظ الشياطين: حفظهم في خدمته ومنعهم من أن يهربوا أو يمتنعوا أو يفسدوا عليه الأمر.

٨٣، ٨٤ . (وأيّوب إذ نادى...) شملته عليه السلام البلية فذهب ماله ومات أولاده وابتلي في بدنه بمرض شديد مدة مديدة، ثمّ دعا الله وشكا إليه حاله فاستجاب الله له ونجّاه من مرضه وأعاد عليه ماله وولده، (ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) ليتذكروا ويعلموا أن الله يبتلي أولياءه إمتحاناً منه لهم ثمّ يؤتيهم أجرهم ولا يضيع أجر المحسنين.

(٤٥٣/١)

٨٥، ٨٦ . (وإسماعيل وإدريس...) أما إدريس عليه السلام فقد تقدمت قصته في سورة مريم، وأما إسماعيل فستجيء قصته في سورة الصافات، وتأتي قصة ذي الكفل في سورة ص إن شاء الله تعالى.

٨٧ . (وذا النّون إذ ذهب...) النون: الحوت. وذو النون هو يونس النبيّ إبن متى صاحب الحوت الذي بعث إلى أهل نينوى فدعاهم فلم يؤمنوا فسأل الله أن يعذبهم، فلما أشرف عليهم العذاب تابوا وآمنوا، فكشفه الله عنهم، ففارقهم يونس فابتلاه الله أن ابتلعه حوت فنادى ربّه، فكشف عنه وأرسله ثانياً إلى قومه. (أن لا إله إلاّ أنت سبحانك) تبر: منه عليه السلام مما كان يمثله ذهابه لوجهه ومفارقته قومه من غير أن يؤمر. (إنِّي كنت من الظّالمين) اعتراف بالظلم من حيث إنه أتى بعمل كان يمثل الظلم، وإن لم يكن ظلماً في نفسه ولا هو عليه السلام قصد به الظلم والمعصية، غير أن ذلك كان تأديباً منه تعالى وتربية لنبيه.

٨٨ . (فاستجبنا له ونجّيناه...) إستجاب الله له، ونجّاه من الغم وهو الكرب الذي نزل به. (وكذلك ننجي المؤمنين) وعد بالانجاء لمن ابتلي من المؤمنين بغم ثمّ نادى ربه بمثل ما نادى به يونس عليه السلام.

٨٩ . (وزكريّا إذ نادى...) واذكر زكريّا حين نادى ربه يسأل ولدا. والمراد بتركه فردا: أن يترك ولا ولد له يرثه.

٩٠ . (فاستجبنا له ووهبنا...) ظاهر الكلام ان المراد باصلاح زوجه: جعلها شابة ولوداً بعد ما كانت عاقراً. (إنهم كانوا يسارعُون) أنعمنا عليهم لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات من الأعمال ويدعوننا رغبة في رحمتنا أو ثوابنا، ورهبة من غضبنا أو عقابنا، أو يدعوننا راغبين راهبين، وكانوا لنا خاشعين بقلوبهم.

٩١ . (والّتي أحصنت فرجها...) المراد بالتي أحصنت فرجها: مريم إبنة عمران. (فنفخنا فيها من روحنا) كناية عن عدم استناد ولادة عيسى عليه السّلام إلى العادة الجارية.

---

٩٢ . (إنّ هذه أُمّتكم أُمّة...) إن هذا النوع الانساني، أُمتكم معشر البشر وهي أُمّة واحدة وأنا . الله الواحد عزّ اسمه . ربّكم إذ ملكتكم ودبرت أمركم فاعبدوني لا غير.

٩٣ . (فتقطّعوا أمرهم بينهم...) نوع تقريع للناس وذم لاختلافهم في الدين وتركهم الأمر الإلهي أن يعبدوه وحده. (كل إلينا راجعون) فيه بيان أن اختلافهم في أمر الدين لا يترك سدى بل هؤلاء راجعون إلى الله جميعاً وهم مجزيون حسب ما اختلفوا.

٩٤ . (فمن يعمل من الصّالحات...) من يعمل منهم شيئاً من الأعمال الصالحات. وقد قيد عمل

بعض الصالحات بالإيمان، إذ قال: (وهو مؤمن) فلا أثر للعمل الصالح بغير الإيمان (فلا كفران لسعيه) لا ستر على ما عمله من
[٣٢٣]
الصالحات. (وإنّا له كاتبون) مثبتون في صحائف الأعمال إثباتاً لا ينسى معه.
٩٥ . (وحرام على قرية...) والقرية التي لم تعمل من الصّالحات وانجر أمرها إلى الاهلاك، ممتنع عليهم أن يرجعوا فيتداركوا ما فاتهم من السعي المشكور والعمل المكتوب المقبول.
٩٦ . (حتّى إذا فتّحت...) لا يزال الأمر يجري هذا المجرى نكتب الأعمال الصالحة للمؤمنين ونشكر سعيهم ونهلك القرى الظالمة ونحرم رجوعهم بعد الهلاك، إلى الزمان الذي يفتح فيه يأجوج ومأجوج سدهم أو طريقهم المسدود، وهم أي يأجوج ومأجوج يخرجون إلى سائر الناس من ارتفاعات الأرض مسرعين نحوهم، وهو من أشراط الساعة.
٩٧ . (واقترب الوعد الحق...) المراد بالوعد الحق: الساعة. (يا ويلنا إنّا كنّا في غفلة...) حكاية قول الكفار إذا شاهدوا الساعة بغتة، فدعوا لأنفسهم بالويل مدعين أنهم غفلوا عمّا يشاهدونه، كأنهم أُغفلوا إغفالاً ثمّ اضربوا عن ذلك بالاعتراف بأن الغفلة لم تنشأ إلاّ عن ظلمهم بالإشتغال بما ينسى الآخرة.
٩٨ . (إنّكم وما تعبدون من...) الحصب: الوقود. (أنتم لها واردون) ظاهر السّياق أن الخطاب شامل للكفار والآلهة جميعاً، أي أنتم وآلهتكم تردون جهنم أو تردون إليها.

---

٩٩ . (لو كان هؤلاء آلهة...) تفريع واظهار لحقيقة حال الآلهة التي كانوا يعبدونها لتكون لهم شفعاء، وقوله: (وكلّ فيها خالدون) أي كل منكم ومن الآلهة.
١٠٠ . (لهم فيها زفير...) كونهم لا يسمعون: جزاء عدم سمعهم في الدنيا كلمة الحق.
١٠١ . (إنّ الّذين سبقت...) الحسنى: مؤنث أحسن والتقدير العدّة أو الموعدة الحسنى بالنجاة أو بالجنّة.
١٠٢، ١٠٣ . (لا يسمعون حسيسها...) الحسيس: الصوت الذي يحس به. والفزع الأكبر: الخوف الأعظم، وقد أخبر سبحانه عن وقوعه في نفخ الصور. (وتتلقاهم الملائكة) بالبشرى وهي قولهم: (هذا يومكم الّذي كنتم توعدون).
١٠٤ . (يوم نطوي السّماء...) المراد: أن السجل إذا طوي إنطوى بطيه الكتاب، فغاب بذلك ولم يظهر منه عين ولا أثر، كذلك السماء تنطوي بالقدرة الالهية فتغيب ولا يظهر منها عين ولا أثر. (وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين) أي وعد الزمنا ذلك ووجب علينا الوفاء به.
١٠٥ . (ولقد كتبنا في الزبور...) الظاهر أن المراد بالزبور كتاب داود عليه السلام. والمراد بالذكر

قيل: هو التوراة وقيل: هو القرآن. (أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون) المراد من وراثة الأرض: انتقال التسلط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم.

١٠٦ . (إنّ في هذا لبلاغاً...) البلاغ: هو الكفاية، والمعنى: أن فيما بيّناه في السورة كفاية لقوم عابدين إن أخذوه وعملوا به كفاهم وبلغوا بذلك بغيتهم.

١٠٧ . (وما أرسلناك إلاّ رحمة...) إنك رحمة مرسلة إلى الجماعات البشرية كلهم وذلك مقتضى عموم الرسالة.

١٠٨ . (قل إنّما يوحى إليّ...) إن ما يوحى إليّ من الدين ليس إلاّ التوحيد وما يتفرّع عليه وينحل إليه.

(٤٥٦/١)

١٠٩، ١١٠ . (فإن تولّوا فقل آذنتكم...) الايذان كثيراً ما يتضمّن معنى التحذير والانذار. والمعنى فإن أعرضوا عن دعوتك وتولوا عن الإسلام لله بالتوحيد فقل: أعلمتكم أنكم على خطرها لكونكم مساوين في الإعلام أو في الخطر. (وإن أدري أقريب...) كأنه قيل: إنهم يستحقون العذاب باظهارهم القول في هذه الدعوة الالهية وإضمارهم المكر عليه فهددهم به، لكن لما كنت لا تحيط بظاهر قولهم وباطن مكرهم ولا تقف على مقدار إقتضاء جرمهم العذاب من جهة قرب الأجل وبعده، فأنف العلم بخصوصية قربه وبعده عن نفسك وارجع العلم بذلك إلى الله سبحانه وحده.

١١١ . (وإن أدري لعلّه...) وما أدري لعل هذا الايذان الذي أُمرت به إمتحان لكم ليظهر به ما في باطنكم في أمر الدعوة، فهو يريد به أن يمتحنكم ويمتعكم إلى حين وأجل استدراجاً وإمهالاً.

[٣٢٤]

١١٢ . (قال ربّ احكم...) الآية حكاية قول النبيّ صلى الله عليه وآله عن دعوتهم إلى الحق وردهم له وتوليهم عنه، فكأنه صلى الله عليه وآله لما دعاهم وبلغ إليهم ما أُمر بتبليغه فأنكروا وشددوا فيه، أعرض عنهم إلى ربه منيباً إليه وقال: (ربّ احكم بالحق) أي رب احكم بحكمك الحق. والمراد: ظهور الحق لمن كان وعلى من كان ثم التفت صلى الله عليه وآله إليهم وقال: (وربّنا الرّحمن المستعان على ما تصفون) وكأنه يشير به إلى سبب إعراضه عنهم ورجوعه إلى الله سبحانه، وسؤاله أن يحكم بالحق فهو سبحانه ربّه وربّهم جميعاً فله أن يحكم بالحق فهو سبحانه ربّه وربّهم جميعاً فله أن يحكم بين مربوبيه.

«سورة الحجّ»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (يا أيّها النّاس اتّقوا...) أمر الناس أن يتقوا ربهم بالتجنب عن مخالفة أوامره ونواهيه في الفروع، وقد علل الأمر بعظم زلزلة الساعة، فهو دعوة من طريق الإنذار.

(٤٥٧/١)

---

٢ . (يوم ترونها تذهل...) الذهول: الذهاب عن الشيء مع دهشة. وظاهر الآية أن هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى التي يخبر تعالى عنها بقوله: (ونفخ في الصور فصعق...) الزمر: ٦٨ وذلك لأن الآية تفرض الناس في حال عادية تفاجئهم فيها زلزلة الساعة، فينقلب حالهم من مشاهدتها إلى ما وصف، وهذا قبل النفخة التي يموت بها الأحياء قطعاً.

٣ . (ومن النّاس من يجادل...) المريد: الخبيث، وقيل: المتجرد للفساد. والمعرى من الخير. والمجادلة في الله بغير علم: التكلم فيما يرجع إليه تعالى من صفاته وأفعاله بكلام مبني على الجهل بالاصرار عليه.

٤ . (كتب عليه أنّه...) المراد بكتابته عليه: القضاء الإلهي في حقه بإضلاله متبعيه أولاً وإدخاله إياهم النار ثانياً.

(٤٥٨/١)

---

٥ . (يا أيّها النّاس إنّ...) المراد بالبعث: إحياء الموتى والرجوع إلى الله سبحانه. والعلقة: القطعة من الدم الجامد. والمضغة: القطعة من اللحم الممضوغة. والمخلقة على ما قيل: تامة الخلقة. وغير المخلقة: غير تامتها وينطبق على تصوير الجنين الملازم لنفخ الروح فيه، وعليه ينطبق القول بأن المراد بالتخليق: التصوير. (لنبيِّن لكم) ظاهر السّياق أن المراد لنبين لكم أن البعث ممكن ونزيل الريب عنكم، فإن مشاهدة الانتقال من التراب الميت إلى النطفة ثمّ إلى العلقة ثم إلى المضغة ثمّ إلى الإنسان الحي، لا تدع ريباً في إمكان تلبس الميت بالحياة. (ونقر في الأرحام ما نشاء...) ونقر فيها ما نشاء من الأجنة ولا نسقطه إلى تمام مدة الحمل ثمّ نخرجكم طفلاً. والمراد ببلوغ الأشد: حال اشتداد الاعضاء والقوى. (ومنكم من يتوفّى ومنكم...) التقدير: ومنكم من يتوفى من قبل أن يرد إلى أرذل العمر. والمراد بأرْذَل العمر: أحقره وأهونه وينطبق على حال الهرم فانه أرذل الحياة إذا قيس إلى ما قبله (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) ينتهي أمره إلى ضعف القوى والمشاعر بحيث لا يبقى له من العلم الذي هو أنفس محصول للحياة شيء يعتد به لها. (وترى الأرض هامدة) قال الراغب: أرض هامدة: لا نبات فيها. (وأنبتت من كلِّ زوج بهيج) وأنبتت الأرض من كل صنف من النبات

متصف بالبهجة وهي حسن اللون وظهور السرور فيه. أو المراد بالزوج ما يقابل الفرد، فان كلامه يثبت للنبات تزاوجاً كما يثبت له حياة. والمحصل ان للأرض في إنباتها النبات وإنمائها له، شأناً يماثل شأن الرحم في إنباته الحيوي للتراب الصائر نطفة ثمّ علقة ثم مضغة إلى أن يصير إنساناً حيّاً.

(٤٥٩/١)

---

٦ . (ذلك بأنّ الله هو...) كونه تعالى حقّاً، يتحقّق به كل شيء هو: السبب لهذه الموجودات الحقّة والنظامات الحقّة الجارية فيها. (وأنّه يحيي الموتى) معطوف على ما قبله أي المذكور في الآية السابقة بسبب أن الله يحيي الموتى ويستمر منه ذلك. (وأنّه على كلّ شيء قدير) معطوف على سابقه كسابقه والمراد أن ما ذكرناه بسبب أن الله على كل شيء قدير.

٧ . (وأنّ السّاعة آتية...) كونه تعالى حقاً لا يفعل إلاّ الحق، يستلزم نشأة البعث استلزاماً بيّناً، فإن هذه الحياة الدنيا تنقطع بالموت فبعدها حياة أُخرى باقية لا محالة.

[٣٢٥]

٨ . (ومن النّاس من يجادل...) صنف آخر من الناس المعرضين عن الحق.

٩ . (ثاني عطفه ليضلّ...) الثني: الكسر. والعطف: الجانب. وثني العطف: كناية عن الإعراض كأن المعرض يكسر أحد جانبيه على الآخر. (ليضلّ عن سبيل الله) يجادل في الله بجهل منه مظهر للإعراض والاستكبار ليتوصل بذلك إلى إضلال الناس وهؤلاء هم الرؤساء المتبوعون من المشركين. (له في الدّنيا خزي...) تهديد بالخزي. وهو الهوان والذلة والفضيحة. في الدنيا، وإلى ذلك آل أمر صناديد قريش واكابر مشركي مكة، وإيعاد بالعذاب في الآخرة.

١٠ . (ذلك بما قدّمت يداك...) إشارة إلى ما تقدم في الآية السابقة من الإيعاد بالخزي والعذاب. (وأنّ الله ليس بظلام للعبيد) ذلك لأن الله لا يظلم عباده بل يعامل كلاً منهم بما يستحقه بعمله ويعطيه ما يسأله بلسان حاله.

١١ . (ومن النّاس من يعبد...) وهذا صنف آخر من الناس غير المؤمنين الصالحين وهو الذي يعبد الله سبحانه بانياً عبادته على جانب واحد دون كل جانب، وهو جانب الخير، ولازمه إستخدام الدين للدنيا فإن أصابه خير استقر على عبادة الله، وإن أصابته فتنة ومحنة إرتد عن دينه تشؤماً من الدين.

١٢ . (يدعو من دون الله...) المدعو: هو الصنم فإنه لفقده الشعور والإرادة لا يتوجه منه إلى عابده نفع أو ضرر.

١٣ . (يدعو لمن ضرّه...) المولى: الولي الناصر. والعشير: الصاحب المعاشر. وإنما يعد ضره أقرب من نفعه لما يشاهد يوم القيامة ما تستتبعه عبادته له من العذاب الخالد والهلاك المؤبّد.
١٤ . (إنّ الله يدخل الّذين...) لمّا ذكر الأصناف الثلاثة من الكفار، قابلهم بهذا الصنف من الناس وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ووصفهم بكريم المثوى وحسن المنقلب وأن الله يريد بهم ذلك.
١٥ . (من كان يظنّ...) قيل أن المعنى: من كان يظن من المشركين أن لن ينصر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله في الدنيا برفع الذكر وبسط الدين، وفي الآخرة بالمغفرة والرحمة له وللمؤمنين به، ثمّ غاظه ما يشاهده اليوم من نصر الله له، فليمدد بحبل إلى السماء. كأن يربط طرف الحبل على جذع عال ونحوه. ثمّ ليختنق به، فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته.
١٦ . (وكذلك أنزلناه آيات...) أنزلنا القرآن وهو آيات واضحة الدلالات. (وأنّ الله يهدي من يريد) والأمر أن الله يهدي من يريد، وأما من لم يرد أن يهديه فلا هادي له.

١٧ . (إنّ الّذين آمنوا...) المراد بالذين آمنوا بقرينة المقابلة: هم الذين آمنوا بمحمّد صلى الله عليه وآله وكتابهم القرآن. والذين هادوا: هم المؤمنون بموسى ومن قبله من الرسُل، الواقفون فيه وكتابهم التوراة، والصابئون: ليس المراد بهم عبدة الكواكب من الوثنية، بل هم. على ما قيل. قوم متوسطون بين اليهودية والمجوسية ولهم كتاب ينسبونه إلى يحيى بن زكريّا النبيّ. والنصارى: هم المؤمنون بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومن قبله من الأنبياء، وكتبهم المقدسة الأناجيل الأربعة للوقا ومرقس ومتى ويوحنا وكتب العهد القديم على ما اعتبرته وقدسته الكنيسة، لكن القرآن يذكر أن كتابهم الإنجيل النازل على عيسى عليه السلام. والمجوس: المعروف أنهم المؤمنون بزرادشت وكتابهم المقدس «اوستا» غير أن تاريخ حياته وزمان ظهوره مبهم جداً. والذين أشركوا: هم الوثنية عبدة الأصنام. (إنّ ربّك يفصل بينهم يوم القيامة) المراد به: فصل القضاء فيما اختلف فيه أصحاب هذه المذاهب واختصموا، فينفصل المحق منهم ويتميز من المبطل، إنفصالاً وتميزاً لا يستره ساتر ولا يحجبه حاجب.
١٨ . (ألَم تَرَ أنّ الله...) ان الله يميز يوم القيامة بين المختلفين فانك تعلم أن الموجودات العلوية والسفلية يخضعون ويتذللون له تكويناً، لكن الناس بين من يظهر في مقام العبودية الخضوع والتذلل له، وبين من يستكبر عن ذلك وهؤلاء هم الذين حق عليهم العذاب وأهانهم الله إهانة لا إكرام بعدها،

وهو قادر على ما يشاء فعال لما يريد.

١٩ . (هذان خصمان اختصموا) [يتبيّن] من حصر المختلفين على كثرة أديانهم ومذاهبهم في خصمين إثنين، إنهم جميعاً منقسمون إلى محق ومبطل. والمحق والمبطل هما المؤمن بالحق والكافر به فهذه الطوائف على تشتت أقوالهم ينحصرون في خصمين إثنين. ثمّ شرع في جزاء الخصمين وبيّن عاقبة أمر كل منهما بعد فصل القضاء.

(٤٦٢/١)

---

٢٠ . (يصهر به ما في...) يذوب وينضج بذاك الحميم ما في بطونهم من الأمعاء والجلود.

٢١ . (ولهم مقامع من حديد...) المقامع: جمع مقمعة وهي المدقة والعمود.

٢٢ . (كلّما أرادوا أن...) الحريق: بمعنى المحرق كالأليم بمعنى المؤلم.

٢٣ . (إنّ الله يدخل...) الأساور على ما قيل: جمع أسورة وهي جمع سوار.

٢٤ . (وهدوا إلى الطيِّب...) الطيب من القول: ما لا خباثة فيه. فهدايتهم إلى الطيب من القول تيسيره لهم. وهدايتهم إلى صراط الحميد: أن لا يصدر عنهم إلاّ محمود الفعل.

٢٥ . (إنّ الّذين كفروا...) الصد: المنع. والبادي: من البدو وهو الظهور أي الذي يقصده من خارج فيدخله، والمراد بالذين كفروا: مشركو مكة الذين كفروا بالنبيّ صلى الله عليه وآله في أول البعثة قبل الهجرة وكانوا يمنعون الناس عن الاسلام وهو سبيل الله، والمؤمنين عن دخول المسجد الحرام لطواف الكعبة وإقامة الصلاة وسائر المناسك.

٢٦ . (وإذ بوّأنا لإبراهيم...) واذكر إذ أوحينا إلى إبراهيم أن اعبدني في بيتي هذا بأخذه مباءة ومرجعاً لعبادتي، ولا تشرك بي شيئاً في عبادتي، وسن لعبادي القاصدين بيتي من الطائفين والقائمين والركع السجود، عبادة خالصة من الشرك.

٢٧ . (وأذِّن في النّاس...) نادِ الناس بقصد البيت أو بعمل الحج. (يأتوك رجالاً) وإن توذن فيهم يأتوك راجلين وعلى كل بعير مهزول يأتين من كل طريق بعيد.

٢٨ . (ليشهدوا منافع لهم...) يأتوك لشهادة منافع لهم أو يأتوك فيشهدوا منافع لهم، وقد أطلقت المنافع ولم تتقيد بالدنيوية أو الآخروية، فإتيان الناس إبراهيم عليه السلام أي حضورهم عند البيت لزيارته، يستعقب شهودَهم هذه المنافع أُخرويها ودنيويها، وإذا شهدوها تعلقوا بها فالإنسان مجبول على حب النفع. (ويذكروا إسم الله) وليذكروا اسم الله في أيام معلومات، أي في أيام التشريق على ما فسّرها أئمة أهل البيت عليهم السّلام وهي يوم الأضحى عاشر ذي الحجّة وثلاثة أيام بعده.

(٤٦٣/١)

٢٩ . (ثمّ ليقضوا تفثهم...) التفث: شعث البدن. وقضاء التفث: إزالة ما طرأ بالإحرام من الشعث بتقليم الأظفار وأخذ الشعر ونحو ذلك، وهو كناية عن الخروج من الإحرام. والمراد بقوله (وليوفوا نذورهم) إتمام ما لزمهم بنذر أو نحوه، (وليطوّفوا بالبيت العتيق) طواف النساء على ما في تفسير أئمة أهل البيت عليهم السّلام، فإن الخروج من الإحرام يحلل له كل ما حرم به إلاّ النساء، فتحل بطواف النساء وهو آخر العمل. والبيت العتيق: هو الكعبة المشرّفة سمّيت به لقدمه، فإنه أوّل بيت بني لعبادة الله.

٣٠ . (ذلك ومن يعظّم...) ندب إلى تعظيم حرمات الله، وهي من الأمور التي نهى عنها وضرب دونها حدوداً، منع عن تعدّيها واقتراف ما وراءها. (وأُحلّت لكم الأنعام...) يفيد أن الأنعام فيها حرمة إلهية وهي التي يدلّ عليها الاستثناء . إلاّ ما يتلى عليكم.

٣١ . (حنفاء لله غير...) الحنفاء: جمع حنيف، وهو المائل من الأطراف الى حاق الوسط. اجتنبوا التقرب من الأوثان والإهلال لها حال كونكم مائلين إليه ممّن سواه غير مشركين به في حجّكم. (ومن يشرك بالله فكأنّما...) شبه المشرك في شركه بمن سقط من السماء فتأخذه الطير. (أو تهوي به الرِّيح...) تشبيه آخر من جهة البعد.

٣٢ . (ذلك ومن يعظم...) الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة. (فإنّها من تقوى القلوب) تعظيم الشعائر الإلهية من التقوى.

٣٣ . (لكم فيها منافع...) المحل: إسم زمان بمعنى وقت حلول الأجل. وضمير (فيها) للشعائر، والمعنى: أن لكم في هذه الشعائر . وهي البدن . منافع من ركوب ظهرها وشرب ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمّى هو وقت نحرها ثمّ محلّها أي وقت حلول أجلها للنحر.

٣٤، ٣٥ . (ولكل أُمّة جعلنا...) ولكل أُمّة . من الأُمم السالفة المؤمنة . جعلنا عبادة من تقريب القرابين ليذكروا إسم الله على بهيمة الأنعام التي رزقهم الله. (فالهكم إله واحد فله أسلموا) إذ كان الله سبحانه هو الذي شرع لكم وللأُمم قبلكم هذا الحكم، فالهكم واله من قبلكم إله واحد، فاسلموا واستسلموا له بإخلاص عملكم له. (وبشِّر المخبتين) فيه تلويح إلى أنّ من أسلم لله في حجّه مخلصاً فهو من المخبتين، وقد فسّره بقوله: (الّذين إذا ذكر الله...).

٣٦ . (والبُدْن جعلناها لكم...) البُدْن: السمينة الضخمة من الإبل. (فاذكروا اسم الله عليها صواف) الصواف: جمع صافة، ومعنى كونها صافة: أن تكون قائمة قد صفت يداها ورجلاها وجمعت وقد

ربطت يداها. (فإذا وجبت جنوبها...) المراد بوجوب جنوبها: سقوطها على الأرض على جنوبها وهو كناية عن موتها. والقانع: هو الفقير الذي يقنع بما أُعْطيه سواء سأل أم لا، والمعتر: هو الذي أتاك وقصدك من الفقراء.

٣٧ . (لن ينال الله لحومها...) كأن متوهِّماً بسيط الفهم يتوهم أن لله سبحانه نفعاً في هذه الضحايا ولحومها ودمائها، فاجيب أن الله سبحانه لن يناله شيء من لحومها ودمائها لتنزهه عن الجسمية، أو يتوهّم أن الله سبحانه لما كان منزهاً عن الجسمية وعن كل نقص وحاجة ولا ينتفع بلحم أو دم فما معنى التضحية بهذه الضحايا، فاجيب بتقرير الكلام: وأن الأمر كذلك لكن هذه التضحية يصحبها صفة معنوية لمن يتقرب بها بمعنى أن تصعد إليه تعالى وتقرب صاحبها منه. (كذلك سخّرناها لكم...) كذلك سخّرناها لكم ليكون تسخيرها وصلة إلى هدايتكم إلى طاعته والتقرب إليه بتضحيتها فتذكروه بالكبرياء والعظمة على هذه الهداية.

٣٨ . (إنّ الله يدافع...) إن الله يدافع عن الذين آمنوا، وإنّما يدفع عنهم المشركين لأنه يحب هؤلاء ولا يحب أُولئك لخيانتهم وكفرهم.

---

٣٩ . (أُذن للّذين يُقاتلون...) أُذن . من جانب الله . للذين يقاتلهم المشركون وهم المؤمنون، بسبب أنهم ظلموا . من جانب المشركين . وأن الله على نصرهم لقدير، وهو كناية عن النصر.

٤٠ . (الّذين أُخرجوا من...) بيان جهة كونهم مظلومين وهم أنهم أُخرجوا من ديارهم، وقد أخرجهم المشركون من ديارهم بمكة بغير حق يجوّز لهم إخراجَهم. (إلاّ أن يقولوا ربّنا الله) أخرجوا بسبب أن يقولوا ربّنا الله. (ولولا دفع الله النّاس...) المراد بدفع الله الناس بعضهم ببعض: أعم من القتال، فان دفع بعض الناس بعضاً، ذباً عن منافع الحياة وحفظاً لاستقامة حال العيش، سنة فطرية جارية بين الناس. (ولينصرنّ الله من ينصره...) أُقسم لينصرن الله من ينصره بالدفاع عن دينه، إن الله لقوي لا يضعفه أحد ولا يمنعه شيء عما أراد، عزيز منيع الجانب لا يتعدى إلى ساحة عزته ولا يعادله شيء في سلطنته وملكه.

٤١ . (الّذين إن مكّنّاهم...) توصيف آخر للذين آمنوا يقول تعالى: إن من صفتهم أنهم إن تمكنوا في الأرض وأُعطوا الحرية في اختيار ما يستحبونه من نحو الحياة، عقدوا مجتمعاً صالحاً تقام فيه الصلاة وتؤتى فيه الزكاة ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

٤٢ . ٤٤ . (وإن يكذِّبوك فقد...) فيه تعزية للنبيّ صلى الله عليه وآله أن تكذيب قومه له ليس ببدع فقد كذّبت أُمم قبلهم لأنبيائهم. وإنذار وتخويف للمكذبين بالاشارة إلى ما انتهى إليه تكذيب من قبلهم من الأُمم وهو الهلاك بعذاب من الله تعالى. (فأمليت للكافرين ثمّ أخذتهم) فأمهلت الكافرين . الذين

كذّبوا رسلهم من هذه الأمم . ثمّ أخذتهم، وهو كناية عن العقاب. فكيف كان إنكاري لهم في تكذيبهم وكفرهم؟ وهو كناية عن بلوغ الإنكار وشدة الأخذ.

(٤٦٦/١)

---

٤٥ . (فكأيِّنْ من قرية...) فكم من قرية أهلكنا أهلها حال كونهم ظالمين فهي خربة ساقطة جدرانها على سقوفها، وكم من بئر معطلة باد النازلون عليها فلا وارد لها ولا مستقي منها، وكم من قصر مجصّص هلك سكانه لا يرى لهم أشباح ولا يسمع منهم حسيس. وأصحاب الآبار: أهل البدو، وأصحاب القصور: أهل الحضر.

٤٦ . (أفلم يسيروا في الأرض...) حث وتحضيض على الاعتبار بهذه القرى الهالكة والآثار المعطلة والقصور المشيدة التي تركتها تلك الأمم البائدة، بالسير في الأرض فان السير فيها ربّما بعث الإنسان إلى أن يتفكر في نفسه، في سبب هلاكهم فيتذكر أن الذي وقع بهم إنما وقع لشركهم بالله وإعراضهم عن آياته واستكبارهم على الحق بتكذيب الرسل، فيكون له قلب يعقل به ويردعه عن الشرك والكفر، هذا إنْ وسعه أن يستقل بالتفكير.

٤٧ . (ويستعجلونك بالعذاب...) كان القوم يكذبون النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أخبرهم أن الله سبحانه وعده أن يعذبهم إن لم يؤمنوا به، فكانوا يستعجلونه بالعذاب إستهزاء به وتعجيزاً له. (وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة) رد لاستعجالهم بالعذاب بأن الله يستوي عنده قليل الزمان وكثيره.

٤٨ . (وكأيّن من قرية...) قليل الزمان وكثيره عند ربك سواء وقد أملى لكثير من القرى الظالمة وأمهلها ثمّ أخذها بعد مهل.

٤٩ . ٥١ . (قل يا أيّها النّاس...) أمر بإعلام الرسالة بالإنذار، وبيان ما للإيمان به والعمل الصالح من الأجر الجميل، وهو المغفرة بالإيمان والرزق الكريم وهو الجنة بما فيها من النعيم، وما للكفر والجحود من التبعة السيئة وهي صحابة الجحيم من غير مفارقة. (سعوا في آياتنا معاجزين) السعي: الإسراع في المشي، وهو كناية عن بذل الجهد في أمر آيات الله لابطالها وإطفاء نورها بمعاجزة الله.

(٤٦٧/١)

---

٥٢ . (وما أرسلنا من قبلك...) التمني: تقدير الإنسان وجود ما يحبّه سواء كان ممكناً أو ممتنعاً. وقيل: ربما جاء بمعنى القراءة والتلاوة. ومعنى الآية على أوّل المعنيين وهو كون التمني هو تمني القلب: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى وقدّر بعض ما يتمناه، من توافق الأسباب

على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به، ألقى الشيطان في أُمنيّته وداخل فيها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء المفسدين فافسد الأمر على ذلك الرسول أو النبيّ وأبطل سعيه، فينسخ الله ويزيل ما يلقي الشيطان ثمّ يحكم الله آياته بانجاح سعي الرسول أو النبيّ وإظهار الحق والله عليم حكيم. والمعنى على ثاني المعنيين وهو كون التمني بمعنى القراءة والتلاوة: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تلا وقرأ آيات الله، ألقى الشيطان شبهاً مضلة على الناس بالوسوسة، ليجادلوه بها ويفسدوا على المؤمنين إيمانهم، فيبطل الله ما يلقيه الشيطان من الشبهة ويذهب به بتوفيق النبيّ لردّه أو بإنزال ما يرده.

٥٣ . (ليجعل ما يلقي الشّيطان...) المراد بالفتنة: الابتلاء والامتحان الذي ينتج الغرور والضلال. وبالذين في قلوبهم مرض: أهل الشك من الكفار. وبالقاسية قلوبهم: أهل الجحود والعناد منهم. (وإن الظّالمين لفي شقاق بعيد) وإن الظالمين لفي مباينة ومخالفة، بعيد صاحبها من الحق وأهله.

٥٤ . (وليعلم الّذين أُوتوا...) فينسخ الله ما يلقيه الشيطان ثمّ يحكم آياته ليعلم الذين اوتوا العلم بسبب ذاك النسخ والإحكام، أن ما تمنّاه الرسول أو النبيّ هو الحق من ربّك، لبطلان ما يلقيه الشيطان فيؤمنوا به فتخبت أي تلين وتخشع قلوبهم. ويمكن أن يكون المعنى: إنّنا بَيّنّا هذه الحقيقة لغاية كذا وكذا وليعلم الذين اوتوا العلم أنه الحق من ربّك...الخ.

(٤٦٨/١)

---

٥٥ . (ولا يزال الّذين كفروا...) ويستمر الذين كفروا في شك من القرآن، حتى يأتيهم يوم القيامة أو يأتيهم عذاب يوم القيامة، وهو يوم يأتي بغتة لا يمهلهم حتى يحتالوا له بشيء، ولا يخلف بعده يوماً حتى يقضى فيه ما فات قبله.

٥٦، ٥٧ . (الملك يومئذ لله...) المراد بكون الملك يومئذ لله: ظهور كون الملك له تعالى، لأن الملك له دائماً. (ويحكم بينهم) أي ولا حاكم غيره لأن الحكم من فروع الملك فإذا لم يكن يومئذ لأحد نصيب في الملك لم يكن له نصيب في الحكم. (فالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات...) بيان لحكمه تعالى.

٥٨ . (والّذين هاجروا في...) لما ذكر إخراج المهاجرين من ديارهم ظلماً عقّبه بذكر ما يثيبهم به على مهاجرتهم ومحنتهم في سبيل الله وهو وعد حسن برزق حسن. وقد قيد الهجرة بكونها في سبيل الله لأن المثوبة إنّما تترتب على صالح العمل.

٥٩ . (ليدخلنّهم مدخلاً...) توصيف هذا المدخل وهو الجنّة بقوله (يرضونه) والرضا مطلق، دليل على اشتمالها على أقصى ما يريده الإنسان. (وإنّ الله لعليم حليم) عليم بما يرضيهم فيعدّه لهم إعداداً، حليم فلا يعاجل العقوبة لأعدائهم الظالمين لهم.

٦٠ . (ذلك ومن عاقب...) والعقاب: مؤاخذة الإنسان بما يكرهه بإزاء فعله ما لا يرتضيه المعاقب. والعقاب بمثل العقاب: كناية عن المعاملة بالمثل. والمعنى ومن عامل من عاقبه بغياً عليه بمثل ما عاقب، نصره الله بإذنه فيه ولم يمنعه عن المعاملة بالمثل لأن الله عفوّ غفور يمحو ما تستوجبه هذه المعاملة والانتقام من المساءة والتبعة.

٦١ . (ذلك بأنّ الله يولج...) إن ذلك النصر بسبب أن من سنّة الله أن يظهر أحد المضادين والمتزاحمين على الآخر، كما يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وإن الله سميع لأقوالهم بصير بأعمالهم فينصر المظلوم بعينه.

(٤٦٩/١)

---

٦٢ . (ذلك بأنّ الله...) وان ذلك التصرف في التكوين والتشريع من الله سبحانه، بسبب أنه تعالى حق يتحقق بمشيّته كل حق غيره، وأن آلهتهم من دون الله وكل ما يركن إليه ظالم باغ من دونه باطل لا يقدر على شيء.

٦٣ . (ألَم تَرَ أنّ الله...) استشهاد على عموم القدرة.

٦٤ . (له ما في السّماوات...) تتمة التعليل في الآية السابقة كأنه قيل: إن الله لطيف خبير مالك لما في السماوات وما في الأرض يتصرَّف في ملكه كما يشاء بلطف وخبرة. ويمكن أن يكون إستئنافاً يفيد تعليلاً باستقلاله.

٦٥ . (ألم تَرَ أنّ الله...) إستشهاد آخر على عموم القدرة. وقد ختم الآية بصفتي الرأفة والرحمة تتميماً للنعمة وامتناناً على الناس.

٦٦ . (وهو الّذي أحياكم...) هذه الحياة ثمّ الموت ثمّ الحياة، من النعم الإلهية العظمى ختم بها الامتنان، ولذا عقبها بقوله: (إن الإنسان لكفور).

٦٧ . (لكلّ أُمّة جعلنا...) كأن الكفار من أهل الكتاب أو المشركين لما رَأوا من عبادات الإسلام ما لا عهد لهم به في الشرائع السابقة كشريعة اليهود مثلاً، نازعوه في ذلك من أين جئت به. فأجاب الله سبحانه عن منازعتهم بما في الآية. ومعناها انّ كلاًّ من الأُمم كان لهم منسك هم ناسكوه وعبادة يعبدونها ولا يتعداهم إلى غيرهم، لما أن الله سبحانه بدّل منسك السابقين ممّا هو أحسن منه في حق اللّاحقين لتقدمهم في الرقي الفكري واستعدادهم في اللاحق، لما هو أكمل وأفضل من السابق، فالمناسك السابقة منسوخة في حق اللاحقين. فلا معنى لمنازعة النبيّ صلى الله عليه وآله فيما جاء به من المنسك المغاير لمناسك الأُمم الماضين.

٦٨، ٦٩ . (وإن جادلوك فقل...) المراد بهذا الجدال: المجادلة والمراء في أمر اختلاف منسكه صلى

الله عليه وآله مع الشرائع السابقة بعد الاحتجاج عليه بنسخ الشرائع، وقد أُمر صلى الله عليه وآله بإرجاعهم إلى حكم الله من غير أن يشتغل بالمجادلة معهم بمثل ما يجادلون.

(٤٧٠/١)

---

٧٠ . (ألَم تعلم أنّ الله...) تعليل لعلمه تعالى بما يعملون، أي إن ما يعملون بعض ما في السماء والأرض وهو يعلم جميع ما فيهما فهو يعلم بعملهم.

٧١ . (ويعبدون من دون...) ويعبد المشركون من دون الله شيئاً . وهو ما اتخذوه شريكاً له تعالى . لم ينزل الله معه حجّة حتى يأخذوها ويحتجوا بها ولا أن لهم به علماً. (وما للظّالمين من نصير) قيل: هو تهديد للمشركين والمراد أنه ليس لهم ناصر ينصرهم فيمنعهم من العذاب.

٧٢ . (وإذا تُتلى عليهم...) وإذا تتلى عليهم آياتنا والحال انها واضحات الدلالة، تعرف وتشهد في وجوه الذين كفروا أثر الإنكار يقربون من أن يبطشوا على الذين يتلون ويقرأون عليهم آياتنا، لما يأخذهم من الغيظ. (قُل أفأُنبؤكم بشرٍّ من ذلكم) تفريع على إنكارهم وتحرزهم من إستماع القرآن أي قل: أفأخبركم بما هو شر من هذا الذي تعدونه شر (النّار وعدها الله الّذين...) بيان للشر أي ذلكم الذي هو شرّ من هذا هي النار.

٧٣ . (يا أيّها النّاس ضرب...) المثل: هو الوصف الذي يمثل الشيء في حاله. وهذا المثل هو قوله: (إنّ الذين تدعون من دون الله...) والمعنى: أنه لو فرض أن آلهتهم شاؤوا أن يخلقوا ذباباً وهو أضعف الحيوانات عندهم، لم يقدروا عليه أبداً، وإن يسلبهم الذباب شيئاً ممّا عليهم لا يستنقذوه بالانتزاع منه. (ضعف الطالب والمطلوب) مقتضى المقام أن يكون المراد بالطالب: الآلهة وهي الأصنام المدعوّة، والمطلوب: الذباب حيث يطلب ليخلق ويطلب ليستنقذ منه.

٧٤ . (ما قدروا الله حقّ...) إشارة إلى عدم التزامهم بربوبيته تعالى وإعراضهم عن عبادته، ثمّ اتخاذهم الأصنام أرباباً من دونه يعبدونها خوفاً وطمعاً دونه تعالى.

٧٥ . (الله يصطفي من...) إصطفاء الله تعالى من الملائكة رسلاً ومن الناس: إختياره من بينهم من يصفو لذلك ويصلح.

(٤٧١/١)

---

٧٦ . (يعلم ما بين أيديهم...) ذكر علمه ما بين أيديهم وما خلفهم، للدلالة على أنه تعالى مراقب للطريق الذي يسلكه الوحي فيما بينه وبين الناس، حافظ له أن يختل في نفسه بنسيان أو تغيير أو

يفسد بشيء من مكائد الشياطين وتسويلاتهم، كل ذلك لأن حملة الوحي من الرسل، بعينه وبمشهد منه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. فالوحي في مأمن إلهي منذ أن يصدر من ساحة العظمة والكبرياء إلى أن يبلغ الناس، ولازمه أن الرسل معصومون في تلقي الوحي ومعصومون في حفظه ومعصومون في إبلاغه للناس.

٧٧ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) في الآية أمر باجمال الشرائع الإسلامية من عبادات وغيرها.

٧٨ . (وجاهدوا في الله...) الجهاد: بذل الجهد واستفراغ الوسع في مدافعة العدو، ويطلق في الأكثر على المدافعة بالقتال، لكن ربّما يتوسّع في معنى العدو حتى يشمل كل ما يتوقع منه الشر، كالشيطان الذي يضل الإنسان والنفس الأمّارة بالسوء وغير ذلك. وقد سمى النبيّ صلى الله عليه وآله مخالفة النفس جهاداً أكبر. والظاهر أن المراد بالجهاد في الآية هو المعنى الأعم. (هو اجتباكم وما جعل...) إمتنان منه تعالى على المؤمنين، بأنهم ما كانوا لينالوا سعادة الدين من عند أنفسهم وبحولهم، غير أن الله مَنَّ عليهم إذ وفقهم فاجتباهم وجمعهم للدين. ورفع عنهم كل حرج في الدين امتناناً. (هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) إمتنان ثان منه تعالى على المؤمنين وقوله: (وفي هذا) أي وفي هذا الكتاب. (ليكون الرّسول شهيداً) المراد به شهادة الأعمال. (فأقيموا الصّلاة وآتوا...) فعلى هذا يجب عليكم أن تقيموا الصّلاة وتؤتوا الزكاة وتعتصموا بالله في جميع الأحوال فتأتمروا بكل ما أمر به وتنتهوا عن جميع ما نهى عنه ولا تنقطعوا عنه في حال.

«سورة المؤمنون»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (قد أفلح المؤمنون) الإيمان بالله في عرف القرآن: التصديق بوحدانيته ورسله واليوم الآخر وبما جاءت به رسله مع الاتّباع.

---

٢ . (الّذين هم في صلاتهم...) الخشوع: تأثر خاص من المقهور قبال القاهر بحيث ينقطع عن غيره بالتوجه إليه.

٣ . (والّذين هم عن اللّغو...) اللغو من الأفعال في نظر الدين: الأعمال المباحة التي لا ينتفع بها في الآخرة أو في الدنيا.

٤ . (والّذين هم للزّكاة...) ذكر الزكاة مع الصّلاة قرينة على كون المراد بها: الانفاق المالي دون الزكاة بمعنى تطهير النفس.

٥ . (والّذين هم لفروجهم...) حفظ الفروج: كناية عن الاجتناب عن المواقعَة سواء كانت زنا أو لواطاً أو بإتيان البهائم وغير ذلك.

٦ . (إلاّ على أزواجهم...) إستثناء من حفظ الفروج، والازواج الحلائل والجواري المملوكة.

٧ . (فمن ابتغى وراء...) إذا كان مقتضى الإيمان حفظ الفروج مطلقاً إلاّ عن طائفتين من النساء هما الأزواج وما ملكت أيمانهم، فمن طلب وراء ذلك أي مس غير الطائفتين فأُولئك هم المتجاوزون عن الحد الذي حده الله تعالى لهم.

٨ . (والّذين هم لأماناتهم...) الآية تصف المؤمنين بحفظ الأمانات من أن تخان، والعهد مِن أن ينقض.

٩ . (والّذين هم على صلواتهم...) يحافظون على أن لا يفوتهم شيء من الصلوات المفروضة ويراقبونها دائماً.

١٠، ١١ . (أُولئك هم الوارثون...) الفردوس: أعلى الجنان، ووراثتهم الفردوس هو بقاؤها لهم بعد ما كانت في معرض أن يشاركهم فيها غيرهم أو يملكها دونهم، لكنهم زالوا عنها فانتقلت إليهم، وقد ورد في الروايات أن لكل إنسان منزلاً في الجنّة ومنزلاً في النار، فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله.

١٢ . (ولقد خلقنا الإنسان...) ظاهر السياق أن المراد بالإنسان: هو النوع فيشمل آدم ومن دونه، ويكون المراد بالخلق: الخلق الابتدائي الذي خلق به آدم من الطين ثمّ جعل النسل من النطفة.

١٣ . (ثمّ جعلناه نطفة...) ثمّ جعلنا الإنسان نطفة في مستقر متمكن هي الرحم كما خلقناه أولاً من سلالة من طين. أي بدّلنا طريق خلقه من هذا إلى ذاك.

---

١٤ . (ثمّ خلقنا النطفة...) تقدم بيان مفردات الآية في الآية ٥ من سورة الحج.

١٥ . (ثمّ إنّكم بعد...) بيان لتمام التدبير الإلهي.

١٦ . (ثمّ إنّكم يوم القيامة) وهذا تمام التدبير، وهو البعث آخر مرحلة من مسير الإنسان.

١٧ . (ولقد خلقنا فوقكم...) المراد بالطرائق السبع بقرينة قوله: (فوقكم) السماوات السبع. (وما كنّا عن الخلق غافلين) لستم بمنقطعين عنّا ولا بمعزل عن مراقبتنا.

١٨ . (وأنزلنا من السّماء...) وأنزلنا من جهة العلو ماء بقدر، وهو ماء المطر فاسكناه في الأرض، وهو الدخائر المدّخرة من الماء في الجبال والسهول تتفجر عنه العيون والأنهار وتكشف عنه الآبار، وإنا لقادرون على أن نذهب بهذا الماء الذي أسكناه في الأرض نوعاً من الذهاب لا تهتدون بعلمه.

١٩ . (فأنشأنا لكم به...) إنشاء الجنات: إحداثها وتربيتها.

٢٠ . (وشجرة تخرج من...) وأنشأنا لكم به شجرة في طور سيناء، والمراد بها شجرة الزيتون التي تكثر في طور سيناء. (تنبت بالدهن) تثمر ثمرة فيها الدهن وهو الزيت. (وصبغ للآكلين) وتنبت

بصبغ للآكلين، والصبغ: الإدام الذي يؤتدم به.

[٣٤٣]

٢١ . (إنّ لكم في الأنعام...) العبرة: الدلالة التي يستدل بها على أنه تعالى مدبّر لأمر خلقه حنين بهم رؤوف رحيم. والمراد بسقيه تعالى مما في بطونها: أنه رزقهم من ألبانها. والمراد بالمنافع الكثيرة: ما ينتفعون من صوفها وشعرها ووبرها وجلودها وغير ذلك.

٢٢ . (وعليها وعلى الفلك...) الحمل على الانعام: هو الحمل على الإبل، وهو حمل في البر. ويقابله الحمل في البحر: وهو الحمل علي الفلك.

٢٣ . (ولقد أرسلنا نوحاً...) نوح عليه السلام أول أولي العزم من الرسل أصحاب الكتب والشرائع المبعوثين إلى عامة البشر. (اعبدوا الله ما لكم...) دعوة إلى عبادة الله ورفض عبادة الآلهة من دونه.

٢٤، ٢٥ . (فقال الملأ الّذين...) هذه حجج مختلقة القاها ملأ قومه إلى عامتهم، أو ذكر كلاً منها بعضهم، وهي وإن كانت حججاً جدلية مدخولة، لكنهم كانوا ينتفعون بها حينما يلقونها إلى الناس، فيصرفون وجوههم عنه ويغرونهم عليه ويمدون في ضلالهم.

٢٦ . (قال ربِّ انصرني...) انصرني بالذي كذبوني فيه وهو العذاب.

٢٧ . (فاوحينا إليه أن اصنع...) معنى صنع الفلك بأعينه: صنعه بمرئى منه، ومعنى كون الصنع بوحيه: كونه بتعليمه الغيبي حالاً بعد حال. (فإذا جاء أمرنا وفار...) المراد بالأمر . كما قيل . حكمه الفصل بينه وبين قومه وقضاؤه فيهم بالغرق، (فاسلك فيها من كل...) فادخل في الفلك زوجين اثنين: ذكر وانثى من كل نوع من الحيوان. (وأهلك إلاّ من سبق...) المراد بمن سبق عليه القول منهم: إمرأته الكافرة وإبنه الذي أبى ركوب السفينة. (ولا تخاطبني في الّذين) كناية عن النهي الشديد عن الشفاعة لهم.

٢٨، ٢٩ . (فإذا استويت أنت...) علمه أن يحمد الله بعد الاستواء على الفلك على تنجيته تعالى من القوم الظالمين، وهذا بيان بعد بيان لكونهم هالكين مغرقين حتماً، وأن يسأله أن ينجيه من الطوفان، وينزله على الأرض إنزالاً مباركاً ذا خير كثير ثابت فإنه خير المنزلين.

٣٠ . (إنّ في ذلك لآيات...) خطاب في آخر القصة للنبيّ صلى الله عليه وآله أن هذه الدعوة مع ما جرى معها كانت إمتحاناً واختباراً إليها.

٣١، ٣٢ . (ثمّ أنشأنا من بعدهم...) القرن: أهل عصر واحد.

٣٣ . ٣٨ . (وقال الملأ من قومه...) هؤلاء اشرافهم المتوغلون في الدنيا المخلدون إلى الأرض، يغرون بقولهم هذا عامتهم على رسولهم. وقد وصفهم الله بصفات ثلاث وهي: الكفر بالله، والتكذيب بلقاء الآخرة ثمّ لمّا أُترفوا في الحياة الدنيا وتمكنوا من زخارفها وزيناتها الملذَّة اجتذبتهم الدنيا إلى نفسها فاتبعوا الهوى ونسوا كل حق وحقيقة، ولذلك تفوَّهوا تارة بنفي التوحيد والرسالة وتارة بانكار المعاد وتارة ردّوا الدعوة بإضرارها دنياهم وحريتهم في اتباع هواهم. فتارة قالوا لعوامهم مشيرين إلى رسولهم إشارة المستحقر المستهين بأمره: (ما هذا إلاّ بشر مثلكم يأكل...) يريدون به تكذيبه في دعوته ودعواه الرسالة. وتارة قالوا: (ولئن أطعتم بشراً مثلكم...) يريدون به أن في اتباعه وإطاعته خسرانكم وبطلان سعادتكم في الحياة إذ لا حياة إلاّ الحياة الدنيا. ولا سعادة فيها إلاّ الحرية في التمتع من لذائذها، وفي طاعة من لا فضل له عليكم رقّيتكم وزوال حريتكم وهو الخسران. وتارة قالوا: (أيعدكم أنّكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً إنّكم مخرجون) أي مبعوثون من قبوركم للحساب والجزاء (هيهات هيهات لما توعدون) وهيهات كلمة إستبعاد وفي تكرارها مبالغة في الاستبعاد (إن هي إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيا) أي يموت قوم منا في الدنيا ويحيا آخرون فيها لا نزال كذلك (وما نحن بمبعوثين) للحياة في دار أخرى وراء الدنيا.

[٣٤٤]

٣٩ . (قال ربِّ انصرني...) تقدم تفسيره في القصة السابقة.

٤٠ . (قال عمّا قليل...) أُقسم لتأخذنهم الندامة بعد قليل من الزمان بمشاهدة حلول العذاب.

٤١ . (فأخذتهم الصيحة بالحق...) فأنجزنا للرّسول ما وعدناه من عذابهم، فأخذتهم الصيحة السماوية وهي العذاب فاهلكناهم وجعلناهم كغثاء السيل فليبعد القوم الظالمون بعداً.

٤٢ . (ثمّ أنشأنا من بعدهم...) تقدم توضيح مضمونها.

٤٤ . (ثمّ أرسلنا رسلنا...) ثمّ أنشأنا بعد تلك الأُمّة الهالكة بالصيحة بعد أُمّة نوح، قروناً وأُمماً آخرين وأرسلنا إليهم رسلنا متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، كلما جاء أُمّة رسولها المبعوث منها إليها، كذبوه فاتبعنا بعض هذه الأُمم بعضاً بالعذاب وجعلناهم أحاديث أي صيرناهم قصصاً وأخباراً.

٤٥ . (ثمّ أرسلنا موسى...) الآيات هي العصا واليد البيضاء وسائر الآيات التي أراها موسى فرعون وقومه. والسلطان المبين: الحجة الواضحة.

٤٦ . (إلى فرعون وملإيه...) قيل إنما ذكر ملأ فرعون واكتفى بهم عن ذكر قومه لأنهم الأشراف المتبوعون، وسائر القوم اتباع يتبعونهم. والمراد بكونهم عالين: أنهم كانوا يعلون على غيرهم فيستعبدونهم.

٤٧ . ٤٩ . (فقالوا أَنؤمن لبشرين...) المراد بكونهما بشرين مثلهم: نفي أن يكون لهما فضل عليهم. ثمّ ختم تعالى القصة بذكر هلاكهم فقال: (فكذّبوهما فكانوا من المهلكين)، ثمّ قال: (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلّهم يهتدون) والمراد بهم: بنو إسرائيل لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وملئه.

٥٠ . (وجعلنا ابن مريم...) وجعلنا عيسى بن مريم وأُمه مريم آية دالة على ربوبيتنا، واسكناهما في مكان مرتفع مستو فيه قرار وماء جار.

٥١ . (يا أيّها الرّسل كلوا...) إمتنان منه تعالى عليهم، (واعملوا صالحاً) أمر بمقابلة المنّة بصالح العمل وهو شكر النعمة. (إنّي بما تعملون عليم) تحذير لهم من مخالفة أمره.

٥٢ . (وإنّ هذه أُمّتكم...) تقدم تفسير نظيرة الآية في سورة الأنبياء.

٥٣ . (فتقطّعوا أمرهم بينهم...) في قراءة ابن عامر (زبراً) بفتح الباء: وهو جمع زبرة وهي الفرقة، والمعنى: وتفرّقوا في أمرهم جماعات وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون.

٥٤ . (فذرهم في غمرتهم...) في الآية تهديد بالعذاب.

٥٥، ٥٦ . (أيحسبون أنّما نمدّهم...) أيظن هؤلاء أن ما نعطيهم في مدة المهلة من مال وبنين، خيرات نسارع لهم فيها لرضانا عنهم أو حبّنا لأعمالهم أو كرامتهم علينا لا بل لا يشعرون، أي إن الأمر على خلاف ما يظنّون.

٥٧ . (إنّ الّذين هم من...) الآية تصفهم بأنهم اتخذوا الله سبحانه ربّاً يملكهم ويدبِّر أمرهم، ولازم ذلك أن يكون النجاة والهلاك دائرين مدار رضاه وسخطه، يخشونه في أمر يحبونه وهو نجاتهم وسعادتهم، فهم مشفقون من خشيته.

٥٨ . (والّذين هم بآيات ربّهم...) وهي كل ما يدل عليه تعالى.

٥٩ . (والّذين هم بربِّهم...) الإيمان بآياته هو الذي دعاهم إلى نفي الشركاء في العبادة.

٦٠ . (والّذين يؤتون ما آتوا...) إن الباعث لهم على الانفاق في سبيل الله أو على صالح العمل، ذكرهم رجوعهم المحتوم إلى ربهم على وجل منه.

٦١

أُولئك يُسارعون في...) أولئك الذين وصفناهم هم يسارعون في الخيرات من الأعمال وهم سابقون إليها أي يتسابقون فيها.

٦٢ . (لا نكلِّف نفساً إلاّ...) نفي للتكليف الحَرجي الخارج عن وسع النفوس. (ولدينا كتاب ينطق...) ترغيب

[٣٤٥]

لهم بتطييب نفوسهم بأن عملهم لا يضيع وأجرهم لا يتخلف. والمراد بنطق الكتاب: إعرابه عمّا أثبت فيه إعراباً لا لبس فيه.

٦٣ . (بل قلوبهم في غمرة...) بل الكفار في غفلة شديدة أو جهل شديد عن هذا الذي وصفنا به المؤمنين، ولهم أعمال رديئة خبيثة.

٦٤ . (حتّى إذا أخذنا...) الجؤار: صوت الوحش كالظباء ونحوها عند الفزع. وإنّما جعل مترفيهم متعلق العذاب لأن الكلام فيمن ذكره قبلاً بقوله:

أيحسبون أنّما نمدّهم به...) وهم الرؤساء المتنعمون منهم، وغيرهم تابعون لهم.

٦٥

لا تجأروا اليوم إنّكم...) العدول عن سياق الغيبة إلى الخطاب، لتشديد التوبيخ والتقريع.

٦٦، ٦٧ . (قد كانت آياتي...) انكم منا لا تنصرون، لأنه قد كانت آياتي تتلى وتقرأ عليكم، فكنتم تعرضون عنها وترجعون إلى أعقابكم القهقرى مستكبرين بنكوصكم تحدّثون في أمره في الليل تهجرون وتهذون.

٦٨ . (أفلم يدّبّروا القول...) شروع في قطع اعذارهم في الإعراض عن القرآن النازل لهدايتهم وعدم استجابتهم للدعوة الحقة التي قام بها النبيّ صلى الله عليه وآله. (أم جاءهم ما لم يأت به) بل أجاءهم شيء لم يأت آباءهم الأولين فيكون بدعاً ينكر ويحترّز منه.

٦٩ . (أم لم يعرفوا رسولهم...) فهم قد عرفوا رسولهم صلى الله عليه وآله بنعوته الخاصة المعجزة لغيره، ولو لم يكونوا يعرفونه لكان لهم عذراً في إعراضهم عن دينه.

٧٠ . (أم يقولون به جُنّة...) إنهم كاذبون في قولهم: (به جُنّة) واعتذارهم عن عدم إيمانهم به بذلك، بل إنما كرهوا الإيمان به لأنه جاء بالحق وأكثرهم للحق كارهون.

٧١ . (ولو اتّبع الحقّ...) لما ذكر ان أكثرهم للحق كارهون وإنّما يكرهون الحق لمخالفته هواهم، فهم يريدون من الحق أي الدعوة الحقة أن يتبع أهواءهم وهذا ممّا لا يكون. (بل أتيناهم بذكرهم...) لم يتبع الحق أهواءهم بل جئناهم بكتاب يذكرهم . أو يذكرون به . دينهم الذي يختص بهم ويتفرع عليه أنهم عن دينهم الخاص بهم معرضون.

٧٢ . (أم تسألهم خرجاً...) وهذا رابع الاعذار التي ذكرت في هذه الآيات ووبّخوا عليها وقد ذكره الله

بقوله: (أم تسألهم خرجاً) أي مالاً يدفعونه إليك على سبيل الرسم والوظيفة، ثمّ ذكر غني النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: (فخراج ربّك خير وهو خير الرّازقين) أي إن الله هو رازقك ولا حاجة لك إلى خرجهم.

٧٣، ٧٤ . (وإنّك لتدعوهم إلى...) إنهم ليسوا بمؤمنين بك، لأنك تدعو إلى صراط مستقيم، وهُم لا هَمّ لهم إلاّ العدول والميل عنه.

٧٥، ٧٦ . (ولو رحمناهم وكشفنا...) بيان وتأييد لنكوبهم عن الصراط، بأنا لو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر لم يرجعوا بمقابلة ذلك الشكر، بل أصروا على تمردهم عن الحق.

٧٧ . (حتّى إذا فتحنا...) هم على حالهم هذه لا تنفع فيهم رحمة ولا عذاب، حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد وهو الموت بما يستتبعه من عذاب الآخرة فيفاجئهم الإبلاس واليأس من كل خير.

٧٨ . (وهو الّذي أنشأ...) إفتتح سبحانه من نعمه التي انعمها عليهم بذكر إنشاء السمع والبصر وهما نعمتان خص بها جنس الحيوان، ثم ذكر سبحانه الفؤاد والمراد به: المبدأ الذي يعقل من الإنسان، وهو نعمة خاصة بالإنسان من بين سائر الحيوان. (وقليلاً ما تشكرون) فيه بعض العتاب ومعناه: تشكرون شكراً قليلاً.

٧٩ . (وهو الّذي ذرأكم...) إنه لما جعلكم ذوي حس وعقل، اظهر وجودكم في الأرض متعلقين بها، ثمّ يجمعكم ويرجعكم إلى لقائه.

٨٠ . (وهو الّذي يُحيي...) لما جعلكم ذوي علم وأظهر وجودكم في الأرض إلى حين حتى تحشروا إليه، لزمت ذلك سنة الإحياء والإماتة، إذ العلم متوقف على الحياة، والحشر متوقف على الموت (وله اختلاف اللّيل والنّهار) مترتب على ما قبله فإن الحياة ثمّ الموت لا تتم إلاّ بمرور الزمان.

٨١ . (بل قالوا مثل...) تشبيه قولهم بقول الأولين، إشارة إلى ان تقليد الآباء منعهم عن اتباع الحق.

٨٢ . (قالوا إذا متنا...) بيان لقوله (قالوا) في الآية السابقة، والكلام مبني على الاستبعاد.

٨٣ . (لقد وعدنا نحن...) ان وعد البعث وعد قديم ليس بحديث، نقسم لقد وعدناه من قبل نحن وآباؤنا، ليس

[٣٤٦]

البعث الموعود إلاّ أحاديث خرافية.

٨٤ . (قل لمن الأرض...) شرع في الاحتجاج على إمكانه من طريق الملك والربوبية والسلطنة.

٨٥ . (سيقولون لله قل...) قل لهم: فإذا كان الله سبحانه مالك الأرض ومن فيها، لم لا تتذكرون أن له ان يتصرف في أهلها بالاحياء بعد الإماتة.

(٤٨٠/١)

---

٨٦ . (قل من ربّ السّماوات...) أمره ثانياً أن يسألهم عن رب السماوات السبع ورب العرش العظيم من هو؟

٨٧ . (سيقولون للهِ قل...) سيجيبونك بأنها لله قل لهم تبكيتاً وتوبيخاً فلم لا تتقون سخطه إذ تنكرون البعث وتعدونه من أساطير الأولين، وتسخرون من أنبيائه الذين وعدوكم به؟

٨٨ . (قل مَن بيده ملكوت كل...) قل لهؤلاء المنكرين للبعث: من الذي يختص به إيجاد كل شيء بما له من الخواص والآثار وهو يحمي من استجار به، ولا يحمي عنه شيء إذا أراد شيئاً بسوء إن كنتم تعلمون.

٨٩ . (سيقولون لله قل...) سيجيبونك ان الملكوت لله قل لهم تبكيتاً وتوبيخاً: فإلى متى يخيل لكم الحق باطلاً، فإذا كان الملك المطلق لله سبحانه، فله أن يوجد النشأة الآخرة ويعيد الأموات للحساب والجزاء.

٩٠ . (بل أتيناهم بالحق...) بل جئناهم بلسان الرسل بالحق وإنهم لكاذبون في دعواهم؛ كذبهم ونفيهم للبعث.

٩١ . (ما اتّخذ الله من...) القول بالولد كان شائعاً بين الوثنيين وتبعهم النصارى في قولهم: المسيح ابن الله (إذاً لذهب كل إله بما خلق) حجة على نفي التعدد. (ولعلا بعضهم على بعض) محذور آخر لازم لتعدد الآلهة تتأ لّف من حجّة أُخرى على النفي.

٩٢ . (عالم الغيب والشّهادة...) صفة لاسم الجلالة في قوله: (سبحان الله عمّا يصفون).

٩٣، ٩٤ . (قل ربّ إمّا تريّني) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يسأله أن ينجيه من العذاب الذي أوعدناهم به، إن أراد ذلك العذاب.

٩٥ . (وإنّا على أن نريك...) تطييب لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله بقدرة ربه على أن يكشف عنه بإرادته ما يعدهم من العذاب، ولعل المراد به ما عذبهم الله به يوم بدر، وقد أراه الله ذلك وأراه المؤمنين وشفي به غليل صدورهم.

٩٦ . (إدفع بالّتي هي أحسن...) إدفع السيئة التي تتوجه إليك منهم، بالحسنة واختر للدفع من الحسنات أحسنها، وهو دفع السيئة بالحسنة التي هي أحسن.

(٤٨١/١)

٩٧، ٩٨ . (وقل ربِّ أعوذ...) أمره صلى الله عليه وآله أن يستعيذ بربه من اغواء الشياطين ومن أن يحضروه.

٩٩ . (حتّى إذا جاء...) لا يزالون يشركون به ويصفونه بما هو منزّه منه وهم مغترّون بما نمدهم به من مال وبنين، حتى إذا جاء أحدهم الموت (قال ربِّ ارجعون) قال . وهو يستغيث بربه . ارجعون.

١٠٠

لعلِّي أعمل صالحاً...) رجاء تعلقوا به بمعاينة العذاب المشرف عليهم. (أعمل صالحاً فيما تركت) أعمل صالحاً فيما تركت من المال بإنفاقه في البر والإحسان، وكل ما فيه رضي الله سبحانه. (كلّا إنّها كلمة هو قائلها) لا يرجع إلى الدنيا، إن هذه الكلمة لا أثر لها إلاّ أنها كلمة هو قائلها، فهو كناية عن عدم إجابة مسألته. (ومن ورائهم برزخ...) المراد بهذا البرزخ عالم القبر.

١٠١ . (فإذا نفخ في الصّور...) المراد: النفخة الثانية التي تحيا فيها الأموات، دون النفخة الأولى التي تموت فيها الأحياء. (فلا أنساب بينهم) نفي لآثار الانساب بنفي أصلها. ويوم القيامة ظرف جزاء الاعمال وسقوط الأسباب التي منها الأعمال، فلا موطن فيه للأسباب الدنيوية التي فيها الأنساب بلوازمها وخواصها وآثارها.

١٠٢، ١٠٣ . (فمن ثقلت موازينه...) الموازين جمع ميزان أو جمع الموزون، وهو العمل الذي يوزن يومئذ.

١٠٤ . (تلفح وجوههم النّار...) يصيب وجوههم لهب النار حتى تتقلص شفاههم وتنكشف عن أسنانهم كالرؤوس المشوية.

١٠٥ . ألَم تكن آياتي...) يقال لهم: ألم تكن آياتي تتلى... الخ.

١٠٦ . (قالوا ربّنا غلبت...) الشقوة والشقاوة والشقاء خلاف السعادة. أي قهرنا واستولت علينا شقوتنا. وإنما

[٣٤٧]

اعترفوا بالذنب ليتوسلوا به إلى التخلص من العذاب والرجوع إلى الدنيا.

١٠٧ . (ربّنا أخرجنا منها...) سؤال منهم للرجوع إلى الدنيا.

١٠٨ . (قال اخسأوا فيها...) زجرهم بالتباعد وقطع الكلام.

١٠٩

إنّه كان فريق...) هؤلاء هم المؤمنون في الدنيا، وكان إيمانهم توبة ورجوعاً إلى الله.

١١٠ . (فاتّخذتموهم سخريّا...) ضمائر الخطاب للكفار وضمائر الغيبة للمؤمنين. (حتّى أنسوكم ذكري) أنسى اشتغالكم بسخرية المؤمنين والضحك منهم ذكري.

١١١

إنّي جزيتهم اليوم...) المراد باليوم: يوم الجزاء. (إنّهم هم الفائزون) هم الفائزون دونكم.

١١٢ . (قال كم لبثتم في...) ممّا يسأل الله الناس عنه يوم القيامة مدة لبثهم في الأرض، وقد ذكر في مواضع من كلامه، والمراد به: السؤال عن مدة لبثهم في القبور.

١١٣ . (قالا لبثنا يوماً...) ظاهر السّياق أن المراد باليوم: هو الواحد من أيام الدنيا، وقد استقلوا اللبث في الأرض حينما قايسوه بالبقاء الأبدي الذي يلوح لهم يوم القيامة ويعاينونه. (فاسأل العادّين) أي نحن لا نحسن إحصاءها فاسال الذين يعدونه.

١١٤ . (قال إن لبثتم...) قال الله: الأمر كما قلتم فما مكثتم إلاّ قليلاً، فليتكم كنتم تعلمون في الدنيا أنكم لا تلبثون في قبوركم إلاّ قليلاً، ثمّ تبعثون حتى لا تنكروا البعث ولم تبتلوا بهذا العذاب الخالد.

١١٥ . (أفحسبتم أنّما خلقناكم...) فهل تظنون أنما خلقناكم عبثاً تحيون وتموتون من غير غاية باقية في خلقكم وأنكم إلينا لا ترجعون؟

١١٦ . (فتعالى الله الملك...) إشارة إلى برهان يثبت البعث ويدفع قولهم بالنفي، في صورة التنزيه.

١١٧ . (ومن يدع مع...) المراد من دعاء إله آخر مع الله: دعاؤه مع وجوده تعالى، فإن المشركين جلهم أو كلهم لا يدعون الله تعالى وإنما يدعون ما اثبتوه من الشركاء، ويمكن أن يكون المراد بالدعاء: الإثبات فان إثبات إله آخر لا ينفك عن دعائه.

١١٨ . (وقل ربِّ اغفر...) خاتمة السورة وقد أمر فيها النبيّ صلى الله عليه وآله أن يقول ما حكاه عن عباده المؤمنين، أنهم يقولونه في الدنيا وان جزاء ذلك هو الفوز يوم القيامة.

«سورة النّور»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(٤٨٣/١)

---

١ . (سورة أنزلناها وفرضناها...) هذه سورة أنزلناها وأوجبنا العمل بما فيها من الأحكام. (وأنزلنا فيها آيات...) المراد بها . بشهادة السياق . آية النور وما يتلوها من الآيات المبينة لحقيقة الإيمان والكفر والتوحيد والشرك المذكِّرة لهذه المعارف الإلهية.

٢ . (والزّانية والزّاني فاجلدوا...) المرأة والرجل اللّذان تحقق منهما الزنا فاضربوا كل واحد منهما مائة سوط. (ولا تأخذكم بهما رأفة...) النهي عن الرأفة من قبيل النهي عن المسبب بالنهي عن سببه. (وليشهد عذابهما طائفة...) وليحضر ولينظر إلى ذلك جماعة منهم ليعتبروا بذلك فلا يقتربوا

الفاحشة.

٣ . (الزّاني لا ينكح إلاّ زانية...) المحصل في معناها بتفسير من السنة من طريق أئمة أهل البيت عليهم السّلام أن الزاني إذا اشتهر منه الزنا واقيم عليه الحد ولم تتبين منه التوبة يحرم عليه نكاح غير الزانية والمشركة، والزانية إذا اشتهر منها الزنا واقيم عليها الحد ولم تتبين منها التوبة يحرم أن ينكحها إلاّ زان أو مشرك.

٤ . (والّذين يرمون المحصنات...) والذين يقذفون المحصنات من النساء بالزنا ثمّ لم يقيموا أربعة من الشهود على

[٣٤٨]

صدقهم في قذفهم، فاجلدوهم ثمانين جلدة، وهم فاسقون لا تقبلوا شهادتهم على شيء أبداً.

٥ . (إلاّ الّذين تابوا...) إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا أعمالهم، فإن الله غفور رحيم يغفر ذنبهم ويرحمهم، فيرتفع عنهم الحكم بالفسق والحكم بعدم قبول شهادتهم أبداً.

٦، ٧ . (والّذين يرمون أزواجهم...) والذين يقذفون أزواجهم ولم يكن لهم أربعة من الشهداء يشهدون ما شهدوا، فالشهادة التي يجب على أحدهم أن يقيمها، هي أن يشهد أربع شهادات، أي يقول مرة بعد مرة: «أُشهد الله على صدقي فيما أقذفها به» أربع مرات، وخامستها أن يشهد ويقول: لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين.

٨، ٩ . (ويدرأ عنها العذاب...) إن المرأة إن شهدت خمس شهادات بإزاء شهادات الرجل دفع ذلك عنها حد الزنا، وشهاداتها أن تشهد أربع مرات تقول فيها: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين ثم تشهد خامسة فتقول: لعنة الله عليّ إن كان من الصادقين، وهذا هو اللعان الذي ينفصل به الزوجان.

١٠ . (ولولا فضل الله...) لولا ما أنعم الله عليكم من نعمة الدين وتوبته لمذنبيكم وتشريعه الشرائع، لزمتكم الشقوة، وأهلكتكم المعصية والخطيئة، واختل نظام حياتكم بالجهالة.

١١ . (إن الّذين جاؤوا بالإفك...) الإفك على ما ذكره الراغب: الكذب مطلقاً. إن الذين أتوا بهذا الكذب جماعة معدودة منكم مرتبط بعضهم ببعض. وفي ذلك إشارة إلى أن هناك تواطؤاً منهم على إذاعة هذا الخبر ليطعنوا به في نزاهة النبيّ صلى الله عليه وآله. (لا تحسبوه شرّاً لكم...) المراد بنفي كونه شراً لهم واثبات كونه خيراً: أن المجتمع الصالح من سعادته أن يتميز فيه أهل الزيغ والفساد، ليكونوا على بصيرة من أمرهم. (والّذي تولّى كبره منهم...) والذي تولى معظم الإفك وأصر على إذاعته بين الناس من هؤلاء الآفكين له عذاب عظيم.

١٢ . (لولا إذ سمعتموه...) توبيخ لهم إذ لم يردّوا الحديث حينما سمعوه ولم يظنوا بمن رمى به خيراً

(وقالوا هذا إفك مبين) قال المؤمنون والمؤمنات وهم السامعون: هذا إفك مبين، لأن الخبر الذي لا علم لمخبره به والدعوى التي لا بينة لمدعيها عليها محكوم شرعاً بالكذب.

١٣ . (لولا جاؤوا عليه بأربعة...) لو كانوا صادقين فيما يقولون ويرمون، لأقاموا عليه الشهادة وهي في الزنا بأربعة شهداء، فإذا لم يأتوا بالشهداء فهم محكومون شرعاً بالكذب، لأن الدعوى من غير بينة كذب وإفك.

١٤ . (ولولا فضل الله عليكم...) ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة، لوصل إليكم بسبب ما خضتم فيه من الإفك عذاب عظيم في الدنيا والآخرة.

(٤٨٥/١)

---

١٥ . (إذ تلقونه بألسنتكم...) أفضتم وخضتم فيه إذ تأخذونه وتنقلونه لساناً عن لسان، وتتلفظون بما لا علم لكم به. (تحسبونه هيّناً...) تظنون التلقي بألسنتكم والقول بأفواهكم من غير علم سهلاً، وهو عند الله عظيم لأنه بهتان وافتراء.

١٦ . (ولولا إذ سمعتموه...) كرّة ثالثة على المؤمنين بالتوبيخ، وقوله (سبحانك) اعتراض بالتنزيه لله سبحانه وهو من أدب القرآن أن ينزِّه الله بالتسبيح عند تنزيه كل منزه. والبهتان: الإفتراء. وكونه بهتاناً عظيماً لأنه إفتراء في عرض، وخاصة إذا كان متعلقاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وإنَّما كان بهتاناً لكونه إخباراً من غير علم، ودعوى من غير بَيِّنة.

١٧، ١٨ . (يعظكم الله أن...) موعظة بالنهي عن العود لمثله، ومعنى الآيتين ظاهر.

١٩ . (إنّ الّذين يحبّون...) المراد بالفاحشة: مطلق الفحش ؛ كالزِّنا والقذف وغير ذلك. (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) تأكيد وإعظام لما فيه من سخط الله وغضبه وإن جهله الناس.

٢٠ . (ولولا فضل الله عليكم...) تكرارٌ للإمتنان ومعناه ظاهر.

٢١ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) تقدم تفسير الآية في الآية ٢٠٨ من سورة البقرة. (ولولا فضل الله عليكم...)

[٣٤٩]

رجوع بعد رجوع إلى الإمتنان بالفضل والرحمة، ولا يخلو هذا الاهتمام من تأييد لكون الإفك متعلقاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وليس إلاّ لكرامته على الله سبحانه (لكن الله يزكي من يشاء...) فهو تعالى يزكي من يشاء فالأمر إلى مشيئته. (والله سميع عليم) سميع لسؤال من سأله التزكية عليم بحال من استعد لها.

٢٢ . (ولا يأتل أُولو الفضل...) لا يقصر أُولو الفضل منكم والسعة، يعني الأغنياء، في إيتاء أولي القرابة والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، من مالهم.

٢٣ . (إنّ الّذين يرمون...) أخذ الصفات الثلاث: الإحصان والغفلة والإيمان، للدلالة على عظم المعصية، فان كلاً من الإحصان بمعنى العفة والغفلة والإيمان سبب تام في كون الرمي ظلماً والرامي ظالماً والمرمية مظلومة، فإذا اجتمعت كان الظلم أعظم ثمّ أعظم، وجزاؤه اللعن في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم.

٢٤ . (يوم تشهد عليهم...) المراد بالشهادة: شهادة الأعضاء على السيئات والمعاصي.

٢٥ . (يومئذ يوفيهم الله...) يوم القيامة يؤتيهم الله جزاءهم الحق إيتاءً تاماً كاملاً. ويعلمون أن الله هو الحق المبين. هذا بالنظر إلى اتصال الآية بما قبلها ووقوعها في سياق ما تقدمها، وأما بالنظر إلى استقلالها في نفسها فمن الممكن أن يراد بالدين: ما يرادف سنّة الحياة، وهو معنى عال يرجع إلى ظهور الحقائق يوم القيامة للإنسان.

٢٦ . (الخبيثات للخبيثين...) المراد بالخبيثات والخبيثين والطيبات والطيبين: نساء ورجال متلبسون بالخباثة والطيب، فالآية من تمام آيات الإفك متصلة بها مشاركة لها في سياقها، وهي عامة لا مخصص لها من جهة اللفظ.

٢٧ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) مصلحة هذا الحكم هو الستر على عورات الناس والتحفظ على كرامة الإنسان فإذا استأنس الداخل عند إرادة الدخول على بيت غير بيته، فأخبر باستيناسه صاحب البيت بدخوله، ثم دخل فسلَّم عليه فقد أعانه على ستر عورته، وأعطاه الأمن من نفسه.

٢٨ . (فإن لم تجدوا فيها...) ان علمتم بعدم وجود احد فيها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم من قبل من يملك الاذن.

٢٩ . (ليس عليكم جناح...) تجويز الدخول في بيوت معدة لانواع الاستمتاع وهي غير مسكونة بالطبع، كالخانات والحمّامات ونحوها، فان كونها موضوعة للاستمتاع، إذن عام في دخولها.

٣٠ . (قل للمؤمنين يغضّوا...) الغض: اطباق الجفن على الجفن. نهي عن النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من الأجنبي والأجنبية لمكان الاطلاق. (يحفظوا فروجهم) المراد بحفظ الفروج: سترها عن النظر وقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام أن كل آية في القرآن في حفظ الفروج فهي من الزنا إلاّ هذه الآية فهي من النظر.

٣١ . (وقل للمؤمنات يغضضن...) لا يجوز لهن النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه، ويجب عليهن

ستر العورة عن الأجنبي والأجنبية. (ولا يبدين زينتهنّ...) المراد بإبداء الزينة: ابداء مواضعها في البدن. (وليضربن بخمرهنّ...) وليلقين باطراف مقانعهنّ على صدورهنّ ليسترنها بها. (ولا يبدين زينتهنّ...) البعولة: هم أزواجهنّ، والطوائف السبع الأخر: محارمهن من جهة النسب والسبب، وأجداد البعولة حكمهم حكم آبائهم، وأبناء أبناء البعولة حكمهم حكم الأبناء. (أو نسائهنّ) المراد بهنّ المؤمنات من النساء فلا يجوز لهن التجرد لغيرهن من النساء، وقد وردت به الروايات عن أئمة [٣٥٠]

أهل البيت عليه السلام. (أو ما ملكت أيمانهنّ) إطلاقه يشمل العبيد والإماء. (أو التابعين غير أُولي الإربة...) الإربة: هي الحاجة، والمراد الشهوة. (من الرِّجال) بيان للتابعين، والمراد بهم كما تفسره الروايات: البله المولى عليهم من الرجال ولا شهوة لهم. (أو الطفل الّذين لم يظهروا...) جماعة الأطفال الذين لم يقووا ولم يظهروا على أمر يسوء التصريح بها من النساء، وهو كما قيل كناية عن البلوغ. (ولا يضربن بأرجلهنّ) ذلك بتصوت أسباب الزينة كالخلخال والعقد والقرط والسوار. (وتوبوا إلى الله جميعاً...) المراد بالتوبة . على ما يعطيه السّياق . الرجوع إليه تعالى بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه، وبالجملة اتّباع سبيله.

(٤٨٨/١)

---

٣٢ . (وأنكحوا الأيامى منكم...) النكاح: التزويج، والأيامى: جمع أيم وهو الذكر الذي لا انثى معه، والانثى التي لا ذكر معها وقد يقال في المرأة أيمة، والمراد بالصالحين: الصالحون للتزويج لا الصالحون في الأعمال. (إن يكونوا فقراء يغنهم...) وعد جميل بالغنى وسعة الرزق.

٣٣ . (وليستعفف الّذين لا يجدون...) الأمر بالتعفف لمن لا يقدر على النكاح والتحرز عن الوقوع في الزنا حتى يغنيه الله من فضله. (والّذين يبتغون الكتاب...) المراد بالكتاب: المكاتبة، وابتغاء المكاتبة: ان يسأل العبد مولاه أن يكاتبه على ايتائه المولى مالاً على أن يعتقه. (وآتوهم من مال...) إشارة إلى إيتائهم مال المكاتبة من الزكاة المفروضة فسهم من سهام الزكاة لهم. (ولا تكرهوا فتياتكم...) الفتيات: الإماء والولائد. والبغاء: الزنا. والتحصّن: التعفّف والزّواج. وابتغاء عرض الحياة الدنيا: طلب المال.

٣٤ . (ولقد أنزلنا إليكم...) وأُقسم لقد أنزلنا إليكم آيات تبين لكم من معارف الدين ما تفلحون به، وصفة من السابقين أخيارهم وأشرارهم، يتميز بها لكم ما ينبغي أن تأخذوا به مما ينبغي لكم أنْ تجتنبوا، وموعظة للمتقين منكم.

٣٥

الله نور السّماوات والأرض...) المشكاة على ما ذكره الراغب وغيره: كوّة غير نافذة وهي ما يتخذ في

جدار البيت من الكوّ، لوضع بعض الأناث كالمصباح وغيره عليه، وهو غير الفانوس. الدرّي: من الكواكب العظيم الكثير النور. والإيقاد: الإشعال. والزيت: الدهن المتخذ من الزيتون. (الزجاجة كأنّها كوكب درّي) تشبيه الزجاجة بالكوكب الدرّي، من جهة ازدياد لمعان نور المصباح. (يهدي الله لنوره من يشاء) إستئناف يعلل به اختصاص المؤمنين بنور الإيمان والمعرفة وحرمان غيرهم. (ويضرب الله الأمثال) إشارة إلى أن المثل المضروب تحته طور من العلم، وإنّما اختير المثل لكونه أسهل الطرق لتبيين الحقائق والدقائق ويشترك فيه العالم والعامي.

(٤٨٩/١)

---

٣٦ . (في بيوت أُذِنَ الله...) المراد بالرفع: رفع القدر والمنزلة وهو التعظيم، ومن المتيقن من هذه البيوت المساجد فانها معدة لذكر إسمه فيها ممحضة لذلك. (يسبح له فيها بالغدو...) تسبيحه تعالى: تنزيهه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه، والغدو: جمع غداة وهو الصبح. والآصال: جمع أصيل وهو العصر. والالهاء: صرف الإنسان عمّا يعنيه ويهمه.

[٣٥١]

٣٧ . (رجال لا تلهيهم...) لا تنسيهم ربهم تجارة مستمرة ولا بيع ما من البيوع التي يوقعونها مدة تجارتهم. (يخافون يوماً تتقلّب) هذا هو يوم القيامة.

٣٨

ليجزيهم الله أحسن...) إنه يجزيهم بازاء عملهم في كل باب، جزاء أحسن عمل في ذلك الباب. (ويزيدهم من فضله) الفضل: العطاء.

٣٩ . (والّذين كفروا أعمالهم...) السراب: هو ما يلمع في المفازة كالماء ولا حقيقة له. والقيع والقاع: هو المستوى من الأرض ومفرداهما القيعة والقاعة.

٤٠

أو كظلمات في...) البحر اللجّي: هو البحر المتردد أمواجه. فهؤلاء وهم سائرون إلى الله وصائرون إليه من جهة اعمالهم، كراكب بحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، في ظلمات متراكمة كأشد ما يكون، ولا نور هناك يستضيء به فيهتدي إلى ساحل النجاة. (ومن لم يجعل الله له نوراً...) نفي النور عنهم بأن الله لم يجعله لهم.

٤١

ألَم تَرَ أنّ الله...) من الممكن أن يكون خطاباً خاصاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وقد كان أراه الله تسبيح من في السّماوات والأرض والطير صافّات، فيما أراه من ملكوت السّماوات والأرض وليس ببدع منه صلى الله عليه وآله وقد أرى الناس تسبيح الحصاة في كفه كما وردت به الأخبار المعتبرة.

٤٢ . (ولله ملك السّماوات...) يختص الملك ويقصره فيه تعالى، فله أن يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، ولازم قصر الملك فيه كونه هو المصير لكل شيء، وإذ كان لا مليك إلاّ هو وإليه مرجع كل شيء ومصيره، فله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.
٤٣

أَلَم تَرَ أنّ الله...) ألم تر أنت وكل من يرى أن الله يدفع بالرياح سحاباً متفرقاً ثمّ يؤلف بينه ثمّ يجعله متراكماً بعضه على بعض، فترى المطر يخرج من خلله وفرجه فينزل على الأرض. (وينزل من السّماء...) ألم تر أن الله ينزل من السماء من البرد المتراكم فيها كالجبال، فيصيب به من يشاء فيفسد المزارع والبساتين وربما قتل النفوس والمواشي، ويصرفه عمّن يشاء فلا يتضرّرون به بقرب ضوء برقه من أن يذهب بالأبصار.
٤٤ . (يقلب الله اللّيل...) تقليب الليل والنهار: تصريفهما بتبديل أحدهما من الآخر.
٤٥ . (والله خلق كل...) بيان آخر لرجوع الأمر إلى مشيته تعالى محضاً حيث يخلق كل دابة من ماء، ثم تختلف حالهم في المشي ؛ فمنهم من يمشي على بطنه كالحيّات والديدان، ومنهم من يمشي على رجلين كالأناسي والطيور، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم والسباع.
٤٦ . (لقد أنزلنا آيات...) يريد آية النور وما يتلوها المبينة لصفة نوره تعالى.
٤٧ . (ويقولون آمنّا بالله...) بيان حال بعض المنافقين حيث اظهروا الايمان والطاعة أوّلاً ثمّ تولوا ثانياً، فالإيمان بالله هو العقد على توحيده وما شرع من الدين. والإيمان بالرّسول هو العقد على كونه رسولاً مبعوثاً من عند ربّه أمرُهُ أمره ونهيُهُ نهيهُ وحكمُهُ حكمه. وطاعة الله هي تطبيق العمل بما شرعه، وطاعة الرّسول الإئتمار والإنتهاء عند أمره ونهيه، وقبول ما حكم به وقضى عليه.
[٣٥٢]
٤٨ . (وإذا دعوا إلى...) يشهد سياق الآية أن الآيات نزلت في بعض من المنافقين دعوا إلى حكم النبيّ صلى الله عليه وآله في منازعة وقعت بينه وبين غيره، فأبى الرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وفي ذلك نزلت الآيات.
٤٩ . (وإن يكن لهم...) وإن يكن الحق الذي هو حكم الرّسول لهم لا عليهم، يأتوا إلى حكمه منقادين، فليسوا بمعرضين عنه إلاّ لكونه عليهم لا لهم، ولازم ذلك أنهم يتبعون الهوى ولا يريدون إتباع الحق.

٥٠ . (أفي قلوبهم مرض...) المراد بمرض القلوب: ضعف الإيمان. (أم ارتابوا) ظاهر إطلاق الارتياب وهو الشك ان يكون المراد هو شكهم في دينهم بعد الإيمان. (أم يخافون أن يحيف...) أم يعرضون عن ذلك لأنهم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله. (بل أُولئك هم الظالمون) فليس إعراضهم عن إجابة الدعوة إلى حكم الله ورسوله إلاّ لكونهم حق عليهم أنهم ظالمون.

٥١ . (إنّما كان قول...) ذلك من مقتضيات طبيعة الإيمان، فان مقتضى الإيمان بالله ورسوله التلبية للدعوة إلى حكم الله ورسوله دون الرد. (إذا دعوا إلى الله) دعوة بعض الناس ممّن ينازعهم إلى التحاكم إلى الله ورسوله ليحكم بينهم.

٥٢ . (ومن يطع الله...) ومن يطع الله ورسوله فيما قضى عليه ويخشَ الله ويتّقِه فاولئك هم الفائزون، والفوز هو الفلاح.

٥٣ . (وأقسموا بالله جهد...) وأقسموا بالله باغلظ أيمانهم لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن، قل لهم: لا تقسموا فالخروج إلى الجهاد طاعة معروفة من الدين . وهو واجب لا حاجة إلى ايجابه بيمين مغلظ . وإن تكونوا تقسمون لأجل أن ترضوا الله ورسوله بذلك، فالله خبير بما تعملون لا يغره إغلاظكم في الأيمان.

٥٤ . (قل أطيعوا الله...) أمر بطاعة الله فيما أنزل من الدين، وأمر بطاعة الرّسول فيما يأتيهم به من ربّهم ويأمرهم به في أمر دينهم ودنياهم. (فإن تولّوا فانّما عليه ما حمّل...) فإن تتولوا وتعرضوا عن طاعة الرّسول، لم يضر ذلك الرسول فإنّما عليه ما حمّل من التكليف ولا يمسّكم منه شيء، وعليكم ما حمِّلتم من التكليف ولا يمسّه منه شيء. (وإن تطيعوه تهتدوا) لكن إن تطيعوا الرسول تهتدوا، لأن ما يجيئ به إليكم وما يأمركم به من الله وبأمره.

(٤٩٢/١)

---

٥٥ . (وعد الله الّذين...) وعد جميل للذين آمنوا وعملوا الصالحات أن الله تعالى سيجعل لهم مجتمعاً صالحاً يختص بهم، فيستخلفهم في الأرض ويمكّن لهم دينهم، ويبدّلهم من بعد خوفهم أمناً لا يخافون كيد منافق ولا صدَّ كافر، يعبدونه لا يشركون به شيئاً.

٥٦ . (وأقيموا الصّلاة وآتوا...) أمر في الحقيقة بطاعته تعالى فيما شرعه لعباده، وتخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما ركنين في التكاليف الراجعة إلى الله تعالى وإلى الخلق. (وأطيعوا الرّسول) إنفاذ لولايته صلى الله عليه وآله في القضاء والحكومة.

٥٧

لا تحسبنّ الّذين كفروا...) يخاطب تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن لا يظن أن الكفار معجزون لله في الأرض فيمنعونه بما عندهم من القوة والشوكة من أن ينجز وعده، وهذا في الحقيقة بشرى خاصة بالنبيّ صلى الله عليه وآله بما أكرم به أُمَّته وأن أعداءه سينهزمون ويغلبون ولذلك خصَّه بالخطاب على طريق الإلتفات.

٥٨ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) وضع الثياب: خلعها وهو كناية عن كونهم على حال ربّما لا يحبون أن يراهم عليها الأجنبي. والظهيرة: وقت الظهر. والعورة: السوأة. (ليستأذنكم الّذين ملكت أيمانكم) مروهم أن يستأذنوكم للدخول وظاهر الذين ملكت أيمانكم العبيد. (والّذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني المميزين من الأطفال قبل البلوغ. (ثلاث مرّات) كل يوم بدليل تفصيله بقوله: (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة . أي وقت الظهر

[٣٥٣]

ومن بعد صلاة العشاء) وقد أشار إلى وجه الحكم بقوله: (ثلاث عورات لكم) أي الأوقات الثلاثة، ثلاث عورات لكم لا ينبغي بالطبع أن يطّلع عليكم فيها غيركم. (ليس عليكم ولا عليهم) لا مانع لكم من أن لا تأمروهم بالاستيذان، ولا هم من أن لا يستأذنوكم في غير هذه الأوقات. (طوّافون عليكم) هم كثير الطواف عليكم بعضكم يطوف على بعض للخدمة.

(٤٩٣/١)

---

٥٩ . (وإذا بلغ الأطفال...) بيان أن حكم الاستيذان ثلاث مرات في الأطفال مغيّى بالبلوغ، فإذا بلغ الأطفال منكم الحلم بأن بلغوا، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم، وهم البالغون من الرجال والنساء الأحرار.

٦٠ . (والقواعد من النّساء...) والكبائر المسنَّة من النساء فلا بأس عليهن أن لا يحتجبن حال كونهن غير متبرجات بزينة (وأن يستعففن خير لهن) كناية عن الاحتجاب أي الاحتجاب خير لهن من وضع الثياب.

٦١ . (ليس على الأعمى...) ظاهر الآية أن فيها جعل حق للمؤمنين أن يأكلوا من بيوت قراباتهم أو التي ائتمنوا عليها، أو بيوت أصدقائهم، فهم مأذونون في أن يأكلوا منها بمقدار حاجتهم من غير إسراف وإفساد. (ليس على الأعمى حَرَج...) لكونهم أرباب عاهات يشكل عليهم أن يكتسبوا الرّزق بعمل أنفسهم أحياناً، وإلاّ فلا فرق بين الأعمى والأعرج والمريض وغيرهم في ذلك (أو ما ملكتم مفاتحه) المفاتح: جمع مفتح وهو المخزن، والمعنى: أو البيت الذي ملكتم أي تسلّطتم على مخازنه التي فيها الرّزق، كما يكون الرجل قيِّماً على البيت أو وكيلاً أو سُلِّم إليه مفتاحه. (أو صديقكم) والتقدير: أو بيت صديقكم. (ليس عليكم جناح...) لا إثم عليكم أن تأكلوا مجتمعين وبعضكم مع

بعض، أو متفرقين. (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا...) المراد: فسلموا على من كان فيها من أهلها وقد بدّل من قوله: (على أنفسكم) على أن بعضهم من بعض فإن الجميع إنسان، وقد خلقهم الله من ذكر وأُنثى، على أنهم مؤمنون والإيمان يجمعهم ويوحّدهم أقوى من الرحم وأي شيء آخر. وليس ببعيد أن يكون المراد بقوله (فسلموا على أنفسكم) أن يسلِّم الداخل على أهل البيت ويردُّوا السّلام عليه. (تحيّة من عند الله...) حال كون السلام تحية من عند الله شرَّعها الله وأنزل حكمها ليحيّي بها المسلمون، وهو مبارك ذو خير كثير باق وطيّب يلائم النفس.

(٤٩٤/١)

---

٦٢ . (إنّما المؤمنون الّذين...) إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله بحقيقة الإيمان وأيقنوا بتوحده تعالى واطمأنت نفوسهم وتعلقت قلوبهم برسوله.

إذا كانوا معه على أمر...) إذا كانوا مع الرّسول بالاجتماع عنده على أمر من الأمور العامة، لم يذهبوا ولم ينصرفوا من عند الرسول حتى يستأذنوه للذهاب. (فإذا استاذنوك لبعض شأنهم...) تخيير منه تعالى لرسوله في أن يأذن لمن شاء ولا يأذن لمن يشاء. (واستغفر لهم الله...) أمر له بالاستغفار لهم تطييباً لنفوسهم ورحمة بهم.

[٣٥٤]

٦٣ . (لا تجعلوا دعاء الرّسول...) دعاء الرسول: هو دعوته الناس إلى أمر من الأمور. (قد يعلم الله الّذين يتسللون...) التسلل: الخروج من البين برفق واحْتيال. واللواذ: الملاوذة وهو أن يلوذ الإنسان ويلتجئ إلى غيره فيستتر به، والمعنى: أن الله يعلم منكم الذين يخرجون من بين الناس والحال أنهم يلوذون بغيرهم ويستترون به فينصرفون فلا يهتمّون بدعاء الرّسول ولا يعتنون به. (فليحذر الّذين يخافون...) في الآية تحذير لمخالفي أمر النبيّ صلى الله عليه وآله ودعوته من أن تصيبهم فتنة وهي البليَّة، أو يصيبهم عذاب أليم.

٦٤ . (ألا إنّ ما في السّماوات...) بيان لعموم الملك وأن كل شيء مملوك لله سبحانه قائم به. (قد يعلم ما أنتم عليه) ملكه لكم ولكل شيء يستلزم علمه بحالكم وبما تحتاجون إليه من شرائع الدين، فيشرِّعه لكم ويفرضه عليكم. (ويوم يرجعون إليه فينبِّئهم...) ويعلم يوماً يرجعون إليه وهو يوم القيامة، فيخبرهم بحقيقة ما عملوا والله بكل شيء عليم.

«سورة الفرقان»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (تبارك الّذي نزّل...) التبارك: بمعنى ثبوت الخير الكثير. والفرقان: هو الفرق سمّي به القرآن لنزول آياته متفرقة، أو لتمييزه الحق من الباطل. والعالمون: جمع عالم ومعناه الخلق.

٢ . (الّذي له ملك...) يفيد أن السّماوات والأرض مملوكة له غير مستقلة بنفسها. (ولم يتّخذ ولداً) فإن الملك على الإطلاق لا يدع حاجة إلى اتخاذ الولد. (ولم يكن له شريك في الملك) فإن الحاجة إلى الشريك إنما هي فيما لم يستوعب الملك الأمور كلّها، وملكه تعالى عام لجميع الأشياء محيط بجميع جهاتها لا يَشذ منه شاذ، وفيه رد على المشركين.

٣ . (واتّخذوا من دونه...) أشار إلى ضلالة المشركين حيث عبدوا أصناماً ليست بخالقة شيئاً بل هي مخلوقة مصنوعة. (لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) إشارة إلى أن ليس لها من الالوهيّة إلاّ إسم. (لا يملكون موتاً...) لا يملكون موتاً حتى يدفعوه عن عبّادهم أو عمّن شاءوا، ولا حياة حتى يسلبوها عمّن شاءوا أو يفيضوها على من شاءوا، ولا نشوراً حتى يبعثوا الناس فيجازوهم على أعمالهم، وملك هذه الأمور من لوازم الالوهيّة.

٤ . (وقال الّذين كفروا...) وقال الذين كفروا من العرب ليس هذا القرآن إلاّ كلاماً مصروفاً عن وجهه، حيث إنه كلام محمّد صلى الله عليه وآله وقد نسبه إلى الله إفترى به على الله، وأعانه على هذا الكلام قوم آخرون وهم بعض أهل الكتاب، فقد فعل هؤلاء الذين كفروا بقولهم هذا ظلماً وكذباً.

٥ . (وقالوا أساطير الأوّلين...) كأنهم يوضحون قولهم: إنه إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون، بأنهم كتبوا له أساطير الأولين ثمّ يملونها عليه وقتاً بعد وقت بقراءة شيء بعد شيء عليه، وهو يقرأها على الناس وينسبها إلى الله سبحانه.

٦ . (قل أنزله الّذي...) إن الله سبحانه يعلم السر في السماوات والأرض وهو يعلم أن في سركم المستقر في سرائركم حباً للسعادة وطلباً وانتزاعاً للعاقبة الحسنى وحقيقتها فوز الدنيا والآخرة، وكان سبحانه غفوراً رحيماً ومقتضى ذلك أنْ يجيبكم إلى ما تسألونه بفطرتكم وتستدعونه في سركُم، فإن استجبتم لداعيه شملتكم المغفرة والرحمة وإن توليتم حرمتم ذلك.

٧، ٨ . (وقالوا مالِهذا الرّسول...) كيف يكون هذا المدّعي للرسالة رسولاً وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، والرسول لا يكون إلاّ ملكاً منزهاً عن هذه الخصال المادية، فإن تنزّلنا وسلّمنا رسالته وهو بشر، فلينزل إليه ملك يكون معه نذيراً ليتصل الإنذار وتبليغ الرّسالة بالغيب بتوسط الملك. (أو يلقى إليه كنز...) إن لم ينزل إليه ملك فليُلق إليه من

السّماء كنز حتى يصرف منه في وجوه حوائجه المادية، ولا يكدح في الأسواق. (أو يكون له جنّة يأكل منها) وإن لم يلق إليه كنز فليكن له جنة يأكل منها ولا يحتج إلى كسب المعاش. (وقال الظّالمون إن تتبعون...) المراد بالظالمين: هم المقترحون السابقو الذكر.

٩ . (أُنظر كيف ضربوا...) أنظر كيف وصفوك فضلّوا فيك ضلالاً لا يرجى معه اهتداؤهم إلى الحق.

١٠ . (تبارك الّذي إن...) أعرض سبحانه عن مخاطبتهم وعن الجواب عما اقترحوه، وإنّما ذكر لنبيّه صلى الله عليه وآله أن ربَّه قادر على أعظم ممّا يقترحونه، فان شاء جعل له خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، ويجعل له قصوراً لا يبلغ وصفها واصف، وذلك خير من أن يكون له جنة يأكل منها أو يلقى إليه كنز ليصرفه في حوائجه.

١١ . (بل كذّبوا بالسّاعة...) بل السبب الأصلي في إنكارهم نبوتك وطعنهم فيك أنهم كذّبوا بالساعة وأنكروا المعاد.

١٢ . (إذا رأتهم من...) الآية تمثل حال النار بالنسبة إليهم إذا برزوا لها يوم الجزاء، أنها تشتد إذا ظهروا لها، كالأسد يزأر إذا رأى فريسته.

١٣ . (وإذا القوا منها...) وإذا القوا يوم الجزاء في مكان ضيق من النار، وهم مصفدون بالأغلال، دعوا هنالك ثبوراً لا يوصف، وهو قولهم: وا ثبوراه.

١٤

لا تدعوا اليوم ثبوراً...) كناية عن أن الثبور لا ينفعكم اليوم سواء استقللتم منه أو استكثرتم.

(٤٩٧/١)

---

١٥ . (قل أذلك خير...) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يسألهم أيهما أرجح السعير أم جنة الخلد؟ (وعد المتقون) وعدها المتّقون. (كانت لهم جزاءً ومصيرا) جزاءً لتقواهم ومنقلباً ينقلبون إليه بما هم متقون.

١٧ . (ويوم يحشرهم وما...) ضمائر الجمع الأربعة عائدة إلى الكفار، والمشار إليهم المعنيون بقولهم (عبادي هؤلاء) الكفار ومعنى الآية ظاهر.

١٨ . (قالوا سبحانك ما كان...) ما صحّ وما استقام لنا أن نتجاوزك إلى غيرك فنتخذ من دونك أولياء، وهم الذين عبدونا واتخذونا أولياء من دونك. (ولكن متعتهم وآباءهم...) لما نفى المعبودون المسؤولون عن سبب ضلال عبّادهم نسبة الاضلال إلى أنفسهم، أخذوا في نسبته إلى الكفار أنفسهم مع بيان السبب الذي أضلَّهم، وهو انهم كانوا قوماً هالكين أو فاسدين وقد متعتهم وآباءهم من أمتعة الحياة الدنيا ونعمها حتى طال عليهم التمتيع، إمتحاناً وابتلاءً، فتمتعوا منها واشتغلوا بها، حتى نسوا

الذكر الذي جاءت به الرسل، فعدلوا عن التوحيد إلى الشرك.

١٩ . (فقد كذّبوكم بما...) فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في حقهم إنهم آلهة من دون الله، وإذ كذّبوكم ونفوا عن أنفسهم الُالوهية والولاية، فلا تستطيعون أنتم أيها العبدة أن تصرفوا عن أنفسكم العذاب بسبب عبادتهم، ولا تستطيعون نصراً لأنفسكم بسببهم.

٢٠ . (وما أرسلنا قبلك...) إن هذا الرّسول ليس بأول رسول أُرسل إلى الناس، بل أرسل الله قبله جماً غفيراً من المرسلين، وقد كانوا على العادة البشرية الجارية بين الناس، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ولم يخلق لهم جنة يأكلون منها، ولا أُلقي إليهم كنز ولا أُنزل معهم ملك، وهذا الرّسول إنّما هو كأحدهم ولم يأت بأمر بدع حتى يتوقع منه ما لا يتوقّع من غيره.

(٤٩٨/١)

---

٢١ . (وقال الّذين لا يرجون...) اعتراض منهم على رسالة الرّسول أنه لو كانت الرسالة مما يتيسَّر للبشر نيله ونحن بشر أمثال هذا المدعي للرسالة، فما بالنا لا ينزل علينا الملائكة ولا نرى ربّنا؟ فهلا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا.

[٣٥٦]

٢٢ . (يوم يرون الملائكة...) يوم يرى هؤلاء الذين لا يرجون لقاءنا الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهم منهم. (ويقولون حجراً محجورا) يقول المشركون يومئذ للملائكة وهم قاصدوهم بالعذاب: حجراً محجوراً أي لنكن في معاذ منكم.

٢٣ . (وقدمنا إلى ما عملوا...) وأقبلنا إلى كل عمل عملوه ففرّقناه تفريقاً لا ينتفعون به كالهباء المنثور، والكلام مبني على التمثيل مثّل به إستيلاء القهر الإلهي على جميع أعمالهم.

٢٤ . (وأصحاب الجنّة يومئذ...) المراد بأصحاب الجنّة: المتقون. والمستقر والمقيل: إسما مكان من الاستقرار ومعناه ظاهر، ومن القيلولة: وهي الإستراحة في منتصف النهار.

٢٥ . (ويوم تشقق السّماء...) ظاهر الآية أن السماء تنشق يوم القيامة بما عليها من الغمام الساتر لها، ويُنزَّل منها الملائكة الذين هم سكانها فيشاهدونهم.

٢٦ . (الملك يومئذ الحق...) الملك المطلق يومئذ حق ثابت للرحمن.

٢٧ . (ويوم يَعَضّ الظّالم...) واذكر يوم يندم الظالم ندماً شديداً قائلاً من فرط ندمه: ياليتني اتخذت مع الرّسول سبيلاً ما إلى الهدى.

٢٨ . (يا وَيلتى ليتني لم...) يا ويلتى . يا هلاكي . ليتني لم أتخذ فلاناً . وهو من اتخذَهُ صديقاً يشاوروه ويسمع منه ويقلده . خليلاً.

٢٩ . (لقد أضلّني عن...) تعليل للتمني السابق، والمراد بالذكر: مطلق ما جاءت به الرسل أو

خصوص الكتب السماوية. وينطبق بحسب المورد على القرآن.

٣٠ . (وقال الرّسول يا ربِّ...) المراد بالرّسول: محمّد صلى الله عليه وآله بقرينة ذكر القرآن. والقول ممّا يقولهُ الرّسول يوم القيامة لربّه على طريق البث والشكوى.

(٤٩٩/١)

---

٣١ . (وكذلك جعلنا لكلِّ...) كما جعلنا هؤلاء المجرمين عدواً لك، كذلك جعلنا لكل نبي عدواً منهم أي هذه من سنتنا الجارية في الأنبياء وأُممهم، فلا يسوءنّك ما تلقى من عداوتهم ولا يشقن عليك ذلك. (وكفى بربِّك هادياً ونصيرا) فحسبك ربّك كفى به هادياً يهدي من استحق من الناس وكفى به نصيراً ينصرك وينصر دينك.

٣٢ . (وقال الّذين كفروا...) المراد بهم: مشركو العرب الرادّون لدعوة القرآن. (كذلك لنثبت به...) نزلناه أي القرآن كذلك نجوماً متفرقة لا جملة واحدة لنثبت به فؤادك. (ورتّلناه ترتيلا) إن هذه التعليمات على نزولها نجوماً متفرقة عقبنا بعضها ببعض، بحيث لا تبطل الروابط ولا تنقطع آثار الأبعاض، فلا يفسد بذلك غرض التعليم بل هي سور وآيات نازلة بعضها إثر بعض مترتبة مرتّلة.

٣٣ . (ولا يأتونك بمثل إلاّ...) لا يأتونك بوصف فيك أو في غيرك حادوا به عن الحق أو أساءوا تفسيره، إلاّ جئناك بما هو الحق فيه أو ما هو أحسن الوجوه في تفسيره، فإن ما أتوا به إما باطل محض فالحق يدفعه، أو حق محرّف عن موضعه فالتفسير الأحسن يردّه إلى مستواه ويقوّمه.

٣٤ . (الّذين يحشرون على...) كأنه قيل: إن هؤلاء هم الظالون فإنهم محشورون على وجوههم، ولا يبتلي بذلك إلاّ من كان ضالاً في الدّنيا.

٣٥ . (ولقد آتينا موسى...) إستشهاد على رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله ونزول الكتاب عليه، برسالة موسى وإيتائه الكتاب وإشراك هارون في أمره.

٣٦ . (فقلنا اذهبا إلى...) قال في مجمع البيان: التدمير: الاهلاك لأمر عجيب. والمراد بالآيات: آيات الآفاق والأنفس الدالة على التوحيد التي كذَّبوا بها.

٣٧ . (وقوم نوح لما...) المراد بتكذيبهم الرسل: تكذيبهم نوحاً فإن تكذيب الواحد من رسل الله تكذيب للجميع لاتفاقهم على كلمة الحق. (وجعلناهم للنّاس آية) لمن بقي بعدهم من ذراريهم.

(٥٠٠/١)

---

٣٨ . (وعاداً وثمود وأصحاب...) قال في مجمع البيان: الرس البئر التي لم تطو، ذكروا: أنهم كانوا قوماً بعد ثمود

[٣٥٧]

نازلين على بئر أرسل الله إليهم رسولاً فكذّبوا به فأهلكهم الله، وقيل هو اسم نهر كانوا على شاطئه وفي روايات الشيعة ما يؤيد ذلك. والمعنى: ودمرنا وأهلكنا عاداً وهم قوم هود، وثمود وهم قوم صالح، وأصحاب الرسّ، وقروناً كثيراً متخللين بين هؤلاء الذين ذكرناهم وهم قوم نوح فمن بعدهم.

٣٩ . (وكلاً ضربنا له...) ضرب الأمثال في معنى التذكير والموعظة والإنذار، والتَتْبير: التفتيت.

٤٠ . (ولقد أتوا على القرية...) هذه القرية هي قرية قوم لوط، أمطر الله عليهم حجارة من سجيل. (أفلم يكونوا يرونها) إستفهام توبيخي فان القرية كانت على طريق أهل الحجاز إلى الشام. (بل كانوا لا يرجون نشورا) إنهم منكرون للمعاد، فلا تنجح فيهم دعوة ولا تقع في قلوبهم حكمة ولا موعظة.

٤١ . (وإذا رأوك إن...) إذا رآك الذين كفروا لا يتخذونك إلاّ مَهزوّاً به. (أهذا الّذي بعث...) بيان لاستهزائهم أي يقولون كذا إستهزاءً بك.

٤٢ . (إن كاد ليضلّنا...) إنه قرب أن يصرفنا عن آلهتنا مضلاً لنا، لولا أن صبرنا على عبادتها لصرفنا عنها. (وسوف يعلمون حين) توعد وتهديد منه تعالى لهم.

٤٣ . (أرأيت من اتّخذ...) المراد باتخاذ الهوى إلهاً: طاعته واتباعه من دون الله. (أفأنت تكون عليه وكيلا) لستَ أنت وكيلاً عليه قائماً على نفسه وباموره حتى تهديه إلى سبيل الرشد.

٤٤ . (أم تحسب أن أكثرهم...) بل تظن أن أكثرهم لهم إستعداد إستماع الحق ليتبعه، أو إستعداد عقل الحق ليتبعه، فترجو إهْتِداءهم فتبالغ في دعوتهم. (إن هم إلاّ كالأنعام) أنهم ليسوا إلاّ كالأنعام والبهائم في أنها لا تعقل ولا تسمع إلاّ اللفظ. (بل هم أضلّ سبيلاً) من الأنعام.

---

٤٥ . (ألَم تَرَ إلى ربّك...) المراد بمد الظل: ما يعرض الظل بعد الزوال من التمدد شيئاً فشيئاً من المغرب إلى المشرق، وهو في جميع أحواله متحرك ولو شاء الله لجعله ساكناً (ثمّ جعلنا الشّمس عليه دليلاً) والدليل هي الشمس من حيث دلالتها بنورها على أن هناك ظلاً.

٤٦ . (ثمّ قبضناه إلينا...) أزلنا الظل بإشراق الشمس وارتفاعها شيئاً فشيئاً.

٤٧ . (وهو الّذي جعل...) كون الليل لباساً: إنّما هو ستره الإنسان بغشيان الظلمة كما يستر اللباس لابسه. وقوله: (والنّوم سباتاً) قطعاً للعمل. (وجعل النّهار نشورا) جعل فيه الإنتشار وطلب الرزق على ما ذكره الراغب في معنى اللفظتين.

٤٨ . (وهو الّذي أرسل...) وهو الذي أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهي المطر. (وأنزلنا من

السّماء ماءً طهوراً) بالغاً في طهارته فهو طاهر في نفسه مطهِّر لغيره يزيل الأوساخ ويذهب بالأرجاس والأحداث.

٤٩ . (لنحيي به بلدة...) المكان الميت: ما لا نبات فيه، وإحياؤه: إنباته، والأناسي: جمع إنسان.

٥٠ . (ولقد صرفناه بينهم...) وأقسم لقد صرّفنا الماء بتقسيمه بينهم ليتذكّروا فيشكروا.

٥١ . (ولو شئنا لبعثنا...) لو أردنا أن نبعث في كل قرية نذيراً ينذرهم ورسولاً يبلغهم رسالاتنا لبعثنا، ولكن بعثناك إلى القرى كلها نذيراً ورسولاً لتعظيم منزلتك عندنا.

٥٢ . (فلا تطع الكافرين...) فلا تطع الكافرين لأن طاعتهم تبطل هذا الناموس العام المضروب للهداية، وأبذل مبلغ جهدك ووسعك في تبليغ رسالتك وإتمام حجتك بالقرآن المشتمل على الدعوة الحقّة، وجاهدهم به مجاهدة كبيرة.

٥٣ . (وهو الّذي مرج...) المرج: الخلط. والعذب من الماء: ما طاب طعمه. والفرات منه: ما كثر عذوبته، والمالح: هو الماء المتغير طعمه. والاجاج: شديد الملوحة، والبرزخ: هو الحد الحاجز بين شيئين. وحجراً محجورا: حراماً محرّماً أن يختلط أحد الماءين بالآخر.

---

٥٤ . (وهو الّذي خلق...) وهو الذي خلق من النطفة . وهي ماء واحد . بشراً فقسَّمه قسمين ذا نسب وذا صهر،

يعني الرجل والمرأة.

٥٥ . (ويعبدون من دون...) ويعبدون . هؤلاء الكفار المشركون . من دون الله ما لا ينفعهم بايصال الخير على تقدير العبادة، ولا يضرهم بايصال الشر على تقدير ترك العبادة، وكان الكافر معاوناً للشيطان على ربّه.

٥٦ . (وما أرسلناك إلاّ...) لم نجعل لك في رسالتك إلاّ التبشير والإنذار، وليس لك وراء ذلك من الأمر شيء، فلا عليك إن كانوا معاندين لربّهم، فليسوا بمعجزين لله وما يمكرون إلاّ بأنفسهم.

٥٧ . (قل ما أسألكم عليه...) لا بغية له في دعوتهم إلاّ أن يستجيبوا له ويتخذوا إلى ربّهم سبيلا، من غير غرض زائد من الأجر أيّاً ما كان، وأن لهم الخيرة في أمرهم من غير أي إجبار وإكراه.

٥٨ . (وتوكّل على الحي...) إتخذه وكيلاً في أمرهم يحكم فيهم ما يشاء ويفعل بهم ما يريد، فإنّه الوكيل عليهم وعلى كل شيء. (وسبِّح بحمده) نزهه عن العجز والجهل وكل ما لا يليق بساحة قدسه. (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) وهو خبير بذنوبهم وحاكم فيهم وحدهُ من غير حاجة إلى من يعينه في علمه أو في حكمه.

٥٩ . (الّذي خلق السّماوات...) هو الرحمن . الذي استوى على عرش الملك والذي برحمته وإفاضته يقوم الخلق والأمر، ومنه يبتدئ كل شيء وإليه يرجع . فاسأله عن حقيقة الحال يخبرك بها فإنه خبير.

٦٠ . (وإذا قيل لهم...) هذا فصل آخر من معاملتهم السوء مع الرّسول، يذكر فيه استكبارهم عن السجود لله سبحانه.

٦١ . (تبارك الّذي جعل...) الظاهر أن المراد بالبروج: منازل الشمس والقمر من السماء، أو الكواكب التي عليها. والمراد بالسراج: الشمس.

(٣/٢)

---

٦٢ . (وهو الّذي جعل...) الآية إعتزاز أو امتنان بجعله تعالى الليل والنهار بحيث يخلف كل صاحبه، فمن فاته الإيمان به في هذه البرهة من الزمان، تداركه في البرهة الاخرى منه، ومن لم يوفق لعبادة أو لأي عمل صالح في شيء منهما، أتى به في الآخر.

٦٣ . (وعباد الرّحمن الّذين...) سماهم عباداً وأضافهم إلى نفسه متسمياً باسم الرّحمن الذي كان يحيد عنه الكفّار وينفرون. (وإذا خاطبهم الجّاهلون قالوا سلاماً) قالوا لهم قولاً سلاماً خالياً عن اللغو والإثم.

٦٤ . (والّذين يبيتون لربِّهم...) وهم الذين يدركون الليل حال كونهم ساجدين فيه لربِّهم، وقائمين يتراوحون سجوداً وقياماً. ويمكن أن يراد به التهجد بنوافل الليل.

٦٥ . (والّذين يقولون ربّنا...) الغرام: ما ينوب الإنسان من شدّة أو مصيبة فيلزمه ولا يفارقه.

٦٦ . (إنّها ساءت مستقرّاً...) الضمير لجهنم. والمستقر والمقام: اسما مكان من الاستقرار والإقامة.

٦٧ . (والّذين إذا انفقوا...) القتر: التقليل في الانفاق. القوام: العدل، فصدر الآية ينفي طرفي الإفراط والتفريط في الانفاق، وذيلها يثبت الوسط.

٦٨ . (والّذين لا يدعون...) المراد بدعاء غيره: دعاء إله آخر مع وجوده، وبعبارة أُخرى تعدّيه إلى غيره. (ولا يقتلون النفس...) لا يقتلون النفس الإنسانية التي حرّم الله قتلها في حال من الأحوال، إلاّ حال تلبس القتل بالحق كقتلها قصاصاً وحدّاً. (ومن يفعل ذلك يَلقَ أثاما) الإشارة بذلك إلى ما تقدم ذكره وهو الشرك وقتل النفس المحترمة بغير حق والزنا، والأثام: الإثم وهو وبال الخطيئة، وهو الجزاء بالعذاب الذي سيلقاه يوم القيامة المذكور في الآية التالية.

٦٩ . (يضاعف له العذاب...) بيان للقاء الأثام. (ويخلد فيه مهانا) يخلد في العذاب وقد وقعت عليه الإهانة.

٧٠ . (إلاّ من تاب وآمن...) استثناء من لقي الآثام والخلود فيه، وقد أخذ في المستثنى التوبة والإيمان وإتيان العمل الصالح. (فأولئك يبدل الله سيّئاتهم حسنات) تفريع على التوبة والإيمان والعمل الصّالح، يصف ما يترتب على ذلك من جميل الأثر، وهو أن الله يبدّل سيئاتهم حسنات.
[٣٥٩]

٧١ . (ومن تاب وعمل...) في الآية شمول للتوبة من جميع المعاصي.

٧٢ . (والّذين لا يشهدون الزور...) قال في مجمع البيان: أصل الزور تمويه الباطل بما يوهم أنه حق. فيشمل الكذب وكل لهو باطل كالغناء والفحش. (وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما) وإذا مرّوا بأهل اللّغو وهم يلغون، مرّوا معرضين عنهم منزهين أنفسهم عن الدخول فيهم والاختلاط بهم ومجالستهم.

٧٣ . (والّذين إذا ذُكِّروا...) والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربِّهم، من حكمة أو موعظة حسنة من قرآن أو وَحي لم يسقطوا عليه وهم صمّ لا يسمعون وعميان لا يبصرون، بل تفكروا فيها وتعقلوها فأخذوا بها عن بصيرة فآمنوا بحكمتها واتعظوا بموعظتها، وكانوا على بصيرة من أمرهم وبينة من ربِّهم.

٧٤ . (والّذين يقولون ربّنا...) مرادهم بكون أزواجهم وذرياتهم قرّة أعين لهم، أن يسرّوهم بطاعة الله والتجنّب عن معصيته، فلا حاجة لهم في غير ذلك ولا إربة وهم أهل حق لا يتبعون الهوى. (واجعلنا للمتّقين إماماً) متسابقين إلى الخيرات سابقين إلى رحمتك فيتبعنا غيرنا من المتّقين.

٧٥، ٧٦ . (أُولئك يجزون الغرفة...) أُولئك الموصوفون بما وصفوا، يجزون الدرجة الرفيعة من الجنة يلقون فيها، أي يتلقاهم الملائكة بالتحيّة.

٧٧ . (قل ما يعبأ بكم...) قل لا قدر ولا منزلة لكم عند ربي، فوجودكم وعدمكم عنده سواء، لأنكم كذّبتم فلا خير يُرجى فيكم، فسوف يكون هذا التكذيب ملازماً لكم أشد الملازمة، إلاّ أن الله يدعوكم ليتِمَّ الحجّة عليكم، أو يدعوكم لعلّكم ترجعون عن تكذيبكم.

«سورة الشّعراء»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (طسم تلك آيات...) تلك الآيات العالية قدراً والرفيعة مكاناً، آيات الكتاب الظاهر الجلي، كونه من عند الله سبحانه بما فيه من سمة الإعجاز، وإن كذّب به هؤلاء المشركون.

٣ . (لعلَّك باخع نفسك...) [لعلّك] تهلك نفسك بسبب عدم إيمانهم بآيات هذا الكتاب.

٤ . (إن نشأ ننَزّل...) إن نشأ أن ننزِّل عليهم آية تخضعهم وتلجئهم إلى القبول.

٥ . (وما يأتيهم من...) بيان لاستمرارهم على تكذيب آيات الله، وتمكن الإعراض عن ذكر الله في نفوسهم.

٦ . (فقد كذّبوا فسيأتيهم...) لمّا تحقّق منهم التكذيب فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون من آيات الله.

٧ . (أوَ لَمْ يروا إلى الإرض...) لم ينظروا إلى هذه الأزواج الكريمة من النباتات التي أنبتناها في الأرض.

٨

إنّ في ذلك لآية...) الإشارة بذلك إلى ما ذكر في الآية السابقة من إنبات كل زوج كريم. (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكن المترقب من حال أكثرهم بما عندهم من ملكة الإعراض أن يؤمنوا.

٩ . (وإنّ ربَّك لهو...) فهو تعالى لكونه عزيزاً يأخذ المعرضين عن ذكره ويجازيهم بالعقوبات العاجلة والآجلة، ولكونه رحيماً ينزل عليهم الذكر ليهديهم ويغفر للمؤمنين به ويمهل الكافرين.

١٠، ١١ . (وإذ نادى ربّك...) واذكر وقتاً نادى ربّك موسى وبعثه بالرّسالة إلى قوم فرعون.

١٢، ١٣ . (قال ربِّ إنِّي أخاف...) [أخاف أن ينسبني قوم فرعون إلى الكذب]. (فأرسل إلى هارون) أرسِل ملك الوحي إلى هارون ليكون معيناً لي على تبليغ الرسالة.

١٤ . (ولهم عليَّ ذنب...) في الآية إشارة إلى قصة قتله عليه السلام [القبطي].

١٥ . (قال كلّا فاذهبا...) كلاّ لا يقدرون على قتلك فاذهبا إليهم بآياتنا ولا تخافا إنّا حاضرون عندكم شاهدون.

[٣٦٠]

١٦ . (فأتيا فرعون فقولا...) التعبير بالرّسول بلفظ المفرد إمّا باعتبار كل واحد منهما أو باعتبار كون رسالتهما واحدة، أو باعتبار أنّ الرسول مصدر في الأصل فالأصل ان يستوي فيه الواحد والجمع.

---

١٧ . (أن أرسل معنا بني...) المراد بارسالهم: إطلاقهم.

١٨ . (قال ألم نربّك فينا...) انت الذي ربيناك وأنت وليد ولبثت فينا من عمرك سنين عديدة، نعرفك باسمك ونعتك ولم ننس شيئاً من أحوالك، فمن أين لك هذه الرسالة.

١٩ . (وفعلت فعلتك الّتي...) مُراده بهذه الفعلة: قتله عليه السلام القبطي. ومُراده بالكفر: كفران النعمة.

٢٠، ٢١ . (قال فعلتها إذاً...) إني فعلتها حينئذ والحال أني في ضلال من الجهل بجهة المصلحة

فيه والحق الذي يجب أنْ يتبع هناك، فأقدمت على الدفاع عمّن استنصرني، ولم أعلم أنه يؤدي إلى قتل الرّجل. (فوهب لي ربّي حكماً) المراد به: إصابة النظر في حقيقة الأمر.

٢٢ . (وتلك نعمة تمنّها...) أن هذا الذي تعدّه نعمة وتقرَّ عيني بكفرانها، سلطة ظلم وتغلّب إذ عبَّدتَ بني إسرائيل، والتعبيد ظلماً وتغلباً ليس من النعمة في شيء.

٢٣ . (قال فرعون وما...) سؤال منه عن حقيقة رب العالمين.

٢٤ . (قال ربُّ السّماوات...) ربّ العالمين هو الذي يوقن الموقنون بربوبيته لجميع السّماوات والأرض وما بينهما.

٢٥ . (قال لمن حوله ألا تستمعون) ألا تصغون إلى ما يقول موسى؟

٢٦ . (قال ربكم وربّ...) جواب موسى عليه السلام ثانياً فإنه لما رأى تمويه فرعون على من حوله، عدل ثانياً إلى ما يكون أصرح من المقصود، فذكر ربوبيته تعالى لعالمي الإنسانية من الحاضرين والماضين.

٢٧ . (قال إن رسولكم...) قال فرعون ثانياً وقد سمّى موسى رسولاً تهكماً واستهزاءً وقد رماه بالجنون.

٢٨ . (قال ربّ المشرق...) المراد بالمشرق: جهة شروق الشمس وسائر الأجرام النيِّرة السماوية وطلوعها. والمغرب: الجهة التي تغرب فيها بحسب الحس، وبما بينهما: ما بين الجهتين.

٢٩ . (قال لئن اتّخذت...) لو دمت على ما تقول لاجعلنك في زمرة الذين في سجني.

٣٠ . (قال أولو جئتك...) قال موسى: أتجعلني من المسجونين ولو أتيتك بشيء يوضح صدقي فيما ادّعيت من الرّسالة.

---

٣١ . (قال فأت به...) القائل فرعون. (إن كنت من الصّادقين) إن كنت صادقاً في أن عندك شيئاً كذلك.

٣٢، ٣٣ . (فالقى عصاه فإذا...) هاتان الآيتان اللّتان اوتيهما موسى ليلة الطور.

٣٤، ٣٥ . (قال للملأ حوله...) لما أتى عليه السلام بما لا مغمض فيه، لم يجد بدّاً دون أن يبهته بأنه ساحر عليم. (يريد أن يخرجكم...) إغراء لهم عليه وحثاً لهم على أن يتفقوا معه على دفعه بأي وسيلة ممكنة. (فماذا تأمرون) فماذا تشيرون عليَّ.

٣٦، ٣٧ . (قالوا أرجه وأخاه...) أخّر موسى وأخاه وأمهلهما ولا تعجل إليهما بسياسة أو سجن ونحوه حتى تعارض سحرهما بسحر مثله. (وابعث في المدائن...) ابعث في البلاد عدة من شرطائك وجنودك يحشرون كل سحّار عليم فيها ويأتوك بهم لتعارضهما بسحرهم.

٣٨ . (فجمع السحرة لميقات...) هو يوم الزينة الذي اتفق موسى وفرعون على جعله ميقاتاً للمعارضة.

٣٩ . (وقيل للنّاس هل...) الاستفهام لحث الناس وترغيبهم على الاجتماع.

٤٠ . (لعلّنا نتبع السّحرة...) قال في الكشاف ما حاصله أن المراد باتباع السّحرة إتباعهم في دينهم، وكانوا متظاهرين بعبادة فرعون.

٤١، ٤٢ . (فلمّا جاء السّحرة...) الاستفهام في معنى الطلب، ألقوه في صورة الشك ليكون أدعى لفرعون إلى جعل الأجر. وقد أثّر ذلك أثره.

٤٣ . ٤٥ . (قال لهم موسى القوا...) اللقف: الإبتلاع بسرعة. وما يأفكون: من الإفك بمعنى صرف الشيء عن وجهه.

[٣٦١]

٤٦ . (فأُلقي السّحَرة ساجدين...) إن السّحرة لما رأوا ما رأوا من الآيات الباهرة، بهرهم وأدهشم ذلك فلم يتمالكوا أنفسهم دون أن خرّوا على الأرض ساجدين لله سبحانه.

٤٧ . (قالوا آمنّا بربِّ...) فيه إيمان بالله.

٤٨ . (ربِّ موسى وهارون...) فيه إشارة إلى الإيمان بالرّسالة مضافاً إلى التوحيد.

---

٤٩ . (قال آمنتم له قبل...) آمنتم من دون إذن مِنّي. (إنه لكبيركم الّذي علمكم السّحر) بهتان آخر يبهت به موسى عليه السلام ليصرف به قلوب قومه وخاصة ملأهم عنه. (فلسوف تعلمون) تهديد لهم في سياق الإبهام، للدلالة على أنه في غنى عن ذكره وأما هم فسوف يعلمونه.

لاَُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجلكم...) القطع من خلاف: أن تُقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو بالعكس والتصليب جعل المجرم على الصليب.

٥٠ . (قالوا لا ضير إنّا...) إنّا لا نستضر بهذا العذاب الذي توعدنا به لأنا نصبر ونرجع بذلك إلى ربّنا.

٥١ . (إنّا نطمع أن يغفر...) نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا بسبب كوننا أوّل المؤمنين بموسى وهارون.

٥٢ . (وأوحينا إلى موسى...) شروع في سرد الشطر الثاني من القصة وهو وصف عذاب آل فرعون.

إنّكم متبعون) سر بهم ليلاً ليتبعكم آل فرعون.

٥٣ . ٥٦ . (فأرسل فرعون في...) فأسرى موسى بعبادي فلما علم فرعون بذلك أرسل (في المدائن)

التي تحت سلطانه رجالاً (حاشرين) يحشرون الناس ويجمعون الجموع قائلين للناس
إن هؤلاء) بني إسرائيل
لَشِرذمة قليلون) والشرذمة من كل شيء بقيته (وإنّهم لنا لغائظون) يأتون من الأعمال ما يغيظوننا (وإنّا لجميع) مجموع متّفق فيما نعزم عليه (حاذرون) نحذر العدو أن يغتالنا أو يمكر بنا.
٥٧ . ٥٩ . (فأخرجناهم من جنّات...) لما كان خروجهم عن مكر إلهي بسبب داعية الاستعلاء والاستكبار التي فيهم، نسب إلى نفسه أنه أخرجهم. (كذلك) أي الأمر كذلك (وأورثناها) تلك الجنّات والعيون والكنوز والمقام الكريم (بني إسرائيل) حيث أهلكنا فرعون وجنوده وأبقينا بني إسرائيل بعدهم فكانوا هم الوارثين.
٦٠ . (فأتبعوهم مشرقين...) أي لحقوا ببني إسرائيل (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس وطلوعها.

---

٦١ . (فلمّا تراءى الجمعان...) دنا بعضهم من بعض فرأى كل من الجمعين جمع فرعون وجمع موسى الآخر. (قال أصحاب موسى) من بني إسرائيل خائفين فزعين (إنّا لمدركون) سيدركنا جنود فرعون.
٦٢ . (قال كلّا...) لن يدركونا (إنّ معي ربّي سيهدين) سيدلني على طريق لا يدركني فرعون معها.
٦٣ . ٦٦ . (فاوحينا إلى موسى...) الانفلاق: انشقاق الشيء وبينونة بعضه من بعض (فكان كل فرق) قطعة منفصلة من الماء (كالطود) وهو القطعة من الجبل (العظيم) فدخلها موسى ومن معه من بني إسرائيل. (وأزلفنا ثمّ) وقربنا هناك (الآخرين) وهم فرعون وجنوده (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على حاله وهيئته حتى قطعوه وخرجوا منه. (ثمّ أغرقنا الآخرين) باطباق البحر عليهم وهم في فلقه.
٦٧، ٦٨ . (إنّ في ذلك لآية...) المشار إليه: مجموع ما ذكر في قصّة موسى.
٦٩ . (وأتل عليهم نبأ...) غيّر السّياق عمّا كان عليه أوّل القصة، فإن المطلوب تلاوته على مشركي العرب وعمدتهم قريش وإبراهيم هذا أبوهم.
٧٠ . (إذ قال لأبيه...) هذه المحاجّة كانت من إبراهيم أوّل ما خرج من كهفه ودخل في مجتمع أبيه وقومه.
٧١ . (قالوا نعبد أصناماً...) العكوف على الشيء: ملازمته والإقامة عنده. أي ندوم عاكفين عليها لأجلها.
٧٢، ٧٣ . (قال هل يسمعونكم...) إعترض عليه السلام عليهم في عبادتهم الأصنام.

٧٤ . (قالوا بل وَجَدْنا...) ذكروا أنهم لا مستند لهم في عبادتها إلاّ تقليد الآباء.

٧٥ . ٧٧ . (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون...) فإذا كانت باطلة لا حجّة لكم عليها إلاّ تقليد آبائكم فهذه الأصنام

[٣٦٢]

عدوّ لي لأن عبادتها ضارّة لديني مهلكة لنفسي.

إلاّ ربَّ العالمين) لكن ربّ العالمين ليس كذلك.

٧٨ . (الّذي خلقني فهو يهدين...) المراد: مطلق الهداية إلى المنافع دنيوية كانت أو اُخروية.

٧٩، ٨٠ . (والّذي هو يطعمني...) كالكناية عن جملة النعم المادية التي يرزقه الله ايّاها لتتميم النواقص ورفع الحوائج الدنيوية، وقد خص بالذكر منها ما هو أهمها وهو الإطعام والسقي والشفاء إذا مرض.

٨١ . (والّذي يميتني...) يريد الموت المقضي لكل نفس. والمراد بالاحياء: إفاضة الحياة بعد الموت.

٨٢ . (والّذي أطمع أن يغفر...) لم يقطع بالمغفرة لأنها فضل من الله.

٨٣ . (ربِّ هب لي حكماً...) يريد بالحكم: إصابة النظر والرأي في المعارف الإعتقادية والعملية الكلية وتطبيق العمل عليها. (وألحقني بالصّالحين) المراد: الصالحون ذاتاً.

٨٤ . (واجعل لي لسان...) يؤول المعنى: إلى مسألة أن يبعث الله في الآخرين من يقوم بدعوته ويدعو الناس إلى ملّته وهي دين التوحيد.

٨٥ . (واجعلني من ورثة...) تقدّم معنى وراثة الجنة في تفسير قوله تعالى: (أُولئك هم الوارثون) المؤمنون: ١٠.

٨٦ . (واغفر لأبي إنّه...) إستغفار لأبيه وليس ببعيد أنه دعا لأبيه بهذا الدعاء وهو حيّ بعد، وعلى هذا فمعنى قوله: (إنّه كان من الضّالين) أنه كان قبل الدعاء بزمان من أهل الضلال.

٨٧، ٨٨ . (ولا تخزني يوم يبعثون...) [يتبين] من سؤاله عدم الإخزاء يوم القيامة، أن الإنسان في حاجة إلى النصر الإلهي يومئذ.

٨٩ . (إلاّ من أتى الله...) لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينتفع به.

٩٠، ٩١ . (وأُزلفت الجنّة للمتّقين...) الإزلاف: التقريب. والتبريز: الإظهار.

٩٢، ٩٣ . (وقيل لهم أين...) هل يدفعون الشقاء والعذاب عنكم أو عن أنفسهم.

٩٤، ٩٥ . (فكبكبوا فيها هم...) يقال كبه فانكب، أي: ألقاه على وجهه مرة بعد اُخرى.

٩٦ . (قالوا وهم فيها...) الظاهر أن القائلين هم الغاوون، والاختصام واقع بينهم يخاصمون أنفسهم

والشياطين.

٩٧، ٩٨ . (تالله إن كنّا لفي...) اعتراف منهم بالضلال.

٩٩ . (وما أضلّنا إلاّ المجرمون) هم الذين ثبت فيهم الاجرام وقضي عليهم بدخول النار.

١٠٠، ١٠١ . (فما لنا من شافعين...) هذا الكلام تحسر منهم على حرمانهم من شفاعة الشافعين.

١٠٢ . (فلو أنّ لنا كرّة...) تمنٍّ منهم أن يرجعوا إلى الدنيا فيكونوا من المؤمنين حتى ينالوا ما ناله المؤمنون.

١٠٣، ١٠٤ . (إنّ في ذلك لآية...) في قصة إبراهيم عليه السلام آية لمن تدبّر فيها.

١٠٥ . (كذّبت قوم نوح...) عدّ القوم مكذبين للمرسلين، مع أنهم لم يكذبوا إلاّ واحداً منهم هو نوح عليه السلام، إنّما هو من جهة أن دعوتهم واحدة وكلمتهم متفقة على التوحيد، فيكون المكذب للواحد منهم مكذباً للجميع.

١٠٦ . (إذ قال لهم أخوهم...) المراد بالأخ: النسيب كقولهم: أخو تميم وأخو كليب، والاستفهام للتوبيخ.

١٠٧ . (إنّي لكم رسول...) رسول من الله سبحانه أمين على ما حملته من الرّسالة، لا أبلغكم إلاّ ما أمرني ربّي.

١٠٨ . (فاتّقوا الله وأطيعون) أمرهم بطاعته لأن طاعته طاعة الله.

١٠٩ . (وما أسألكم عليه من...) مسوق لنفي الطمع الدنيوي بنفي سؤال الأجر.

١١٠ . (فاتّقوا الله وأطيعون) تكرار الآية يفيد أن كلاً من الأمانة وعدم سؤال الأجر سبب مستقل في إيجاب طاعته عليهم.

١١١ . (قالوا أنؤمن لك...) مرادهم بكون متبعيه أراذل: أنهم ذوو أعمال رذيلة ومشاغل خسيسة.

١١٢ . (قال وما علمي بما...) نفي علمه بأعمالهم قبل إيمانهم به لمكان قوله: (كانوا يعملون).

[٣٦٣]

١١٣ . (إن حسابهم إلاّ على...) لا علم لي بسابق أعمالهم وليس عليَّ حسابهم، حتى أتجسس وأبحث عن أعمالهم، وإنّما حسابهم على ربّي (لو تشعرون) فيجازيهم حسب أعمالهم.

١١٤، ١١٥ . (وما أنا بطارد...) لا شأن لي إلاّ الإنذار والدعوة، فلست أطرد مَن أقبل عليَّ وآمن بي.

١١٦ . (قالوا لئن لم تنته...) المراد بالانتهاء: ترك الدعوة. والرجم: هو الرمي بالحجارة.

١١٧ . (قال رَبِّ إنّ قومي...) تحقق منهم التكذيب المطلق الذي لا مطمع في تصديقهم بعده.

١١٨ . (فافتح بيني وبينهم...) كناية عن القضاء بينه وبين قومه.

---

١١٩ . (فأنجيناه ومن معه...) المشحون: المملوء منهم ومِن كل زوجين اثنين.

١٢٠ . (ثمّ أغرقنا بعد...) أغرقنا بعد إنجائهم الباقين من قومه.

١٢١، ١٢٢ . (إنّ في ذلك لآية...) تقدّم الكلام في معنى الآيتين.

١٢٣، ١٢٤ . (كذّبت عاد المرسلين) قوم عاد من العرب العاربة الُاولى كانوا يسكنون الأحقاف من جزيرة العرب، فأهلكهم الله بالريح العقيم وخرّب ديارهم وعفا آثارهم.

١٢٥ . ١٢٧ . (إنِّي لكم رسول...) تقدّم الكلام فيها في نظائرها من قصة نوح عليه السلام.

١٢٨ . (أتبنون بكلّ ريع...) الريع هو المرتفع من الأرض. والآية: العلامة. والعبث: الفعل الذي لا غاية له.

١٢٩ . (وتتّخذون مصانع...) المصانع على ما قيل: الحصون المنيعة والقصور المشيدة. (لعلّكم تخلدون) تتخذون هذه المصانع بسبب أنكم ترجون الخلود ولولا رجاء الخلود ما عملتم مثل هذه الأعمال.

١٣٠ . (وإذا بطشتم بطشتم...) البطش: العسف قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، والجبار: العالي على غيره بعظيم سلطانه.

١٣١ . (فاتّقوا الله وأطيعون) فليتقوا الله وليطيعوه فيما يأمرهم به من ترك الإترافِ والإستكبار.

١٣٢ . ١٣٤ . (واتّقوا الّذي أمدّكم...) إنكم تعلمون أن هذه النعم من إمداده تعالى، فهو الذي يجب عليكم أن تتقوه بالشكر والعبادة، دون الأوثان والأصنام، فالكلام متضمن للحجة.

١٣٥ . (إنِّي أخاف عليكم...) إني آمركم بالتقوى شكراً لأني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن تكفروا ولم تشكروا. والظاهر أن المراد باليوم العظيم: يوم القيامة.

١٣٦ . (قالوا سواء علينا...) نفي لأثر كلامه وإيئاس له من إيمانهم بالكلية.

١٣٧ . (إن هذا إلاّ خلق...) ليس ما تلبست به من الدعوة إلى التوحيد والموعظة، إلاّ عادة البشر الأولين الماضين من أهل الأساطير والخرافات.

١٣٨ . (وما نحن بمعذَّبين...) إنكار للمعاد، بناء على كون المراد باليوم العظيم في كلام هود عليه السلام يوم القيامة.

١٣٩، ١٤٠ . (فكذّبوه فأهلكناهم...) معناه ظاهر ممّا تقدم.

١٤١ . ١٤٥ . (كذّبت ثمود المرسلين...) إتضح معناها ممّا تقدّم.

١٤٦ . (أتتركون فيما هاهنا...) لا تتركون في هذه النعم التي أحاطت بكم في أرضكم هذه، وأنتم مطلقو العنان لا تسألون عما تفعلون آمنون من أي مؤاخذة إلهية.

١٤٧، ١٤٨ . (في جنّات وعيون...) بيان تفصيلي لقوله: (فيما هاهنا)، وقد خص النخل بالذكر مع دخوله في الجنّات لاهتمامهم به.

١٤٩ . (وتنحتون من الجّبال...) قال الراغب: الفره: الأشر، وقوله تعالى: (وتنحتون من الجّبال بيوتاً فارهين) أي حاذقين وقيل: معناه أشرين.

[٣٦٤]

١٥٠ . (فاتّقوا الله وأطيعون...) تفريع على ما تقدم من الإنكار الذي في معنى النفي.

١٥١، ١٥٢ . (ولا تطيعوا أمر المسرفين...) المراد بالمسرفين: أشراف القوم وعظماؤهم.

١٥٣ . (قالوا إنّما أنت...) ممّن سحر مرة بعد مرة حتى غلب على عقله. وقيل: إن السحر اعلى البطن، والمسحّر: من له جوف، فيكون كناية عن إنك بشر مثلنا تأكل وتشرب.

١٥٤ . ١٥٦ . (وما أنت إلاّ بشر...) الشرب: النصيب من الماء، والباقي ظاهر.

١٥٧ . (فعقروها فاصبحوا نادمين) لعلّ ندمهم إنّما كان عند مشاهدتهم ظهور آثار العذاب.

١٥٨، ١٥٩ . (فاخذهم العذاب...) أخذهم العذاب الموعود فإن صالحاً وعدهم نزول العذاب بعد ثلاثة أيام.

١٦٠ . ١٦٤ . (كذّبت قوم لوط...) تقدم تفسيره.

١٦٥ . (أتأتون الذّكران...) كناية عن اللواط وقد كان شاع فيما بينهم. والعالمين: جمع عالم وهو الجماعة من الناس. والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

١٦٦ . (وتذرون ما خلق لكم...) تذرون: تتركون. (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون خارجون عن الحد الذي خطته لكم الفطرة والخلقة.

١٦٧ . (قالوا لئن لم تنته...) المراد بالمخرجين: المبعدين المنفيين من قريتنا.

١٦٨ . (قال إنّي لعملكم...) المراد بعملهم: إتيان الذكران وترك الأُناث. والقالي: المبغض. ومقابلة تهديدهم بالنفي بمثل هذا الكلام من غير تعرّض للجواب على تهديدهم يفيد من المعنى: أني لا

أخاف الخروج من قريتكم، ولا أكترث به، بل مبغض لعملكم راغب في النجاة من وباله النازل بكم لا محالة.

١٦٩ . (ربِّ نجِّني وأهلي...) من أصل عملهم الذي يأتون به بمرئى ومسمع منه.

١٧٠ . ١٧٢ . (فنجّيناه وأهله أجمعين...) الغابر كما قيل: الباقي بعد ذهاب من كان معه، والتدمير: الإهلاك.

١٧٣ . (وأمطرنا عليهم مطراً...) وهو السِجّيل.

١٧٤، ١٧٥ . (إنّ في ذلك لآية...) تقدّم تفسيره.

١٧٦ . ١٨٠ . (كَذّب أصحاب الأيكة...) الأيكة: الغيضة الملتف شجرها. قيل انها كانت غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممّن بعث إليهم شعيب عليه السلام. وكان أجنبيّاً منهم ولذلك قيل: إذ قال لهم شعيب) ولم يقل: أخوهم شعيب، بخلاف هود وصالح عليه السلام فقد كانا نسيبين الى قومهما، وكذا لوط عليه السلام فقد كان نسيباً الى قومه بالمصاهرة.

١٨١، ١٨٢ . (أوفوا الكيل ولا تكونوا...) الآيتان تأمران بالعدل في الأخذ والإعطاء بالكيل والوزن.

١٨٣ . (ولا تبخسوا النّاس أشياءهم...) البخس: النقص في الوزن. والعثي والعَيث: الإفساد.

[٣٦٥]

١٨٤ . (واتّقوا الّذي خلقكم...) إتقوا الله الذي خلقكم وآباءكم الأوّلين.

١٨٥، ١٨٦ . (قالوا إنّما أنت...) تقدّم تفسيرها.

١٨٧ . (فاسقط علينا كسفاً...) الكسف . على ما قيل . جمع كسفة: وهي القطعة.

١٨٨ . (قال ربّي أعلم...) جواب شعيب عن قولهم واقتراحهم منه إتيان العذاب، وهو كناية عن أنّه ليس له من الأمر شيء، وإنما الأمر إلى الله.

١٨٩ . (فكذّبوه فأخذهم عذاب...) يوم الظلّة: يوم عذب فيه قوم شعيب بظلّة من الغمام.

١٩٠، ١٩١ . (إنّ في ذلك لآية...) تقدّم تفسيره.

---

١٩٢ . (وإنّه لتنزيل ربِّ...) الضمير للقرآن. وتنزيله تعالى: إخراجه الشيء من عنده إلى موطن الخلق والتقدير.

١٩٣ . ١٩٥ . (نزل به الرّوح الأمين...) المراد بالروح الأمين: هو جبريل ملك الوحي. (لتكون من المنذرين) من الداعين إلى الله سبحانه بالتخويف من عذابه وهو المراد بالإنذار. (بلسان عربي مبين) ظاهر في عربيته، أو مبين للمقاصد تمام البيان.

١٩٦ . (وإنّه لفي زبر...) وإن القرآن أو خبر نزوله عليك، في كتب الماضين من الأنبياء.

١٩٧ . (أوَ لَم يكن لهم...) أَوَلم يكن علم علماء بني إسرائيل بخبر القرآن أو نزوله عليك على سبيل البشارة في كتب الأنبياء الماضين، آية للمشركين على صحة نبوتك، وكانت اليهود تبشر بذلك وتستفتح على العرب به.

١٩٨، ١٩٩ . (ولو نزّلناه على بعض...) ولو نزّلناه على بعض الأعجمين بلسان أعجمي ما كانوا به مؤمنين.

٢٠٠ . (كذلك سلكناه في...) ندخل القرآن في قلوب هؤلاء المشركين ونمرّه في نفوسهم جزاء لإجرامهم.

٢٠١ . ٢٠٣ . (لا يؤمنون به حتّى...) تفسير وبيان لقوله: (كذلك نسلكه). (حتّى يروا العذاب الأليم) حتى يشاهدوا العذاب الأليم فيلجئهم إلى الإيمان الاضطراري الذي لا ينفعهم. (فيأتيهم بغتة...) إذ لو لم يأتهم بغتة وعلموا به قبل موعده، لاستعدوا له وآمنوا باختيار منهم غير ملجئين إليه. (فيقولوا هل نحن منظرون) كلمة تحسُّر منهم.

٢٠٤ . (أفبعذابنا يستعجلون...) توبيخ وتهديد.

٢٠٥، ٢٠٦ . (أفرأيت إن متّعناهم...) متصل بقوله: (فيقولوا هل نحن منظرون) ومحصل المعنى: أن تمنّي الإمهال أمر لا ينفعهم لو وقع على ما يتمنّونه، فإن تمتيعهم أمداً محدوداً طال أو قصر لا يرفع العذاب الخالد الذي قضي في حقّهم.

٢٠٧ . (وما أغنى عنهم ما كانوا...) أي تمتيعهم أمداً محدوداً.

٢٠٨، ٢٠٩ . (وما أهلكنا من قرية...) ما أهلكنا من قرية إلاّ في حال لها منذرون.

٢١٠، ٢١١ . (وما تنزّلت به الشّياطين...) شروع في الجواب عن قول المشركين: إنَّ لمحمّد جناً يأتيه بهذا الكلام، وقولهم: إنه شاعر. فقوله (وما تنزّلت به الشّياطين) أي ما نزلته. (وما ينبغي لهم) الوجه في لا ينبغي لهم أن يتنزلوا به، أنهم خلق شرير لا هَمّ لهم إلاّ الشر، والقرآن كلام حق لا سبيل للباطل إليه، فلا يناسب جبلتهم الشيطانية ان يلقوه إلى أحد. (وما يستطيعون) وما يقدرون على التنزل به، لأنه كلام سماوي تتلقاه الملائكة من رب العزة، فينزّلونه بأمره في حفظ وحراسة منه تعالى.

[٣٦٦]

٢١٢ . (إنّهم عن السّمع...) إن الشياطين عن سمع الأخبار السماوية معزولون.

٢١٣ . (فلا تدع مع الله...) فلا تشرك بالله فينالك العذاب الموعود عليه.

٢١٤ . (وأنذر عشيرتك الأقربين) خص عشيرته وقرابيهُ الأقربين بالذكر بعد نهي نفسه عن الشرك

وإنذاره، تنبيهاً على أنه لا استثناء في الدعوة الدينية ولا مداهنة ولا مساهلة.

٢١٥، ٢١٦ . (واخفض جناحك لمن...) إشتغل بالمؤمنين بك واجمعهم وضمهم إليك بالرأفة والرحمة. وان عصوك فتبرّأ من عملهم.

٢١٧ . (وتوكّل على العزيز...) ليس لك من أمر طاعتهم ومعصيتهم شيء وراءَ ما كلفناك، فكل ما وراء ذلك إلى الله سبحانه.

٢١٨، ٢١٩ . (الّذي يراك حين...) الذي يراك وأنت بعينه في حالتي قيامك وسجودك، متقلباً في الساجدين وأنت تصلّي مع المؤمنين.

٢٢٠ . (إنّه هو العزيز العليم...) تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله وبُشرى للمؤمنين بالنجاة، وايعاد للكفار بالعذاب.

٢٢١ . ٢٢٣ . (هل أُنبئكم على...) تعريف لمن تتنزل عليه الشياطين بما يخصّه من الصفة، ليعلم أن النبيّ صلى الله عليه وآله ليس منهم ولا أن القرآن من إلقاء الشياطين، والخطاب متوجه إلى المشركين.

---

٢٢٤ . ٢٢٦ . (والشّعراء يتبعهم الغاوون...) جواب عن رمي المشركين النبيّ صلى الله عليه وآله بأنه شاعر. وملخص حجّة الآيات الثلاث: أنه صلى الله عليه وآله ليس بشاعر لأن الشعراء يتبعهم الغاوون لإبتناء صناعتهم على الغواية وخلاف الرشد، لكن الذين يتبعونه إنّما يتبعونه إبتغاء للرشد وإصابة الواقع وطلباً للحق، لإبتناء ما عنده من الكلام المشتمل على الدعوة إلى الحق والرشد دون الباطل والغي.

٢٢٧ . (إلاّ الّذين آمنوا وعملوا...) إستثناء من الشعراء المذمومين، والمستثنون هم شعراء المؤمنين. (وانتصروا من بعدما ظلموا) قيل المراد به ردّ الشعراء من المؤمنين على المشركين أشعارهم التي هجوا بها النبيّ صلى الله عليه وآله أو طعنوا فيها في الدّين وقدحوا في الإسلام والمسلمين. (وسيعلم الّذين ظلموا) وهم المشركون على ما يعطيه السّياق . إلى أي مرجع ومنصرف يرجعون وينصرفون وهو النار، أو ينقلبون أي إنقلاب.

«سورة النمل»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (...تلك آيات الكتاب...) تلك الآيات الرفيعة القدر الّتي ننزلها آيات الكتاب.

٢ . (هدىً وبشرى للمؤمنين...) المصدران بمعنى اسم الفاعل، أو المراد بهما المعنى المصدري للمبالغة.

٣ . (الّذين يقيمون الصّلاة...) إنما اقتصر على الصّلاة والزكاة لكون كل منهما ركناً في بابه، فالصّلاة فيما يرجع إلى الله تعالى، والزكاة فيما يرجع إلى النّاس. (وهم بالآخرة هم...) تكرار الضمير للدلالة على أن هذا الايقان من شأنهم وهم أهله المترقب منهم ذلك.

٤ . (انّ الّذين لا يؤمنون...) العمه: التحيّر في الأمر، ومعنى تزيين العمل: جعله بحيث ينجذب إليه الإنسان.

٥ . (أولئك الّذين لهم سوء...) إيعاد بمطلق العذاب من دنيوي وأُخروي، ولعل وجه كونهم أخسر الناس أن سائر العصاة لهم صحائف أعمال مثبتة فيها سيئاتهم وحسناتهم يجازون بها، وأما هؤلاء فسيئاتهم محفوظة عليهم يجازون بها وحسناتهم حابطة.

(١٨/٢)

---

٦ . (وإنّك لتلقّى القرآن...) التلقية: قريبة المعنى من التلقين، وتنكير (حكيم عليم) للتعظيم، والتصريح بكون هذا القرآن من عنده تعالى: ليكون ذلك حجّة على الرّسالة.

٧ . (إذ قال موسى...) المراد بأهلهِ: إمرأته وهي بنت شعيب. وفي المجمع: الإيناس: الإبصار.

٨ . (فلمّا جاءها نودي...) فلمّا أتى النّار وحضر عندها نودي أن بورك...الخ.

٩ . (يا موسى إنّه أنا الله...) تعرّف منه تعالى لموسى عليه السلام ليعلم أن الذي يشافهه بالكلام ربّه تعالى.

١٠ . (وألقِ عصاك فلمّا...) الاهتزاز: التحرك الشديد. والجان: الحية الصغيرة السريعة الحركة. (لا تخف إنّي لا يخاف...) تأديب وتربية إلهية لموسى عليه السلام وليس من التوبيخ والتأنيب في شيء.

١١ . (إلاّ من ظلم ثمّ...) لكن من ظلم باقتراف المعصية ثمّ بدل ذلك حسناً بعد سوء، وتوبة بعد معصية، أو عملاً صالحاً بعد سيّئ، فإني غفور رحيم أغفر ظلمه وأرحمه، فلا يخافنّ بعد ذلك شيئاً.

١٢ . (وادخل يدك في...) فسر السوء بالبرص. (في تسع آيات إلى فرعون) يمكن أن يستظهر من السّياق أولاً أن (في تسع) حال من الآيتين جميعاً، والمعنى: آتيتك هاتين الآيتين . العصا واليد . حال كونهما في تسع آيات. وثانياً: أن الآيتين من جملة الآيات التسع.

١٣ . (فلمّا جاءتهم آياتنا...) المبصرة بمعنى: الواضحة الجلية. (هذا سحر مبين) إزراء وإهانة بالآيات.

١٤ . (وجحدوا بها واستيقنتها...) قال الرّاغب: الجحد: نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه. والاستيقان والإيقان بمعنى.

١٥ . (ولقد آتينا داود...) في تنكير العلم إشارة إلى تفخيم أمره. (وقالا الحمد لله الّذي فضلنا...)

المراد بالتفضيل: إما تفضيل بالعلم وإما التفضيل بمطلق ما خصهما الله به من المواهب كتسخير الجبال والطير لداود وكذا الريح لسليمان.

---

١٦ . (وورث سليمان داود...) ورثه ماله وملكه. (وقال يا أيّها النّاس عُلِّمنا...) ظاهر السّياق أنّه عليه السلام يباهي عن نفسه وأبيه، وهو منه عليه السلام تحديث بنعمة الله. (ذلك هو الفضل المبين) شكر وتأكيد للتحديث بالنعمة من غير عجب ولا كبر واختيال، لاسناده الجميع إلى الله. [٣٧٨]

١٧ . (وحشر لسليمان جنوده...) يستفاد من الآية أنه كان له جنود من الجن والطير يسيرون معه كجنوده من الإنس.

١٨ . (حتّى إذا أتوا على...) فلما سار سليمان وجنوده حتى أتوا على وادي النمل قالت نملة مخاطبة لسائر النمل: يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يطأنكم [سليمان وجنوده] بأقدامهم وهم لا يشعرون.

١٩ . (فتبسّم ضاحكاً من...) تبسّم عليه السلام مبتهجاً مسروراً بما أنعم الله عليه حتى أوقفه هذا الموقف، وهي النبوّة والعلم بمنطق الحيوان، والملك والجنود من الجن والإنس والطير، فسأل الله أن يلهمه شكر نعمته وأن يعمل بما فيه رضاه سبحانه. (وأدخلني برحمتك في عبادك...) إجعلني منهم.

٢٠ . (وتفقّد الطّير...) إستفهم أولاً متعجباً من حال نفسه إذ لا يرى الهدهد بين الطّير، كأنه لم يكن من المظنون في حقه أن يغيب عن موكبه ويستنكف عن امتثال أمره، ثمّ أضرب عن ذلك بالاستفهام عن غيبته. والمعنى: ما بالي لا أرى الهدهد بين الطيور الملازمة لموكبي، أكان من الغائبين.

٢١ . (لأعذبنّه عذاباً شديداً...) يقضي عليه السلام على الهدهد إحدى ثلاث خصال: العذاب الشديد، والذبح وفيهما شقاؤه، والإتيان بحجة واضحة، وفيه خلاصه ونجاته.

٢٢ . (فمكث غير بعيد...) ضمير (فمكث) لسليمان ويحتمل أن يكون للهدهد. والمراد بالإحاطة: العلم الكامل. وسبأ: بلدة باليمن كانت عاصمته. والمعنى: فمكث سليمان . أو فمكث الهدهد . زماناً غير بعيد . ثمّ حضر فسأله سليمان عن غيبته وعاتبه . فقال: أحطت من العلم ما لم تحط به وجئتك من سبأ بخبر مهم لا شك فيه.

---

٢٣ . (إنِّي وجدت إمرأة...) الضمير في (تملكهم) لأهل سبأ. (واوتيت من كل شيء) وصف لسعة ملكها وعظمته.

٢٤ . (وجدتها وقومها يسجدون...) إنّهم من عبدة الشّمس من الوثنيين. (فصدهم عن السبيل) لأن تزيين الشيطان لهم أعمالهم، هو الذي صرفهم عن سبيل الله.

٢٥ . (إلاّ يسجدوا لله الّذي...) زين لهم الشّيطان أن لا يسجدوا لله. (يخرج الخبأ في السّماوات...) كأن الأشياء مخبوءة مستورة تحت أطباق العدم، فيخرجها الله تعالى إلى الوجود واحداً بعد آخر. (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) يعلم سركم وعلانيتكم.

٢٦ . (الله لا إله إلاّ هو...) من تمام كلام الهدهد. وفي قوله: (ربّ العرش العظيم) مناسبة محاذاة مع قوله في وصف ملكة سبأ: (ولها عرش عظيم).

٢٧ . (قال سَنَنْظُر أصدقت...) أحال القضاء في أمر الهدهد إلى المستقبل. ووعده أن يجرِّب ويتأمّل.

٢٨ . (إذهب بكتابي هذا...) اذهب بكتابي هذا إلى ملكة سبأ وملئها، فألقه إليهم، ثمّ تَنَحَّ عنهم وقع في مكان تراهم، فانظر ماذا يردّ بعضهم من الجواب على بعض إذا تكلّموا فيه.

٢٩ . (قالت يا أيّها الملأ...) حكاية ذكرها لملئها أمر الكتاب وكيفية وصوله إليها ومضمونه، وقد عظّمته إذ وصفته بالكرم.

٣٠ . (إنّه من سليمان وإنّه...) لم يكد يخفى عليها جبروت سليمان وما أوتيه من الملك العظيم والشوكة العجيبة. (وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم) الكتاب بإسمه تعالى فهو كريم لذلك والوثنيون جميعاً قائلون بالله سبحانه يرونه ربّ الأرباب وإنْ لم يعبدوه.

٣١ . (إلاّ تعلو عليّ...) المراد بعلوهم: إستكبارهم عليه. (وأتوني مسلمين) إسلامهم بمعنى الانقياد. [٣٧٩]

٣٢ . (قالت يا أيّها الملأ...) أشيروا عليّ في هذا الأمر.

٣٣ . (قالوا نحن أُولو...) طيبي نفساً ولا تحزني فإن لنا من القوة والشدة ما لا نهاب به عدواً، وإن كان هو سليمان، ثمّ الأمر إليكِ مري بما شئت فنحن مطيعوك.

٣٤، ٣٥ . (قالت إنّ الملوك...) كان رأيها على ما يستفاد من هاتين الآيتين، زيادة التبصر في أمر سليمان عليه السلام بأن ترسل إليه من يختبر حاله ويشاهد مظاهر نبوته وملكه، وكان الظاهر من كلام الملأ أنهم يميلون إلى القتال، لذلك أخذت أوّلاً تذم الحرب، ثمّ نصّت على ما هو رأيها فقالت: (إنّ الملوك إذا دخلوا قرية...) أي إن الحرب لا تنتهي إلاّ إلى غلبة أحد المتحاربين وفيها فساد

القرى وذلة أعزتها، فليس من الحزم الاقدام عليها مع قوة العدو وشوكته. ورأيي الذي أراه أن أُرسل إليهم بهدية ثمّ أنظر بماذا يرجع المرسلون من الخبر، وعند ذلك أقطع بأحد الأمرين الحرب أو السلم.

٣٦ . (فلمّا جاء سليمان...) ضمير جاء للمال الّذي أُهدي إليه، أو للرّسول الذي جاء بالهدية. (أتمدُّونن بمال) أتمدُّونني بمال حقير لا قدر له عندي جنب ما آتاني الله، فما آتاني الله من النبوّة والملك والثروة خير ممّا آتاكم.

٣٧ . (ارجع إليهم فلنأتينّهم...) لما كان ظاهر تبديلهم امتثال أمره، ارسال الهدية هو الاستنكاف عن الإسلام، قدّر بحسب المقام أنهم غير مسلمين، فهددهم بارسال جنود لا قبل لهم بها.

٣٨ . (قال يا أيّها الملأ...) كلام تكلم به بعد رد الهدية وإرجاع الرّسل، وفيه إخباره أنهم سيأتونه مسلمين، وإنّما أراد الاتيان بعرشها قبل حضورها وقومها عنده ليكون دلالة ظاهرة على بلوغ قدرته الموهوبة من ربّه، ومعجزة باهرة لنبوّته، حتى يسلموا لله كما يسلمون له.

٣٩ . (قال عفريت من الجن...) العفريت . على ما قيل . المارد الخبيث. (وإنّي عليه لقوي أمين) أنا للإتيان بعرشها لقوي لا يثقل عليّ حمله ولا يجهدني نقله، أمين لا أخونك في هذا الأمر.

---

٤٠ . (قال الّذي عنده علم...) وردت الروايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام أنه كان آصف بن برخيا وزير سليمان ووصيّه. (فلمّا رآه مستقرّاً عنده...) لما رأى سليمان العرش مستقراً عنده قال هذا، أي حضور العرش واستقراره عندي من فضل ربّي من غير استحقاق مني، ليبلوني أأشكر نعمته أم أكفر.

٤١ . (فلمّا نكروا لها...) أراد بذلك اختبار عقلها، كما أنه أراد بأصل الإتيان به إظهار آية باهرة من آيات نبوته لها.

٤٢ . (فلمّا جاءت قيل...) فلما جاءت الملكة سليمان عليه السلام قيل لها من جانب سليمان: (أهكذا عرشك) وهو كلمة اختبار. (وأُوتينا العلم من قبلها...) ظاهر السّياق أنها تتمة كلام الملكة فهي لما رأت العرش وسئلت عن أمره أحست ان ذلك تلويح إلى ما آتى الله سليمان من القدرة الخارقة للعادة، فأجابت بقولها: (وأُوتينا العلم من قبلها) أي لا حاجة إلى هذا التلويح والتذكير فقد علمنا بقدرته قبل هذه الآية، أو هذه الحالة، وكنّا مسلمين لسليمان طائعين له.

٤٣ . (وصدّها ما كانت تعبد...) ومنعها عن الإسلام لله، ما كانت تعبد من دون الله، وهي الشّمس على ما تقدم نبأ الهدهد، والسبب فيه أنها كانت من قوم كافرين فاتبعتهم في كفرهم.

٤٤ . (قيل لها ادخلي الصرح...) الصرح: هو القصر وكل بناء مشرف. (فلمّا رأته حسبته لجّة...)

لمّا رأت الصرح ظنّت أنه لجة لما كان عليه الزجاج من الصفاء كالماء، وكشفت عن ساقيها بجمع ثيابها لئلّا تبتل بالماء بأذيالها. (قالَ إنّه صرح ممّرد...) القائل هو سليمان نبهها أنه ليس بلجّة بل صرح مملس من زجاج. (وقالت ربِّ إنِّي ظلمت) استغاثت أوّلاً بربِّها بالاعتراف بالظلم، إذ لم تعبد الله من بدء أو من حين رأت هذه الآيات، ثمّ شهدت بالإسلام لله مع سليمان.

(٢٣/٢)

---

٤٥ . (ولقد أرسلنا إلى...) وأقسم لقد أرسلنا إلى قوم ثمود، أخاهم ونسيبهم صالحاً، وكان المرجوّ أن يجتمعوا على الإيمان، لكن فاجأهم أن تفرقوا فريقين مؤمن وكافر، يختصمون ويتنازعون في الحق كل يقول: الحق معي.

[٣٨٠]

٤٦ . (قال يا قوم لم...) الاستعجال بالسيئة قبل الحسنة: المبادرة إلى سؤال العذاب قبل الرحمة التي سببها الإيمان والاستغفار. وبه يظهر أن صالحاً عليه السلام إنّما وبّخهم بقوله هذا بعد ما عقروا الناقة.

٤٧ . (قالوا اطّيرنا بك...) تشأمنا بك وبمن معك ممن آمن بك ولزمك، لما أن قيامك بالدعوة وإيمانهم بك قارن ما ابتلينا به من المحن والبلايا. (طائركم عند الله) نصيبكم من الشر وهو الذي تستوجبه اعمالكم من العذاب عند الله سبحانه. (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بالخير والشر، ليمتاز مؤمنكم من كافركم ومطيعكم من عاصيكم.

٤٨ . (وكان في المدينة تسعة...) قيل المراد بالرهط: الأشخاص، ولذا وقع تمييزاً للتسعة، ولكونه في معنى الجمع فقد كان المتقاسمون تسعة رجال.

٤٩ . (قالوا تقاسموا بالله...) قال الرهط المفسدون وقد تقاسموا بالله: لنقتلنه وأهلَه بالليل ثم نقول لوليه إذا عقبنا وطَلَبَ الثأر: ما شهدنا هلاك أهله وإنّا لصادقون في هذا القول.

٥٠ . (ومكروا مكراً ومكرنا...) أما مكرهم فهو التواطئ على تبييته وأهْله والتقاسم بشهادة السياق السابق، وأما مكره تعالى فهو تقديره هلاكهم جميعاً بشهادة السياق اللّاحق.

٥١ . (فانظر كيف كان...) التدمير: الإهلاك، وضمائر الجمع للرهط، وكون عاقبة مكرهم هُوَ إهلاكهم وقومهم من جهة أن مكرهم إستدعى المكر الالهي على سبيل المجازاة، واستوجب ذلك اهلاكهم وقومهم.

٥٢ . (فتلك بيوتهم خاوية...) الخاوية: الخالية.

٥٤ . (ولوطاً إذ قال...) الفاحشة: هي الخصلة البالغة في الشناعة والمراد بها اللواط. (وأنتم تبصرون) وأنتم في حال يرى بعضكم بعضاً وينظر بعضكم إلى بعض حين الفحشاء.

٥٥ . (أإنّكم لتأتون الرّجال...) الاستفهام للإنكار والجملة في محل التفسير للفحشاء. (بل أنتم قوم تجهلون) مستمرون على الجهل لا فائدة في توبيخكم والإنكار عليكم فلستم بمرتدعين.

٥٦ . (فما كان جواب قومه...) وارد مورد الإستهزاء.

٥٧ . (فأنجيناه وأهله إلاّ...) المراد بأهله أهل بيته. (قدّرناها من الغابرين) جعلناها من الباقين في العذاب.

٥٨ . (وأمطرنا عليهم مطراً...) المراد بالمطر: الحجارة من سجّيل.

٥٩ . (قل الحمد لله...) أمر بتحميده وفيه إرجاع كل حمد إليه تعالى. (أ أله خير أما يشركون) من تمام الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله والاستفهام للتقرير، ومحصل المراد: إنه إذا كان الثناء كله لله وهو المصطفي لعباده المصطفين، فهو خير من آلهتهم الّذين يعبدونهم، ولا خلق ولا تدبير لهم يحمدون عليه، ولا خير بأيديهم يفيضونه على عبادهم.

٦٠ . (أمّن خلق السّماوات...) بل أمن خلق السّماوات والأرض وأنزل لنفعكم من السماء المطر، فأنبتنا به بساتين ذات بهجة ونضارة، (ما كان لكم)، أي لا تملكون وليس في قدرتكم أن تنبتوا شجرها. (ء إله مع الله) سبحانه، وهو إنكار وتوبيخ (بل هم قوم يعدلون) عن الحق إلى الباطل وعن الله سبحانه إلى غيره.

٦١ . (أمّن جعل الأرض...) بل أمّن جعل الأرض مستقرة لا تميد بكم، وجعل في فرجها التي في جوفها أنهاراً، وجعل لها جبالاً ثابتة، وجعل بين البحرين مانعاً من اختلاطهما وامتزاجهما، هو خير أم ما يشركون؟

٦٢ . (أمّن يجيب المضطر...) المراد بإجابة المضطر إذا دعاه: استجابة دعاء الداعين وقضاء حوائجهم. (ويجعلكم

[٣٨١]

خلفاء الأرض...) المراد بالخلافة: الخلافة الأرضية التي جعلها الله للإنسان، يتصرف بها في الأرض وما فيها من الخليقة كيف يشاء. (قليلاً ما تذكّرون) خطاب توبيخي للكفار.

٦٣ . (أمّن يهديكم في...) المراد بظلمات البر والبحر: ظلمات الليالي في البر والبحر، ففيه مجاز عقلي. والمراد بإرسال الرياح بشراً: إرسالها مبشّرات بالمطر قبيل نزوله. والرحمة: المطر.

٦٤ . (أمّن يبدأ الخلق...) بدء الخلق: إيجاده ابتداءً لأول مرة. وإعادته: إرجاعه إليه بالبعث. (قل هاتوا برهانكم...) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يطالبهم بالبرهان على ما يدعّونه من الوهية آلهتهم.

٦٥ . (قل لا يعلم من في...) برهان مستقل على بطلان الوهية آلهتهم واختصاص الالوهية به تعالى وحده.

٦٦ . (بل ادّارك علمهم...) معنى تدارك علمهم في الآخرة: أنهم صرفوا ما عندهم من العلم في غيرها حتى نفد علمهم، فلم يبق منه شيء يدركون به أمر الآخرة. (بل هم في شك منها) قرع سمعهم خبرها وورد قلوبهم لكنهم ارتابوا ولم يصدّقوا بها. (بل هم منها عمون) إنهم لم ينقطعوا عن الاعتقاد بها من عند أنفسهم وباختيار منهم، بل الله سبحانه أعمى أبصار قلوبهم فصاروا عمين، فهيهات أن يدركوا من أمرها شيئاً.

٦٧ . (وقال الّذين كفروا...) أي كيف يمكن أن نخرج من الأرض بشراً تامّين كما نحن اليوم، وقد متنا وكنّا تراباً نحن وآباؤنا كذلك.

٦٨ . (لقد وعدنا هذا...) حجّة أُخرى منهم مبنية على الإستبعاد، أي لقد وعدنا هذا وهو البعث بعد الموت نحن وآباؤنا قبل أن يعدنا هذا النبيّ، والذين وعدوا قبلاً هم الأنبياء الماضون، فهو وعد قديم لم نزل نوعد به، ولو كان خبراً صادقاً ووعداً حقاً لوقع إلى هذا اليوم، وإذ لم يقع فهو من الخرافات التي اختلقها الأولون.

٦٩ . (قل سيروا في الأرض...) إنذار وتخويف لهم على إنكارهم بأمرهم ان يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة المجرمين المكذبين للأنبياء المنذرين لهم بالبعث.

---

٧٠ . (ولا تحزن عليهم...) لا يحزنك إصرارهم على الكفر والجحود، ولا يضيق صدرك من مكرهم لإبطال دعوتك وصدّهم الناس عن سبيل الله، فإنهم بعين الله وليسوا بمعجزيه وسيجزيهم بأعمالهم.

٧١ . (ويقولون متى هذا...) الظاهر أن المراد بالوعد: الوعد بعذاب المجازاة.

٧٢ . (قل عسى أن يكون...) قل لهؤلاء السائلين عن وقت الوعد: أرجو أن يكون تبعكم بعض الوعد الذي تستعجلونه، وهو عذاب الدّنيا الذي يقربكم من عذاب الأخرة ويؤديكم إليه.

٧٣ . (وإن ربّك لذو...) إن تأخيره تعالى العذاب عنهم مع استحقاقهم ذلك، إنما هو فضل منه عليهم يجب عليهم شكره عليه. لكنهم لا يشكرونه.

٧٤، ٧٥ . (وإن ربّك ليعلم...) إن تأخير العذاب ليس عن جهل منه تعالى بما لهم وما يستحقونه بالكفر والجحود، فإنه يعلم ما تستره وتخفيه صدورهم وما يظهرونه.

٧٦ . (إنّ هذا القرآن...) يشير إلى ما يقصه القرآن من قصص الأنبياء، ويبين الحق فيما اختلفوا فيه من أمرهم، ومنه أمر المسيح عليه السلام ويبين الحق فيما اختلفوا فيه من المعارف والأحكام.
٧٧ . (وإنّه لهدىً ورحمةً...) يشير إلى أنّه يهدي المؤمنين بما قصَّه على بني إسرائيل إلى الحق، وأنّه رحمة لهم تطمئن به قلوبهم، ويثبت الإيمان بذلك في نفوسهم.
[٣٨٢]
٧٨ . (إنّ ربّك يقضي...) إشارة إلى أن القضاء بينهم إلى الله.
٧٩ . (فتوكّل على الله...) إن أمرهم جميعاً إلى الله لا إليك، فاتّخذه وكيلاً فهو كافيك ولا تخافن شيئاً إنّك في أمن من الحق.
٨٠، ٨١ . (إنّك لا تسمع الموتى...) إنّما أمرناك بالتوكل على الله في أمر إيمانهم وكفرهم، لأنهم موتى وليس في وسعك أن تسمع الموتى دعوتك، وإنّهم صم لا يسمعون، وعمي ضالّون لا تقدر على إسماع الصم إذا ولّوا مدبرين. وإنّما الذي تقدر عليه هو أن تسمع من يؤمن بآياتنا الدالّة علينا وتهديهم، فإنهم لإذعانهم بتلك الحجج الحقة مسلمون لنا مصدِّقون بما تدل عليه.

---

٨٢ . (وإذا وقع القول...) إنه إذا آل أمر الناس . وسوف يؤول . إلى أن كانوا لا يوقنون بآياتنا المشهودة لهم، وبطل إستعدادهم للإيمان بنا بالتعقل والإعتبار، آن وقت أن نريهم ما وعدنا إراءته لهم من الآيات الخارقة للعادة المبيِّنة لهم الحق بحيث يضطرون إلى الاعتراف بالحق، فأخرجنا لهم دابة من الأرض تكلّمهم.
٨٣ . (ويوم نحشر من...) الفوج . كما ذكره الراغب: الجماعة المارة المسرعة، والايزاع: إيقاف القوم وحبسهم بحيث يرد أولهم على آخرهم. والآية ظاهرة في كون هذا الحشر المذكور فيها قبل يوم القيامة.
٨٤ . (حتى إذا جاؤوا...) حتى إذا حضروا في موطن الخطاب قال الله سبحانه لهم: أكذّبتم بآياتي حال كونكم لم تحيطوا بها علماً، أم أي شيء كنتم تعملون غير التكذيب، وفي ذلك عتابهم بأنهم لم يشتغلوا بشيء غير تكذيبهم بآيات الله، من غير أن يشغلهم عنه شاغل معذّر. (ووقع القول عليهم...) وقع القول عليهم بسبب كونهم ظالمين.
٨٦ . (أوَلَم يروا أنّا جعلنا...) إنّهم كانوا يرون اللّيل الّذي يسكنون فيه، وأنّ هناك نهاراً مبصراً يظهر لهم آيات السّماء والأرض، فَلِمَ لَمْ يتبصّروا؟
٨٧ . (ويوم ينفخ في الصّور...) لا يبعد أن يكون المراد بالنفخ في الصور يومئذ، مطلق النفخ أعم ممّا يميت أو يُحيي، فإن النفخ كيفما كان من مختصات الساعة، ويكون ما ذكر من فزع بعضهم

وأمن بعضهم، وسير الجبال من خواص النفخة الأُولى، وما ذكر من اتيانهم داخرين من خواص النفخة الثانية، والظاهر أن المراد بقوله: (وكلّ أتوه داخرين) رجوع جميع من في السّماوات والأرض، حتّى المستثنين من حكم الفزع وحضورهم عنده تعالى.

---

٨٨ . (وترى الجّبال تحسبها...) الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله والمراد به تمثيل الواقعة. (وهي تمرّ مرّ السحاب) تراها إذا نفخ في الصور حال كونها تسير سير السحاب في السماء (إنّه خبير بما تفعلون) وإنه تعالى خبير بما يفعله أهل السّماوات والأرض يوم ينفخ في الصور ويأتونه داخرين.

٨٩ . (من جاء بالحسنة فله...) له جزاء هو خير ممّا جاء به من الحسنة. (وهم من فزع يومئذ آمنون) ظاهر السياق ان هذا الفزع هو الفزع بعد نفخ الصور الثاني دون الأوّل.

٩٠ . (ومن جاء بالسيِّئة...) يقال كبّه على وجهه فانكب أي ألقاه على وجهه فوقع عليه. (هل تجزون إلاّ ما كنتم...) ليس جزاؤكم هذا إلاّ نفس العمل الّذي عملتموه، ظهر لكم فلزمكم فلا ظلم في الجزاء ولا جور في الحكم.

٩١ . (إنّما أُمرت أن أعبد...) تكلم عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله والمشار إليها بهذه الإشارة مكة المشرَّفة. (وله كلّ شيء) إشارة إلى سعة ملكه تعالى. (وأُمرت أن أكون من المسلمين) من الذين أسلموا له فيما أراد.

٩٢ . (وأن أتلو القرآن...) أُمرت أن أقرأ القرآن، والمراد تلاوته عليهم. (ومن ضلّ فقل إنّما أنا من المنذرين) ومن لم يهتد به بالإعراض عن ذكر ربِّه وهو الضّلال فعليه ضلاله وَوبال كفره لا عَلَيّ لأنّي لستُ إلاّ منذراً مأموراً بذلك.

٩٣ . (وقل الحمد لله...) وقل الثناء الجميل لله تعالى فيما يجريه في ملكه. (وما ربّك بغافل عمّا تعملون) إنّ أعمالكم معاشر العباد بعين ربِّك فلا يفوته شيء.

«سورة القصص»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (طسم تلك آيات...) تقدم الكلام فيه في نظائره.

٣ . (نتلو عليك من نبأ...) نتلو عليك بعض نبأ موسى وفرعون، تلاوة بالحق لأجْل أن يتدبر فيه هؤلاء الّذين يؤمنون بآياتنا.

---

٤ . (إنّ فرعون علا...) إن فرعون علا في الأرض وتفوق فيها ببسط السلطة على الناس وإنفاذ القدرة فيهم، وجعل أهلها شيعاً وفرقاً مختلفة لا تجتمع كلمتهم على شيء، وهو يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل وهم أولاد يعقوب عليه السلام، وكان فرعون يعاملهم معاملة الاسراء الارقاء ويزيد في تضعيفهم حتى بلغ من استضعافه لهم، أن أمر بتذبيح أبنائهم واستبقاء نسائهم وكان فيه إفناء رجالهم، بقتل الابناء الذكور وفيه فناء القوم.

٥ . (ونُريد أن نَمُنَّ...) إن الظرف كان ظرف علو فرعون، وتفريقه بين الناس واستضعافه لبني إسرائيل إستضعافاً يبيدهم ويفنيهم، والحال أنّا نريد أن ننعم على هؤلاء الّذين استضعفوا وذلك بأن نجعلهم أئمة يقتدى بهم فيكونوا متبوعين بعدما كانوا تابعين، ونجعلهم الوارثين لها بعدما كانت بيد غيرهم.

٦ . (ونمكِّن لهم في الأرض...) بأن نجعل لهم مكاناً يستقرون فيه ويملكونه، ونري فرعون وهو ملك مصر وهامان وهو وزيره وجنودهما منهم، أي من هؤلاء الذين استضعفوا ما كانوا يحذرون، وهو أن يظهروا عليهم فيذهبوا بملكهم ومالهم وسنّتهم.

٧ . (وأوحينا إلى أُمِّ...) وقلنا بنوع من الإلهام لام موسى لما وضعته: أرضعيه ما دمتِ لا تخافين عليه من قبل فرعون، فإذا خِفت عليه . أن يطّلع عليه آل فرعون فيأخذوه ويقتلوه . فألقيه في البحر، وهو النيل على ما وردت به الرواية، ولا تخافي عليه القتل ولا تحزني لفقده ومفارقته إيّاك، إنّا رادوه إليك بعد ذلك وجاعلوه من المرسلين فيكون رسولاً إلى آل فرعون وبني إسرائيل.

٨ . (فالتقطه آل فرعون...) فأصابه آل فرعون وأخذوه من اليم، وكان غاية ذلك أن يكون لهم عدواً وسبب حزن، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في قتل الأبناء وترك موسى: أرادوا أن يقضوا على من سيقضي عليهم فعادوا يجتهدون في حفظه ويجدّون في تربيته.

(٣٠/٢)

---

٩ . (وقالت امرأة فرعون...) إنما قالت ما قالت لأن الله سبحانه القى محبة منه في قلبها، فعادت لا تملك نفسها دون أن تدفع عنه القتل وتضمّه إليها. (وهم لا يشعرون) قالت ما قالت وشفعت له وصرفت عنه القتل، والقوم لا يشعرون ماذا يفعلون وما هي حقيقة الحال وما عاقبته.

١٠ . (وأصبح فؤاد أُمّ...) وصار قلب أم موسى بسبب وحينا خالياً من الخوف والحزن المؤديين إلى إظهار الأمر، لولا أن ثبتنا قلبها بسبب الوحي لقربت من أن تظهر أمره لهم بالجزع عليه.

١١ . (وقالت لُاخته قصّيه...) وقالت أُم موسى لأُخته إتّبعي أثر موسى حتى ترين إليمَ يؤول أمره، فرأته عن بعد وقد أخذه خدم فرعون وهم لايشعرون بأنّها تقصّه وتراقبه.

١٢ . (وحرّمنا عليه المراضع...) التحريم في الآية تكويني لا تشريعي ومعناه: جعله بحيث لا يقبل

ثدي مرضع ويمتنع من ارتضاعها. (فقالت هل أدلّكم على...) فلمّا جاءت أُخته ورأت الحال قالت عند ذلك لآل فرعون: هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لنفعكم وهم له ناصحون؟

١٣ . (فرددناه إلى أُمِّه...) فدلتهم على أُمه فسلموه إليها، فرددناه إلى أُمه بنظم هذه الأسباب. والمراد بوعد الله:

[٣٨٤]

مطلق الوعد الإلهي بدليل قوله: (ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون) أي لا يوقنون بذلك ويرتابون في وعوده تعالى ولا تطمئن إليه نفوسهم.

١٤ . (ولمّا بلغ أشدّه...) بلوغ الأشد: أن يعمر الإنسان ما تشتد عند ذلك قواه ويكون في الغالب في الثمان عشرة.

---

١٥ . (ودخل المدينة على...) لا ريب أن المدينة الّتي دخلها على حين غفلة من أهلها هي مصر، وأنّه كان يعيش عند فرعون، ويستفاد من ذلك أن القصر الملكي الذي كان يسكنه فرعون كان خارج المدينة وأنه خرج منه ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها. (فوجد فيها رجلين يقتتلان) يتنازعان ويتضاربان، أحدهما كان إسرائيلياً من متبعيه في دينه والآخر قبطيّاً عدواً له لأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل. (فاستغاثه الّذي من شيعته...) طلب الإسرائيلي من موسى أن ينصره على عدوه القبطي. (فوكزه موسى فقضى عليه) فدفعه أو ضربه موسى بالوكز فمات، وكان قتل خطأ ولولا ذلك لكان من حق الكلام أن يعبّر بالقتل. (قال هذا من عمل الشّيطان...) انزجار منه عمّا وقع من الإقتتال المؤدي إلى قتل القبطي ووقوعه في عظيم الخطر وندم منه على ذلك.

١٦ . (قال ربِّ إنِّي ظلمت...) اعتراف منه عند ربّه بظلمه نفسه حيث أوردها مورد الخطر وألقاها في التهلكة، ومنه يظهر أن المراد بالمغفرة المسؤولة في قوله: (فاغفر لي) هو الغاء تبعة فعله وإنجاؤه من الغم وتخليصه من شر فرعون.

١٧ . (قال ربِّ بما أنعمت...) ربّ بسبب ما أنعمت عليّ، لك عليّ أن لا أكون معيناً للمجرمين. والمراد بالمجرمين أمثال فرعون وقومه دون أمثال الإسرائيلي الّذي أعانه، فلم يكن في إعانته جرم ولا كان وكز القبطي جرماً حتى يتوب عليه السلام منه.

١٨ . (فأصبح في المدينة...) فأصبح موسى في المدينة والحال أنه خائف من فرعون ينتظر الشر، ففاجأه أن الإسرائيلي الّذي استنصره على القبطي بالأمس، يستغيث به رافعاً صوته على قبطي آخر، قال موسى للإسرائيلي توبيخاً وتأنيباً: إنك لغوي مبين لا تسلك سبيل الرشد والصواب. لأنه كان يخاصم ويقتتل قوماً ليس في مخاصمتهم والمقاومة عليهم إلاّ الشرّ كلّ الشرّ.

١٩ . (فلمّا أراد أن يبطش...) ذكر جل المفسرين أن ضمير «قال» للإسرائيلي، وذلك أنه ظن أن موسى إنّما يريد أن يبطش به لما سمعه يعاتبه، فهاله ما رأى من إرادته البطش قال: (يا موسى أتريد أن تقتلني...) فعلم القبطي عند ذلك أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس فرجع إلى فرعون فأخبره الخبر.

٢٠ . (وجاء رَجُلٌ من...) سياق الآية يعطي أن الائتمار كان عند فرعون وبأمر مِنه، وأن هذا الرّجل جاء من هناك فأخبر موسى بما قَصدوه من قتله وأشار عليه بالخروج من المدينة.

٢١ . (فخرج منها خائفاً...) فيه تأييد أنه ما كان يرى قتله القبطي خطأ، جرماً لنفسه.

٢٢ . (ولمّا توجّه تلقاء...) ولمّا صرف وجهه بعد الخروج من مصر حذاء مدين قال: أرجو من ربّي أن يهديني وسط الطريق، فلا أضل بالعدول عنه والخروج منه إلى غيره.

٢٣ . (ولمّا ورد ماء...) ولمّا ورد موسى ماء مدين وجد على الماء جماعة من النّاس يسقون أغنامهم، ووجد بالقرب منهم ممّا يليه إمرأتين تحبسان أغنامهما وتمنعانها أن ترد المورد، قال موسى مستفسراً عنهما حيث وجدهما تذودان الغنم وليس على غنمها رجل: ما شأنكما؟ قالتا: لا نسقي غنمنا أي عادتنا ذلك، حتى يصدر الراعون ويخرجوا أغنامهم وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يتصدى بنفسه أمر السقي ولذا تصدينا الأمر.

٢٤ . (فسقى لهما ثمّ تولّى...) إنصرف إلى الظل ليستريح فيه والحر شديد، وقد حمل الأكثرون قوله: (ربّ إنّي لما أنزلت) على سؤال طعام يسد به الجوع.

[٣٨٥]

٢٥ . (فجاءته إحداهما...) المراد بكون مشيها على استحياء: ظهور التعفف من مشيتها. (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) ليعطيك جزاء سقيك لنا. (فلمّا جاء وقص...) يلوح إلى أن شعيباً استفسره حاله فقص عليه قصته، فطيّب نفسه بأنه نجا منهم إذ لا سلطان لهم على مدين.

٢٦ . (قالت احداهما يا أبت استأجرهُ...) إستأجره لأنه قوي أمين وخير مَن استأجرت هو القوي الأمين. وهذه القائلة هي الّتي جاءته وأخبرته بدعوة أبيها له كما وردت به روايات أئمة أهل البيت عليهم السّلام وذهب إليه جمع من المفسِّرين.

٢٧ . (قال إنّي أُريد...) عرض من شعيب لموسى عليه السلام أن يأجره نفسه ثماني سنين أو عشراً،

قبال تزويجه إحدى ابنتيه. (فإن أتممت عشراً...) فإن أتممته عشر سنين فهو من عندك وباختيار منك من غير أن تكون ملزماً من عندي. (وما أُريد أن أشقّ عليك) إخبار عن نحو ما يريده منه من الخدمة، وأنه عمل غير موصوف بالمشقة وانه مخدوم صالح.

٢٨ . (قال ذلك بيني...) ذلك الّذي ذكرته وقررته من المشارطة والمعاهدة وعرضته عليَّ ثابت بيننا ليس لي ولا لك أن نخالف ما شارطناه. (أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ) لي أن أختارَ أي الأجلين شئت فان اخترت الثماني سنين، فليس لك أن تعدو وتلزمني بالزيادة، وإن اخترت الزيادة وخدمتك عشراً فليس لك أن تعدو عليّ بالمنع من الزيادة، (والله على ما نقول وكيل) توكيل له تعالى فيما يشارطان يتضمن إشهاده تعالى على ما يقولان وإرجاع الحكم والقضاء بينهما إليه لو اختلفا.

٢٩ . (فلمّا قضى موسى...) المراد بقضائه الأجل إتمامه مدة خدمته لشعيب عليه السلام والمروي أنه قضى أطول الأجلين. والإيناس: الإبصار والرؤية. والجذوة من النار: القطعة منها. والاصطلاء: الإستدفاء.

(٣٤/٢)

---

٣٠ . (فلمّا أتاها نودي...) المراد بالأيمن: الجانب الأيمن مقابل الأيسر وهو صفة الشاطئ. البقعة المباركة: قطعة خاصة من الشاطئ الأيمن في الوادي، كانت فيه الشجرة التي نودي منها.

ومباركتها: لتشرفها بالتقريب والتكليم الإلهي. وقد أُمِر بخلع نعليه فيها لتقدسها. (أن يا موسى إنِّي أنا الله...) إنباء عن الذات المتعالية المسماة بإسم الجلالة الموصوفة بوحدانيّة الرّبوبية المنافية لمطلق الشرك إذ كونه رباً للعالمين جميعاً لا يدع شيئاً من العالمين يكون مربوباً لغيره.

٣١ . (وأن ألق عصاك...) تقدم تفسيره في سورة النمل.

٣٢ . (اسلك يدك في...) المراد بسلوك يده في جيبه: إدخالها فيه، والمراد بالسوء: على ما قيل . البرص.

٣٣ . (قال ربِّ إنِّي...) إشارة إلى قتله القبطي بالوَكْز وكان يخاف أن يقتلوه قصاصاً.

٣٤ . (وأخي هارون هو...) أن أخي هارون هو أفصح مني لساناً، فارسله معيناً لي يبيّن صدقي في دعواي إذا خاصموني، إني أخاف أن يكذبوني فلا أستطيع بيان صدق دعواي.

٣٥ . (قال سنشدّ عضدك...) شدّ عضده بأخيه: كناية عن تقويته به، وعدم الوصول إليهما: كناية عن عدم التسلّط عليهما بالقتل ونحوه، كأن الطائفتين يتسابقان وإحداهما متقدمة دائماً والأُخرى لا تدركهم بالوصول إليهم فضلاً أن يسبقوهم. والمعنى: قال سنقويك ونعينك بأخيك هارون، ونجعل لكما سلطة وغلبة عليهم فلا يتسلطون عليكما بسبب آياتنا التي نُظهِرُكُما بها.

٣٦ . (فلمّا جاءهم موسى...) إن ما جاء به موسى دين مبتدع لم ينقل عن آبائنا الأولين أنهم اتخذوه في وقت من الأوقات.

٣٧ . (وقال موسى ربِّي...) إن رَبّي . وهو ربّ العالمين له الخلق والأمر . هو أعلم منكم بمن جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار، وهو الذي أرسلني رسولاً ووعدني أن من أخذ بديني فله عاقبة الدار، والحجة على ذلك الآيات البينات التي آتانيها من عنده. (إنّه لا يفلح الظّالمون) تعريض لفرعون وقومه.

(٣٥/٢)

---

٣٨ . (وقال فرعون يا أيّها...) يريد أنه لم يتبين له حقية ما يدعو إليه موسى ولا كون ما أتى به من الخوارق آيات معجزة من عند الله، وأنه ما علم لهم من إله غيره. ثمّ أمَرَ هامان أن يبني له صرحاً لعله يطلع إلى إله موسى.

٣٩ . (واستكبر هو وجنوده....) كانت لهم حال من يترجح عنده عدم الرجوع، وذلك أنهم كانوا موقنين في أنفسهم كما قال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً).

٤٠ . (فأخذناه وجنوده...) في الآية من الإستهانة بأمرهم وتهويل العذاب الواقع بهم ما لا يخفى.

٤١ . (وجعلناهم أئمة يدعون...) معنى جعلهم أئمة يدعون إلى النّار: تصييرهم سابقين في الضلال يقتدي بهم اللاحقون. (ويوم القيامة لا ينصرون) لا تنالهم شفاعة من ناصر.

٤٢ . (وأتبعناهم في هذه...) فهم لكونهم أئمة يقتدي بهم من خلفهم في الكفر والمعاصي، لايزال يتبعهم ضلال الكفر والمعاصي من مقتديهم ومتّبعيهم، وعليهم من الأوزار مثل ما للمتبعين، فيتبعهم لعن مستمر باستمرار الكفر والمعاصي بعدهم.

٤٣ . (ولقد آتينا موسى...) وأقسم لقد أعطينا موسى الكتاب وهو التوراة، من بعدما أهلكنا الأجيال الأولى، فاقتضت الحكمة تجديد الدعوة والإنذار، حال كون الكتاب حججاً بيّنة يبصر بها النّاس المعارف الحقة، وهدىً يهتدون به إليها، ورحمة يرحمون بسبب العمل بشرائعه وأحكامه، لعلهم يتذكرون فيفقهون ما يجب عليهم من الاعتقاد والعمل.

٤٤ . (وما كنت بجانب...) وما كنت حاضراً وشاهداً، حين أنزلنا التوراة على موسى في الجانب الغربي من الوادي أو الجبل.

(٣٦/٢)

---

٤٥ . (ولكنّا أنشأنا قروناً...) ولكنا أوجدنا أجيالاً بعده فتمادى بهم الأمد، ثمّ أنزلْنا عليك قصته وخبر نزول الكتاب عليه. (وما كنت ثاوياً...) وما كنت مقيماً في أهل مدين . وهم شعيب وقومه . مشاهداً لما جرى على موسى هناك، تتلو على المشركين آياتنا القاصّة لخبره هناك، ولكنا كنّا مرسلين لك إلى قومك موحين بهذه الآيات إليك لتتلوها عليهم.

٤٦ . (وما كنت بجانب...) وما كنت حاضراً في جانب الطور إذ نادينا موسى وكلّمناه واخترناه للرّسالة، حتى تخبر

[٣٨٧]

عن هذه القصة إخبار الحاضر المشاهد، ولكن لرحمة منا أخبرناك بها لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك، لعلهم يتذكرون.

٤٧ . (ولولا أن تصيبهم...) لولا أنه تكون لهم الحجة علينا على تقدير عدم إرسال الرّسول، وأخذهم بالعذاب بما قدمت أيديهم من الكفر والفسوق، لما أرسلنا إليهم رسولاً، لكنهم يقولون ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك التي يتلوها علينا ونكون من المؤمنين.

٤٨ . (فلمّا جاءهم الحق...) فأرسلنا إليهم الرّسول بالحق وأنزلنا الكتاب، فلمّا جاءهم الحق من عندنا والظاهر أنه القرآن النازل على النبيّ صلى الله عليه وآله (قالوا لولا أُوتي مثل ما أُوتي موسى) لولا أُوتي النبيّ صلى الله عليه وآله مثل التوراة التي اوتيها موسى عليه السلام وكأنهم يريدون به أن ينزل القرآن جملة واحدة. (أوَلم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا) يعنون القرآن والتوراة (وقالوا إنّا بكل كافرون) والفرق بين القولين أن الأوّل كفر بالكتابين والثّاني كفر بأصل النبوّة.

٤٩ . (قل فأتوا بكتاب...) أمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يطالبهم بكتاب غيرهما هو أهدى منهما ليتبعه. (إن كنتم صادقين) في دعوى أنهما سحران تظاهرا.

---

٥٠ . (فإن لم يستجيبوا...) محصل الحجة أنهم إن لم يأتوا بكتاب هو أهدى منهما وليسوا مؤمنين بهما فهُم متبعون للهوى، ومتبع الهوى ظالم والظالم غير مهتد وغير المهتدي ضال فهم ضالّون.

٥١ . (ولقد وصلنا لهم...) الضمير لمشركي مكة. والمعنى: أنزلنا عليهم القرآن موصولاً بعضه ببعض: الآية بعد الآية، والسورة إثر السورة من وعد ووعيد ومعارف وأحكام وقصص وعبر وحكم ومواعظ لعلهم يتذكرون.

٥٢ . (الّذين آتيناهم الكتاب...) مدح طائفة من مؤمني أهل الكتاب.

٥٣ . (وإذا يُتلى عليهم...) وإذا يقرأ القرآن عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق الذي نعهده من ربنا فإنه عرفناه من قبل. (إنّا كنّا من قبله مسلمين) كنّا من قبل نزوله مسلمين له، أو مؤمنين للدّين الذي

يدعو إليه ويسميه إسلاماً.

٥٤ . (أولئك يؤتون أجرهم...) وعد جميل لهم على ما فعلوا، ومدح لهم على حسن سلوكهم، ومداراتهم مع جهلة المشركين. (ويدرأون بالحسنة السيِّئة) يدفعون أذى النّاس عن أنفسهم بالمداراة.

٥٥ . (وإذا سمعوا اللغو...) المراد باللغو: لغو الكلام، والمراد: سقط القول الّذي لا ينبغي الإشتغال به من هذر أو سب وكل ما فيه خشونة، ولذا لما سمعوه اعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله. (سلام عليكم) أمان منا لكم. (لا نبتغي الجّاهلين) لا نطلبهم بمعاشرة ومجالسة.

٥٦ . (إنّك لا تهدي من...) أمر الهداية إلى الله لا إليك، يهدي هؤلاء وهم من غير قومك الّذين تدعوهم، ولا يهدي هؤلاء وهم قومك الّذين تحب إهتداءهم وهو أعلم بالمهتدين.

(٣٨/٢)

---

٥٧ . (وقالوا إنْ نتّبع...) الجملة مسوقة للإعتذار عن الإيمان بأنهم إن آمنوا تخطفتهم العرب من أرضهم، أرض مكة لأنهم مشركون لا يرضون بإيمانهم. (أوَ لَم نمكن لهم حرماً آمناً) إنّا مكناهم في أرض جعلناها حرماً ذا أمن تحترمه العرب فلا موجب لخوفهم أن يتخطفوا منها إن آمنوا. (يجبى إليه ثمرات كل شيء) يجمع إلى الحرم ثمرات كثير من الأشياء. (ولكنّ أكثرهم لا يعلمون) إنا نحن حفظناهم في أمن ورزقناهم من كل الثمرات، لكن أكثرهم جاهلون بذلك، فيحسبون ان الّذي يحفظهم من تخطف العرب هو شركهم وعبادتهم الأصنام.

[٣٨٨]

٥٨ . (وكم أهلكنا من قرية...) جواب ثان منه تعالى لقولهم: (إن نتّبع الهدى...) ومحصّله: أن مجرّد عدم تخطّف العرب لكم من أرضكم، لا يضمن لكم البقاء ولا يحفظ لكم أرضكم والتنعم فيها كما تشاؤون، فكم من قرية بالغة في التنعم ذات أشر وبطر أهلكنا أهلها وبقيت مساكنهم خالية غير مسكونة لا وارث لها إلاّ الله.

٥٩ . (وما كان ربّك...) أم القرى: هي أصلها وكبيرتها التي ترجع إليها. وفي الآية بيان السنة الإلهية في عذاب القرى بالاستئصال، وهو أن عذاب الاستئصال لا يقع منه تعالى إلاّ بعد إتمام الحجة عليهم، بإرسال رسول يتلو عليهم آيات الله، وإلاّ بعد كون المعذبين ظالمين بالكفر بآيات الله وتكذيب رسوله.

٦٠ . (وما أُوتيتم من شيء...) ان جميع النعم الدّنيوية التي أعطاكم الله إياها، متاع وزينة زينت بها هذه الحياة الدّنيا الّتي هي أقرب الحياتين منكم، وهي بائدة فانية، وما عند الله من ثوابه في الدار الآخرة خير وأبقى.

٦١ . (أفمن وعدناه وعداً...) الاستفهام إنكاري. والوعد الحسن: هو وعده تعالى بالمغفرة والجنة. (ثمّ

هو يوم القيامة من المحضرين) أي للعذاب، أو للسؤال والمؤاخذة.
٦٢ . (ويوم يناديهم فيقول...) الشركاء: هم الّذين كانوا يعبدونهم في الدّنيا.

(٣٩/٢)

---

٦٣ . (قال الّذين حقّ...) آلهتهم الذين يَرونهم شركاء لله سبحانه صنفان صنف منهم عباد لله مكرمون كالملائكة المقربين وعيسى بن مريم عليه السلام وصنف منهم كعتاة الجن ومدعي الالوهية من الإنس كفرعون ونمرود وغيرهما، وقد الحق الله سبحانه بهم كل مطاع في باطل كإبليس وقرناء الشياطين وأئمة الضلال والّذين يشير إليهم قوله: (قال الّذين حقّ عليهم القول) هم من الصنف الثاني (ربّنا هؤلاء الّذين أغوينا) أي هؤلاء . يشيرون إلى المشركين . هم الّذين أغويناهم (أغويناهم كما أغوينا) كانت غوايتهم بإغوائنا لغوايتنا أنفسنا، فكما كنا غوينا باختيارنا من غير إلجاء، كذلك هم غووا باختيار منهم من غير إلجاء.
٦٤ . (وقيل ادعوا شركاءكم...) المراد بشركائهم: الآلهة التي كانوا شركاء لله بزعمهم. والمراد بدعوتهم: دعوتهم إيّاهم لينصروهم ويدفعوا عنهم العذاب.
٦٥ . (ويوم يناديهم فيقول...) ماذا قلتم في جواب من أُرسِلَ إليكم من رُسُل الله فدعوكم إلى الإيمان.
٦٦ . (فعميت عليهم الأنباء...) لسقوط الأسباب عن التأثير يومئذ، لا تهتدي إليهم الأخبار ولا يجدون شيئاً يعتذرون به للتخلص من العذاب. (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضاً ليعدُّوا به عُذراً يعتذرون به عن تكذيبهم الرّسل وردِّهم الدعوة.
٦٧ . (فأمّا من تاب...) هذه حال من كفر ولم يرجع إلى الله سبحانه، فاما من رجع وآمن وعمل صالحاً فمن المرجو أن يكون من المفلحين.
٦٨ . (وربُّك يخلق ما يشاء...) له تعالى أن يختار في مرحلة التشريع من الأحكام والقوانين ما يشاء، كما أن له أن يختار في مرحلة التكوين من الخلق والتدبير ما يشاء. (ما كان لهم الخيرة) لا اختيار لهم إذا اختارَ الله سبحانه لهم شيئاً.
٦٩ . (وربّك يعلم ما تكنّ...) الإكنان: الإخفاء. والإعلان: الإظهار.

(٤٠/٢)

---

٧٠ . (وهو الله لا إله...) وهو الإله المتصف وحده بالالوهية، لا إله إلاّ هو. (له الحمد في الأُولى والآخرة) فلأن كل كمال موجود في الدّنيا والآخرة نعمة نازلة منه تعالى يستحق بها جميل الثناء.

(وله الحكم) فلأنه سبحانه هو المالك على الإطلاق. (وإليه ترجعون) فلأن الرّجوع، للحساب والجزاء.
٧١ . (قل أرأيتم إن...) السرمد بمعنى الدائم. (مَن إله غير الله يأتيكم بضياء) من الإله الذي ينقض حكمه تعالى ويأتيكم بضياء تستضيئون به وتسعون في طلب المعاش.
٧٢ . (...بليل تسكنون فيه...) تستريحون فيه ممّا أصابكم من تعب السعي للمعاش. وقوله: (أفلا تبصرون) أي إبصار تفهُّم وتذكُّر، وإذ لم يبصروا ويسمعوا فهم عميٌ صمٌّ، ومن اللطيف تذييل الآيتين بقوله: (أفلا تسمعون)
[٣٨٩]
(أفلا تبصرون) ولعلّ آية النهار خص بالابصار لمناسبة ضوء النّهار الإبصار، وبقي السمع لآية اللّيل وهو لا يخلو من مناسبة معه.
٧٣ . (ومن رحمته جعل...) جعل لكم اللّيل لتستريحوا فيه، وجعل لكم النهار لتطلبوا من رزقه.
٧٤ . (ويوم يناديهم فيقول...) تقدم تفسيره وقد كررت الآية لحاجة مضمون الآية التالية إليها.
٧٥ . (ونزعنا من كلِّ أُمة...) المراد بالشهيد: شهيد الأعمال. (فقلنا هاتوا برهانكم) طالبناهم بالحجّة القاطعة على ما زعموا أن لله شركاء. (فعلموا أن الحق لله) غاب عنهم زعمهم الباطل أن لله سبحانه شركاء، فعلموا عند ذلك أن الحق في الالوهية لله وحده.
٧٦ . (إنّ قارون كان...) إن قارون كان من بني إسرائيل، فطلب العتو عليهم بغير حق، وأعطيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه لتثقل الجماعة ذوي القوة. (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) فسر الفرح بالبطر وهو لازم الفرح والسرور المفرط بمتاع الدّنيا، فانه لا يخلو من تعلق شديد بالدّنيا ينسى الآخرة ويورث البطر والأشر.

---

٧٧ . (وابتغ فيما آتاك الله الدّار الآخرة...) واطلب فيما أعطاك الله من مال الدّنيا، تعمير الدار الآخرة بإنفاقه في سبيل الله ووضعه فيما فيه مرضاته تعالى. (ولا تنس نصيبك...) لا تترك ما قسم الله لك ورزقك من الدّنيا، ترك المنسي، واعمل فيه لآخرتك لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدّنيا هو ما يعمل به لآخرته فهو الذي يبقى له. (وأحسن كما أحسن الله إليك) أنفقه لغيرك إحسانا، كما آتاكه الله إحساناً من غير أن تستحقه وتستوجبه. (ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ الله لا يحبّ المفسدين) لا تطلب الفساد في الأرض بالاستعانة بما آتاك الله من مال وما اكتسبت به من جاه وحشمة، إن الله لا يحب المفسدين، لبناء الخلقة على الصلاح والإصلاح.
٧٨ . (قال إنّما أُوتيته...) لا شك أن قوله (إنّما أُوتيته على علم عندي) جواب عن جميع ما قاله المؤمنون من قومه ونصحوه به، فأجاب بنفي كونه إنما اوتيه إحساناً من غير استحقاق، ودعوى أنه

إنّما اوتيه على إستحقاق بما عنده من العلم بطرق اقتناء المال وتدبيره، وليس عند غيره ذلك، وإذا كان ذلك باستحقاق فقد استقل بملكه وله أن يفعل فيما اقتناه من المال بما شاء، ويستدره في أنواع التنعم وبسط السلطة والعلو والبلوغ إلى الآمال والأماني. (أوَ لَم يعلم أن الله...) كان يرى أن الّذي اقتنى به المال وهو يبقيه له ويمتعه منه هو علمه الذي عنده، وهو يعلم أنه كان فيمن قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً، وكان ماله من القوة والجمع عن علم عنده على زعمه، وقد أهلكه الله بجرمه. (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ظاهر السّياق أن المراد به بيان السنة الإلهية في تعذيب المجرمين وإهلاكهم بذنوبهم.

٧٩ . (فخرج على قومه...) الحظ: هو النصيب من السعادة. وقوله: (يريدون الحياة الدّنيا) يجعلونها الغاية المطلوبة في مساعيهم ليس لهم وراءها غاية.

---

٨٠ . (وقال الّذين أُوتوا...) القائلون بهذا القول هم المؤمنون أهل العلم بالله، يخاطبون به أولئك الجهلة الّذين تمنوا أن يؤتوا مثل ما أوتي قارون، وعدّوه سعادة عظيمة على الاطلاق، ومرادهم أن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ممّا أُوتي قارون، فإن كانوا مؤمنين صالحين فليتمنوه. (ولا يلقّاها إلاّ الصّابرون) وما يفهم هذه الكلمة . وهي قولهم: ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً . إلاّ الصابرون.

٨١ . (فخسفنا به وبداره...) الضميران لقارون والجملة متفرعة على بغيه. (فما كان له من فئة ينصرونه) فما

[٣٩٠]

كان له جماعة يمنعونه العذاب وما كان من الممتنعين، على خلاف ما كان يظن أن الّذي يجلب إليه الخير ويدفع عنه الشر، هو قوّته وجمعه اللّذان اكتسبهما بعلمه.

٨٢ . (وأصبح الذين تمنّوا...) ذكروا أن كلمة «وي» كلمة تندم وربما تستعمل للتعجب، وكلا المعنيين يقبلان الانطباق على المورد، وإن كان التندم أسبق إلى الذهن. (كأن الله يبسط الرّزق...) إعتراف منهم ببطلان ما كان يزعمه قارون ؛ بل سعة الرّزق وضيقه بمشيّة من الله. (ويكأنّه لا يفلح الكافرون) تندم منهم ثانياً.

٨٣ . (تلك الدار الآخرة...) المراد بها: الدار الآخرة السعيدة ولذا فسروها بالجنّة. ومحصل المعنى: تلك الدار الآخرة السعيدة نخصها بالذين لا يريدون فساداً في الأرض بالعلو على عباد الله، ولا بأي معصية أُخرى.

٨٤ . (مَن جاء بالحسنة...) لأنها تتضاعف له بفضل من الله. (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى...) لا

يزيدون على ما عملوا شيئاً وفيه كمال العدل، كما أن في جزاء الحسنة بخير منها كمال الفضل.
٨٥ . (إنّ الّذي فرض...) إن الذي فرض عليك القرآن لتقرأه على الناس وتبلغه وتعملوا به، سيردك ويصيرك إلى محل تكون هذه الصيرورة منك إليه عوداً ويكون هو معاداً لك، كما فرض التوراة على موسى ورفع بها قدره وقدر قومه.

---

٨٦ . (وما كنت ترجو أن...) صدر الآية تقرير للوعد الّذي في قوله: (إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد) أي إنه سيردك إلى معاد، وكنت ترجوه كما القي إليك الكتاب وما كنت ترجوه. (فلا تكوننّ ظهيراً للكافرين) فإذا كان القاؤه إليك رحمة من ربّك خصّك بها وهو فوق رجائك، فتبرأ من الكافرين ولا تكن معيناً وناصراً لهم.
٨٧ . (ولا يصدنّك عن آيات...) نهي له صلى الله عليه وآله على الإنصراف عن آيات الله بلسان نهي الكفار عن الصد والصرف، ووجهه كون انصرافه مسبباً لصدهم. وهو كقوله لآدم وزوجه: (فلا يخرجنّكما من الجنّة) أي لا تخرجا منها بإخراجه لكما بالوسوسة.
٨٨ . (ولا تدع مع الله...) الحكم في ذيل الآية بمعنى الحكم التشريعي أو الأعم منه ومن التكويني. والمعنى: كل دين هالك إلاّ دينه، لأن تشريع الدين إليه وإليه ترجعون لا إلى مشرِّعي الأديان الأُخر.
«سورة العنكبوت»
بسم الله الرّحمن الرّحيم
١، ٢ . (ألم أحسب النّاس...) أظنّ النّاس أن يتركوا فلا يتعرض لحالهم ولا يمتحنوا بما يظهر به صدقهم أو كذبهم في دعوى الإيمان، بمجرّد قولهم: آمنّا؟
٣ . (ولقد فتنّا الّذين...) ان الفتنة والامتحان سنة جارية لنا، وقد جرت في الّذين من قبلهم وهي جارية فيهم ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.
٤ . (أم حسب الّذين...) المراد بقوله: (الّذين يعملون السيِّئات) المشركون الّذين كانوا يفتنون المؤمنين ويصدونهم عن سبيل الله. والمراد بقوله: (أن يسبقونا) الغلبة والتعجيز بسبب فتنة المؤمنين وصدهم عن سبيل الله. (ساء ما يحكمون) تخطئة لظنهم أنهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنة وصدّ، فإن ذلك بعينه فتنة من الله لهم أنفسهم وصدّ لهم عن سبيل السعادة، ولا يحيق المكر السيِّئ إلاّ بأهله.

٥، ٦ . (من كان يرجو...) إن من يؤمن بالله لتوقّع الرجوع إليه ولقائه، فليعلم أنه آت لا محالة، وأن الله سميع لأقواله عليم بأحواله وأعماله فليأخذ حذره وليؤمن حق الإيمان الّذي لا يصرفه عنه فتنة ولا إيذاء، وليجاهد في الله حق جهاده، وليعلم أن الذي ينتفع بجهاده هو نفسه ولا حاجة لله سبحانه إلى إيمانه ولا إلى غيره من العالمين.

٧ . (والّذين آمنوا وعملوا...) بيان لعاقبة إيمانهم حق الإيمان المقارن للجهاد، ويتبين به أن نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه وأنه عطيّة من الله وفضل.

٨ . (ووصّينا الإنسان بوالديه...) عهدنا إلى الإنسان في والديه عهداً حسناً . وأمرناه أن أحسن إلى والديك . وإن

[٣٩١]

بذلا جهدهما أن تشرك بي فلا تطعهما لأنه إتباع ما ليس لك به علم.

٩ . (والّذين آمنوا وعملوا...) معنى الآية ظاهر، وفي وقوعها بعد الآية السابقة وفي سياقها، دلالة على وعد جميل منه تعالى وتطييب نفس لمن ابتلي من المؤمنين بوالدين مشركين يجاهدانه على الشرك فعَصاهما وفارقهما.

١٠ . (ومِن النّاس مَن...) لما كان إيمان هؤلاء مقيداً بالعافية والسلامة، مغيّى بالإيذاء والإبتلاء، لم يعدّه إيماناً بقول مطلق. (فإذا أُوذي في الله) أُوذي لأجل الإيمان بالله. (جعل فتنة النّاس كعذاب الله) نزل العذاب والإيذاء الّذي يصيبه من الناس في وجوب التحرز منه، منزلة عذاب الله الّذي يجب أن يتحرز منه، فرجع عن الايمان إلى الشرك خوفاً وجزعاً من فتنتهم. (ولئن جاء نصر من ربّك...) لئن أتاكم من قبله تعالى ما فيه فرج ويسر لكم، من بعد ما أنتم فيه من الشدّة والعسرة من قبل أعداء الله، ليقولن هؤلاء إنّا كنا معكم فلنا منه نصيب.

١١ . (وليعلمنّ الله الّذين...) من تتمة الكلام في الآية السابقة، والمحصّل: أن الله مع ذلك يميز بين المؤمنين والمنافقين بالفتنة والإمتحان.

---

١٢ . (وقال الّذين كفروا...) المراد بالّذين كفروا: مشركو مكة الذين أبدوا الكفرأول مرة بالدعوة الحقة. وبالذين آمنوا: المؤمنون بها أوّل مرة. (إتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) نوع استمالة لهم وتطييب لنفوسهم أن لو رجعوا إلى الشرك واتّبعوا سبيلهم، لم تكن عليهم تبعة فكأنهم قالوا: لنفرض أن اتباعكم لسبيلنا خطيئة، فإنا نحملها عنكم ونحمل كل ما يتفرع عليه من الخطايا، أو إنا نحمل عنكم خطاياكم عامة ومن جملتها هذه الخطيئة. (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) رد لقولهم: (ولنحمل خطاياكم) وهو رد محفوف بحجة، إذ لو كان اتباعهم لسبيلهم ورجوعهم عن الإيمان بالله خطيئة،

كان خطيئة عند الله لاحقة بالراجعين، وانتقالها عن عهدتهم إلى غيرهم يحتاج إلى إذن من الله ورضى، فهو الذي يؤاخذهم به ويجازيهم، وهو سبحانه يصرّح ويقول: (ما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) وقد عمّم النفي لكل شيء من خطاياهم. (وليحملن أثقالهم...) إنهم لا يحملون خطاياهم بعينها فهي لازمة لفاعليها، لكنهم حاملون أثقالاً وأحمالاً من الأوزار مثل أوزار فاعليها، مِن غير أن ينقص من فاعليها، فيحملونها مضافاً إلى أثقال انفسهم واحمالها، لما أنهم ضالّون مُضِلّون.

١٤ . (ولقد أرسلنا نوحاً...) الآية ظاهرة في ان الألف إلاّ خمسين مدة دعوة نوح عليه السلام ما بين بعثته إلى أخذ الطوفان.

١٥ . (فأنجيناه وأصحاب السّفينة...) فانجينا نوحاً وأصحاب السفينة الراكبين معه فيها، وهم أهلهُ وعدة قليلة من المؤمنين به ولم يكونوا ظالمين.

١٦ . (وإبراهيم إذ قال...) وأرسلنا إبراهيم إلى قومه. (اعبدوا الله واتقوه) دعوة إلى التوحيد وإنذار.

---

١٧ . (إنّما تعبدون من دون...) بيان لبطلان عبادة الأوثان. (وتخلقون إفكاً) وتفتعلون كذباً بتسميتها آلهة وعبادتها بعد ذلك، فهناك إله تجب عبادته لكنه هو الله الواحد دون الأوثان. (إنّ الّذين تعبدون من دون الله) إن هؤلاء الّذين تعبدون من دون الله وهم الأوثان إنّما تعبدونهم لجلب النفع وهو أن يرضوا عنكم فيرزقوكم، لكنهم ليسوا يملكون لكم رزقاً، فإن الله هو الذي يملك رزقكم. (فابتغوا عند الله الرّزق) فاطلبوا الرّزق من عند الله لأنه هو الذي يملكه، فلا تعبدوهم بل اعبدوا الله واشكروا له على ما رزقكم وأنعم عليكم بالوان النعم.

١٨ . (وإن تكذّبوا فقد...) إن التكذيب هو المتوقع منكم، لأنه كالسنة الجارية في الأمم المشركة وقد كذب من قبلكم، وأنتم منهم وفي آخرهم، وليس عليَّ بما أنا رسول إلاّ البلاغ المبين.

١٩ . (أوَ لَم يروا كيف...) أوَلَم يعلموا كيفية الإبتداء ثمّ الإعادة، أي إنهما من سنخ واحد هو إنشاء ما لم يكن. (إن ذلك على الله يسير) الإشارة فيه إلى الاعادة بعد الإبداء، وفيه رفع الاستبعاد لأنه إنشاء بعد إنشاء.

٢٠ . (قل سيروا في الأرض...) أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يخاطبهم بما يتم به الحجة عليهم، فيرشدهم إلى السير في

[٣٩٢]

الأرض لينظروا إلى كيفية بدء الخلق، وإنشائهم على اختلاف طبائعهم وتفاوت ألوانهم واشكالهم، فهو ينشئ النشأة الآخرة كما أنشأ النشأة الأولى.

٢١ . (يعذِّب من يشاء...) إن النشأة الآخرة هي نشأة يعذب الله فيها من يشاء وهم المجرمون،

ويرحم من يشاء وهم غيرهم، وإليه تردّون فلا يحكم فيكم غيره.

٢٢ . (وما أنتم بمعجزين في...) إنكم لا تقدرون أن تعجزوه تعالى يومئذ بالفوت منه والخروج من حكمه وسلطانه. (وما لكم من دون الله...) ليس لكم اليوم ولي من دون الله يتولى أمركُم فيغنيكم من الله، ولا نصير ينصركم فيقوي جانبكم ويتمم ناقص قوتكم فيظهركم عليه سبحانه.

---

٢٣ . (والّذين كفروا بآيات...) والّذين جحدوا آيات الله الدالة على الدّين الحق وخاصة المعاد، أولئك يئسوا من الرحمة والجنة وأولئك لهم عذاب أليم.

٢٤ . (فَما كان جواب...) تفريع على قوله في صدر القصة: (وإبراهيم إذ قال لقومه...). (فأنجاه الله من النّار) ثمّ اتفقوا على إحراقه فأضرموا ناراً فالقوه فيها فأنجاه الله منها.

٢٥ . (وقال إنّما اتّخذتم...) خطاب [من إبراهيم عليه السلام] لعامة قومه في أمر اتخاذهم الأوثان، للمودة القومية ليصلحوا به شأن حياتهم الدنيا الاجتماعية. (ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) كفر آلهتهم بهم وتبرّيهم منهم. (ومأواكم النّار وما لكم من ناصرين) إشارة إلى لحوق الوبال ووقوع الجزاء وهو النّار التي فيها الهلاك المؤبد، ولا ناصر ينصرهم ويدفع عنهم العذاب.

٢٦ . (فآمن لهُ لوط...) آمن به لوط. (وقال إنّي مهاجر إلى رَبّي) المراد بالمهاجرة إلى الله: هجره وطنه وخروجه من بين قومه المشركين إلى أرض لا يعترضه فيها المشركون ولا يمنعونه من عبادة ربِّه. فعد المهاجرة مهاجرة إلى الله من المجاز العقلي. (إنّه عزيز حكيم) عزيز لا يذل من نصره حكيم لا يضيع من حفظه.

٢٧ . (ووهبنا له إسحاق...) معناه ظاهر. (وآتيناه أجره في الدّنيا) يمكن أن يكون المراد به إيتاء الأجر الدّنيوي الحسن.

٢٨ . (ولوطاً إذ قال لقومه...) وأرسلنا لوطاً أو واذكر لوطاً إذ قال لقومه. (إنّكم لتأتون الفاحشة) إخبار بداعي الاستعجاب والإنكار، والمراد بالفاحشة: إتيان الذكران. (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) كأن المراد: أن هذا العمل لم يشع في قوم قبلهم هذا الشيوع، أو الجملة حال من فاعل (لتأتون).

---

٢٩ . (أ إنّكم لتأتون الرّجال...) السّياق يشهد أن المراد بإتيان الرّجال: اللواط، وبقطع السبيل: إهمال طريق التناسل والغاؤها، فقطع السبيل كناية عن الإعراض عن النساء وترك نكاحهن. وبإتيانهم المنكر في ناديهم . والنادي هو المجلس الّذي يجتمعون فيه ولا يسمّى نادياً إلاّ إذا كان فيه أهله: الإتيان بالفحشاء أو بمقدماتها الشنيعة بمرأى من الجماعة.

٣٠ . (قال ربِّ انصرني...) سؤال للفتح ودعاء منه عليهم، وقد عدّهم مفسدين لعملهم الذي يفسد الأرض ويقطع النسل ويهدد الإنسانية بالفناء.

[٣٩٣]

٣١ . (ولمّا جاءت رسلنا...) إجمال قصة هلاك قوم لوط، وقد كان ذلك برسل من الملائكة أرسلهم الله أوّلاً إلى إبراهيم عليه السلام فبشروه وبشروا امرأته باسحاق ويعقوب، ثمّ أخبروه بأنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط، والقصة مفصلة في سورة هود وغيرها. (قالوا إنّا مهلكو أهل هذه القرية) أي قالوا لإبراهيم، وفي الإتيان بلفظ الإشارة القريبة . هذه القرية . دلالة على قربها من الأرض التي كان إبراهيم عليه السلام نازلاً بها، وهي الأرض المقدسة. (إنّ أهلها كانوا ظالمين) تعليل لإهلاكهم بأنهم ظالمون قد استقرت فيهم رذيلة الظلم.

٣٢ . (قال إنّ فيها لوطاً...) كان عليه السلام يريد بقوله: (إنّ فيها لوطاً...) أن يصرف العذاب عن أهل القرية كرامة للوط فأجيب بأنهم مأمورون بإنجائه وإخراجه من بين أهل القرية ومن معه أهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين.

٣٣ . (ولمّا أن جاءَت...) ضمير الجمع في (سيءَ بهم)، وضاق بهم للرسُل أي أخذته المساءة وهي سوء الحال بسببهم وضاقت طاقته بسببهم، لكونهم في صور شبان حسان مرد يخاف عليهم من القوم. (وقالوا لا تخف ولا تحزن...) لا خطر محتملاً يهددك ولا مقطوعاً يقع عليك. (إنّا منجّوك وأهلك...) تعليل لنفي الخوف والحزن.

٣٤ . (إنّا منزلون على أهل...) بيان لما يشير إليه قوله: (إنّا منجُّوك وأهْلكَ) من العذاب، والرجز: العذاب.

---

٣٥ . (ولقد تركنا منها...) أبقينا من القرية علامة واضحة لقوم يعقلون ليعتبروا بها فيتقوا الله، وهي الآثار الباقية منها بعد خراجها بنزول العذاب.

٣٦ . (وإلى مدين أخاهم...) يدعوهم إلى عبادة الله وهو التوحيد، وإلى رجاء اليوم الآخر وهو الإعتقاد بالمعاد، وأن لا يفسدوا في الأرض، وكانت عمدة إفسادهم فيها نقص الميزان والمكيال.

٣٧ . (فكذّبوه فأخذتهم...) الرجفة الإضطراب الشديد على ما ذكره الراغب، والجثم والجثوم في

المكان: القعود فيه أو البروك على الأرض، وهو كناية عن الموت. والمعنى فكذبوا شعيباً فأخذهم الاضطراب الشديد أو الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم ميتين لا حراك بهم.

٣٨ . (وعاداً وثمود قد...) واذكر عاداً وثمود. (وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم...) تزيين الشّيطان لهم أعمالهم: كناية إستعارية عن تحبيب أعمالهم السيئة إليهم وتأكيد تعلقهم بها. وصده إياهم عن السبيل: صرفهم عن سبيل الله التي هي سبيل الفطرة.

٣٩ . (وقارون وفرعون...) السبق: إستعارة كنائية من الغلبة، والباقي ظاهر.

٤٠ . (فكلاً أخذنا بذنبه...) كل واحدة من الأُمم المذكورين أخذناها بذنبها. ثمّ أخذ في التفصيل فقال: (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) والحاصب: الحجارة. وقيل: الريح الّتي ترمى بالحصا. وعلى الأوّل فهم قوم لوط، وعلى الثاني قوم عاد. (ومنهم من أخذته الصيحة) وهم قوم ثمود وقوم شعيب. (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون. (ومنهم من أغرقنا) وهم قوم نوح وفرعون وهامان وقومهما.

٤١ . (مثل الّذين اتّخذوا...) إن اتخاذهم من دون الله أولياء وهم آلهتهم الذين يتولونهم ويركنون إليهم، كاتخاذ العنكبوت بيتاً هو أوهن البيوت، إذ ليس له من آثار البيت إلاّ اسمه لا يدفع حراً ولا برداً ولا يكنُّ شخصاً ولا يقي من مكروه، كذلك ليس لولاية أوليائهم إلاّ الإسم فقط، لا ينفعون ولا يضرُّون ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

---

٤٢ . (إنّ الله يعلم ما...) إن الله يعلم الشيء الّذي يدعون من دونه، ولا يجهل ذلك [وهو] كناية عن أن المثل الّذي ضربه في محله، وليس لأوليائهم من الولاية إلاّ إسمها.

٤٣ . (وتلك الأمثال نضربها...) يشير إلى أن الأمثال المضروبة في القرآن على أنها عامة تقرع أسماع عامة الناس،

[٣٩٤]

لكن الإشراف على حقيقة معانيها ولبّ مقاصدها، خاصة لأهل العلم ممّن يعقل حقائق الأمور.

٤٤ . (خلق الله السّماوات...) المراد بكون خلق السّماوات والأرض بالحق: نفي اللعب في خلقها. (إنّ ذلك لآية للمؤمنين) تخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الآية لهم ولغيرهم، لكون المنتفعين بها هم المؤمنون دون غيرهم.

٤٥ . (اتل ما أُوحي إليك...) لما ذكر إجمال قصص الأمم وما انتهى إليه شركهم، إنتقل من ذلك . مستأنفاً الكلام . إلى أمره صلى الله عليه وآله بتلاوة ما أُوحي إليه من الكتاب، لكونه خير رادع عن الشرك وارتكاب الفحشاء والمنكر، بما فيه من الآيات البينات التي تتضمن حججاً نيرة على الحق،

وتشتمل على القصص والعبر والمواعظ والتبشير والإنذار والوعد والوعيد، يرتدع بتلاوة آياته تاليه ومن سمعه. وشفعه بالأمر بإقامة الصّلاة التي هي خير العمل، وعلل ذلك بقوله: (إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).

٤٦ . (ولا تجادلوا أهل الكتاب...) نهي عن مجادلة أهل الكتاب وهم على ما يقتضيه الاطلاق اليهود والنصارى ويلحق بهم المجوس والصابئون . إلاّ بالمجادلة . الّتي هي أحسن المجادلة واستثنى الّذين ظلموا منهم. فإن المراد بالظلم بقرينة السياق كون الخصم بحيث لا ينفعه الرفق واللين والاقتراب في المطلوب.

---

٤٧ . (وكذلك أنزلنا إليك...) على تلك الصفة وهي الإسلام لله وتصديق كتبه ورسله، أنزلنا إليك القرآن. فأهل الكتاب يؤمنون به بحسب الطبع لما عندهم من الإيمان بالله وتصديق كتبه ورسله، ومن هؤلاء وهم المشركون من عبدة الأوثان من يؤمن به، وما يجحد بآياتنا ولا ينكرها من أهل الكتاب وهؤلاء المشركين، إلاّ الكافرون وهم الساترون للحق بالباطل.

٤٨ . (وما كنت تتلو...) وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً ولا كان من عادتك أن تخط كتاباً وتكتبه . أي ما كنت تحسن القراءة والكتابة لكونك أُميّاً . ولو كان كذلك لارتاب هؤلاء المبطلون الّذين يبطلون الحق بدعوى أنه باطل.

٤٩ . (بل هو آيات بيِّنات...) لما نفى عنه صلى الله عليه وآله التلاوة والخط معاً، تحصّل من ذلك أن القرآن ليس بكتاب مؤلف مخطوط، فاضرب عن هذا المقدر بقوله: (بل هو . أي القرآن . آيات بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم).

٥٠ . (وقالوا لولا أُنزل...) إقتراح منهم أن يأتيهم بآيات غير القرآن، تعريضاً منهم أنه ليس بآية، وزعماً منهم أن النبيّ يجب أن يكون ذا قوة إلهية غيبية يقوى على كل ما يريد. (قل إنّما الآيات عند الله) جواب عن زعمهم أن من يدّعي الرّسالة يدعي قوة غيبية يقدر بها على كل ما أراد، بأن الآيات عند الله ينزلها متى أراد وكيفما شاء، لا يشاركه في القدرة عليها غيره، فليس إلى النبيّ شيء إلاّ أن يشاء الله، ثمّ زاده بياناً بقصر شأن النبيّ صلى الله عليه وآله في الإنذار فحسب بقوله: (إنّما أنا نذير مبين).

٥١ . (أوَ لَم يكفهم أنّا...) الاستفهام للإنكار والخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله، أي يكفيهم آية هذا الكتاب الّذي أنزلناه عليك، وهو يتلى عليهم فيسمعونه ويعرفون مكانته من الاعجاز، وهو مملوّ رحمة وتذكرة للمؤمنين.

٥٢ . (قل كفى بالله...) القاء جواب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليجيبهم به، وهو أن الله سبحانه شهيد بيني وبينكم فيما نتخاصم فيه، وهو أمر الرسالة، فإنه سبحانه يشهد في كلامه الّذي أنزله عليّ برسالتي، وهو تعالى يعلم ما في السّماوات والأرض من
[٣٩٥]
غير أن يجهل شيئاً، وكفى بشهادته لي دليلاً على دعواى.

٥٣ . (ويستعجلونك بالعذاب...) إشارة إلى قولهم كقول متقدميهم: إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين.

٥٤، ٥٥ . (ويستعجلونك بالعذاب وإن...) تكرار (يستعجلونك) للدّلالة على كمال جهلهم وفساد فهمهم، وأن استعجالهم استعجال لأمر مؤجل لا معجل أولاً، واستعجال لعذاب واقع لا صارف له عنهم لأنهم مجزيون بأعمالهم الّتي لا تفارقهم ثانياً. والغشاوة والغشاية: التغطية بنحو الإحاطة.

٥٦ . (يا عبادي الّذين آمنوا...) إن أرضي واسعة إن امتنع عليكم عبادتي من ناحية منها، تسعكم لعبادتي أخرى منها، فإذا كان كذلك فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا غيري، فإن لم يمكنكم عبادتي في قطعة منها، فهاجروا إلى غيرها واعبدوني وحدي فيها.

٥٧ . (كلُّ نفس ذائقة...) المراد أن كل نفس ستموت لا محالة.

٥٨ . (والّذين آمنوا وعملوا...) بيان لأجْر الإيمان والعمل الصالح بعد الموت والرجوع إلى الله. وفيه حث وترغيب للمؤمنين على الصبر في الله والتوكل على الله. والتبوئة: الإنزال على وجه الإقامة. والغرف: جمع غرفة وهي في الدار، العليَّة العالية.

٥٩ . (الّذين صبروا وعلى...) وصف للعاملين، والصبر أعم من الصبر عند المصيبة والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية، وإن كان المورد مورد الصبر عند المصيبة، فهو المناسب لحال المؤمنين بمكة المأمورين بالهجرة.

٦٠ . (وكأين من دابة...) في الآية تطييب لنفس المؤمنين وتقوية لقلوبهم أنهم لو هاجروا في الله، أتاهم رزقهم أينما كانوا ولا يموتون جوعاً، فرازقهم ربهم دون أوطانهم.

٦١ . (ولئن سألتهم من...) إذا كان الخلق وتدبير الشّمس والقمر إليه تعالى، فكيف يُصرف هؤلاء إلى دعوة غيره من الأصنام وعبادته.

٦٢ . (الله يبسط الرّزق...) الله يوسع الرّزق على من يشاء من عباده، ويضيقهُ على من يشاء . ولا يشاء إلاّ على طبق المصلحة . لأنه بكل شيء عليم، لأنه الله الذي هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال.

٦٣ . (ولئن سألتهم من نزَّل...) المراد بإحياء الأرض بعد موتها: إنبات النبات في الربيع. (وقل الحمد لله) أحمد الله على تمام الحجّة عليهم باعترافهم بأن الله هو المدبر لأمر خلقه. (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون الآيات ولا يحكمون العقول حتى يعرفوا الله، ويميزوا الحق من الباطل، فهم لا يعقلون حقّ التعقّل.

٦٤ . (وما هذه الحياة الدّنيا...) في الآية قصر الحياة الدّنيا في اللهو واللعب، والإشارة إليها بـ (هذه) المفيدة للتحقير. وقصر الحياة الآخرة في الحيوان، وهو الحياة.

٦٥ . (فإذا ركبوا في الفلك...) معنى الآية ظاهر وهي تحكي عنهم تناقضاً آخر وكفراناً للنعمة.

٦٦ . (ليكفروا بما آتيناهم...) اللاّم في (ليكفروا) و (ليتمتعوا) لام الأمر، وأمر الآمر بما لا يرتضيه، تهديد وإنذار.

٦٧ . (أوَ لَم يروا أنّا...) الحرم الآمن هو مكّة وما حولها. والمعنى: أوَ لَم ينظروا أنا جعلنا حرماً آمناً لا يتعرض لمن فيه بقتل أو سبي أو نهب، والحال أن النّاس يختلسون من حولهم خارج الحرم. (أفبالباطل يؤمنون) توبيخ آخر لهم حيث يقابلون هذه النعمة وهي نعمة عظيمة بالكفران، لكنهم يؤمنون بالأصنام وهي باطلة ليس لها إلاّ الإسْم.

[٣٩٦]

٦٨ . (ومن أظلم ممّن...) تهديد لهم بالنّار، بتوسيمهم بأشد الظلم وأعظمه، فقد عبدوا الأصنام وكذّبوا بالقرآن لما جاءهم فهم كافرون ومثوى الكافرين ومحل إقامتهم في الآخرة جهنم.

٦٩ . (والّذين جاهدوا فينا...) استقر جهادهم فينا وهو استعارة كنائية عن كون جهده مبذولاً فيما يتعلق به تعالى من اعتقاد وعمل.

«سورة الروم»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . ٣ . (غُلبت الرّوم في أدنى...) الرّوم جيل من النّاس على ساحل البحر الأبيض وقعت بينهم وبين الفرس حرب عوان فَغَلبت الفرس وانهزمت الروم. (وهم من بعد غلبهم...) والرّوم من بعد غلبة الفرس سَيَغلِبون.

٤، ٥ . (...لله الأمر من قبل...) لله الأمر من قبل أن غلبت الرّوم، ومن بعد أن غلبت، يأمر بما

يشاء فينصر من يشاء ويخذل من يشاء. (ويومئذ يفرح المؤمنون...) ويوم إذ يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله الروم. (وهو العزيز الرّحيم) عزيز يعزُّ بنصره من يشاء، رحيم يخصُّ برحمته من يشاء.

٦ . (وعد الله لا يخلف...) تأكيد وتقرير للوعد السّابق في قوله: (سيغلبون) و (يفرح المؤمنون) كما أن قوله: (لا يخلف الله وعده) تأكيد وتقرير لقوله: (وعد الله).

٧ . (يعلمون ظاهراً من...) قيل: الجملة إستئنائية، لبيان موجب جهلهم بأن وعد الله حق، وأن لِلّه الأمر من قبل ومن بعد، وأنه ينصر المؤمنين على الكافرين.

٨ . (أوَ لَم يتفكّروا في...) هو الفكر الّذي يجب عليهم أن يمعنوا فيه النظر في أنفسهم وتقريره أن الله سبحانَه ما خلق هذا العالم كلاً ولا بعضاً إلاّ لغاية حقيقية لا عبثاً. (وإنّ كثيراً من النّاس...) مسوق سوق التعجيب كما بدأت الآية باستفهام التعجيب، والمراد بلقاء الله: هو الرّجوع إليه في المعاد.

٩ . (أوَ لَم يسيروا في...) لما ذكر كفر كثير من النّاس بالمعاد ذكّرهم حال الامم الكافرة وما انتهت إليه من سوء العذاب لعلهم يعتبرون بها فيرجعوا عمّا هم عليه من الكفر. وإثارة الأرض: قلبها ظهراً لبطن للحرث والتعمير ونحو ذلك. (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والمعاصي.

---

١٠ . (ثمّ كان عاقبة الّذين...) بيان لما انتهى إليه أمر أولئك الظالمين ولذا عبّر بثم. والسوآى: الخلة الّتي يسوء صاحبها والمراد بها سوء العذاب. ثمّ كان سوء العذاب هو الّذي انتهى إليه أمر أولئك الذين عملوا السوء، لم تكن لهم عاقبة غيرها لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها.

١١ . (الله يبدأ الخلق...) بعدما ذكر الحجّة وتكذيب كثير من النّاس، لخص القول في نتيجتها وهو أن البدء والعود بيده سبحانه وسيرجع إليه الجميع، والمراد بالخلق: المخلوقون.

١٢ . (ويوم تقوم السّاعة...) ذكر حال المجرمين بعد قيام الساعة، وهي ساعة الرجوع إليه تعالى للحساب والجزاء. والإبلاس: اليأس من الله وفيه كل الشقاء.

١٣ . (ولم يكن لهم من...) يريد أنهم على يأسهم من الرّحمة من ناحية أعمالهم أنفسهم، آيسون من آلهتهم الّذين اتخذوهم شركاء لله فعبدوهم ليشفعوا لهم عند الله، كما كانوا يقولون في الدنيا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانوا بعبادة شركائهم كافرين ساترين.

[٣٩٧]

١٤، ١٥ . (ويوم تقوم السّاعة يومئذ...) قال في المجمع: الروضة: البستان المتناهي منظراً وطيباً. إنتهى. وقال في المفردات: الحبر: الأثر المستحسن . إلى أن قال . وقوله عزّ وجلّ: (في روضة

يحبرون) أي يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم. إنتهى. والمراد بتفرق الخلق يومئذ: تميّز المؤمنين الصّالحين من المجرمين ودخول هؤلاء النّار، ودخول أولئك الجنّة. ولزوم هذا التميّز والتفرق في الوجود، هو الذي أخذه الله سبحانه حجة على ثبوت المعاد.

١٦ . (وأمّا الّذين كفروا...) [اتضح معناها ممّا تقدّم في الآية السابقة].

١٧، ١٨ . (فسبحان الله حين...) فإذا كان الأمر على هذه السبيل، فالله منزه حينما دخلتم أنتم معاشر البشر في مساء، وحينما دخلتم في صباح وفي العشي، وحينما دخلتم في ظهيرة، وله الثناء الجميل في السّماوات والأرض.

---

١٩ . (يخرج الحيّ من...) ظاهر إخراج الحيّ من الميّت وبالعكس: خلق ذوي الحياة من الأرض الميتة ثمّ تبديل ذوي الحياة أرضاً ميتة، وقد فسر بخلق المؤمن من الكافر وخلق الكافر من المؤمن، فانه يعد المؤمن حياً والكافر ميتاً. وأما إحياء الأرض بعد موتها: فهو انتعاش الأرض وابتهاجها بالنبات في الرّبيع والصيف بعد خمودها في الخريف والشتاء. (وكذلك تخرجون) تبعثون وتخرجون من قبوركم بإحياء جديد كاحياء الأرض بعد موتها.

٢٠ . (ومن آياته أن خلقكم...) المراد بالخلق من تراب: إنتهاء خلقة الإنسان إلى الأرض، فإن مراتب تكوّن الإنسان من مضغة أو علقة أو نطفة أو غيرها، مركبات أرضية تنتهي إلى العناصر الأرضية.

٢١ . (ومن آياته أن خلق...) خلق لأجلكم . أو لينفعكم . من جنسكم قرائن، وذلك أن كل واحد من الرّجل والمرأة مجهّز بجهاز التناسل تجهيزاً يتم فعله بمقارنة الآخر، ويتم بمجموعهما أمر التوالد والتناسل، فكل واحد منهما ناقص في نفسه مفتقر إلى الآخر، حتى إذا إتصل به سكن إليه، لأن كل ناقص مشتاق إلى كماله. (وجعل بينكم مودّة ورحمة) المودّة كأنها الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل. والرّحمة: نوع تأثر نفساني عن مشاهدة حرمان المحروم عن الكمال، وحاجته إلى رفع نقيصته، يدعو الرّاحم إلى إنجائه من الحرمان ورفع نقصه.

٢٢ . (ومن آياته خلق...) الظاهر أن يكون المراد باختلاف الألسن: إختلاف اللغات. وباختلاف الألوان: إختلاف الأمم في الوانهم كالبياض والسواد والصفرة والحمرة.

٢٣ . (ومن آياته منامكم...) الفضل: الزيادة على مقدار الحاجة، والمراد به في الآية الكريمة: الرّزق، فابتغاء الفضل طلب الرّزق.

٢٤ . (ومن آياته يريكم...) قوله: (خوفاً وطمعاً) خوفاً من الصاعقة وطمعاً في المطر. (إنّ في ذلك

لآيات لقوم يعقلون) إن أهل التعقل يفقهون أن هناك عناية متعلقة بهذه المصالح، فليس مجرد صِدفة.

(٥٧/٢)

---

٢٥ . (ومن آياته أن...) المراد بقيام السماء والأرض بأمر من الله: ثبوتهما على حالهما من حركة وسكون وتغير وثبات بأمره تعالى.

٢٦ . (وله من في السّماوات...) إشارة إلى إحاطة ملكه الحقيقي لجميع من في السّماوات والأرض، وهم المحشورون إليه، وذلك لأن وجودهم من جميع الجهات قائم به تعالى قيام فقر وحاجة. (كلّ له قانتون) القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع . على ما ذكره الراغب في المفردات . والمراد بالطاعة مع الخضوع: الطاعة التكوينية . على ما يعطيه السّياق . دون التشريعية الّتي ربّما تخلفت.

٢٧ . (وهو الّذي يبدأ...) بدء الخلق: إنشاؤه ابتداءً من غير مثال سابق. والاعادة: إنشاء بعد إنشاء. (وله المثل

[٣٩٨]

الأعلى) إن كل صفة كمالية يتصف بها شيء ممّا في السّماوات والأرض من جمال أو جلال فإنه لله سبحانه أعلاها، أي مطلقها من غير تقييد، ومحضها من غير شوب.

٢٨ . (ضرب لكم مثلاً...) ضرب لكم مثلاً متخذاً من أنفسكم منتزعاً من الحالات الّتي لديكم. (هل لكم) شروع في المثل المضروب وقد أُلقي المثل في صورة الاستفهام الإنكاري: هل يوجد بين مماليككم من العبيد والإماء من يكونون شركاء لكم في الأموال الّتي رزقناكم . والحال أنهم مماليك لكم تملكونهم وما في أيديهم . بحيث تخافونهم من التصرف في أموالكم بغير إذن منهم ورضى، كما تخافون الشركاء الأحرار من نوع أنفسكم؟ ! لايكون ذلك أبداً ولا يجوز أن يكون المملوك شريكاً لمولاه في ماله، وإذا لم يجز، فكيف يجوز أن يكون بعض من خلقه الله كالملائكة والجن وهم عبيده المملوكون، شركاء له فيما يملك من مخلوقيه وآلهة وارباباً من دونه؟

(٥٨/٢)

---

٢٩ . (بل اتّبع الّذين...) هؤلاء المشركون لم يبنوا شركهم على التعقل، بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم. (فمن يهدي من أضلّ الله) إستفهام إنكاري مدلوله الإيئاس من نعمة الهداية للمشركين المتبعين لأهوائهم مع ظهور الحق لهم. (وما لهم من ناصرين) نفي لنجاتهم بنصرة النّاصرين لهم.

٣٠ . (فأقم وجهك للدِّين...) فأقم وجهك للدِّين وإلزمه فإنه الدّين الّذي تدعو إليه الخلقة الإلهية. (فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها) فيه إشارة إلى أن هذا الدّين، هو الّذي تهدي إليه الفطرة الإلهية الّتي لا تبديل لها.

٣١ . (مُنيبين إليه واتّقوه...) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبيّ صلى الله عليه وآله فيؤول المعنى إلى نحو من قولنا: فأقم وجهك للدِّين حنيفاً أنت ومن معك منيبين إلى الله، والانابة: الرّجوع بالتّوبة. (واتّقوه وأقيموا الصّلاة) التقوى بحسب دلالة المقام تشمل امتثال أوامره والإنتهاء عن نواهيه تعالى، فاختصاص إقامة الصّلاة من بين سائر العبادات بالذكر، للاعتناء بشأنها فهي عمود الدّين.

٣٢ . (من الّذين فرّقوا...) في الآية ذم للمشركين بما عندهم من صفة التفرق في الكلمة والتحزّب في الدّين.

٣٣ . (وإذا مسّ النّاس...) إذا أصاب النّاس شيء من الضر ولو قليلاً كمرض ما وفقر ما وشدة ما، دعوا ربّهم وهو الله سبحانه، حال كونهم راجعين من غيره. ثمّ إذا أذاقهم الله من عنده رحمة، إذا فريق من هؤلاء النّاس بربهم الذي كانوا يدعونه ويعترفون بربوبيته، يشركون باتخاذ الأنداد والشركاء.

٣٤ . (ليكفروا بما آتيناهم...) تهديد لأُولئك المشركين عند إذاقة الرّحمة.

---

٣٥ . (أم أنزلنا عليهم...) المراد بالإنزال: الإعلام أو التعليم مجازاً. والسلطان: البرهان. والمراد بالتكلم: الدلالة مجازاً. فالمعنى: بل أعلمناهم برهاناً فهو يدل على ما كانوا به يشركون أو بشركهم. ويمكن أن يراد بالسّلطان: ذو السلطان، وهو الملك فلا مجاز في الإنزال والتكلم، والمعنى: بل أأنزلنا عليهم ملكاً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو بشركهم.

٣٦ . (وإذا أذقنا النّاس...) المراد بالآية بيان أن النّاس لا يعدو نظرهم ظاهر ما يشاهدونه من النعمة والنقمة، إذا وجدوا فرحوا بها من غير أن يتبصّروا ويعقلوا أن الأمر بيد غيرهم وبمشيئة من ربّهم إذا لم يشأ لم يكن، وإذا فقدوا قنطوا كأن ليس ذلك بإذن من ربِّهم فهم ظاهريون سطحيّون.

٣٧ . (أوَ لَم يروا أن...) بيان لخطئهم في المبادرة إلى الفرح والقنوط عند إذاقة الرّحمة وإصابة السيئة فان الرزق في سعته وضيقه تابع لمشيئة الله، فعلى الانسان أن يعلم أن الرّحمة الّتي ذاقها والسيئة التي أصابته ممكنة الزوال بمشيئة الله سبحانه، ولا موجب للفرح بما لا يؤمن فقده ولا للقنوط ممّا يرجى زواله.

٣٨ . (فآت ذا القربى...) ذو القربى: صاحب القرابة من الأرحام. والمسكين: أسوأ حالاً من الفقير. وابن السبيل: المسافر ذو الحاجة.

٣٩ . (وما آتيتم من ربا...) المراد: أن المال الّذي يؤتونه النّاس ليزيد في أموالهم لا إرادة لوجه الله،

فليس يزيد وينمو عند الله، أي لا تثابون عليه لعدم قصد الوجه. (وما آتيتم من زكاة تريدون) وما اعطيتم من المال صدقة تريدون وجه الله، فاولئك هم الّذين يضاعف لهم مالهم أو ثوابهم.

٤٠ . (الله الّذي خلقكم...) إن الله سبحانه هو الّذي اتصف بكذا وكذا وصفاً من أوصاف الالوهية والرّبوبية، فهل من الآلهة الّذين تدعون أنهم آلهة، من يفعل شيئاً من

[٣٩٩]

ذلكم، يعني من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، وإذ ليس منهم من يفعل شيئاً من ذلكم فالله سبحانه هو إلهكم.

(٦٠/٢)

---

٤١ . (ظهر الفساد في البر...) المراد بالبر والبحر معناهما المعروف ويستوعبان سطح الكرة الأرضية. والمراد بالفساد الظاهر: المصائب والبلايا الظاهرة فيهما، من الزلازل وقطع الأمطار والسنين والأمراض السارية والحروب والغارات وارتفاع الأمن. (بما كسبت أيدي النّاس) بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك أو معصية. (ليذيقهم بعض الّذي...) ظهر ما ظهر لأجل أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم السيئة، بل ليذيقهم نفس ما عملوا. (لعلّهم يرجعون) يذيقهم ما يذيقهم رجاء أن يرجعوا من شركهم ومعاصيهم إلى التوحيد والطاعة.

٤٢ . (قل سيروا في الأرض...) أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يأمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار الّذين كانوا من قبل، حيث خربت ديارهم وعفت آثارهم وبادوا عن آخرهم وانقطع دابرهم، بأنواع من النوائب والبلايا كان أكثرهم مشركين، فاذاقهم الله بعض ما عملوا ليعتبر به المعتبرون فيرجعوا إلى التوحيد.

٤٣ . (فأقم وجهك للدِّين...) إذا كان الشرك والكفر بالحق بهذه المثابة وله وبال سيلحق بالمتلبس به، فأقم وجهك للدّين القيّم. (من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له) يوم القيامة. (يومئذ يصَّدّعون) المراد به . كما قيل . تفرُّقهم يومئذ إلى الجنة والنّار.

٤٤ . (من كفر فعليه كفره...) وبال كفره. (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون) والّذين عملوا عملاً صالحاً . بعد الإيمان . فلأنفسهم يوطئون ما يعيشون به ويستقرون عليه.

٤٥ . (ليجزي الّذين آمنوا...) إنه تعالى يخص المؤمنين العاملين للصالحات بهذا الفضل، ويحرم الكافرين منه، لأنه يحب هؤلاء ولا يحب هؤلاء.

٤٦ . (ومن آياته أن يرسل...) المراد بكون الرّياح مبشرات: تبشيرها بالمطر حيث تهب قبيل نزوله. (وليذيقكم من رحمته) المراد باذاقة الرّحمة: اصابة أنواع النعم المترتبة على جريان الرّياح.

٤٧ . (ولقد أرسلنا من قبلك...) الآية كأنها مسوقة لبيان أن للمؤمنين حقاً على ربّهم، وهو نصرهم في الدّنيا والآخرة ومنه الانتقام من المجرمين، وهذا الحق مجعول من قبله تعالى لهم على نفسه. (فانتقمنا من الّذين أجرموا) فآمن بعضهم وأجرم آخرون فانتقمنا من المجرمين، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين بإنجائهم من العذاب وإهلاك مخالفيهم.

٤٨ . (والله الّذي يرسل...) الله الّذي يرسل الرّياح فتحرك وتنشر سحاباً، ويبسط ذلك السحاب في جهة العلو من الجو كيف يشاء سبحانه، ويجعله قطعات متراكمة، فترى قطر المطر يخرج من فرجه، فإذا أصاب بذلك المطر من يشاء من عباده، إذا هم يستبشرون لأنه مادة حياتهم وحياة الحيوان والنبات. (وإن كانوا من قبل...) الإبلاس: اليأس والقنوط.

٥٠ . (فانظر إلى آثار...) الآثار: جمع الأثر وهو ما يبقى بعد الشيء فيدل عليه. والمراد برحمة الله: المطر النازل من السحاب. (إن ذلك لمحيي الموتى) في الإشارة البعيدة تعظيم، والمراد بالموتى: موتى الإنسان، أو الإنسان وغيره من ذوي الحياة. والمراد الدّلالة على المماثلة بين احياء الأرض الميتة وإحياء الموتى، إذ في كل منهما موت. (وهو على كل شيء قدير) تقدير للإحياء المذكور ببيان آخر وهو عموم القدرة.

٥١ . (ولئن أرسلنا...) وأُقسم لئن أرسلنا ريحاً باردة، فضربت زروعهم وأشجارهم بالصفار ورأوه، لظلوا بعده كافرين بنعمه.

٥٢، ٥٣ . (فإنّك لا تُسمع الموتى...) كأنه قيل: لا تشتغل ولا تحزن بهؤلاء الذين تتبدل بهم الأحوال من إبلاس واستبشار وكفر، ومن عدم الإيمان بآياتنا وعدم تعقّلها، فإنهم موتى وصمّ وعُمي، وأنت لا تقدر على إسماعهم وهدايتهم،

[٤٠٠]

وإنما تُسمع وتهدي من يؤمن بآياتنا، أي يعقل هذه الحجج ويصدِّقها فهم مسلمون.

٥٤ . (الله الّذي خلقكم...) ابتدأكم ضعفاء. والمراد بالقوة بعد الضعف: بلوغ الأشد. وبالضعف بعد القوة: الشيخوخة.

٥٥ . (ويوم تقوم السّاعة...) يحكي عنهم اشتباه الأمر عليهم في أمر الفصل بين الدّنيا ويوم البعث، حتى ظنوه ساعة من ساعات الدّنيا. (كذلك كانوا يؤفكون) يصرفون من الحق إلى الباطل فيدعون

إلى الحق، وتقام عليه الحجج والآيات، فيظنونه باطلاً من القول وخرافة من الرأي.

٥٦ . (وقال الّذين أُوتوا...) رد عليهم أهل العلم والإيمان: إن اللبث مقدر بالفصل بين الدّنيا ويوم البعث. (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) كنتم جاهلين مرتابين لا يقين لكم بهذا اليوم، ولذلك اشتبه عليكم أمر اللبث.

٥٧ . (فيومئذ لا ينفع الّذين...) الاستعتاب طلب العتبى، والعتبى: إزاله العتاب. أي لا تنفعهم المعذرة عن ظلمهم، ولا يطلب منهم أن يزيلوا العتاب عن أنفسهم.

٥٨ . (ولقد ضربنا للنّاس...) إشارة إلى كونهم مأفوكين مصروفين عن الحق حيث لا ينفعهم مثل يقرب الحق من قلوبهم لأنها مطبوع عليها. (ولئن جئتهم بآية ليقولن الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون) أي [آتون] بالباطل. وهذا القول مِنهم لأنهم مصروفون عن الحق يرون كل حق باطلاً.

٥٩ . (كذلك يطبع الله...) يجهلون بالله وآياته ومنها البعث وهم يصرون على جهلهم وارتيابهم.

٦٠ . (فاصبر إنّ وعد...) فاصبر على ما يواجهونك به من قولهم: (إن أنتم إلاّ مبطلون) وسائر تهكماتهم، إن وعد الله أنه ينصرك حقٌ.

«سورة لقمان»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . ٤ . (تلك آيات الكتاب...) وصفَ الكتابَ بالحكيم، إشعاراً بانه ليس من لهو الحديث. ووصفه أيضاً بأنه هدىً ورحمة للمحسنين تتميماً لصفة حكمته فهو يهدي إلى الواقع الحق ويوصل إليه، وهو رحمة لا نقمة صارفة عن النعمة. ووصف المحسنين باقامة الصّلاة وإيتاء الزكاة اللتين هما العمدتان في الأعمال، وبالإيقان بالآخرة ويستلزم التوحيد والرسالة وعامة التقوى.

---

٦ . (ومن النّاس من...) اللهو: ما يشغلك عمّا يهمك. ولهو الحديث: الحديث الّذي يلهي عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافية والقصص الداعية إلى الفساد والفجور، أو بما يقارنه كالتغنّي بالشعر أو بالملاهي والمزامير والمعازف فكل ذلك يشمله لهو الحديث. (ليضلّ عن سبيل الله بغير علم) مقتضى السّياق أن يكون المراد بسبيل الله: القرآن الكريم. (أولئك لهم عذابٌ مهين) مذل يوهنهم ويذلّهم جزاء استكبارهم في الدّنيا.

٧ . (وإذا تتلى عليه...) وإذا تُتلى على هذا المشتري لهو الحديث، آياتنا أي القرآن ولّى وأعرض عنها وهو مستكبر،

[٤٠١]

كأن لم يسمعها قط كأنه أصم فبشره بعذاب أليم.

٨، ٩ . (إنّ الّذين آمنوا...) تبشير المحسنين وتطييب أنفسهم بجنة النعيم الخالدة الموعودة من قبله تعالى ووعده الحق.

١٠ . (خلق السّماوات بغير...) تقدّم في تفسير قوله تعالى: (الله الّذي رفع السّماوات...) الرعد: ٢. (وألقى في الأرض رواسي...) ألقى فيها جبالاً شامخة لئلا تضطرب بكم. (وبثّ فيها من كلِّ دابّة) نشر في الأرض من كل حيوان يدب عليها. (وأنزلنا من السّماء ماءً) وأنزلنا من جهة العلو ماءً وهو المطر وأنبتنا فيها شيئاً من كل زوج نباتي شريف فيه منافع وله فوائد.

١١ . (هذا خلق الله...) لما أراهم خلقه وتدبيره تعالى للسّماوات والأرض وما عليها فأثبت به ربوبيته والوهيته تعالى، كلفهم أن يروه شيئاً من خلق آلهتهم إن كانوا آلهة وأرباباً، فإن لم يقدروا على إراءة شيء ثبت بذلك وحدانيتهُ تعالى في الوهيته وربوبيّته.

١٢ . (ولقد آتينا لقمان...) الحكمة على ما يستفاد من موارد استعمالها: هي المعرفة العلمية النافعة. (ومن يشكر فانّما يشكر...) إستغناء منه تعالى أن نفع الشكر إنّما يرجع إلى نفس الشاكر، والكفر لا يتضرر به إلاّ نفسه دونه سبحانه.

١٣ . (وإذ قال لقمان...) عظمة كل عمل بعظمة أثره، فأعظم المعاصي معصية الله لعظمته وكبريائه.

---

١٤ . (ووصّينا الإنسان بوالديه...) وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر لله، بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيته وأمره تعالى، فشكرهما عبادة له تعالى وعبادته شكر. (حملته أُمّه وهناً على وهن وفصاله في عامين) ذكر بعض ما تحملته أُمّه من المحنة والأذى في حمله وتربيته، ليكون داعياً له إلى شكرهما وخاصة الأُم.

١٥ . (وإن جاهداك على...) وإن جاهداك أن تكفر بي كفراً لا حجّة لك به فلا تطعهما. (وصاحبهما في الدّنيا...) يجب على الإنسان أن يصاحبهما في الأمور الدّنيوية غير الدّين الّذي هو سبيل الله صحاباً معروفاً ومعاشرة متعارفة غير منكرة، وأمّا الدّين فإن كانا ممّن أناب إلى الله فلتتبع سبيلهما، وإلاّ فسبيل غيرهما ممّن أناب إلى الله. (ثمّ إليّ مرجعكم فأُنبّئكم...) هذا الّذي ذكر، تكليفكم في الدّنيا ثمّ ترجعون إلى يوم القيامة، فاظهر لكم حقيقة أعمالكم التي عملتموها في الدّنيا، فأقضي بينكم على حسب ما تقتضيه أعمالكم من خير أو شر.

١٦ . (يا بُنيّ إنّها إن تك...) يا بني إن تكن الخصلة الّتي عملت من خير أو شر أخف الأشياء وأدقها، كمثقال حبة من خَرْدل، فتكن تلك الخصلة الصغيرة مستقرة في جوف صخرة، أو في أي مكان من السّماوات والأرض، يأتِ بها الله للحساب والجزاء، لأن الله لطيف ينفذ عمله في أعماق

الأشياء، ويصل إلى كل خفي، خبير يعلم كنه الموجودات.

١٧ . (يا بُنيّ أقم الصّلاة...) العزم . على ما ذكره الراغب: عقد القلب على إمضاء الأمر، وكون الصبر . وهو حبس النفس في الأمر . من العزم إنّما هو من حيث إن العقد القلبي ما لم ينحل وينفصم ثبت الانسان على الأمر الّذي عقد عليه، فالصبر لازم الجد في العقد والمحافظة عليه، وهو من قدرة النفس وشهامتها.

١٨ . (ولا تصعِّر خدّك للنّاس...) لا تعرض بوجهك عن النّاس تكبراً، ولا تمش في الأرض مشية من اشتد فرحه، إن الله لا يحب كل من تأخذه الخيلاء . وهو التكبر بتخيل الفضيلة . ويكثر من الفخر.

(٦٥/٢)

---

١٩ . (واقصد في مشيك...) وخذ بالاعتدال في مشيك وبالنقص والقصر في صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير لمبالغتها في رَفعه.

[٤٠٢]

٢٠ . (ألَمْ تروا أن الله...) الاسباغ: الإتمام والإيساع، أي أتم وأوسع عليكم نعمه. (ومن النّاس من يجادل في الله بغير...) يجادل في وحدانيته تعالى في الرّبوبية والالوهية بغير حجة يصح الركون إليها، بل عن تقليد.

٢١ . (وإذا قيل لهم...) كأنه قيل: وإذا دعوا إلى دين التوحيد الّذي يدل عليه الكتاب المقطوع بنزوله من عند الله سبحانه، وبعبارة أُخرى: إذا أُلقي إليهم القول مع الحجّة قابلوه بالتحكم من غير حجة فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. (أوَ لَو كان الشّيطان يدعوهم...) أولو كان الشيطان يدعوهم بهذا الإتباع إلى عذاب السعير فالاستفهام للإنكار.

٢٢ . (ومن يسلم وجهه...) ومن وحّد الله وعمل صالحاً مع اليقين بالمعاد، فهو ناج غير هالك في عاقبة أمره، لأنها إلى الله وهو الذي يعده بالنجاة والفلاح.

٢٣، ٢٤ . (ومن كفر فلا يحزنك...) تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله وتطييب لنفسه أن لا يَغلبه الحزن، وهم بالآخرة راجعون إليه تعالى، فينبئهم بما عملوا أي يظهر لهم حقيقة أعمالهم وتبعاتها وهي النّار. (نُمتِّعهم قليلاً ثمّ نضطرّهم...) كشف عن حقيقة حالهم ببيان آخر [حيث] جيئ بهذا البيان للدّلالة على أنهم غير خارجين من التدبير قط، وإنّما يمتعهم في الدّنيا قليلاً ثمّ يضطرهم إلى عذاب غليظ، فهم مغلوبون مقهورون على كل حال، وأمرهم إلى الله دائماً لن يعجزوا الله في حال التنعم ولا غيرها.

٢٥ . (ولئن سألتهم من...) إشارة إلى أنهم مفطورون على التوحيد معترفون به من حيث لا يشعرون، فإنهم إن سئلوا عمّن خلق السّماوات والأرض، إعترفوا بأنه الله عزّ إسمه. ولذلك أمره صلى الله عليه وآله أن يحمد الله على اعترافهم أن الله هو الخالق وما يستلزمه فقال: (بل أكثرهم لا يعلمون) نعم قليل منهم يعلمون ذلك ولكنهم لا يطاوعون الحق، بل يجحدونه.

٢٦ . (لله ما في السّماوات...) حجة على وحدانيته، وقوله: (إن الله هو الغني) تعليل للملك.

٢٧ . (ولو أنّ ما في الأرض...) ولو جعل جميع أشجار الأرض أقلاماً، وأُخذ البحر وأُضيف إليه سبعة أمثاله، وجعل المجموع مداداً فكتب كلمات الله . بتبديلها الفاظاً دالّة عليها . بتلك الأقلام من ذلك المداد، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله، لكونها غير متناهية.

٢٨ . (ما خلقكم ولا بعثكم...) ليس خلقكم معاشر النّاس على كثرتكم ولا بعثكم إلاّ كخلق نفس واحدة وبعثها، فأنتم على كثرتكم والنفس الواحدة سواء.

٢٩ . (ألَم تَرَ أنّ الله يولج...) إستشهاد لما تقدم في الآية السابقة من علمه بالأعمال، بأن التدبير الجاري في نظام الليل والنّهار، والتدبير الجاري في الشّمس والقمر، كله ممّا يمتنع من غير علم وخبرة من مدبّرها.

٣٠ . (ذلك بأنّ الله...) قصر له تعالى في الثبوت، أي هو ثابت لا يشوب ثبوته بطلان. وبعبارة أُخرى: هو ثابت من جميع الجهات. وبعبارة ثالثة: هو موجود على كل تقدير، فوجوده مطلق غير مقيّد بقيد، ولا مشروط بشرط، فوجوده ضروري وعدمه ممتنع.

٣١ . (ألَم تَرَ أنّ الفلك...) ألم تَر أن الفلك تجري وتسير في البحر، بسبب نعمة الله، وهي أسباب جريانها من الريح ورطوبة الماء وغير ذلك. وقد تمم الآية بقوله: (إنّ في ذلك لآيات لكلِّ صبّار شكور) والصبّار الشكور: كثير الصبر عند الضرّاء وكثير الشكر عند النعماء، كناية عن المؤمن على ما قيل. وإذا غشيهم وأحاط بهم في البحر موج كقطع السحاب، انقطعوا إلى الله ودعوه للنجاة، حال كونهم مخلصين له الدّين، أي وفي ذلك دليل على أن فطرتهم على التوحيد. (فلمّا نجّاهم إلى البرِّ فمنهم مقتصد) المقتصد: سالك القصد أي الطريق المستقيم والمراد به التوحيد الّذي دلتهم عليه فطرتهم إذ ذلك.

(وما يجحد بآياتنا إلاّ كل ختّار كفور) الختَّار مبالغة من الختر: وهو شدة الغدر.
٣٣ . (يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم) وهو الله سبحانه. (واخشوا يوماً) وهو يوم القيامة (لا يجزي) لا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جاز) مغن كاف (عن والده) شيئاً (إنّ وعد الله) بالبعث (حقّ) ثابت لا يخلف (فلا تغرنكم الحياة الدّنيا) بزينتها الغارّة (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي جنس ما يغر الإنسان من شؤون الحياة الدّنيا أو خصوص الشّيطان.
٣٤ . (إنّ الله عنده علم...) كأن المراد: تذكرة أن الله يعلم كل ما دقّ وجلّ حتى مثل السّاعة الّتي لا يتيسَّر علمها للخلق، وأنتم تجهلون أهم ما يهمكم من العلم، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، فايّاكم أن تشركوا به وتتمردوا عن أمره وتعرضوا عن دعوته، فتهلكوا بجهلكم.
«سورة السّجدة»
بسم الله الرّحمن الرّحيم
١، ٢ . (تنزيل الكتاب لا ريب...) هذا هو الكتاب المنزّل لا ريب فيه.
٣ . (أم يقولون افتراه...) بل يقولون افترى القرآن على الله وليس من عنده فردّه بقوله: (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) قيل: يعني قريشاً فإنهم لم يأتهم نبيّ قبله صلى الله عليه وآله بخلاف غيرهم من قبائل العرب.

---

٤ . (الله الّذي خلق...) تقدم الكلام في تفسير نظائرها من الآيات. (أفلا تتذكرون) استفهام توبيخي، يوبخهم على استمرارهم على الإعراض عن أدلة العقول، حتى يتذكروا أن الملك والتدبير لله سبحانه وهو المعبود بالحق، ليس لهم دونه ولي ولا شفيع كما يزعمون ذلك لآلهتهم.
٥ . (يدبِّر الأمر من السّماء...) تعميم لبيان أن تدبير أمر الموجودات قائم به سبحانه. (في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون) معناه أنه في ظرف لو طبق على ما في الأرض من زمان الحوادث ومقدار حركتها، إنطبق على ألف سنة ممّا نعدّه، فان من المسلم أن الزمان الّذي يقدّره ما نعده من الليل والنهار والشهور والسنين، لا يتجاوز العالم الأرضي. وإذ كان المراد بالسّماء هو عالم القرب والحضور وهو ممّا لا سبيل للزّمان إليه، كان المراد أنه وعاء لو طبّق على مقدار حركة الحوادث في الأرض، كان مقداره الف سنة ممّا تعدّون.
٦ . (ذلك عالم الغيب...) تقدّم تفسير مفردات الآية.
٧ . (...وبدأ خلق الإنسان...) المراد بالإنسان: النوع، فالمبدو خلقه من طين هو النوع الّذي ينتهي أفراده إلى من خلق مِن طين، من غير تناسل من أب وأُم، كآدم وزوجه عليهما السّلام.
٨ . (ثمّ جعل نسله...) ثمّ جعل ولادته بطريق الانفصال من صفوة من ماء ضعيف أو حقير.

٩ . (ثمّ سوّاه ونفخ...) ثمّ صوّر الإنسان المبدو خلقه من الطين والمجعول نسله من سلالة من ماء مهين، نفخ فيه من روح شريف منسوب إليه تعالى. (وجعل لكم السّمع...) إمتنان بنعمة الادراك الحسي والفكري فالسّمع والبصر للمحسوسات، والقلوب للفكريات.

١٠ . (وقالوا أ إذا ضللنا...) مرادهم: أ إنا إذا متنا وانتشرت أجزاء أبداننا في الأرض، وصرنا بحيث لا تميّز لأجزائنا من سائر أجزاء الأرض ولا خبر عنا، نقع في خلق جديد ونخلق ثانياً خلقنا الأوّل؟ [٤٠٤]

(بل هم بلقاء ربّهم كافرون) إنهم لا يجحدون الخلق الجديد لجحدهم قدرتنا على ذلك أو لسبب آخر، بل هم كافرون بالرجوع إلينا ولقائنا.

١١ . (قل يتوفّاكم ملك...) توفى الشيء: أخذه تاماً كاملاً والآية جواب عن الاحتجاج بضلال الموتى في الأرض، على نفي البعث.

١٢ . (ولو ترى إذ المجرمون...) ولو ترى إذ هؤلاء الّذين يجرمون بانكار لقاء الله، مطرقو رؤوسهم عند ربّهم في موقف اللقاء من الخزي والذل والندم، يقولون: ربّنا أبصرنا بالمشاهدة وسمعنا بالطاعة، فارجعنا نعمل عملاً صالحاً إنا موقنون.

١٣ . (ولو شئنا لآتينا...) لو شئنا أن نعطي كل نفس أعم من المؤمنة والكافرة، الهدى الّذي يختص بها ويناسبها، لأعطيناه لها. (ولكن حق القول...) ولكن هناك قضاء سابق مني محتوم، وهو إملاء جهنم من الجنة والنّاس أجمعين.

١٤ . (فذوقوا بما نسيتم...) فإذا كان من القضاء إذاقة العذاب لمتبعي إبليس، فذوقوا العذاب بسبب عدم اعتنائكم بلقاء هذا اليوم حتى جحدتموه، ولم تعملوا صالحاً تثابون به فيه، لأنا لم نعتن بما يهمكم في هذا اليوم من السّعادة والنجاة.

١٥ . (إنّما يؤمن بآياتنا...) حصر للإيمان بحقيقة معناه فيهم. (الّذين إذا ذكروا بها...) ذكر سبحانه شيئاً من أوصافهم [وهي] تذللهم لمقام الرّبوبية وعدم استكبارهم عن الخضوع لله وتسبيحه وحمدِه.

١٦ . (تتجافى جنوبهم عن...) كناية عن ترك النّوم. (يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً) المراد اشتغالهم بدعاء ربّهم في جوف اللّيل حين تنام العيون وتسكن الأنفاس، لا خوفاً من سخطه تعالى فقط حتى يغشيهم اليأس من رحمة الله، ولا طمعاً في ثوابه فقط حتى يأمنوا غضبه ومكره، بل يدعوه خوفاً وطمعاً فيؤثرون في دعائهم أدب العبودية على ما يبعثهم إليه الهدى. وهذا التجافي والدّعاء ينطبق على النوافل الليلية.

١٧ . (فلا تعلم نفس...) فلا تعلم نفس من النفوس . أي هو فوق علمهم وتصورهم . ما أخفاه الله لهم، ممّا تقرّ به عين كل ذي جزاء في قبال ما كانوا يعملون في الدّنيا.

١٨ . (أفمن كان مؤمناً...) الاستفهام في الآية للإنكار، وقوله: (لا يستوون) نفي لاستواء الفريقين.

١٩ . (أمّا الّذين آمنوا...) المأوى: المكان الّذي يأوي إليه ويسكن فيه الإنسان. والنزل: كل ما يعد للنازل في بيت من الطعام والشراب، ثمّ عمم . كما قيل . لكل عطيّة.

٢٠ . (وأمّا الّذين فسقوا...) المراد بالّذين فسقوا: هم منكرو المعاد، وخطابهم وهم في النّار بهذا الخطاب شماتة بهم، وكثيراً ما كانوا يشمتون في الدّنيا بالمؤمنين لقولهم بالمعاد.

٢١ . (ولنذيقنّهم من العذاب...) أُقسم لنذيقنّهم من العذاب الأدنى، أي الأقرب مثل السنين والأمراض والقتل نحو ذلك، قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، لعلهم يرجعون إلينا بالتوبة من شركهم وجحودهم.

٢٢ . (ومن أظلم ممّن...) تعليل لعذابهم بأنهم ظالمون أشد الظلم. (إنّا من المجرمين منتقمون) تعليل لعذاب الظالمين بأنهم مجرمون والعذاب انتقام منهم، والله منتقم مِن المجرمين.

٢٣ . (ولقد آتينا موسى...) المراد بالكتاب: التوراة. والمرية: الشك والرّيب.

٢٤ . (وجعلنا منهم أئمة...) وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يهدون الناس بأمرنا، وإنّما نصبناهم أئمة هداة للنّاس حين صبروا في الدّين، وكانوا قبل ذلك موقنين بآياتنا.

[٤٠٥]

٢٥ . (إنّ ربّك هو يفصل...) القضاء الفاصل بين الحق والباطل، والمحق والمبطل.

٢٦ . (أوَلَم يهد لهم كم...) أولم يبين لهم كثرة من أهلكنا من القرون والحال أنهم يمشون في مساكنهم.

٢٧ . (أوَلَم يروا أنّا...) قال في المجمع: السوق: الحث على السير من ساقه يسوقه، وقال: الجرز: الأرض اليابسة الّتي ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها. والآية تذكر آية أُخرى من آيات الله سبحانه تدل على حسن تدبيره للأشياء وخاصة ذوي الحياة منها كالأنعام والإنسان، والمراد بسوق الماء إلى الأرض الخالية من النبات: سوق السحب الحاملة للأمطار إليها، ففي نزول ماء المطر منها حياة الأرض وخروج الزرع واغتذاء الإنسان والأنعام الّتي يسخرها ويربّيها لمقاصد حياتِه.

٢٨، ٢٩ . (ويقولون متى هذا...) المراد بالآيتين: استعجال المشركين بالفتح، والجواب أنه فتح لا

ينفع حال الّذين كفروا إيمانهم لأنه ظرف لا ينفع نفساً إيمانها ولا أن العذاب يمهلهم وينظرهم.
٣٠ . (فأعرض عنهم وانتظر...) أمر بالإعراض عنهم وانتظار الفتح، كما أنهم ينتظرون، وإنّما كانوا منتظرين موته أو قتله صلى الله عليه وآله، وبالجملة انقطاع دابر دعوته الحقة، فلينتظر هو كما هم ينتظرون، حتى يظهر الله الحق على الباطل والمحق على المبطل.

«سورة الأحزاب»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (يا أيّها النّبيّ اتق...) ورد في أسباب النزول: أن عدة من صناديد قريش بعد وقعة أُحد، دخلوا المدينة بأمان من النبيّ صلى الله عليه وآله وسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله أن يتركهم وآلهتهم فيتركوه وَإلهَه، فنزلت الآيات. ولم يجبهم النبيّ إلى ذلك.

٢ . (واتّبع ما يوحى إليك...) الآية عامة في حد نفسها، لكنها من حيث وقوعها في سياق النهي، تأمر النبيّ صلى الله عليه وآله باتباع ما نزل به الوحي فيما يسأله الكافرون والمنافقون.

---

٣ . (وتوكّل على الله...) الآية كالآية السابقة في أنها عامة في حد نفسها، لكنها لوقوعها في سياق النهي السابق، تدل على الأمر بالتوكل على الله فيما يأمره به الوحي، وتشعر بأنه أمر صعب المنال بالنظر إلى الأسباب الظاهرية، لا يسلم القلب معه من عارضة المخافة والإضطراب، إلاّ التوكل على الله سبحانه فانه السبب الوحيد الّذي لا يغلبه سبب مخالف.

٤ . (ما جعل الله لرجل...) كناية عن امتناع الجمع بين المتنافيين في الاعتقاد. (وما جعل أزواجكم اللّائي...) كان الرّجل في الجاهلية يقول لزوجته: أنت مني كظهر أُمي، أو ظهرك عليّ كظهر أُمي فيشبه ظهرها بظهر أُمّه وكان يسمى ذلك ظهاراً ويعد طلاقاً لها، وقد الغاه الإسلام. (وما جعل أدعياءكم أبناءكم...) مفاد الآية أن الله لم يجعل الّذين تدعونهم لأنفسكم أبناءً لكم بحيث يجري فيهم ما يجري في الأبناء الصلبيّن.

٥ . (ادعوهم لآبائهم هو...) إنسبوهم إلى آبائهم . إذا دعوتموهم . لأن الدّعاء لآبائهم أعدل عند الله. (فإن لم تعلموا آباءهم...) وإن لم تعرفوا آباءهم فلا تنسبوهم إلى غير آبائهم، بل ادعوهم بالاخوّة والولاية الدّينية. (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم...) لا ذنب لكم في الّذي أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتموهم لغير آبائهم، ولكن الّذي تعمّدته

[٤٠٦]

قلوبكم ذنب، أو ولكن تعمد قلوبكم بذلك، فيه الذّنب.

٦ . (النبيّ أولى بالمؤمنين...) إن ما يراه المؤمن لنفسه من الحفظ والكلاءة والمحبة والكرامة واستجابة الدّعوة وانفاذ الارادة، فالنبيّ أولى بذلك من نفسه، ولو دار الأمر بين النبيّ وبين نفسه في شيء من ذلك كان جانب النبيّ أرجح من جانب نفسه. (وأزواجه أمّهاتهم) جعل تشريعي، أي إنهن منهم بمنزلة أُمهاتهم في وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله. (وأُولو الأرحام بعضهم أولى...) المراد: الأولوية في التوارث. (إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) المراد بفعل المعروف إلى الأولياء: الوصيّة لهم بشيء من التركة.

٧ . (وإذ أخذنا من النبيِّين...) كأنه قيل: وإذ أخذنا الميثاق منكم أيها الخمسة ومن باقي النبيّين. ولم يخصهم بالذكر على هذا النمط إلاّ لعظمة شأنهم ورفعة مكانهم، فانهم أولو عزم وأصحاب شرائع وكتب.

٨ . (ليسأل الصّادقين عن...) أخذ الميثاق ليتمهد له سؤال الصادقين عن صدقهم، وأعد للكافرين عذاباً أليماً. ومعنى سُؤال الصادقين عن صدقهم: مطالبتهم أن يظهروا ما في باطنهم من الصدق في مرتبة القول والفعل وهو عملهم الصالح في الدّنيا.

٩، ١٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) تذكير للمؤمنين بما أنعم عليهم أيام الخندق بنصرهم وصرف جنود المشركين عنهم وقد كانوا جنوداً مجندة من شعوب وقبائل شتى كغطفان وقريش والاحابيش وكنانة ويهود بني قريظة والنضير، أحاطوا بهم من فوقهم ومن أسفل منهم، فسلّط الله عليهم الريح وأنزل ملائكة يخذلونهم. (وتظنّون بالله الظنونا) يظن المنافقون والّذين في قلوبهم مرض الظنون فبعضهم يقول: إن الكفار سيغلبون ويستولون على المدينة، وبعضهم يقول: إن الإسلام سينمحق والّدين سيضيع، وبعضهم يقول: إن الجاهلية ستعود كما كانت، وبعضهم يقول: إن الله غرّهُم ورسوله إلى غير ذلك من الظنون.

١١ . (هنالك ابتلى المؤمنون...) في ذلك الزّمان الشّديد امتحن المؤمنون واضطربوا خوفاً، اضطراباً شديداً.

١٢ . (وإذ يقول المنافقون...) الّذين في قلوبهم مرض: هم ضعفاء الإيمان من المؤمنين وهم غير المنافقين الّذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. والوعد الّذي يعدّونه غروراً من الله ورسوله بقرينة المقام: هو وعد الفتح وظهور الإسلام علي الدّين كلّه. وقد تكرّر في كلامه تعالى كما ورد أن

المنافقين قالوا: يعدنا محمّد أن يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء.

١٣ . (وإذ قالت طائفة...) قولهم: لا مقام لكم فارجعوا أي لا وجه لاقامتكم هاهنا قبال جنود المشركين فالغلبة لهم لا محالة فارجعوا. ثمّ أتبعه ما قاله آخرون فقال عاطفاً على قوله: قالت طائفة: (ويستأذن فريق منهم) أي من المنافقين والّذين في قلوبهم مرض (النبيّ) في الرّجوع (يقولون) إستئذاناً (إنّ بيوتنا عورة) أي فيها خلل لا يأمن صاحبها دخول السارق وزحف العدوّ (وما هي بعورة إن يريدون) أي ما يريدون بقولهم هذا (إلاّ فراراً).

١٤ . (ولو دخلت عليهم...) ولو دخل جنود المشركين بيوتهم من جوانبها وهم فيها، ثمّ طلبوا منهم أن يرتدوا عن الدّين، لأعطوهم مسؤولهم وما تأخروا بالردة إلاّ يسيراً من الزّمان بمقدار الطلب والسؤال. أي إنهم يقيمون على الدّين ما دام الرّخاء فإذا هجمت عليهم الشدّة والبأس لم يلبثوا دون أن يرجعوا.

١٥ . (ولقد كانوا عاهدوا...) لعلّ المراد بعهدهم من قبل: هو بيعتهم بالإيمان بالله ورسوله، وما جاء به رسوله، وممّا جاء به: الجهاد الّذي يحرم الفرار فيه.

١٦ . (قل لن ينفعكم الفرار...) إذ لابدّ لكل نفس من الموت لأجل مقتضي محتوم لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم عليه، فالفرار لا يؤثر في تأخير الأجل شيئاً. (واذاً لا تمتّعون إلاّ قليلاً) وإن نفعكم الفرار فمتّعتم بتأخر الأجل فرضاً، لايكون ذلك التمتيع إلاّ تمتيعاً قليلاً، أو في زمان قليل لكونه مقطوع الآخر.

---

١٧ . (قل من ذا الّذي...) تنبيه على أن الشر والخير تابعان لارادة الله محضاً، لا يمنع عن نفوذها سبب من

الأسباب، ولا يعصم الإنسان منها أحد، فالحزم إيكال الأمر إلى إرادته تعالى والقرار على أمره بالتّوكل عليه.

١٨، ١٩ . (قد يعلم الله...) إن الله ليعلم الّذين يثبطون منكم النّاس ويصرفونهم عن القتال، وهم المنافقون. ويعلم الّذين يقولون من المنافقين لإخوانهم من المنافقين أو ضعفة الإيمان: تعالوا وأقبِلوا، ولا يحضرون الحرب إلاّ قليلاً بخلاء عليكم بنفوسهم. فإذا جاء الخوف بظهور مخائل القتال، تراهم ينظرون إليك من الخوف نظراً لا ارادة لهم فيه ولا استقرار فيه لأعينهم تدور كالمغشي عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف ضربوكم وطعنوكم بألسنة حداد قاطعة، حال كونهم بخلاء على الخير الّذي نلتموه. أُولئك لم يؤمنوا ولم يستقر الإيمان في قلوبهم وإن أظهروه في ألسنتهم فأبطل الله

أعمالهم وأحبطها وكان ذلك على الله يسيرا.

٢٠ . (يحسبون الأحزاب...) يظنون من شدة الخوف أن الأحزاب . وهم جنود المشركين المتحزبون على النبيّ صلى الله عليه وآله لم يذهبوا بعد (وإن يأت الأحزاب) مرة ثانية بعد ذهابهم وتركهم المدينة (يودّوا) ويحبّوا (أنّهم بادون) أي خارجون من المدينة إلى البدو (في الأعراب يسألون عن أنبائكم) وأخباركم (ولو كانوا فيكم) ولم يخرجوا منها بادين (ما قاتلوا إلاّ قليلاً) أي وَلا كثير فائدة في لزومهم إياكم وكونهم معكم، فانهم لن يقاتلوا إلاّ قليلاً لا يعتد به.

٢١ . (لقد كان لكم...) ومن حكم رسالة الرّسول وإيمانكم به، أن تتأسوا به في قوله وفعله، وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله وحضوره في القتال وجهاده في الله حق جهاده.

---

٢٢ . (ولمّا رأى المؤمنون...) وصف لحال المؤمنين لما شاهدوا الأحزاب ونزول جيوشهم حول المدينة، فكان ذلك سبب رشدهم وتبصّرهم في الإيمان، وتصديقهم لله ولرسوله، على خلاف ما ظهر من المنافقين والّذين في قلوبهم مرض من الإرتياب وسيِّئ القول، وبذلك يظهر أن المراد بالمؤمنين المخلصون لإيمانهم بالله ورسوله.

٢٣ . (من المؤمنين رجالٌ...) حققوا صدقهم فيما عاهدوه أن لا يفرّوا إذا لاقوا العدو، (فمنهم من قضى نحبه...) منهم من قضى أجله بموت أو قتل في سبيل الله ومنهم من ينتظر ذلك، وما بدّلوا شيئاً ممّا كانوا عليه من قول أو عهد تبديلاً.

٢٤ . (ليجزي الله الصّادقين...) ليجزي المؤمنين الّذين صدقوا عهدهم بسبب صدقهم. (ويعذِّب المنافقين إن شاء...) وليعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم وذلك فيما لو لم يتوبوا، أو يتوب عليهم إن تابوا إنّ الله كان غفوراً رحيما.

٢٥ . (وردّ الّذين كفروا...) وردّ الله الّذين كفروا مع غمهم وحنقهم، والحال أنهم لم ينالوا ما كانوا يتمنونه، وكفى الله المؤمنين القتال، فلم يقاتلوا وكان الله قوياً على ما يريد عزيزاً لا يغلب.

٢٦، ٢٧ . (وأنزل الّذين ظاهروهم...) عاونوا المشركين وهم بنو قريظة (من أهل الكتاب) وهم اليهود (من صياصيهم) وحصونهم (وقذف) وألقى (في قلوبهم الرّعب) والخوف (فريقاً تقتلون) وهم الرّجال (وتأسرون فريقا) وهم الذراري والنّساء (وأورثكم) أي وملّككم بعدهم (أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها) وهي أرض خيبر أو الأرض الّتي أفاء الله ممّا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

---

٢٨ . (يا أيّها النّبيّ قل لأزواجك...) إن أزواج النبيّ أو بعضهن كانت لا ترتضى ما في عيشتهن في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله من الضيق والضنك، فاشتكت إليه ذلك واقترحت عليه أن يسعدهن في الحياة بالتوسعة فيها وإيتائهن من زينتها فأمر الله سبحانه نبيّه أن يخيِّرهن بين أن يفارقنه ولهن ما يردن، وبين أن يبقين عنده ولهن ما هن عليه من الوضع الموجود.

٢٩ . (وإن كنتنّ تردن الله...) وإن كنتن تردن وتخترن البقاء على زوجية النبيّ صلى الله عليه وآله والصبر على ضيق العيش، فإن

[٤٠٨]

الله هيأ لكن أجراً عظيماً.

٣٠ . (يا نساء النّبيّ من...) الفاحشة: الفعلة البالغة في الشناعة والقبح، وهي الكبيرة كايذاء النبيّ صلى الله عليه وآله والإفتراء والغيبة وغير ذلك. والمبينة: هي الظاهرة. (يضاعف لها العذاب ضعفين) حال كونه ضعفين. والضعفان: المثلان. وختم الآية بقوله: (وكان ذلك على الله يسيراً) للإشارة إلى أنه لا مانع من ذلك من كرامة الزّوجية ونحوها. إذ لا كرامة إلاّ التقوى. وزوجيّة النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما تؤثر الأثر الجميل إذا قارنت التقوى، وأما مع المعصية فلا تزيد إلاّ بعداً ووبالاً.

٣١ . (ومن يقنت منكنّ...) ومن يخضع منكنّ لله ورسوله، أو لزم طاعة الله ورسوله مع الخضوع، ويعمل عملاً صالحاً، نعطها أجرها مرتين أي ضعفين، وهيأنا لها رزقاً كريماً وهو الجنّة.

٣٢ . (يا نساء النّبيّ لستنّ...) كأنه قيل: لستن كغيركن فيجب عليكن أن تبالغن في امتثال هذه التكاليف، وتحتطن في دين الله أكثر من سائر النساء. (فلا تخضعن بالقول...) نهاهن عن الخضوع في القول، وهو ترقيق الكلام وتليينه مع الرّجال، بحيث يدعو إلى الرّيبة ويثير الشهوة فيطمع الّذي في قلبه مرض، وهو فقدانه قوة الإيمان التي تردعه عن الميل إلى الفحشاء. (وقلن قولاً معروفاً) كلاماً مستقيماً يعرفه الشرع والعرف الإسلامي.

---

٣٣ . (وقرن في بيوتكنّ...) كناية عن ثباتهن في بيوتهن ولزومهن لها. والتبرج: الظهور للنّاس. (وأقمن الصّلاة وآتين...) أمر بامتثال الأوامر الدّينية، وقد أفرد الصّلاة والزّكاة بالذكر من بينها، لكونهما ركنين في العبادات والمعاملات، ثمّ جمع الجميع في قوله: (وأطعن الله ورسوله) طاعة الله هي امتثال تكاليفه الشّرعية وطاعة رسوله فيما يأمر به وينهى. (إنّما يريد الله ليذهب عنكم...) ورد في أسباب النزول أن الآية نزلت في النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسنين عليه السلام خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم. وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً يربو ما ورد منها من

طرق أهل السنّة، على ما ورد منها من طرق الشيعة. والمعنى: أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل وأثر العمل السيّء عنكم أهل البيت، وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة.

٣٤ . (واذكرن ما يتلى...) احفظن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة، وليكن منكنّ في بال حتّى لا تغفلنّ ولا تتخطّينّ ما خطّ لكم من المسير.

(٧٩/٢)

---

٣٥ . (إنّ المسلمين والمسلمات...) الاسلام: هو التّسليم العملي للدّين بإتيان عامة التكاليف، (والقانتين والقانتات) القنوت على ما قيل: لزوم الطّاعة مع الخضوع. (والصّادقين والصّادقات) الصدق: مطابقة ما يخبر به الإنسان أو يظهره للواقع، فهم صادقون في دعواهم صادقون في قولهم صادقون في وعدهم. (والصّابرين والصّابرات) فهم متلبسون بالصبر عند المصيبة والنائبة وبالصّبر على الطّاعة وبالصبر عن المعصية. (والخاشعين والخاشعات) الخشوع: تذلّل باطني بالقلب، كما أن الخضوع تذلل ظاهري بالجوارح. (والمتصدّقين والمتصدّقات) والصدقة: إنفاق المال في سبيل الله ومنه الزّكاة الواجبة. (والصّائمين والصّائمات) بالصّوم الواجب والمندوب. (والحافظين فروجهم والحافظات) وذلك بالتجنّب عن غير ما أحلّ الله. (والذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات) وهم الّذين يكثرون من ذكر الله بلسانهم وجنانهم ويشمل الصّلاة والحج.

٣٦ . (وما كان لمؤمن...) ليس لأحد من المؤمنين والمؤمنات، إذا قضى الله ورسوله بالتصرف في أمر من أُمورهم، أن يثبت لهم الاختيار من جهته لانتسابه إليهم وكونه أمراً من أُمورهم، فيختاروا منه غير ما قضى الله ورسوله، بل عليهم أن يتبعوا إرادة الله ورسوله.

٣٧ . (وإذ تقول للّذي...) المراد بهذا الّذي أنعم الله عليه وأنعم النبيّ عليه: زيد بن حارثة الذي كان عبداً للنبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ حرره وكانت تحته زينب بنت جحش بنت عمة النبيّ صلى الله عليه وآله، أتى زيد للنبيّ فاستشاره في طلاق زينب، فنهاه النبيّ

[٤٠٩]

(٨٠/٢)

صلى الله عليه وآله عن الطلاق ثمّ طلقها زيد، فتزوجها النبيّ صلى الله عليه وآله ونزلت الآيات. (أمسك عليك زوجك واتّق الله) كناية عن الكف عن تطليقها، ولا يخلو من إشعار بإصرار زيد على

تطليقها. (وتخفي في نفسك ما الله...) إن الله قد فرض له صلى الله عليه وآله أن يتزوج زوج زيد الّذي كان تبناه، ليرتفع بذلك الحرج عن المؤمنين في التزوج بأزواج الادعياء، وهو صلى الله عليه وآله كان يخفيه في نفسه إلى حين، مخافة سوء أثره في النّاس، فأمنه الله ذلك بعتابه عليه.

٣٨ . (ما كان على النّبيّ...) ما كان على النبيّ من منع فيما عيّن الله له، أو أباح الله له حتى يكون عليه حرج في ذلك. (سنّة الله في الذين خلوا من قبل...) التقدير: سن الله ذلك سنّة، والمراد بالّذين خلوا من قبل: هم الأنبياء والرّسل الماضون. (وكان أمر الله قدراً مقدورا) يقدِّر من عنده لكل أحد ما يلائم حاله ويناسبها، والأنبياء لم يمنعوا ممّا قدره الله وأباحه لغيرهم، حتى يمنع النبيّ صلى الله عليه وآله من بعض ما قُدِّر وأبيح.

٣٩ . (الذين يبلِّغون رسالات...) الخشية منفية عن الأنبياء عليهم السّلام مطلقاً وإن كان سياق قوله: (يبلِّغون رسالات الله ويخشونه) يلوح إلى أن المنفي هو الخشية في تبليغ الرّسالة. على أن جميع أفعال الأنبياء كأقوالهم من باب التبليغ، فالخشية في أمر التبليغ مستوعبة لجميع أعمالهم. (وكفى بالله حسيباً) محاسباً يحاسب على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يخشى ولا يخشى غيره.

٤٠ . (ما كان محمّد أبا أحد...) ليس محمّد صلى الله عليه وآله أبا أحد من هؤلاء الرّجال الّذين هم رجالكم، حتّى يكون تزوجه بزوج أحدهم بعده، تزوجاً منه بزوج إبنه، وزيد أحد هؤلاء الرّجال فتزوجه بعد تطليقه ليس تزوجاً بزوج الإبن حقيقة، وامّا تبنّيه زيداً فإنه لا يترتب عليه شيء من آثار الأبوة والبنوّة.

---

٤١ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) الذكر: ما يقابل النسيان وهو توجيه الإدراك نحو المذكور.

٤٢ . (وسبِّحوه بكرةً وأصيلا...) التسبيح: هو التنزيه. والبكرة: أول النّهار. والأصيل: آخره بعد العصر.

٤٣ . (هو الّذي يصلّي...) في مقام التعليل لقوله: (يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا...) وتفيد التعليل، أنكم ان ذكرتم الله كثيراً، ذكركم برحمته كثيراً وبالغ في إخراجكم من الظلمات إلى النّور. ويستفاد منه أن الظّلمات إنّما هي ظلمات النسيان والغفلة، والنّور نور الذكر.

٤٤ . (تحيّتهم يوم يلقونه...) إنهم يحيّون يوم يلقون ربّهم من عند ربّهم ومن ملائكته بالسّلام. أي إنّهم يوم اللقاء في أمن وسلام لا يصيبهم مكروه ولا يمسهم عذاب. (وأعدّ لهم أجراً كريماً) وهيأ الله لهم ثواباً جزيلاً.

٤٥ . (يا أيّها النّبيّ إنّا...) شهادته صلى الله عليه وآله على الأعمال: أن يتحملها في هذه النشأة ويؤديها يوم القيامة، وكونه مبشراً ونذيراً: تبشيره المؤمنين المطيعين لله ورسوله بثواب الله والجنّة،

وإنذاره الكافرين والعاصين بعذاب الله والنّار.

٤٦ . (وداعياً إلى الله...) دعوته إلى الله: هي دعوته النّاس إلى الإيمان بالله وحده. وكونه صلى الله عليه وآله سراجاً منيراً: هو كونه بحيث يهتدي به النّاس إلى سعادتهم وينجون من ظلمات الشقاء والضلالة، فهو من الإستعارة.

٤٧ . (وبشِّر المؤمنين بأنّ...) الفضل من العطاء: ما كان من غير استحقاق ممّن يأخذه. فبين أنه يعطي من الثّواب ما لا يقابل العمل وهو الفضل.

٤٨ . (ولا تطع الكافرين...) تقدّم معنى طاعة الكافرين والمنافقين في أوّل السّورة. (ودع أذاهم) اترك ما يؤذونك بالاعراض عنه وعدم الإشتغال.

٤٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) إذا طلقتم النّساء بعد النكاح وقبل الدخول، فلا عدة لهن للطلاق، ويجب تمتيعهن بشيء من المال والسراح الجميل.

---

٥٠ . (يا أيّها النّبيّ إنّا...) يذكر سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله بالإحلال سبعة أصناف من النساء: الصنف الأوّل ما في قوله: (أزواجك اللّاتي آتيت أُجورهنّ) والمراد بالأُجور المهور، والثّاني ما في قوله: (وما ملكت يمينك ممّا أفاء الله عليك)

[٤١٠]

أي من يملكه مِن الإماء الراجعة إليه من الغنائم والأنفال. والثّالث والرّابع ما في قوله: (وبنات عمّك وبنات عمّاتك) قيل يعني نساء قريش، والخامس والسّادس ما في قوله: (وبنات خالك وبنات خالاتك) قيل: يعني نساء بني زهرة، وقوله: (اللّاتي هاجرن معك) قال في المجمع: هذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثمّ نسخ شرط الهجرة في التحليل. والسّابع ما في قوله: (وامرأة مؤمنة إن وهبت...) وهي المرأة المسلمة الّتي بذلت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وآله، بمعنى أن ترضى أن يتزوج بها من غير صداق ومهر، فان الله أحلها له إن أراد أن يستنكحها، وقوله: (خالصة من دون المؤمنين) إيذان بأن هذا الحكم من خصائصه لا يجري في المؤمنين.

٥١ . (ترجي من تشاء...) السّياق يدل على أن المراد: أنه صلى الله عليه وآله على خيرة من قبول من وهبت نفسها له أو ردّه. (ومن ابتغيت ممّن عزلت) ومن طلبتها من اللاّتي عزلتها ولم تقبلها فلا إثم عليك ولا لوم، أي يجوز لك أن تضم إليك من عزلتها ورددتها من النّساء اللاّتي وهبن أنفسهن لك بعد العزل والرد. ويمكن أن يكون إشارة إلى أنّ له صلى الله عليه وآله أن يقسم بين نسائه وأن يترك القسم، فيؤخر من يشاء منهن ويقدم من يشاء، ويعزل بعضهن من القسم فلا يقسم لها، أو يبتغيها فيقسم لها بعد العزل. (إن الله كان عليماً حليما) يعلم مصالح عباده ولا يعاجل في العقوبة.

٥٢ . (لا يحلّ لك النّساء...) في بعض الرّوايات عن بعض أئمة أهل البيت عليهم السّلام أن المراد بالآية: محرمات النّساء المعدودة في قوله: (حرِّمت عليكم أُمّهاتكم وبناتكم...) النساء: ٢٣. (ولا أن تبدل بهنّ من أزواج) أن تطلق بعضهن وتزوج مكانها من غيرهن. (إلاّ ما ملكت يمينك) يعني الإماء وهو استثناء من قوله في صدر الآية: (لا يحل لك النساء).

٥٣ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) بيان لأدب الدّخول في بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله. (إلاّ أن يؤذن لكم) إستثناء من النهي. (إلى طعام) متعلق بالإذن. (غير ناظرين إناه) غير منتظرين لورود إناء الطعام بأن تدخلوا من قبل، فتطيلوا المكث في انتظار الطعام. (ولكن إذا دعيتم فادخلوا وإذا طعمتم . أي أكلتم . فانتشروا). (ولا مستأنسين لحديث) غير ماكثين في حال انتظار الإناء قبل الطعام ولا في حال الإستئناس لحديث بعد الطّعام. (إن ذلكم كان يؤذي النّبيّ...) لا تمكثوا كذلك لأن مكثكم ذلك كان يتأذى منه النبيّ، فيستحيي منكم أن يسألكم الخروج. (والله لا يستحيي من الحق) من بيان الحق لكم وهو ذكر تأذيه والتأديب بالأدب اللاّئق. (وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ) إذا مست الحاجة إلى تكليمكم أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله فكلموهن من وراء حجاب. (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ) بيان لمصلحة الحكم. (وما كان لكم أن تؤذوا...) ليس لكم إيذاؤه بمخالفة ما أُمرتم في نسائه وفي غير ذلك، وليس لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً.

٥٤ . (إن تبدوا شيئاً...) تنبيه تهديدي لمن كان يؤذي النبيّ صلى الله عليه وآله أو يذكر نكاح أزواجه من بعده.

٥٥ . (لا جناح عليهنّ في...) ضمير (عليهنّ) لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله، والآية في معنى الاستثناء من عموم حكم الحجاب، وقد استثنى الآباء والأبناء والإخوان وأبناء الإخوان وأبناء الأخوات وهؤلاء محارم. واستثنى أيضاً نساءهن وما ملكت أيمانهن من العبيد والإماء.

٥٦ . (إنّ الله وملائكته...) استفاضت الرّوايات من طرق الشيعة وأهل السنة ان طريق صلاة المؤمنين، أن يسألوا

[٤١١]

الله تعالى أن يصلي عليه وآله.

٥٧ . (إنّ الّذين يُؤذون...) إشارة إلى أن من قصد رسوله بسوء، فقد قصده أيضاً بالسوء، إذ ليس

للرّسول بما أنه رسول إلاّ ربه فمن قصده فقد قصد ربّه. وقد أوعدهم باللعن في الدّنيا والآخرة.

٥٨ . (والّذين يؤذون المؤمنين...) تقييد أذاهم بغير ما اكتسبوا ومن دون استحقاق، فيعده سبحانه إحتمالاً للبهتان والإثم المبين.

٥٩ . (يا أيّها النّبيّ قل...) الجلابيب: جمع جلباب وهو ثوب تشتمل به المرأة فيغطي جميع بدنها، أو الخمار الّذي تغطي به رأسها ووجهها. (يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ) يتسترن بها فلا تظهر جيوبهن وصدورهن للناظرين. (ذلك أدنى أن يعرفن...) ستر جميع البدن أقرب إلى أن يعرفن أنهن أهل الستر والصلاح فلا يؤذين، أي لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرّض لهنّ.

٦٠ . (لئن لم ينته المنافقون...) أُقسم لئن لم يكف المنافقون والّذين في قلوبهم مرض، عن الإفساد، والّذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة، لإلقاء الإضطراب بين المسلمين، لنحرضنّك عليهم ثمّ لا يجاورونك في المدينة بسبب نفيهم عنها إلاّ زماناً قليلاً، وهو ما بين صدور الأمر وفعلية إجرائه.

٦١ . (ملعونين أينما ثقفوا...) الثقف: إدراك الشيء والظفر به، والجملة حال من المنافقين ومن عطف عليهم، أي حال كونهم ملعونين أينما وجدوا أُخذوا وبولغ في قتلهم فعمّهم القتل.

٦٢ . (سنّة الله في الّذين...) يقول سبحانه: هذا النكال الّذي أوعدنا به المنافقين ومن يحذو حذوهم من النفي والقتل الذريع، هي سنة الله الّتي جرت في الماضين، فكلما بالغ قوم في الإفساد والقاء الإضطراب بين النّاس وتمادوا وطغوا في ذلك، أخذناهم كذلك ولن تجد لسنة الله تبديلاً فتجري فيكم كما جرت في الأمم من قبلكم.

---

٦٣ . (يسألك النّاس عن...) تذكر الآية سؤال النّاس عن السّاعة، وإنّما كانوا يريدون أن يقدّر لهم زمن وقوعها وأنها قريبة أو بعيدة فأُمِر أن يجيبهم بقصر العلم بها في الله سبحانه. (وما يدريك لعل السّاعة...) زيادة في الإبهام، وليعلموا أن النبيّ صلى الله عليه وآله مثل غيره في عدم العلم بها.

٦٤ . (إنّ الله لعن الكافرين...) لعن الكفار: إبعادهم من الرحمة. والإعداد: التهيئة، والسعير: النّار الّتي أُشعلت فالتهبت.

٦٥ . (خالدين فيها أبداً...) الفرق بين الولي والنصير: أن الولي يلي بنفسه تمام الأمر، والمولى عليه بمعزل، والنصير: يعين المنصور على بعض الأمر وهو إتمامه. فالولي يتولى الأمر كلّه والنصير يتصدّى بعضه، والباقي ظاهر.

٦٦ . (يوم تقلّب وجوههم...) تقلب وجوههم في النّار: تحولها لحال بعد حال، أو انتقالها من جهة إلى جهة لتكون أبلغ في مس العذاب.

٦٧ . (وقالوا ربّنا إنّا...) السّادة: جمع سيّد وهو . على ما في المجمع . المالك المعظم الّذي يملك

تدبير السواد الأعْظَم. والكبراء: جمع كبير ولعل المراد به الكبير سناً فالعامة تطيع وتقلد أحد رجلين إما سيّد القوم وإما أسنّهم.

٦٨ . (ربّنا آتهم ضعفين...) إنما سألوا لهم ضعفي العذاب، لأنهم ضلوا في أنفسهم وأضلّوا غيرهم.

٦٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) نهي عن أن يكونوا كبعض بني إسرائيل.

[٤١٢]

٧٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا...) السديد: من السداد وهو الإصابة والرشاد.

٧١ . (يصلح لكم أعمالكم...) رتب على ملازمة القول السديد، إصلاح الأعمال ومغفرة الذّنوب. (ومن يطع الله ورسوله) وعد جميل على الإتيان بجميع الأعمال الصّالحة والاجتناب عن جميع المناهي، بترتيب الفوز العظيم.

---

٧٢ . (إنّا عرضنا الأمانة...) الولاية الإلهية والاستكمال بحقائق الدين الحق عِلماً وعملاً. (على السّماوات والأرض والجّبال) هذه المخلوقات العظيمة الّتي خلقها أعظم من خلق الإنسان. (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) إباؤها عن حملها وإشفاقها منها: عدم اشتمالها على صلاحية التلبس وتجافيها عن قبولها. وفي التعبير بالحمل إيماء إلى أنها ثقيلة ثقلاً لا يحتملها السّماوات والأرض والجّبال. (وحملها الإنسان) إشتمل على صلاحيّته والتهيؤ للتلبس بها على ضعفه وصغر حجمه. (إنّه كان ظلوماً جهولا) ظالماً لنفسه جاهلاً بما تعقبه هذه الأمانة لو خانها من وخيم العاقبة.

٧٣ . (ليعذِّب الله المنافقين...) كانت عاقبة هذا الحمل أن يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات. (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) عطف على (يعذِّب) أي وكان عاقبة ذلك أن يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات.

«سورة سبأ»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الحمد لله الّذي...) ثناء عليه على ملكه المنبسط على كل شيء. (وله الحمد في الآخرة) تخصيص الحمد بالآخرة لما أن الجملة الأولى تتضمن الحمد في الدّنيا.

٢ . (يعلم ما يلج في...) الولوج: مقابل الخروج. والعروج: مقابل النزول. وكأن العلم بالولوج والخروج والنزول والعروج كناية عن علمه بحركة كل متحرك وفعله.

٣ . (وقال الّذين كفروا...) يذكر إنكارهم لإتيان السّاعة وهي يوم القيامة، وهم ينكرونه مع ظهور عموم ملكه وعلمه بكل شيء ولذلك أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يجيب عن قولهم بقوله: (قل بلى وربي لتأتينكم) أي السّاعة. (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر...) تعميم لعلمه لكل شيء.

٤، ٥ . (ليجزي الّذين آمنوا...) بيان أحد السببين لقيام الساعة وهو: أن يجزي الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بالمغفرة والرّزق الكريم وهو الجنة بما فيها. والسبب الآخر ما يشير إليه قوله: (والّذين سعوا في آياتنا معاجزين...) [وفيها] تعريض للكفار الّذين يصرون على إنكار البعث.

٦ . (ويري الّذين أُوتوا...) أولئك يقولون: لا تأتينا السّاعة وينكرونه جهلاً، والعلماء بالله وآياته يَرون أن هذا القرآن النّازل إليك المخبر بأن السّاعة آتية هو الحق. (يهدي إلى صراط...) ويرون القرآن يهدي إلى صراط من هو عزيز لا يغلب على ما يريد، محمود يُثنى على جميع أفعاله.

٧ . (وقال الّذين كفروا...) وقال الّذين كفروا بعضهم لبعض، على طريق الاستهزاء بالنبيّ صلى الله عليه وآله لإنذاره إياهم بالبعث والجزاء: هل ندلكم على رجل، والمراد به النبيّ صلى الله عليه وآله، ينبئكم ويخبركم أنكم ستستقرون في خلق جديد ويتجدد لكم الوجود إذا فرِّقت أبدانكم كل التفريق، وقطّعت بحيث لا يتميز شيء منها من شيء.

[٤١٣]

٨ . (أفترى على الله...) أهو عاقل يكذب على الله إفتراءً عليه بالقول بالبعث، أم به نوع جنون يتفوه بما بدا له من غير فكر مستقيم. (بل الّذين لا يؤمنون بالآخرة) رد لقولهم، ومحصله: أن ذلك ليس افتراء على الله ولا جنون فيه، بل هؤلاء الكفّار مستقرون في عذاب سيظهر لهم، وقد أبعدهم ذلك عن الحق، فكانوا في ضلال بعيد لا يسعهم مع ذلك أن يعقلوا الحق ويذعنوا به.

٩ . (أفلم يروا إلى ما بين...) وعظ وإنذار لهم باستعظام ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله والاستهزاء برسوله. (إنّ في ذلك لآية لكل...) فيما ذكر من إحاطة السّماء والأرض وكونهما مدبرتين لله سبحانه إن يشأ يخسف بهم الأرض، أو يسقط عليهم كسفاً من السماء، لآية لكل عبد منيب، راجع إلى ربّه بالطاعة.

١٠ . (ولقد آتينا داود...) بيان للفضل الّذي اوتي داود. (وألنّا له الحديد) وجعلناه ليناً على ما به من الصّلابة.

١١ . (أن اعمل سابغات...) السابغات: جمع سابغة وهي الدرع الواسعة. والسرد: نسج الدرع.

(واعملوا صالحاً إنّي بما تعملون بصير) كأنه قيل: وقلنا اشكر النعم أنت وقومك بالعمل الصّالح.

١٢ . (ولسليمان الريح غدوها...) وسخرنا لسليمان الرّيح مسير غدو تلك الريح . وهو أول النهار إلى

الظهر . مسير شهر ورواح تلك الريح . وهو من الظهر إلى آخر النّهار . مسير شهر أي إنها تسير في يوم مسير شهرين. (وأسلنا له عين القطر) القطر: النحاس. أي واذبنا له القطر فسالت كالعين الجارية. (ومن الجن من يعمل...) وجمع من الجن يعمل بين يديه بإذن ربّه مسخرين له. (ومن يزغ) ينحرف (عن أمرنا) ولم يطع سليمان (نذقه من عذاب السّعير) ظاهر السّياق أن المراد به عذاب النّار في الدّنيا دون الآخرة.

١٣ . (يعملون له ما يشاء...) المحاريب: جمع محراب وهو مكان إقامة الصّلاة والعبادة. والتماثيل: جمع تمثال وهي الصّورة المجسمة من الشيء. والجفان: جمع جفنة وهي صحفة الطعام. والجوابي: جمع جابية الحوض الّذي يجمع فيه الماء. والقدور: جمع قدر وهو ما يطبخ فيه الطعام. والراسيات: الثابتات والمراد بكون القدور راسيات: كونها ثابتات في أمكنتها لا يزلن عنها لعظمتها. (اعملوا آل داود شكراً) خطاب لسليمان وسائر من معه من آل داود أن يعملوا ويعبدوا الله شكراً له.

(٨٩/٢)

---

١٤ . (فلمّا قضينا عليه...) يستفاد من السّياق أنه عليه السلام لما قبض كان متكئاً على عصاه فبقي على تلك الحال قائماً متكئاً على عصاه زماناً، لا يعلم بموته إنس ولا جن، فبعث الله عزّ وجلّ أرضة فأخذت في أكل منسأته حتى إذا أكلت إنكسرت العصا، وسقط سليمان على الأرض، فعلموا عند ذلك بموته وتبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب، لعلموا بموت سليمان المستور عنهم وما لبثوا هذا المقدار من الزّمان . وهو من حين قبضه إلى خروره . في العذاب المهين المذل لهم.

١٥ . (لقد كان لسبأ...) سبأ: العرب العاربة باليمن. (عن يمين وشمال) عن يمين مسكنهم وشماله. (كلوا من رزق ربّكم) أمر بالأكل من جنتين وهو كناية عن رزقهم منهما، ثمّ بالشكر له على نعمته ورزقه.

١٦ . (فاعرضوا فأرسلنا عليهم...) فاعرضوا أي قوم سبأ عن الشكر الذي أُمروا به، فجازيناهم وأرسلنا عليهم سيل العرم، فاغرق بلادهم وذهب بجنتيهم، وبدّلناهم بجنتين ذواتى ثمرة مرّة وذواتى طرفاء وشيء قليل من السدر.

١٧ . (ذلك جزيناهم بما...) جزينا سبأ ذلك الجزاء بسبب كفرهم وإعراضهم عن الشكر . أو في مقابلة ذلك . ولا نجازي بالسوء إلاّ من كان كثير الكفران لأنعم الله.

[٤١٤]

١٨ . (وجعلنا بينهم وبين...) ضمير (بينهم) لسبأ والكلام مسوق لبيان تتمة قصتهم المطلوب ذكرها، وهو عطف على قوله (كان لسبأ) والمراد بالقرى الّتي باركنا فيها: القرى الشامية. والمراد بكون القرى ظاهرة: كونها متقاربة يرى بعضها من بعض. (وقدّرنا فيها السير) جعلنا السير فيها على نسبة مقدرة

متناسبة وقلنا سيروا في هذه القرى على أمن إن شئتم ليالي وإن شئتم أياماً، والمراد قرّرنا فيها الأمن يسيرون فيها متى ما شاءوا من غير خوف وقلق.

(٩٠/٢)

---

١٩ . (فقالوا ربّنا باعد...) أنعمنا ما أنعمنا عليهم من وفور الفواكه وقرب المنازل وأمن الطرق وسهولة السير ورغد العيش، فملوا ذلك وسئموه وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، أي اجعل أسفارنا ذوات مسافات بعيدة وهذا بغي منهم وكفران، كما طلبت بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى. (فجعلناهم أحاديث...) أزلنا أعيانهم وآثارهم، فلم يبق منهم إلاّ أحاديث يحدث بها فعادوا أسماء لا مسمّى لهم.

٢٠ . (ولقد صدّق عليهم...) حقق إبليس عليهم ظنه، أو وجد ظنه صادقاً عليهم. (فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين) بيان لتصديقه ظنه. ومنه يظهر أن ضمير الجمع في (عليهم) هاهنا وكذا في الآية التالية لعامة الناس لا لسبأ خاصة، وإن كانت الآية منطبقة عليهم.

٢١ . (وما كان له عليهم...) ظاهر السّياق أن المراد أنهم لم يتبعوه عن سلطان له عليهم يضطرهم إلى اتباعه حتى يكونوا معذورين، بل إنما اتبعوه عن سوء اختيارهم. (إلاّ لنعلم) لنميز (من يؤمن بالآخرة ممّن هو منها في شك).

٢٢ . (قل ادعوا الّذين...) أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يحتج على إبطال الوهيّة آلهتهم بعدم قدرتهم على استجابة الدعاء، ودعاؤهم هو مسألتهم شيئاً من الحوائج.

٢٣ . (ولا تنفع الشّفاعة عنده...) لا تنفع الشّفاعة إلاّ لأجل من أذن له من المشفوع لهم. (حتّى إذا فزّع عن قلوبهم...) التفزيع: إزالة الفزع وكشفه وضمائر الجمع . على ما يعطيه . للشفعاء وهم الملائكة. (قالوا ماذا قال ربّكم قالوا الحق) يدل على أنهم طوائف كثيرون يسأل بعضهم بعضاً عن الأمر الإلهي بعد صدوره، وانكشاف الفزع عن قلوب السائلين.

(٩١/٢)

---

٢٤ . (قل من يرزقكم من...) احتجاج آخر على المشركين من جهة الرّزق فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يسألهم من يرزقهم من السّماوات والأرض؟ والجواب عنه أنّه الله سبحانه. (وإنّا أو إيّاكم لعلى هدىً...) تتمّة قول النبيّ صلى الله عليه وآله، ومفاده أن كل قول إمّا هدى أو ضلال، فاما نكون نحن على هُدى وأنتم في ضلال، وإما أن تكونوا أنتم على هدىً ونحن في ضلال، فانظروا

بعين الإنصاف إلى ما أُلقي إليكم من الحجّة وميّزوا المهدي من الضال والمحق من المبطل.
٢٥ . (قل لا تسألون عمّا...) إن العمل وخاصة عمل الشر لا يتعدّى عن عامله ولا يلحق وباله إلاّ به.
٢٦ . (قل يجمع بيننا...) الآية تثبت البعث لتمييز المحسن من المسيء أوّلاً، ثمّ انحصار التمييز والجزاء في جانبه تعالى.
٢٧ . (قلْ أروني الّذين...) أمر آخر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يسألهم أن يروه آلهتهم حتى يختبر هل فيهم الصفات الضرورية للإله المستحق للعبادة، من الاستقلال بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر؟ ثمّ ردع بنفسه وقال: كلاّ لا يكونون شركاء له. (بل هو الله العزيز الحكيم) فإن عزّته تعالى تمنع أن يشاركه في شيء من صفات كماله كالرّبوبية والالوهية غيره.
٢٨ . (وما أرسلناك إلاّ كافّة...) قال الراغب في المفردات: قوله: وما أرسلناك إلاّ كافة للنّاس أي كافاً لهم عن المعاصي.
٢٩ . (ويقولون متى هذا...) سؤال عن وقت الجمع والفتح وهو البعث.
٣٠ . (قل لكم ميعاد...) أمر منه تعالى أن يجيبهم بأن لهم ميعاد يوم مقضي محتوم لا يتخلف عن الوقوع.
٣١ . (وقال الّذين كفروا...) المراد بالّذين كفروا: المشركون. والمراد بالّذي بين يديه: الكتب السّماوية من التّوراة
[٤١٥]

والإنجيل. (ولو ترى) خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله. (إذ الظّالمون) وهم الكافرون بكتب الله ورسله، الّذين ظلموا أنفسهم بالكفر (موقوفون عند ربّهم) للحساب والجزاء يوم القيامة (يرجع بعضهم إلى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون في الكلام متخاصمين (يقول الّذين استضعفوا) بيان لرجوع بعضهم إلى بعض في القول. والمستضعفون: الاتباع الّذين استضعفهم المتبوعون (للّذين استكبروا) وهم الائمة القادة. (لولا أنتم لكنا مؤمنين) يريدون أنكم أجبرتمونا على الكفر وحلتم بيننا وبين الإيمان.
٣٢ . (قال الّذين استكبروا...) جواباً عن قولهم ورداً لما اتهموهم به من الإجبار والإكراه (أنحن صددناكم) الإستفهام للإنكار أي أنحن صرفناكم (عن الهدى بعد إذ جاءكم) فبلوغه إليكم بالدعوة النبويّة أقوى الدّليل على أنا لم نحل بينه وبينكم وكنتم مختارين في الإيمان به والكفر (بل كنتم مجرمين) متلبسين بالإجرام مستمرين عليه، فاجرمتم بالكفر به لما جاءكم من غير أن نجبركم عليه،

فكفركم منكم ونحن برآء منه.

٣٣ . (وقال الّذين استضعفوا...) رداً لقولهم ودعواهم البراءة (بل مكر اللّيل والنّهار) أي مكركم باللّيل والنّهار حملنا على الكفر (إذ كنتم تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) وامثالاً من الآلهة، (وأسروا) وأخفوا (الندامة لمّا رأوا العذاب) وشاهدوا أن لا مناص، ثمّ ذكر سبحانه أخذهم للعذاب فقال: (وجعلنا الأغلال) السلاسل (في أعناق الّذين كفروا هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون) فصارت أعمالهم أغلالاً في أعناقهم.

٣٤ . (وما أرسلنا في قرية...) فيه إشعار بأن الاتراف يفضي إلى الاستكبار على الحق كما تفيده الآية اللاحقة.

٣٥ . (وقالوا نحن أكثر...) ضمير الجمع للمترفين، ومن شأن الإتراف والترفّه والتقلب في نعم الدّنيا، أن يتعلق قلب الانسان بها ويستعظمها، فيرى السّعادة فيها سواء وافق الحق أم خالفه، فلا يذكر إلاّ ظاهر الحياة وينسى ما وراءه.

---

٣٦ . (قل إنّ ربّي يبسط...) نسبه إلى نفسه لأنهم لم يكونوا يرون الله رباً لأنفسهم والرزق من شؤون الرّبوبية (يبسط) أي يوسع (الرّزق لمن يشاء) من عباده بحسب الحكمة والمصلحة (ويقدر) يضيق.

٣٧ . (وما أموالكم ولا...) إن انتفاء العذاب المترتب على القرب من الله، لا يترتب على الأموال والأولاد، إذ لا توجب الأموال والأولاد قرباً وزلفى من الله، حتى ينتفي معها العذاب الإلهي، فوضع تقريب المال في الآية موضع انتفاء العذاب، من قبيل وضع السبب موضع السبب. (إلاّ من آمن وعمل صالحاً) في ماله وولده (فاولئك لهم جزاء الضعف) الجزاء المضاعف من جهة أنهم اهتدوا وهدوا أيضاً من جهة تضعيف الحسنات إلى عشر أضعافها وزيادة (وهم في الغرفات) القباب العالية (آمنون) من العذاب فما هم بمعذبين.

٣٨ . (والّذين يسعون في...) يجدّون في آياتنا وهم يريدون أن يعجزونا . أو أن يسبقونا . (أُولئك في العذاب محضرون) وإن كثرت أموالهم وأولادهم.

٣٩ . (قل إنّ ربّي يبسط الرّزق...) للإشارة إلى أن أمر الرّزق في سعته وضيقه إلى الله سبحانه لا ينقص بالانفاق ولا يزيد بالامساك ثمّ قال: (وما أنفقتم من شيء) قليلاً كان أو كثيراً وأياً ما كان من المال (فهو يخلفه) ويرزقكم بدله إمّا في الدّنيا وإمّا في الآخرة (وهو خير الرّازقين) فانه يرزق جوداً ورزق غيره معاملة في الحقيقة ومعاوضة، ولأنّه الرّازق في الحقيقة وغيره ممّن يسمّى رازقاً واسطة لوصول الرّزق.

٤٠ . (ويوم نحشرهم جميعاً...) المراد بهم جميعاً بشهادة السّياق: العابدون والمعبودون جميعاً. (ثمّ

نقول للملائكة أهؤلاء...) ليس سؤال استخبار عن أصل عبادتهم لهم، بل المراد السؤال عن رضاهم بعبادتهم. والغرض من السؤال تبكيت المشركين وإقناطهم من نصرة الملائكة وشفاعتهم لهم وقد عبدوهم في الدّنيا لذلك.

---

٤١ . (قالوا سبحانك أنت...) أخذت الملائكة في جوابهم عن سؤاله تعالى بجوامع الأدب فنزهوه سبحانه أولاً تنزيهاً مطلقاً فيه تنزيهه من أن يعبدوا من دونه، ثمّ نفوا رضاهم بعبادة المشركين لهم. (بل كانوا يعبدون الجن...) يدل على أن الجن كانوا على رضىً من عبادتهم لهم.

٤٢ . (فاليوم لا يملك بعضكم...) نوع تفريع على تبري الملائكة منهم.

[٤١٦]

٤٣ . (وإذا تتلى عليهم...) خطابهم هذا لعامتهم بعد استماع الآيات، تنبيه لهم على الجد في التمسك بدين آبائهم وتحريض لهم عليه صلى الله عليه وآله، كأنه قيل: إذا تتلى عليهم هذه الآيات وهي بيّنة لا ريب فيها، فبدلاً من أن يدعوا عامّتهم إلى اتّباعها، حثّوهم على الإصرار على تقليد آبائهم وحرضوهم عليه. (وقالوا ما هذا إلاّ إفكٌ مفترى) ليس هذا إلاّ كلاماً مصروفاً عن وجهه مكذوباً به على الله. (وقال الّذين كفروا للحق) والّذين كفروا بعثهم الكفر إلى أن يقولوا للحق الصّريح الّذي بلغهم وظهر لهم: هذا سحر ظاهر سحريته وبطلانه.

٤٤ . (وما آتيناهم من كتب...) وعدّ الذين كفروا . أي كفّار قريش . الحق الظاهر لهم سحراً مبيناً، والحال أنّا لم نعطهم كتباً يدرسونها حتى يميزوا بها الحق من الباطل، ولم نرسل إليهم قبلك من رسول ينذرهم ويبين لهم ذلك.

٤٥ . (وكذّب الّذين من...) وكذب بالحق من الآيات الّذين كانوا من قبل كفّار قريش من الأُمم الماضية، ولم يبلغ كفّار قريش عشر ما آتيناهم من القوّة والشدّة، فكذب أُولئك الأقوام رسلي، فكيف كان أخذي بالعذاب وما أهون أمر قريش.

٤٦ . (قل إنّما أعظكم...) قل لهم: إنّما اوصيكم بالعِظة، ان تنهضوا وتتصبوا لوجه الله متفرقين حتّى يصفو فكركم ويستقيم رأيكم، اثنين اثنين وواحداً واحداً، وتتفكروا في أمري فقد صاحبتكم طول عمري على سداد من الرأي، وصدق وأمانة ليس فيَّ من جنة، ما أنا إلاّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد في يوم القيامة، فأنا ناصح لكم غير خائن.

---

٤٧ . (قل ما سألتكم من...) كناية عن عدم سؤال أجر على الدعوة. وهذا تطييب لنفوسهم أن لا يتهموه بأنه جعل الدّعوة ذريعة إلى نيل مال أو جاه.

٤٨ . (قل إنّ ربّي يقذف...) مقتضى سياق الآيات السّابقة أن المراد بالحق المقذوف: القرآن النّازل إليه بالوحي من عنده تعالى، الّذي هو قول فصل يحق الحق ويبطل الباطل.

٤٩ . (قل جاء الحق...) المراد بمجيء الحق على ما تهدي إليه الآية السابقة: نزول القرآن المبطل بحججه القاطعة وبراهينه السّاطعة لكل باطل من أصله. (وما يبدئ الباطل وما يعيد) كناية عن بطلان الباطل وسقوطه عن الأثر من أصله، بالحق الّذي هو القرآن.

٥٠ . (قل إن ضللتُ...) بيان لأثر الحق الّذي هو الوحي فالوحي يهدي ولا يخطئ ولذا قال تأكيداً لما تقدّم: (قل إن ضللتُ) وفرض منّي ضلال (فانّما أضلّ) مستقراً ذلك الضّلال (على نفسي) فإن للإنسان من نفسه أن يضل (وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربّي) فوحيه حق لا يحتمل ضلالاً ولا يؤثر إلاّ الهدى.

٥١ . (ولو ترى إذ فزعوا...) حين فزع هؤلاء المشركون عند الموت (فلا فوت) لا يفوتون الله بهرب أو تحصن أو أي حائل آخر. (وأُخذوا من مكان قريب) كناية عن عدم فصل بينهم وبين من يأخذهم.

٥٢، ٥٣ . (وقالوا آمنّا به...) وقال المشركون حين أُخذوا: آمنا بالحق الّذي هو القرآن، وأنى لهم تناول الإيمان به . إيماناً يفيد النجاة . من مكان بعيد وهو الآخرة، والحال أنهم كفروا به من قبل في الدّنيا.

٥٤ . (وحيل بينهم وبين...) ووقعت الحيلولة بين المشركين المأخوذين، وبين ما يشتهون من ملاذّ الدّنيا، كما فعل ذلك بأشباههم من مشركي الأُمم الدارجة من قبلهم، إنهم كانوا في شك مريب من الحق أو من الآخرة.

«سورة فاطر»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

---

١ . (الحمد لله فاطر...) الفطر . على ما ذكره الراغب: هو الشق طولاً. فإطلاق الفاطر عليه تعالى بعناية استعارية، كأنه شق العدم فاخرج من بطنها السماوات والأرض، فمحصل معناه: أنه موجد السّماوات والأرض إيجاداً ابتدائياً

من غير مثال سابق. (جاعل الملائكة رسلاً...) الملائكة: جمع ملك، عباد مكرمون لا يعصون الله فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. (أُولي أجنحة مثنى...) جعل الملائكة بعضهم ذا جناحين وبعضهم

ذا ثلاثة أجنحة وبعضهم ذا أربعة أجنحة.

٢ . (ما يفتح الله للنّاس...) إن ما يؤتيه الله النّاس من النعمة وهو الرزق، فلا مانع عنه، وما يمنع فلا مؤتي له.

٣ . (يا أيّها النّاس اذكروا...) لما قرر في الآية السّابقة أن الإعطاء والمنع لله سبحانه لا يشاركه في ذلك أحد، إحتج في هذه الآية بذلك على توحّده في الرّبوبية. (فأنّى يؤفكون...) توبيخ متفرّع على ما سبق من البرهان. أي فإذا كان الأمر هكذا وأنتم تقرون بذلك، فالى متى تصرفون عن الحق إلى الباطل، ومن التوحيد إلى الإشراك.

٤ . (وإن يكذّبوك فقد...) وإن يكذبوك بعد استماع هذه البراهين الساطعة، فلا تحزن فليس ذلك ببدع، فقد كذبت رسل من قبلك، كذبتم أُممهم وأقوامهم. وإلى الله ترجع عامة الأمور فيجازيهم بما يستحقونه بتكذيبهم الحق بعد ظهوره، فليسوا بمعجزين بتكذيبهم.

٥ . (يا أيّها النّاس إنّ...) وعده أنه يبعثكم حق أي ثابت واقع، (فلا تغرنّكم الحياة الدّنيا) إذا كان وعد الله حقاً فلا تغتروا بالحياة الدنيا، بالاشتغال بزينتها والتلهي بما ينسيكم يوم الحساب. (ولا يغرنكم بالله الغرور) مبالغة من الغرور، وهو الّذي يبالغ في الغرور ومن عادته ذلك، والظاهر . كما قيل . أن المراد به الشّيطان.

(٩٧/٢)

---

٦ . (إنّ الشّيطان لكم...) المراد بعداوة الشّيطان: أنه لا شأن له إلاّ إغواء الإنسان [وحرمانه] سعادة الحياة وحسن العاقبة. والمراد باتخاذ الشّيطان عدواً: التجنب من اتباع دعوته إلى الباطل وعدم طاعته فيما يشير إليه في وساوسه وتسويلاته.

٧ . (الّذين كفروا لهم...) هذا هو الوعد الحق الّذي ذكره الله سبحانه.

٨ . (أفمن زيّن له سوء...) لا يستوي من زين له عمله السيء فرآه حسناً، والّذي ليس كذلك بل يرى السيء سيئاً. (فإنّ الله يضلّ من...) الكافر الّذي شأنه ذلك والمؤمن الّذي بخلافه لا يستويان. لأن الله يضل أحدهما بمشيئته وهو الكافر الّذي يرى السيِّئة حسنة، ويهدي الآخر بمشيئته وهو المؤمن الّذي يعمل الصّالحات ويرى السيئة سيئة. (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فلا تهلك نفسك حسرات عليهم إذ كذّبوك وكفروا بك، فإن الله هو الّذي يضلّهم جزاء لكفرهم.

٩ . (وهو الّذي أرسل...) العناية في المقام بتحقق وقوع الأمطار وإنبات النبات بها. (فسقناه إلى بلد ميِّت) إلى أرض لا نبات فيها (فأحيينا به الأرض...) وأنبتنا فيها نباتاً بعدما لم تكن.

١٠ . (من كان يريد العزّة...) من كان يريد العزّة فليطلبها منه تعالى لأن العزّة له جميعاً. أي اكتسابها منه بالعبودية الّتي لا تحصل إلاّ بالايمان والعمل الصالح. (إليه يصعد الكلم الطيِّب) المراد

بالكلم الطيّب: الاعتقاد الحق كالتوحيد، وبصعوده: تقرّبه منه تعالى، والعمل الصّالح: ما كان على طبق الاعتقاد الحق. (والّذين يمكرون السيِّئات...) والّذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر اولئك الماكرين هو يبور ويهلك فلا يستعقب أثراً حياً فيه سعادتهم وعزتهم.

(٩٨/٢)

---

١١ . (والله خلقكم من...) يشير تعالى إلى خلق الإنسان (ثمّ جعلكم أزواجاً) ذكوراً وإناثاً (وما تحمل من اُنثى) ما تحمل ولا تضع أُنثى إلاّ وعلمه يصاحب حمله ووضعه، (وما يعمر من معمر...) وما يمد ويزاد في عمر أحد فيكون معمراً ولا ينقص من عمره، أي عمر أحد إلاّ في كتاب، وهو اللوح المحفوظ الّذي لا سبيل للتغيير إليه.

١٢ . (وما يستوي البحران...) قيل: العذب من الماء، طيبه. والفرات: الماء الّذي يكسر العطش أو البارد كما في المجمع، والسائغ: هو الذي يسهل انحداره في الحلق لعذوبته. والاجاج: الّذي يحرق لملوحته، أو المر. (ومن كل تأكلون لحماً طرياً...) اللّحم الطري: الغض الجديد، والمراد لحم السمك أو السمك والطير البحري. والحلية المستخرجة من البحر، اللؤلؤ والمرجان والأصداف. (وترى الفلك فيه مواخر...) مواخر: جمع ماخرة، من المخر بمعنى الشق، عدت السفينة

[٤١٨]

ماخرة لشقها الماء بجؤجؤتها.

١٣ . (يولج اللّيل في...) الإشارة إلى اختلاف اللّيل والنّهار في الطول والقصر المستمر في أيام السنة، بتغيّر الأيام. (ذلك الله ربّكم...) بمنزلة النتيجة لما تقدّم. (والّذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) القطمير على ما قاله الراغب: الأثر في رأس النواة وذلك مثل للشيء الطفيف، وفي المجمع: القطمير لفافة النواة. وقيل: الحبّة في بطن النواة.

(٩٩/٢)

---

١٤ . (إن تدعوهم لا...) إنكم إن تدعوهم لا يَسمعوا دعاءكم، لأن الأصنام جمادات لا شعور لها ولا حِس، وأرباب الأصنام كالملائكة والقديسين من البشر في شغل شاغل من ذلك، على أنهم لا يملكون سمعاً من عند أنفسهم فلا يسمعون إلاّ باسماعه. (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) إذ لا قدرة لهم على الاستجابة قولاً ولا فعلاً. (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) يردون عبادتكم إليكم ويتبرأون منكم، بدلاً من أن يكونوا شفعاء لكم. (ولا ينبئك مثل خبير) لا يخبرك عن حقيقة الأمر مخبر مثل مخبر خبير،

وهو خطاب خاص بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

١٥ . (يا أيّها النّاس أنتم...) يا أيّها النّاس أنتم بما أنكم مخلوقون مدبرون لله الفقراء إلى الله، فيكم كل الفقر والحاجة، والله بما أنه الخالق المدبر، الغني لا غني سواه.

١٦، ١٧ . (إن يشأ يذهبكم...) اِن يرد إذهابكم أيّها النّاس، لأنه غني عنكم لا يستضر بذهابكم ويأت بخلق جديد يحمدونه ويثنون عليه لا لحاجة منه إليهم، بل لأنه حميد ومقتضاه أن يجود فيحمد وليس ذلك على الله بصعب.

١٨ . (ولا تزر وازرة وزر...) لا تحمل نفس حاملة للإثم، إثم نفس أُخرى. ولازم ذلك أن لا تؤاخذ نفس إلاّ بما حملت من إثم نفسها واكتسبته من الوزر. والوزر: الثقل. (وان تدع مثقلة) وإنْ تدع نفس مثقلة أثقلها حملها من الإثم، غيرها إلى ما حملته من الإثم، لتحمله عنها لا يستجاب لها ولا يحمل من حملها شيء، ولو كان المدعو ذا قربى للداعي كالأب والأُم والأخ والأخت. (إنّما تنذر الّذين...) هؤلاء المكذبون لا ينتفعون بالإنذار، إنّما تنذر وينفع إنذارك الذين يخشون ربهم بالغيب ويقيمون الصّلاة الّتي هي أفضل العبادات وأهمّها. (ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه) تزكية النفس: تلبسها بالخشية من الله على الغيب وإقامة الصّلاة.

١٩ . (وما يستوي الأعمى...) تعليل في صورة التمثيل لعدم مساواة هؤلاء المتزكين لأولئك المكذبين.

---

٢٠ . (ولا الظلمات ولا النّور...) تكرار حروف النفي مرّة بعد مرّة لتأكيد النفي.

٢١ . (ولا الظلّ ولا الحرور...) الحرور: شدّة حرّ الشّمس على ما قيل. وقيل هو السموم. وقيل: السموم يهب نهاراً والحرور يهب ليلاً ونهاراً.

٢٢ . (وما يستوي الأحياء...) تمثيلات للمؤمن والكافر وتبعات أعمالهما. (إن الله يسمع من يشاء) وهو المؤمن كان ميتاً فأحياه الله فاسمعه لما في نفسه من الاستعداد لذلك. (وما أنت بمسمع من في القبور) الأموات. والمراد بهم: الكفّار المطبوع على قلوبهم.

٢٣ . (إن أنت إلاّ نذير...) ليس لك إلاّ إنذارهم، وأما هداية من اهتدى منهم وإضلال من ضلّ، فإنما ذلك لله سبحانه.

٢٤ . (إنّا أرسلناك بالحق...) إنّا أرسلناك بالتبشير والإنذار وليس ببدع مستغرب، فما من أُمّة من الأُمم إلاّ وقد خلا ومضى فيها نذير، فذلك من سنن الله الجارية في خلقه.

٢٥ . (وإن يكذِّبوك فقد...) البيّنات: هي الآيات المعجزة الّتي تشهد على حقية الرسل. والزبر: جمع زبور. والكتاب المنير: الكتاب المنزل من السماء المتضمن للشرائع، ككتاب نوح وإبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى عليه السلام.

٢٦ . (ثمّ أخذت الّذين...) الأخذ: كناية عن التعذيب، والنكير: الإنكار، والباقي ظاهر.
٢٧ . (ألَم تَرَ أنّ الله...) حجّة أُخرى على التوحيد، وهو أن الله سبحانه ينزل الماء من السّماء بالأمطار وهو أقوى العوامل المعينة لخروج الثمرات. (ومن الجبال جدد بيض...) ألم تر أن من الجبال طرائق بيض وحمر وسود مختلف الوانها.
[٤١٩]
والمراد: إما الطرق المسلوكة في الجبال ولها ألوان مختلفة، وإما نفس الجبال الّتي هي خطوط مختلفة ممدودة على وجه الأرض بيض وحمر مختلف ألوانها.

---

٢٨ . (ومن النّاس والدواب...) ومن النّاس والدواب الّتي تدب في الأرض والأنعام كالإبل والغنم والبقر، بعض مختلف الوانه بالبياض والحمرة والسواد، كاختلاف الثمرات والجّبال. (إنّما يخشى الله من عباده العلماء) إن الاعتبار بهذه الآيات إنما يؤثر أثره ويورث الإيمان بالله حقيقة، والخشية منه بتمام معنى الكلمة، في العلماء دون الجهال.
٢٩ . (إنّ الّذين يتلون...) تلاوة الكتاب: قراءة القرآن. وإقامة الصّلاة: ادامة إتيانها وحفظها من أن تترك، والانفاق من الرزق سرّاً وعلانية: بذل المال سراً تحذراً من الرياء وزوال الإخلاص في الانفاق المسنون، وبذل المال علانية ليشيع بين النّاس كما في الإنفاق الواجب. (يرجون تجارة لن تبور) لن تهلك بالخسران.
٣٠ . (ليوفّيهم أُجورهم...) يوفيهم ويؤتيهم إيتاءً تاماً كاملاً اجورهم [وثواب] أعمالهم.
٣١ . (والّذي أوحينا إليك...) قوله: (هو الحق) للتأكيد أي هو حق لا يشوبه باطل.
٣٢ . (ثمّ أورثنا الكتاب...) إيراث القوم الكتاب: تركه عندم يتناولونه خلفاً عن سلف وينتفعون به. واختلفوا في هؤلاء المصطفين من عباده من هُم والمأثور عن الصادقين عليهما السّلام في روايات كثيرة مستفيضة، أن المراد بهم ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السّلام، وهم الداخلون في آل إبراهيم في قوله: (إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم) آل عمران: ٣٣. وعلى هذا فالمعنى: بعدما أوحينا إليك القرآن، أورثنا ذريتك إيّاه وهم الّذين اصطفينا من عبادنا. (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) يحتمل أن يكون ضمير (منهم) راجعاً إلى (الّذين اصطفينا) فيكون: الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء في الوراثة، وإن كان الوارث الحقيقي العالم بالكتاب والحافظ له هو السابق بالخيرات.
٣٣ . (جنّات عدن يدخلونها...) التحلية: هي التزيين. والأساور: جمع أسورة.

٣٤ . (وقالوا الحمد لله...) قيل المراد بالحزن الّذي يحمدون الله على إذهابه بإدخالهم الجنة: الحزن الّذي كان يتوجّه إليهم في الحياة الدّنيا وما يحف بها من الشدائد والنوائب. وقيل: المراد به الحزن الّذي كان قد أحاط بهم بعد الارتحال من الدّنيا، وقيل: الدخول في جنة الآخرة إشفاقاً ممّا اكتسبوه من السيّئات. وعلى هذا فالقول قول الظالم لنفسه منهم، أو قوله وقول المقتصد. وأما السابق بالخيرات منهم فلا سيئة في صحيفة أعماله حتى يعذب بها. وهذا الوجه أنسب لقولهم في آخر حمدهم: (إنّ ربّنا لغفور شكور).

٣٥ . (الّذي أحلّنا دار...) دار المقامة: المنزل الّذي لا خروج منه ولا تحوّل. والنصب: التعب والمشقة، واللغوب: العي والتعب في طلب المعاش وغيره.

٣٦ . (والّذين كفروا لهم...) يفيد كون النّار جزاء لهم لا ينفك عنهم، (لا يقضى عليهم فيموتوا) لا يحكم عليهم بالموت حتى يموتوا.

٣٧ . (وهم يصطرخون فيها...) وهؤلاء الّذين في النّار من الكفّار يصطرخون ويصيحون بالاستغاثة فيها قائلين: ربّنا أخرجنا من النّار نعمل صالحاً غير سيّء غير الّذي كنّا نعمل، فيقال لهم رداً عليهم: كلاّ . أوَ لَم نعمِّركم عمراً يتذكّر فيه من تذكّر، وجاءكم النذير فأنذركم هذا العذاب فلم تتذكّروا وَلَم تؤمنوا فذوقوا العذاب فما للظّالمين من نصير ينصرهم ليتخلّصوا من العذاب.

٣٨ . (إنّ الله عالم...) يعاملكم بما في باطنكم من الإعتقاد وآثار الأعمال، ويحاسبكم عليه سواء وافق ظاهركم باطنكم أو خالف.

٣٩ . (هو الّذي جعلكم...) كون النّاس خلائف في الأرض، هو قيام كل لاحق منهم مقام سابقه وسلطته على

[٤٢٠]

التصرّف والانتفاع منها كما كان السّابق مسلطاً عليه بيان لكون كفرهم عليهم، وهو أنّ كفرهم يورث لهم مقتاً عند ربّهم. والمقت: شدّة البغض، لأنّ فيه إعراضاً عن عبوديّته واستهانة بساحته.

٤٠ . (قل أرأيتم شركاءكم...) في الآية تلقين النبيّ صلى الله عليه وآله الحجّة على نفي ربوبيّة آلهتهم الّذين كانوا يعبدونهم. وقوله: (أم لهم شرك في السّماوات) في معنى: أم ماذا خلقوا من السّماوات. (بل إن يعد الظّالمون بعضهم بعضاً إلاّ غرورا) إن الّذي حملهم على الشّرك ليس هو

حجة تحملهم عليه ويعتمدون عليها، بل غرور بعضهم بعضاً بوعد الشّفاعة والزلفى، فأسلافهم يغرون أخلافهم ورؤساؤهم وأئمتهم يغرون مرؤوسيهم وتابعيهم ويعدونهم شفاعة الشركاء عند الله سبحانه ولا حقيقة لها.

٤١ . (إنّ الله يمسك...) الإمساك: كناية عن الإبقاء وهو الايجاد بعد الايجاد على سبيل الاتصال والإستمرار، والزوال هو: الاضمحلال والبطلان. (ولئن زالتا إن أمسكهما...) السّياق يعطي أن المراد بالزوال هاهنا: الاشراف على الزّوال، والمعنى: وأُقسم لئن أشرفتا على الزّوال لم يمسكهما أحد من بعد الله سبحانه. ويمكن أن يكون المراد بالزوال معناه الحقيقي. والمراد بالامساك: القدرة على الامساك.

٤٢ . (وأقسموا بالله جهد...) الضّمير لقريش وقد حلفوا هذا الحلف قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله ليكوننّ أهدى من إحدى الأُمم الّتي جاءهم نذير كاليهود والنصارى.

(١٠٤/٢)

---

٤٣ . (استكباراً في الأرض...) نفروا عنه وتباعدوا للإستكبار في الأرض (ومكر السّيء) معطوف على (إستكباراً). (ولا يحيق المكر السّيء إلاّ بأهله) لا يصيب ولا ينزل المكر السّيء إلاّ بأهله. (فهل ينظرون إلاّ سنّة الأوّلين) وإذ مكروا المكر السّيء، والمكر السّيء يحيق بأهله، فهم لا ينتظرون إلاّ السنّة الجارية في الأُمم الماضين، وهي العذاب الإلهي النازل بهم إثر مكرهم وتكذيبهم بآيات الله. (فلن تجد لسنّة الله تبديلاً...) تبديل السنّة: أن توضع العافية والنعمة موضع العذاب، وتحويلها: أن ينقل العذاب من قوم يستحقونه إلى غيرهم، وسنّة الله لا تقبل تبديلاً ولا تحويلاً، لأنّه تعالى على صراط مستقيم لا يقبل حكمه تبعيضاً ولا استثناءً.

٤٤ . (أوَ لَم يسيروا في...) استشهاد على سنّته الجارية في الأُمم الماضية وقد كانوا أشدّ قوّة من مشركي مكّة، فأخذهم الله بالعَذاب لما مكروا وكذّبوا. (وما كان الله ليعجزه...) الله سبحانه لا يعجزه شيء في السّماوات والأرض بقوّة أو مكر، فإنه عليم على الإطلاق لا يغفل ولا يجهل حتى ينخدع بمكر أو حيلة، قدير على الإطلاق لا يقاومه شيء.

[٤٤٠]

٤٥ . (ولو يؤاخذ الله...) إنه لو يؤاخذ جميع النّاس بما كسبوا من المعاصي كما يؤاخذ هؤلاء الماكرين المكذبين، ما ترك على ظهر الأرض أحداً منهم يدب ويتحرك فلا يؤاخذهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمّى وهو الموت أو البعث، فإذا جاء أجلهم عاملهم بما عملوا إنه كان بعباده بصيرا.

«سورة يس»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . ٣ . (يس والقرآن الحكيم...) إقسام منه تعالى بالقرآن الحكيم على كون النبيّ صلى الله عليه وآله من المرسلين، وقد وصف القرآن بالحكيم لكونه مستقراً فيه الحكمة وهي حقائق المعارف وما يتفرع عليها من الشرائع والعبر والمواعظ.

٤ . (على صراط مستقيم...) تنكير الصراط . كما قيل . للدلالة على التفخيم.

---

٥ . (تنزيل العزيز الرّحيم...) وصف للقرآن ذاك المنزل الذي أنزله الله العزيز الرحيم الذي استقر فيه العزة والرحمة.

٦ . (لتنذر قوماً ما أُنذر...) إنّما أرسلك وأنزل عليك القرآن، لتنذر وتخوف قوماً لم ينذر آباؤهم فهم غافلون.

٧ . (لقد حق القول...) أُقسم لقد ثبت ووجب القول على أكثرهم. والمراد بالقول الذي حق عليهم: كلمة العذاب.

٨ . (إنّا جعلنا في أعناقهم...) مقمحون: إسم مفعول من الإقماح وهو رفع الرأس، كأنهم قد ملأت الأغلال ما بين صدورهم إلى أذقانهم، فبقيت رؤوسهم مرفوعة إلى السماء لا يتأتى لهم أن ينكسوها فينظروا إلى ما بين أيديهم.

٩ . (وجعلنا من بين أيديهم...) وجعلنا من جميع جهاتهم سداً فجعلناه يغطيهم فهم لا يبصرون فلا يهتدون.

١٠ . (وسواء عليهم أ أنذرتهم...) عطف تفسير وتقرير لما تتضمنه الآيات الثلاث المتقدمة.

١١ . (إنّما تنذر من...) إنّما تنذر الإنذار النافع الذي له أثر، من اتبع القرآن إذا تليت عليه آياته وما إليه، وخشي الرّحمن خشية مشوبة بالرجاء، فبشّره بمغفرة عظيمة وأجر كريم.

١٢ . (إنّا نحن نحيي الموتى...) المراد بإحياء الموتى: إحياؤهم للجزاء. والمراد بما قدموا: الأعمال التي عملوها قبل الوفاة فقدموها على موتهم، والمراد بآثارهم: ما تركوها لما بعد موتهم من خير يعمل به أو شر يعمل به.

١٣ . (واضرب لهم مثلاً...) المثل: كلام أو قصّة يمثل به مقصد من المقاصد فيتّضح للمخاطب.

١٤ . (إذ أرسلنا إليهم...) واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية، وهم في زمان أرسلنا إليهم رسولين إثنين من رسلنا فكذّبوهما فقوّيناهما برسول ثالث فقالت الرّسل: إنّا إليكم مرسلون.

١٥ . (قالوا إن أنتم...) كانوا يرون أن البشر لا ينال النبوة والوحي، ويستدلون على ذلك بأنفسهم حيث لا يجدون من أنفسهم شيئاً من ذاك القبيل.

١٦ . (قالوا ربّنا يعلم...) إنّا مرسلون إليكم صادقون في دعوى الرسالة ويكفينا في ذلكم علم ربنا الذي أرسلنا بها، ولا حاجة لنا فيه إلى تصديقكم لنا، ولا نفع لنا فيه من أجر ونحوه، ولا يهمنا تحصيله منكم، بل الذي يهمنا هو تبليغ الرسالة واتمام الحجّة.

[٤٤١]

١٨ . (قالوا إنّا تطيرنا...) القائلون أصحاب القرية والمخاطبون هم الرسل، والتطير: هو التشؤم.

١٩ . (قالوا طائركم معكم...) إن الذي ينبغي أن تتشأموا به هو معكم وهو حالة إعراضكم عن الحق الذي هو التوحيد. (أ إن ذكّرتم) إستفهام توبيخي والتقدير: أ إن ذكرتم بالحق قابلتموه بمثل هذا الجحود الشنيع والصنيع الفظيع من التطيّر والتوعّد. (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون للحد في المعصية.

٢٠ . (وجاء من أقصى...) كان على ما يعطيه التدبّر في المنقول في كلامه، رجلاً نَوّر الله سبحانه قلبه بنور الإيمان، وقد خاصم القوم فخصمهم وأبطل ما تعلق به القوم من الحجّة على عدم جواز عبادة الله سبحانه ووجوب عبادة آلهتهم، وأثبت وجوب عبادته وحده وصدق الرسل في دعواهم الرسالة ثمّ آمن بهم.

٢١ . (إتّبعوا من لا يَسألكم...) هؤلاء الرسل مهتدون في قولهم: لا تعبدوا إلاّ الله وهم لا يريدون منكم أجراً من مال أو جاه.

٢٢، ٢٣ . (وما لي لا أعبد...) شرع في استفراغ الحجّة على التوحيد ونفي الآلهة في آيتين [والآيتان] حجّتان قائمتان على إبطال ما احتج به الوثنية وبنوا على ذلك عبادة الأصنام وأربابها.

٢٤ . (إنّي إذاً لفي ضلال...) تسجيل للضلال على اتخاذ الآلهة.

٢٥ . (إنّي آمنت بربكم...) من كلام الرجل خطاباً للرسل ليستشهدهم على إيمانه وليؤيدهم بايمانهم بمرئى من القوم ومسمع.

٢٦، ٢٧ . (قيل ادخل الجنّة...) الخطاب للرجل وهو . كما يفيده السياق . يلوح إلى أن القوم قتلوه فنودي من ساحة العزّة أن ادخل الجنة. والمراد بالجنة على هذا: جنة البرزخ دون جَنّة الآخرة.

٢٨ . (وما أنزلنا على قومه...) الضميران للرجل، والآية توطئة للآية التالية، وهي مسوقة لبيان هوان أمر القوم والانتقام منهم، على الله سبحانه.

٢٩ . (إن كانت إلاّ صيحة...) كان سبب هلاكهم أيسر أمر، وهي صيحة واحدة ففاجأهم السكون، فصاروا ساكنين لا يسمع لهم حس وهم عن آخرهم موتى لا يتحركون.

٣٠ . (يا حسرة على العباد...) يا ندامة العباد. ونداء الحسرة عليهم أبلغ من إثباتها لهم، وسبب الحسرة ما يتضمنه قوله: (ما يأتيهم من رسول).

٣١ . (ألَم يروا كم أهلكنا...) ألم يعتبروا بكثرة المهلكين بأمر الله من القرون الماضية، وأنهم مأخوذون بأخذ إلهيّ لا يتمكنون من الرجوع إلى ما كانوا يترفون فيه.

٣٢ . (وإن كلّ لمّا جميع...) وما كلهم إلاّ مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء.

٣٣ . (وآية لهم الأرض...) يذكر سبحانه آية من آيات الرّبوبية، وهي تدبير أمر إرزاق الناس.

٣٤ . (وجعلنا فيها جنّات...) الاعناب: جمع عنب يطلق على الشجرة وهي الكرم وعلى الثمرة.

٣٥ . (ليأكلوا من ثمره...) اللاّم لتعليل ما ذكر في الآية السابقة، أي جعلنا فيها جنات وفجّرنا فيها العيون بشقها ليأكل الناس من ثمره. و «ما» في (وما عملته) نافية. والمعنى ولم يعمل الثمر أيديهم حتى يشاركونا في تدبير الأرزاق.

٣٦ . (سبحان الّذي خلق...) لما ذكر عدم شكرهم له على ما خلق لهم، أشار إلى ما هو أعظم وأوسع من خلق أزواج النبات، وهو خلق الأزواج كلها وتنظيم العالم المشهود. (ومن أنفسهم) أي الناس (وممّا لا يعلمون) وهو الذي يجهله الإنسان من الخليقة أو يجهل كيفية ظهور الكثرة فيه.

٣٧ . (وآية لهم اللّيل...) آية أُخرى من آيات الرّبوبية الدالة على وقوع التدبير العام السماوي للعالم الانساني.

(١٠٨/٢)

---

٣٨ . (والشّمس تجري لمستقرّ...) إن الشّمس لاتزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها، فتخرب الدنيا ويبطل هذا النظام. (ذلك تقدير العزيز العليم) الجري المذكور تقدير وتدبير ممّن لا يغلبه غالب في إرادته ولا يجهل جهات الصلاح في أفعاله.

[٤٤٢]

٣٩. (والقمر قدّرناه منازل...) المراد: المنازل الثمانية والعشرون التي يقطعها القمر في كل ثمانية وعشرين يوماً وليلة تقريباً. والعرجون: عود عذق النخلة بين الشمراخ إلى منبته، وهو عود أصفَر مقوّس يشبه الهلال. والقديم: العتيق.

٤٠ . (لا الشّمس ينبغي لها...) المراد: أن التدبير ليس ما يجري يوماً ويقف آخر، بل هو تدبير دائم غير مختل ولا منقوض، حتى ينقضي الأجل المضروب منه تعالى لذلك. (وكلّ في فلك يسبحون) كل من الشمس والقمر وغيرهما من النجوم والكواكب يجرون في مجرىً خاص فالفلك هو المدار

الفضائي الذي يتحرك فيه الجرم العلوي.

٤١ . (وآية لهم أنّا حملنا...) آية أُخرى من آيات ربوبيّته تعالى، وهو جريان تدبيره في البحر.

٤٢ . (وخلقنا لهم من...) المراد به . على ما فسّروه . الأنعام. وربّما فسر ما في هذه الآية بالطيارات والسّفن الجوية المعمولة في هذه الأعصار والتعميم أولى.

٤٣ . (وإن نشأ نغرقهم...) إنّ الأمر إلى مشيئتنا فان نشأ نغرقهم فلا يغيثهم مغيث ولا ينقذهم منقذ.

٤٤ . (إلاّ رحمة منّا ومتاعاً...) لا ينجون بسبب من الأسباب وأمر من الأمور، إلاّ لرحمة منا تنالهم ولتمتع إلى حين الأجل المسمّى قدّرناه لهم.

٤٥ . (وإذا قيل لهم اتّقوا...) فإذا قيل لهم: هذه الآيات البيّنات ناطقة ان ربكم الله، فاتقوا معصيته، أعرضوا عنه ولم يستجيبوا له على ما هو دأبهم في جميع الآيات التي ذكروا بها.

٤٦ . (وما تأتيهم من آية...) المراد باتيان الآيات: موافاتها لهم بالمشاهدة أو بالتلاوة والذكر.

(١٠٩/٢)

---

٤٧ . (وإذا قيل لهم انفقوا...) يتضمن دعوتهم إلى الإنفاق على الفقراء والمساكين من أموالهم، (قال الّذين كفروا...) جوابهم للدعوة إلى الانفاق. (إن أنتم إلاّ في ضلال مبين) من تمام قول الذين كفروا يخاطبون به المؤمنين، أي إنكم في ضلال مبين في دعواكم أن الله أمرنا بالانفاق وشاء منا ذلك.

٤٨ . (ويقولون متى هذا...) كلام منهم وارد مورد الاستهزاء مبني على الانكار.

٤٩ . (ما ينظرون إلاّ صيحة...) النظر بمعنى الانتظار. والمراد بالصيحة: نفخة الصور الأولى باعانة السياق، وتوصيف الصيحة بالوحدة للإشارة إلى هوان أمرهم على الله جلت عظمته.

٥٠ . (فلا يستطيعون توصية...) يتفرّع على هذه الصيحة بما أنها تفاجئهم ولا تمهلهم، أن يموتوا من فورهم فلا يستطيعوا توصية ولا أن يرجعوا إلى أهلهم إذا كانوا في الخارج من بيوتهم مثلاً.

٥١ . (ونفخ في الصور...) هذه هي نفخة الصور الثانية التي بها الاحياء والبعث. والأجداث: جمع جدث وهو القبر. والنسل: الإسراع في المشي.

٥٢ . (قالوا يا ويلنا من...) البعث: الاقامة. والمرقد محل الرقاد والمراد به القبر وتعبيرهم عنه تعالى بالرّحمن نوع إسترحام.

٥٣ . (إن كانت إلاّ صيحة...) ان كانت الفعلة أو النفخة إلاّ نفخة واحدة تفاجئهم أنهم مجموع محضرون لدينا من غير تأخير ومهلة.

٥٤ . (فاليوم لا تظلم نفس...) هذا اليوم يقضي بينهم قضاءً عدلاً ويحكم حكماً حقاً فلا تظلم نفس شيئاً والمخاطب بقوله: (ولا تجزون إلاّ ما كنتم تعملون) السعداء والأشقياء جميعاً.

٥٥ . (إنّ أصحاب الجنّة...) الشغل: الشأن الذي يشغل الإنسان ويصرفه عما عداه، والفاكه: من

الفكاهة وهي التحدث بما يسر، أو التمتع والتلذذ. والمعنى: إن أصحاب الجنّة في هذا اليوم في شأن يشغلهم عن كل شيء دونه وهو التنعم في الجنّة.

(١١٠/٢)

---

٥٦ . (هم وأزواجهم في ظلال...) أصحاب الجنة وأزواجهم من حلائلهم المؤمنات في الدنيا أو من الحور العين في ظلال أو أستار من الشمس وغيرها، متكئون على الأرائك إتكاء الأعزة.

٥٧ . (لهم فيها فاكهة...) لهم في الجنة فاكهة ولهم فيها ما يتمنونه ويطلبونه.

[٤٤٣]

٥٨ . (سلام قولاً من...) سلام عليهم أو لهم سلام أقوله قولاً من ربٍّ رحيم.

٥٩ . (وامتازوا اليوم...) ونقول اليوم للمجرمين إمتازوا من أصحاب الجنّة.

٦٠ . (ألَم أعهد إليكم...) العهد: الوصية. والمراد بعبادة الشيطان: طاعته فيما يوسوس ويأمر به. وقد علل النهي عن طاعته بكونه عدواً مبيناً لأن العدو لا يريد بعدوه خيراً.

٦١ . (وأن اعبدوني هذا...) تقدّم الكلام في معنى الصراط المستقيم من سورة الفاتحة.

٦٢ . (ولقد أضلّ منكم...) الجبل: الجماعة، وقيل الجماعة الكثيرة. والكلام مبني على التوبيخ والعتاب.

٦٣ . (هذه جهنّم الّتي...) كان يستمر عليكم الايعاد بها مرة بعد مرة بلسان الأنبياء والرّسل عليه السلام.

٦٤ . (إصلوها اليوم بما...) الصلا: اللزوم والاتباع، وقيل مقاساة الحرارة.

٦٥ . (اليوم نختم على...) يشهد كل منها بما كانوا يكسبونه بواسطته، فالأيدي بالمعاصي التي كسبوها بها، والأرجل بالمعاصي الخاصة بها على ما يعطيه السّياق.

٦٦ . (ولو نشاء لطمسنا...) لو أردنا لأذهبنا أعينهم فصارت ممسوحة لا أثر منها، فذهبت به أبصارهم وبطل إبصارهم. (فاستبقوا الصّراط) أرادوا السبق إلى الطريق الواضح الذي لا يخطئ قاصده ولا يضل سالكه، فلم يبصروه ولن يبصروه.

٦٧ . (ولو نشاء لمسخناهم...) المراد بمسخهم على مكانتهم: تشويه خلقهم وهم قعود في مكانهم الذي هم فيه، فهو كناية عن كونه هيناً سهلاً عليه تعالى من غير أي صعوبة. (فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون) مضياً في العذاب ولا يرجعون إلى حالهم قبل العذاب والمسخ.

(١١١/٢)

---

٦٨ . (ومن نعمِّره ننكِّسه...) التعمير: التطويل في العمر. والتنكيس: تقليب الشيء بحيث يعود أعلاه أسفله، ويتبدّل قوّته ضعفاً وزيادته نقصاً.

٦٩ . (وما علّمناه الشّعر...) تصديق رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وكون كتابه تنزيلاً من عنده تعالى.

٧٠ . (لينذر من كان حيّاً...) الآية تعد غاية إرسال الرّسول وإنزال القرآن، إنذار من كان حياً . وهو كناية عن كونه يعقل الحق ويسمعه . وحقية القول ووجوبه على الكافرين.

٧١ . (أوَ لَم يروا أنّا...) المراد بكون الأنعام ممّا عملته أيديه تعالى: عدم إشراكهم في خلقها واختصاصه به تعالى، فعمل الأيدي كناية عن الاختصاص.

٧٢ . (وذلّلناها لهم فمنها...) تذليل الأنعام: جعلها منقادة لهم غير عاصية، وهو تسخيرها لهم. (ومنها يأكلون) من لحمها.

٧٣ . (ولهم فيها منافع...) ولهم فيها منافع ينتفعون بأشعارها وأوبارها وجلودها، ومشروبات من ألبانها يشربونها، أفلا يشكرون الله على هذا التدبير الكامل.

٧٤ . (واتّخذوا من دون...) إنما اتخذوهم آلهة رجاء أن ينصروا من ناحيتهم، لأن عامتهم تتخذ إلهاً زعماً منهم أن تدبير أمره مفوض إلى من اتخذه إلهاً من خير أو شر، فيعبده العابد منهم ليرضيه بعبادته فلا يسخط فيقطع النِعمة أو يرسِل النقمة.

٧٥ . (لا يستطيعون نصرهم...) لا يستطيع هؤلاء الآلهة الذين اتخذوهم آلهة نصر هؤلاء المشركين لأنهم لا يملكون شيئاً من خير أو شر. (وهم لهم جند محضرون) إن المشركين جند للآلهة، وذلك أن من لوازم معنى الجندية التبعية والملازمة، والمشركون هم المعدودون أتباعاً لآلهتهم مطيعين لهم دون العكس. والمراد بالاحضار في قوله: (محضرون) الاحضار للجزاء يوم القيامة.

٧٦ . (فلا يحزنك قولهم...) فلا يحزنك قولهم ما قالوا به من الشرك فإنا لسنا بغافلين عنهم حتى يعجزونا، أو يفسدوا علينا بعض الأمر، بل نعلم ما يسرون من أقوالهم وما يعلنون.

---

٧٧ . (أوَ لَم يَرَ الإنسان...) من العجيب أن الإنسان يعلم أنا خلقناه من نطفة مهينة فيفاجئه أنه خصيم مجادل مبين.٧٨ . (وضرب لنا مثلاً...) الرميم: البالي من العظام، والمعنى: وضرب الإنسان لنا مثلاً وقد نسى خلقه من

نطفة لأوّل مرّة، ولو كان ذاكره لم يضرب المثل الذي ضربه.

٧٩ . (قل يحييها الّذي...) تلقين الجواب للنبيّ صلى الله عليه وآله.

٨٠ . (الّذي جعل لكم...) الآية مسوقة لرفع استبعاد جعل الشيء الموات شيئاً ذا حياة. والحياة والموت متنافيان، والجواب أنه لا استبعاد فيه، فإنه هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر الذي يقطر ماءً ناراً، فإذا أنتم منه توقدون وتشعلون النار.

٨١ . (أوَ لَيْس الّذي...) الآية في معنى قولنا: وكيف يمكن أن يقال: إن الله الذي خلق عوالم السّماوات والأرض بما فيها من سعة الخلقة البديعة وعجيب النظام العام، لا يقدر أن يخلق مثل هؤلاء الناس، بلى وإنه خلاق عليم.

٨٢ . (إنّما أمره إذا...) الآية من غرر الآيات القرآنية تصف كلمة الإيجاد، وتبين أنه تعالى لا يحتاج في إيجاد شيء ممّا أراده إلى ما وراء ذاته المتعالية، من سبب يوجد له ما أراده أو يعينه في إيجاده أو يدفع عنه مانعاً يمنعه.

٨٣ . (فسبحان الّذي بيده...) الملكوت: مبالغة في معنى الملك. وجعل الملكوت بيده تعالى للدلالة على أنه متسلط عليها لا نصيب فيها لغيره.

«سورة الصّافّات»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . ٣ . (والصّافّات صفّاً...) أقسم الله تعالى بهذه الطوائف الثلاث: الصّافّات والزاجرات والتاليات. ويحتمل . والله العالم . أن يكون المراد بالطوائف الثلاث المذكورة في الآيات: طوائف الملائكة النازلين بالوَحي المأمورين بتأمين الطريق، ودفع الشّياطين عن المداخلة فيه، وإيصاله إلى النبيّ مطلقاً أو خصوص محمّد صلى الله عليه وآله.

٤ . (إنّ إلهكم لواحد...) الخطاب لعامّة الناس.

٥ . (ربّ السّماوات والأرض...) التقدير: هو ربّ السّماوات...الخ.

---

٦ . (إنّا زيّنّا السّماء...) المراد بالزّينة: ما يزين به، والكواكب: بيان أو بدل من الزّينة.

٧ . (وحفظاً من كلّ...) والمراد بالشيطان الشرير من الجن. والمارد: الخبيث العاري من الخير.

٨ . (لا يسَّمَّعون إلى الملأ...) أصل (لا يسمعون) لا يتسمعون، والتسمع: الإصغاء، والملأ الأعلى: هم الملائكة الكرام الذين هم سكنة السماوات العلى.

٩ . (دحوراً ولهم عذاب...) الدحور: الطرد والدفع. والواصب: الواجب اللاّزم.

١٠ . (إلاّ من خطف...) الخطفة: الإختلاس والاستلاب. والشهاب: ما يرى في الجو كالكوكب المنقض.

١١ . (فاستفتهم أهم أشدّ...) فاسألهم أن يفتوا أهم أشد خلقاً أم غيرهم ممن خلقنا، فهم أضعف خلقاً،

لأنا خلقناهم من طين ملتزق فليسوا بمعجزين لنا.

١٢، ١٣ . (بل عجبت ويسخرون...) بل عجبت يا محمّد من تكذيبهم إياك وهم يسخرون ويهزأون من تعجبك منهم، أو من دعائك إياهم إلى الحق، وإذا ذكروا بآيات الله الدالة على التوحيد ودين الحق لا يذكرون ولا يتنبهون.

١٥ . (وقالوا إن هذا...) في إشارتهم إلى الآية بلفظة هذا، إشعار منهم أنهم لا يفقهون منها إلاّ انها شيء ما.

١٨، ١٩ . (قل نعم وأنتم...) أمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يجيبهم بأنهم مبعوثون. (وأنتم داخرون) صاغرون مهانون أذلاّء.

٢٠ . (قالوا يا ويلنا...) يتنبهون بكونه يوم البعث فيه الدين والجزاء، وهم يحذرون منه بما كفروا وكذبوا.

٢٢، ٢٣ . (احشروا الّذين ظلموا...) وقلنا للملائكة: احشروهم. وقيل: هو من كلام الملائكة بعضهم لبعض. (وأزواجهم) الظاهر أن المراد به قرناؤهم من الشياطين.

٢٤ . (وقفوهم إنّهم مسؤولون...) احبسوهم لأنهم مسؤولون، أي حتى يسأل عنهم.

[٤٤٥]

٢٥ . (ما لكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم تفعلونه في الدنيا.

٢٦ . (بل هم اليوم مستسلمون) مسلمون لا يستكبرون.

٢٧ . (وأقبل بعضهم على...) تخاصم واقع بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة.

---

٢٨ . (قالوا إنّكم كنتم...) إنكم كنتم تأتوننا من جهة الخير والسعادة، فتقطعون الطريق وتحولون بيننا وبين الخير والسعادة وتضلوننا.

٢٩ . (قالوا بل لم تكونوا...) جواب المتبوعين بتبرئة أنفسهم من اشقاء التابعين.

٣٠، ٣١ . (وما كان لنا عليكم...) وهو في معنى الجواب على فرض التسليم كأنه قيل: ولو فرض أنه كان لكم إيمان فما كان لنا عليكم من سلطان، حتى نسلبه منكم ونجردكم منه. ثمّ قالوا: (بل كنتم قوماً طاغين) والطغيان: هو التجاوز عن الحد.

٣٢ . (فأغويناكم إنّا كنّا...) كأنه قيل: فلما تلبستم بالطغيان حل بكم الغواية بأيدينا من غير سلطان لنا عليكم، إلاّ اتباعكم لنا واتصالكم بنا. فسرى إليكم ما فينا من الصفة وهي الغواية.

٣٣ . (فإنّهم يومئذ في...) ضمير (فإنّهم) للتابعين والمتبوعين فهم مشتركون في العذاب لاشتراكهم في الظلم.

٣٤، ٣٥ . (إنّا كذلك نفعل...) تأكيد لتحقيق العذاب.

٣٦ . (ويقولون أ إنّا لتاركو...) قولهم هذا إنكار منهم للرّسالة بعد استكبارهم عن التوحيد وإنكارهم له.

٣٧ . (بل جاء بالحقّ...) ردّ عليهم بأن ما جاء به حق، وفيه تصديق الرسل السابقين.

٣٩ . (وما تجزون إلاّ ما...) لا ظلم فيه لأنه نفس عملكم يرد إليكم.

٤٠ . (إلاّ عباد الله المخلصين...) سماهم الله سبحانه عباد الله المخلصين، فاثبت لهم عبودية نفسه.

٤١ . (أولئك لهم رزق...) رزق خاص متعين ممتاز من رزق غيرهم.

٤٤ . (على سرر متقابلين...) كونهم متقابلين معناه: إستئناس بعضهم ببعض.

٤٥ . (يطاف عليهم بكأس...) المراد بكون الكأس من معين: صفاء الشراب فيها.

٤٦ . (بيضاء لذّة للشّاربين...) صافية في بياضها لذيذة للشّاربين.

٤٧ . (لا فيها غول ولا هم...) الغول: الإضرار والإفساد. والإنزاف: فسر بالسكر المذهب للعقل.

٤٨ . (وعندهم قاصرات...) قصور طرفهنّ: كناية عن نظرهنّ نظرة الغنج والدلال.

٤٩ . (كأنّهنّ بيض مكنون...) المكنون: هو المستور بالادخار.

---

٥٠ . (فأقبل بعضهم على...) حكاية محادثة تقع بين أهل الجنة فيسأل بعضهم عن أحوال بعض، ويحدث بعضهم بما جرى عليه في الدنيا، وتنتهي المحادثة إلى تكليمهم بعض أهل النار وهو في سواء الجحيم.

٥١ . (قال قائل منهم...) قال قائل من أهل الجنة المتسائلين: إني كان لي في الدنيا مصاحب يختص بي من الناس.

٥٢، ٥٣ . (يقول أ إنّك لمن...) كان يقول لي قريني مستبعداً مُنكراً: إنك لمن المصدقين للبعث للجزاء أ إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً فتلاشت أبداننا وتغيّرت صورها، أ إنّا لمجزيون بالإحياء والإعادة؟ فهذا مما لا ينبغي أن يصدق.

٥٤ . (قال هل أنتم...) ثمّ قال القائل المذكور مخاطباً لمحادثيه من أهل الجنة: هل أنتم مشرفون على النار حتى تروا قريني والحال التي هو فيها؟

٥٥ . (فاطلع فرآه في...) فأشرف القائل المذكور على النار فرآه، أي قرينه في وسط الجحيم.

٥٦ . (قال تالله إن...) اقسم بالله إنك قربت أن تهلكني وتسقطني فيما سقطت فيه من الجحيم.

٥٧ . (ولولا نعمة ربِّي...) ولولا توفيق ربّي وهدايته لكنت من المحضرين للعذاب مثلك.

٥٨، ٥٩ . (أفما نحن بميِّتين...) ثمّ يرجع القائل المذكور إلى نفسه وأصحابه فيقول متعجباً: أنحن خالدون منعمون فما نحن بميتين إلاّ الموتة الأولى وما نحن بمعذبين؟

٦٠ . (إنّ هذا لهو الفوز...) هو من تمام قول القائل المذكور، وفيه إعظام لموهبة الخلود وارتفاع العذاب وشكر

[٤٤٦]

للنعمة.

٦١ . (لمثل هذا فليعمل...) لمثل هذا الفوز أو الثواب فليعمل العاملون في دار التكليف.

٦٢ . (أذلك خير نزلاً...) الإشارة بذلك إلى الرّزق الكريم المذكور سابقاً، المعد لورود أهل الجنة والنزل: ما يهيأ لورود الضيف. والزقوم . على ما قيل . إسم شجرة صغيرة الورق كريهة الرائحة ذات لبن إذا أصاب جسد إنسان تورم.

٦٣، ٦٤ . (إنّا جعلناها فتنة...) الضمير لشجرة الزقوم، والفتنة: المحنة والعذاب. (إنّها شجرة تخرج...) وصف لشجرة الزقّوم.

(١١٦/٢)

---

٦٥ . (طلعها كأنّه رؤوس...) تشبيه ثمرة الزقوم برؤوس الشياطين، بعناية أن العامية تصور الشيطان في أقبح صورة.

٦٦ . (فإنّهم لآكلون منها...) يبين كونها نزلاً للظالمين يأكلون منها، وفي قوله: (فمالئون منها البطون) إشارة إلى تسلط جوع شديد عليهم يحرصون به على الأكل كيفما كان.

٦٧ . (ثمّ إنّ لهم عليها...) الشوب: المزيج والخليط. والحميم: الماء الحار البالغ في حرارته. والمعنى: ثمّ إن لاولئك الظالمين . زيادة عليها . لخليطاً مزيجاً من ماء حار بالغ الحرارة يشربونه فيختلط به، ما ملأوا منه البطون من الزقوم.

٦٨ . (ثمّ إنّ مرجعهم...) إنهم بعد شرب الحميم يرجعون إلى الجحيم فيستقرون فيها ويعذبون.

٦٩، ٧٠ . (إنّهم ألفوا آباءهم...) إن سبب أكلهم وشربهم ثم رجوعهم إلى الجحيم، أنهم صادفوا آباءهم ضالين فهم يسرعون على آثارهم.

٧١ . ٧٤ . (ولقد ضلّ قبلهم...) كلام مسوق لإنذار مشركي هذه الأُمة، بتنظيرهم للأُمم الهالكين من قبلهم.

٧٥ . (ولقد نادانا نوح...) أَلْلام للقسم، وهو يدل على كمال العناية بنداء نوح وإجابته تعالى.

٧٦ . (ونجّيناه وأهله...) الكرب . على ما ذكره الراغب . الغم الشديد، والمراد به الطوفان أو أذى قومه.

٧٧ . (وجعلنا ذرّيّته...) [تقدّم معناها] في قصة نوح من سورة هود.

٧٨ . (وتركنا عليه في...) المراد بالترك الإبقاء وبالآخرين: الأُمم الغابرة غير الأولين. فيتأيد بذلك

أن المراد بالابقاء في الآخرين: هو إحياؤه تعالى دعوة نوح عليه السلام إلى التوحيد ومجاهدته في سبيل الله عصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة.

٨٠ . (إنّا كذلك نجزي...) تعليل لما امتن عليه من الكرامة.

٨١ . (إنّه من عبادنا...) تعليل لإحسانه المدلول عليه بالجملة السابقة.

٨٢ . (ثمّ أغرقنا الآخرين...) المراد بالآخرين: قومه المشركون.

---

٨٣ . (وإن من شيعته...) الشيعة: هم القوم المشايعون لغيرهم الذاهبون على أثرهم. أي إن إبراهيم كان ممّن يوافقه في دينه وهو دين التوحيد.

٨٤ . (إذ جاء ربّه...) مجيئه ربه: كناية عن تصديقه له وإيمانه به. والمراد بالقلب السليم ما لا تعلّق بغيره تعالى.٨٥ . (إذ قال لأبيه...) سألهم عن معبودهم وهو يرى أنهم يعبدون الأصنام، تعجباً واستغراباً.

٨٦، ٨٧ . (أ إفكاً آلهة دون...) تقصدون آلهة دون الله إفكاً وافتراءً.

٨٨، ٨٩ . (فنظر نظرة في النّجوم...) لما أراد أهل المدينة أن يخرجوا كافة إلى عيد لهم، نظر إلى النجوم وأخبرهم أنه سقيم تعتريه العلّة فلا يقدر على الخروج معهم.

٩٠ . (فتولّوا عنه مدبرين...) خرجوا من المدينة وخلفوه.

٩١، ٩٢ . (فراغ إلى آلهتهم...) الروغ: الحياد والميل. (ألا تأكلون) فنظر إليها فقال: ألا تأكلون فلم يسمع منها جواباً فقال: (ما لكم لا تنطقون)؟ وأنتم آلهة يزعم عبادكم أنكم عقلاء قادرون مدبرون لأُمورهم.

٩٣ . (فراغ عليهم ضرباً...) مال على آلهتهم يضربهم ضرباً باليد اليمنى، أو بقوة بناءً على كون المراد باليمين القوّة.

٩٤ . (فاقبلوا إليه يزفون...) الزف والزفيف: الاسراع في المشي. أي فجاءوا إلى إبراهيم والحال أنهم يسرعون اهتماماً بالحادثة التي يظنون أنه الذي أحدثها.

٩٥، ٩٦ . (قال أتعبدون...) الاستفهام للتوبيخ، وفيه مع ذلك احتجاج على بطلان طريقتهم.

٩٧ . (قالوا ابنوا له...) البنيان: مصدر بنى يبني. والمراد به: المبنى، والجحيم: النار في شدة تأجّجها.

٩٨ . (فأرادوا به كيداً...) المراد: إحتيالهم إلى إهلاكه واحراقه بالنار.

٩٩ . (قال إنّي ذاهب...) يذكر عزمه على المهاجرة من بين قومه.

١٠٠ . (ربِّ هب لي من...) حكاية دعاء إبراهيم عليه السلام ومسألته الولد.

١٠١ . (فبشّرناه بغلام حليم...) فبشّرناه أنا سنرزقه غلاماً حليماً.

(١١٨/٢)

---

١٠٢ . (فلمّا بلغ معه...) فلمّا ولد له ونشأ وبلغ معه السعي، والمراد ببلوغ السعي: سن الرهاق. (قال يا بني إنّي أرى في المنام...) رؤيا إبراهيم ذبح إبنه. (ستجدني إن شاء الله) تطييب منه لنفس أبيه أنه لا يجزع منه ولا يأتي بما يهيج الوالد عن ولده المرمّل بدمائه.

١٠٣ . (فلمّا أسلما وتله...) الإسلام: الرضا والاستسلام، والتل: الصرع. والجبين: أحد جانبي الجبهة والمعنى: فلما إستسلم إبراهيم وابنه لأمر الله ورضيا به وصرعه إبراهيم على جبينه.

١٠٤ . ١٠٦ . (وناديناه أن يا إبراهيم...) معطوف على جواب «لما» المحذوف. (قد صدقت الرؤيا) أوردتها مورد الصدق وجعلتها صادقة وامتثلت الأمر. (إنّا كذلك نجزي المحسنين) إنا على هذه الوتيرة نجزي المحسنين.

١٠٧ . (وفديناه بذبح عظيم...) وفدينا إبنه بذبح عظيم وكان كبشاً أتى به جبرئيل من عند الله سبحانه فداء على ما في الأخبار.

١٠٨ . (وتركنا عليه في...) تقدّم الكلام فيه.

١٠٩ . (سلام على إبراهيم...) تحية منه تعالى عليه.

١١٠، ١١١ . (إنّا كذلك نجزي...) تقدّم تفسير الآيتين.

١١٢ . (وبشّرناه بإسحاق نبيّاً...) الضمير لابراهيم عليه السلام.

١١٣ . (وباركنا عليه وعلى...) المباركة على شيء: جعل الخير والنماء والثبات فيه، أي وجعلنا فيما أعطينا إبراهيم وإسحاق الخير الثابت والنماء.

١١٤ . (ولقد مننا على...) المن: الإنعام، ومن المحتمل أن يكون المراد به ما سيعده ممّا أنعم عليهما وعلى قومهما، من التنجية والنصر وايتاء الكتاب والهداية وغيرها.

١١٥ . (ونجّيناهما وقومهما من...) من استضعاف فرعون لهم يسومهم سوء العذاب.

١١٦ . (ونصرناهم فكانوا هم...) خروجهم من مصر وجوازهم البحر وهلاك فرعون وجنوده.

١١٧ . (وآتيناهما الكتاب المستبين...) يستبين المجهولات الخفية فيبينها، وهي التي يحتاج إليها الناس في دنياهم وآخرتهم.

١١٨ . (وهديناهما الصّراط...) المراد بها الهداية بتمام معنى الكلمة.

(١١٩/٢)

١١٩ . ١٢٢ . (وتركنا عليهما في...) تقدّم تفسيرها.

١٢٣ . (وإنّ إلياس لمن...) قيل: إنه عليه السلام من آل هارون مبعوثاً إلى بعلبك.

١٢٤ . ١٢٦ . (إذ قال لقومه...) شطر من دعوته عليه السلام يدعو قومه فيها إلى التوحيد، ويوبخهم على عبادة بعل . صنم كان لهم . وترك عبادة الله سُبحانه. وكلامه عليه السلام على ما فيه من التوبيخ واللوم يتضمّن حجّة تامّة على توحيده تعالى. [وقد] أشار إلى أن ربوبيّته تعالى لا تختص بقوم دون قوم، كالأصنام التي يتخذ كل قوم بعضاً منها دون بعض. بل هو تعالى ربّ لهم ولآبائهم الأوّلين. لا يختص ببعض دون بعض لعموم خلقه وتدبيره.

١٢٧ . (فكذّبوه فانّهم لمحضرون...) مبعوثون ليحضروا العذاب.

١٢٨ . (إلاّ عباد الله...) دليل على أنه كان في قومه جمع منهم.

١٢٩ . ١٣٢ . (وتركنا عليه...) تقدّم الكلام في نظائرها.

١٣٣، ١٣٤ . (وإن لوطاً لمن...) إنما نجاه وأهله، من العذاب النازل على قومه، وهو الخسف وإمطار حجارة من سجيل.

١٣٥ . (إلاّ عجوزاً في...) في الباقين في العذاب المهلكين به وهي إمرأة لوط.

١٣٦ . (ثمّ دمّرنا الآخرين...) التدمير: الإهلاك. والآخرين: قومه الذين أُرسل إليهم.

[٤٤٨]

١٣٧، ١٣٨ . (وإنّكم لتمرون عليهم...) فإنهم على طريق الحجاز إلى الشام، والمراد بالمرور عليهم المرور على ديارهم الخربة وهي اليوم مستورة بالماء على ما قيل.

١٣٩، ١٤٠ . (وإنّ يونس لمن...) المراد بإباقه إلى الفلك: خروجه من قومه معرضاً عنهم.

١٤١ . (فساهم فكان من...) المساهمة: المقارعة. والادحاض: الغلبة أي فقارع من في السفينة فكان من المغلوبين، وقد كان عرض لسفينتهم الحوت فاضطروا إلى أن يلقوا واحداً منهم في البحر ليبتلعه ويخلي السفينة، فقارعوا فأصابت يونس عليه السلام.

١٤٢ . (فالتقمه الحوت...) الالتقام: الابتلاع. ومليم: دخل في اللوم.

(١٢٠/٢)

١٤٣، ١٤٤ . (فلولا أنّه كان...) عده من المسبحين وهم الذين تكرر منهم التسبيح وتمكن منهم، حتى صار وصفاً لهم يدل على دوام تلبسه زماناً بالتسبيح.

١٤٥ . (فنبذناه بالعراء وهو...) النبذ: طرح الشيء والرمي به. والعراء: المكان الذي لا سترة فيه

يستظل به من سقف أو خباء أو شجر.

١٤٦ . (وأنبتنا عليه شجرة...) اليقطين: نوع من القرع ويكون ورقه عريضاً مستديراً. وقد أنبتها الله عليه ليستظل بورقها.

١٤٧ . (وأرسلناه إلى مائة...) المراد بهذه الجماعة أهل نينوى.

١٤٨ . (فآمنوا فمتّعناهم إلى...) آمنوا به فلم نعذبهم ولم نهلكهم بما أشرف عليهم من العذاب، فمتعناهم بالحياة والبقاء إلى أجلهم المقدر لهم.

١٤٩ . (فاستفتهم ألربك البنات...) استفهام إنكاري لقولهم بما يلزمه من تفضيلهم على الله، لما أنهم يفضلون البنين على البنات، ويتنزهون منهن ويئدونهن.

١٥٠ . (أم خلقنا الملائكة...) بل أخلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون يشهدون خلقهم، ولم يكونوا شاهدين خلقهم ولا لهم أَنْ يدّعوا ذلك.

١٥١، ١٥٢ . (ألا إنّهم من إفكهم...) ردّ لقولهم بالولادة بأنه من الإفك.

١٥٣ . (أصطفى البنات على...) كرر الإنكار على اصطفاء البنات من بين لوازم قولهم لشدّة شناعته.

١٥٤، ١٥٥ . (ما لكم كيف تحكمون...) [وبّخهم] لكون قولهم حكماً من غير دليل.

١٥٦، ١٥٧ . (أم لكم سلطان مبين...) المراد بالسلطان وهو البرهان: كتاب نازل من عند الله سبحانه يخبر فيه أن الملائكة بناته على ما يعطيه السّياق، فلو كانت دعواهم حقّة وهم صادقون فيها كان لهم أن يأتوا بالكتاب.

١٥٨ . (وجعلوا بينه وبين...) جعل النسب بينه وبين الجنة، قولهم: إن الجنة أولاده. (ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون) للحساب أو للنّار على ما يفيده إطلاق (لمحضرون).

١٥٩، ١٦٠ . (سبحان الله عمّا...) هو منزه عن كل ما يصفه الواصفون.

---

١٦١ . ١٦٣ . (فإنّكم وما تعبدون...) لما كان ما وصفتموه ضلالاً فلستم بمضلين به إلاّ سالكي سبيل النّار.

١٦٤ . ١٦٦ . (وما منّا إلاّ له...) الآيات الثلاث تصف موقف الملائكة في الخلقة وعملهم المناسب لخلقتهم، وهو الاصطفاف لتلقي أمره تعالى، والتنزيه لساحة كبريائه عن الشريك، وكل ما لا يليق بكمال ذاته المتعالية.

١٦٧ . ١٦٩ . (وإن كانوا ليقولون...) الضمير في قوله: (وإن كانوا ليقولون) لقريش والمراد بذكر من الأولين: كتاب سماوي من جنس الكتب النازلة على الأوّلين.

١٧٠ . (فكفروا به فسوف...) فأنزلنا عليهم الذكر وهو القرآن الكريم، فكفروا به ولم يفوا بما قالوا، فسوف يعلمون وبال كفرهم.

١٧١، ١٧٢ . (ولقد سبقت كلمتنا...) كلمته تعالى لهم: قوله الذي قاله فيهم، وهو حكمه وقضاؤه في حقهم. وسبق الكلمة: تقدمها عهداً أو تقدمها بالنفوذ والغلبة.

١٧٣ . (وإنّ جندنا لهم...) المراد بقوله: (جندنا) هو المجتمع المؤتمر بأمره، المجاهد في سبيله، وهم المؤمنون خاصة أو الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين.

[٤٤٩]

١٧٤ . (فتولّى عنهم حتّى...) وعد للنبيّ صلى الله عليه وآله بالنصر والغلبة، وايعاد للمشركين ولقريش خاصة.

١٧٥ . (وأبصرهم فسوف...) أنظرهم وأبصر ما هم عليه من الجحود والعناد قبال إنذارك وتخويفك، فسوف ينظرون وبال جحودهم واستكبارهم.

١٧٦، ١٧٧ . (أفبعذابنا يستعجلون...) توبيخ لهم لاستعجالهم وقولهم: متى هذا الوعد؟ متى هذا الفتح؟

١٧٨، ١٧٩ . (وتولّ عنهم حتّى...) تأكيد لما مر، بتكرار الآيتين على ما قيل.

١٨٠ . (سبحان ربّك ربّ...) تنزيه له تعالى عمّا يصفه به الكفار المخالفون لدعوة النبيّ صلى الله عليه وآله.

١٨١ . (وسلام على المرسلين...) تسليم على عامة المرسلين، وصون لهم من أن يصيبهم من قبله تعالى ما يسوؤهم ويكرهونه.

١٨٢ . (والحمد لله ربّ...) تقدّم الكلام فيه في تفسير سورة الفاتحة.

«سورة ص»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (ص والقرآن ذي...) أقسم بالقرآن المتضمن للذكر . إنك لمن المنذرين . بل الذين كفروا في امتناع عن قبوله واتباعه.

٣ . (كم أهلكنا من قبلهم...) كثيراً ما أهلكنا من قبل هؤلاء الكفار من قرن وامة، بتكذيبهم الرسل المنذرين، فنادوا عند نزول العذاب بالويل.

٤ . (وعجبوا أن جاءهم...) تعجبوا من مجيء منذر من نوعهم بأن كان بشراً، فإن الوثنية تنكر رسالة البشر. (وقال الكافرون هذا ساحر) يشيرون بهذا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ . (أجعل الآلهة إلهاً...) العجاب: اسم مبالغة من العجب وهو من تتمة قول الكافرين.

٦ . (وانطلق الملأ منهم...) إن اشراف قريش اجتمعوا على النبيّ صلى الله عليه وآله ليحلوا مشكلة دعوته إلى التوحيد ورفض الآلهة، بنوع من الاستمالة وكلموه في ذلك، فما وافقهم في شيء منه، ثمّ انطلقوا وقال بعضهم لبعض أو قالوا لأتباعهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ولا تتركوا عبادتها وإن عابها وقدح فيها، ظاهره أنه إشارة إلى ما يدعو إليه النبيّ صلى الله عليه وآله ويطلبه، وأن مطلوبه شيء يراد بالطبع وهو السيادة والرئاسة وإنما جعل الدعوة ذريعة.

٧ . (ما سمعنا بهذا في...) أرادوا بالملة الآخرة: المذهب الذي تداوله الآخرون من الأُمم المعاصرين لهم أو المقارنين لعصرهم.

٨ . (أ أنزل عليه الذِّكر...) لا مرجح عند محمّد صلى الله عليه وآله يترجح به علينا فينزل عليه الذكر دوننا. (بل هم في شكٍّ من ذكري...) إنهم لم يقولوا عن إيمان واعتقاد به، بل هم في شكّ من ذكري وهو القرآن. وفي قوله: (لما يذوقوا عذاب) أي لم يذوقوا بعد عذابي.

٩ . (أم عندهم خزائن...) ليس عندهم شيء من خزائن رحمته.

١٠ . (أم لهم ملك السّماوات...) بل ألهم ملك السّماوات والأرض فيكون لهم أن يتصرفوا فيها، فيمنعوا نزول الوحي السماوي إلى بشر أرضي، فإن كان كذلك فليصعدوا معارج السّماوات، أو فليتسببوا الأسباب وليمنعوا من نزول الوحي عليك.

---

١١ . (جند ما هنالك مهزوم...) هم جند ما أقلاّء أذلاّء منهزمون هنالك.

١٢ . ١٤ . (كذّبت قبلهم قوم...) ذو الأوتاد: وصف فرعون. وأصحاب الأيكة: قوم شعيب. (فحقّ عقاب) ثبت في حقهم واستقر فيهم عقابي فأهلكتهم.

١٥ . (وما ينظر هؤلاء...) وما ينظر هؤلاء المكذبون من امتك إلاّ صيحة واحدة تقضي عليهم وتهلكهم، ما لها من رجوع أو مهلة وهي عذاب الاستئصال.

١٦ . (وقالوا ربّنا عجّل...) القط: النصيب والحظ.

١٧ . (إصبر على ما يقولون...) الأيد: القوة، وكان عليه السلام ذا قوة في تسبيحه تعالى يسبح وتسبح معه الجبال والطير، وذا قوة في ملكه وذا قوة في علمه وذا قوة وبطش في الحروب، وقد قتل جالوت الملك كما قصه الله في سورة البقرة. والأواب:

[٤٥٠]

اسم مبالغة من الأوب بمعنى الرجوع والمراد به كثرة رجوعه إلى ربّه.

١٨ . (إنّا سخّرنا الجّبال...) العشي والإشراق: الرواح والصباح.

١٩ . (والطّير محشورة كل...) وسخرنا معه الطّير مجموعة له تسبح معه. (كل له أواب) كل من الجبال والطير أواب أي كثير الرجوع إلينا بالتسبيح.

٢٠ . (وشددنا ملكه وآتيناه...) شد الملك: من الاستعارة بالكناية، والمراد به: تقوية الملك وتحكيم أساسه بالهيبة والجنود والخزائن وحسن التدبير وسائر ما يتقوى به الملك. والحكمة في الأصل: بناء نوع من الحكم، والمراد بها: المعارف الحقة.

٢١ . (وهل أتاك نبأ...) هل أتاك يا محمّد خبر القوم المتخاصمين إذ علوا سور المحراب، محراب داود عليه السلام.

(١٢٤/٢)

---

٢٢ . (إذ دخلوا على...) إنهم دخلوا على داود وهو في محرابه لا من الطريق العادي، بل بتسوره بالارتقاء إلى سوره والورود عليه منه، ولذا فزع منهم. (قالوا لا تخف خصمان...) لما رأوا ما عليه داود عليه السلام من الفزع، أرادوا تطييب نفسه وإسكان روعه فقالوا: (لا تخف) وهو نهي عن الفزع، (خصمان بغى) نحن خصمان أي فريقان متخاصمان تجاوز بعضنا ظلماً على بعض. (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) فاحكم بيننا حكماً مصاحباً للحق ولا تجر في حكمك، ودلنا على الوسط العدل من الطريق.

٢٣ . (إنّ هذا أخي...) كلام لواحد من أحد الفريقين يشير إلى آخر. (له تسع وتسعون نعجة...). النعجة: الأُنثى من الضأن، و (اكفلنيها) أي اجعلها في كفالتي وتحت سلطتي و (عزني في الخطاب) غلبني فيه، والباقي ظاهر.

٢٤ . (قال لقد ظلمك...) أقسم لقد ظلمك بسؤال إضافة نعجتك إلى نعاجه. (وإن كثيراً من الخلطاء...) من تمام كلام داود عليه السلام يقرر به كلامه الأول، والخلطاء: الشركاء المخالطون. (وظنّ داود أنّما...) وعلم داود أن هذه الواقعة إنما كانت إمتحاناً إمتحناه وأنه أخطأ فاستغفر ربّه . ممّا وقع منه . وخر منحنياً وتاب إليه.

٢٥ . (...وإنّ له عندنا لزلفى...) الزلفة والزلفى: المنزلة والحظوة. والمآب: المرجع.

٢٦ . (يا داود إنّا جعلناك...) التقدير: فغفرنا له ذلك وقلنا يا داود...الخ. وظاهر الخلافة أنها خلافة الله، (ولا تتبع الهوى فيضلك...) ولا تتبع في قضائك الهوى هوى النفس، فيضلك عن الحق الذي هو سبيل الله. (إن الّذين يضلّون عن سبيل...) تعليل للنهي عن اتباع الهوى بأنه يلازم نسيان يوم الحساب، وفي نسيانه عذاب شديد، والمراد بنسيانه عدم الاعتناء بأمره.

٢٧ . (وما خلقنا السّماء...) لما انتهى الكلام إلى ذكر يوم الحساب، عطف عنان البيان عليه، فاحتج عليه بحجتين إحداهما ما ساقه في هذه الآية بقوله: (وما خلقنا السّماء).

٢٨ . (ألم نجعل الّذين...) هذه هي الحجة الثانية على المعاد، فلو كانت الحياة مقصورة على هذه الحياة الدنيوية. كان ذلك منافياً للعناية الإلهية بايصال كل ذي حق حقّه.

٢٩ . (كتاب أنزلناه إليك...) هذا كتاب أنزلناه إليك، كثير الخيرات، ليتدبّره الناس فيهتدوا به أو تتم لهم الحجّة.

٣٠ . (ووهبنا لداود سليمان...) وهبنا له ولداً. والباقي ظاهر ممّا تقدّم.

٣١ . (إذ عرض عليه...) العشي: مقابل الغداة وهو آخر النهار بعد الزوال. والصافنات على ما في المجمع: جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر.

٣٢ . (فقال إنّي أحببت...) المراد بالخير: الخيل . على ما قيل . فإن العرب تسمّي الخيل خيراً. إني شغلني حب الخيل . حين عرض الخيل عليّ . عن الصّلاة حتى فات وقتها بغروب الشّمس. وإنما كان يحب الخيل في الله ليتهيأ للجهاد.

٣٣ . (ردّوها عليّ فطفق...) قيل: الضمير في (ردّوها) للشّمس، وهو أمر منه للملائكة برد الشّمس ليصّلي صلاته في وقتها. وقوله: (فطفق مسحاً بالسّوق والأعناق) أي شرع يمسح ساقيه وعنقه ويأمر أصحابه أن يمسحوا سوقهم وأعناقهم، وكان ذلك وضوءهم ثمّ صلى وصلّوا، وقد ورد ذلك في بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام.

[٤٥١]

٣٤ . (ولقد فتنّا سليمان...) الجسد: هو الجسم الذي لا روح فيه. إنه كان جسد صبي له أماته الله والقى جسده على كرسيّه.

٣٥ . (قال ربِّ اغفر...) ظاهر السّياق أن الاستغفار مرتبط بما في الآية السّابقة من القاء الجسد على كرسيه.

٣٦ . (فسخّرنا له الرّيح...) الرخاء: اللينة. (حيث أصاب) حيث شاء سليمان عليه السلام وقصد.

٣٧ . (والشّياطين كلّ بناء...) وسخرنا له الشّياطين من الجن كل بناء منهم يبني له في البر، وكل غواص يعمل له في البحر فيستخرج اللآلئ وغيرها.

٣٨ . (وآخرين مقرنين في...) وسخرنا له آخرين منهم مجموعين في الأغلال.

٣٩ . (هذا عطاؤنا فامنن...) هذا الذي ذكر من الملك، عطاؤنا لك بغير حساب. والظاهر أن المراد بكونه بغير حساب: أنه لا ينفد. (فامنن أو أمسك) أي أنهما يستويان في عدم التأثير فيه.

٤٠ . (وإنّ له عندنا...) تقدّم معناه.

٤١ . (واذكر عبدنا أيّوب...) دعاء منه عليه السلام وسؤال للعافية وأن يكشف عنه ربّه ما أصابه من سوء الحال، ولم يصرِّح بما يريده ويسأله تواضعاً وتذلّلاً، غير أن نداءه تعالى بلفظ ربي يشعر أنه يناديه لحاجة.

٤٢ . (اركض برجلك هذا...) إيذان باستجابة دعائه.

٤٣ . (ووهبنا له أهله...) ورد في الرواية أنه ابتلى بموت جميع أهله إلاّ امرأته، وأن الله أحياهم له ووهبهم له ومثلهم معهم.

٤٤ . (وخذ بيدك ضغثاً...) في المجمع: الضغث ملء الكف من الشجرة والحشيش والشماريخ ونحو ذلك.

٤٥ . (واذكر عبادنا إبراهيم...) كونهم اولي الأيدي والأبصار: كناية عن قوتهم في الطاعة، وإيصال الخير، وتبصرهم في إصابة الحق في الاعتقاد والعمل.

٤٦ . (إنّا أخلصناهم بخالصة...) إنما كانوا أولي الأيدي والأبصار، لأنا أخلصناهم بخصلة خالصة عظيمة الشأن هي ذكرى الدار الآخرة.

٤٧ . (وإنّهم عندنا لمن...) الأخيار: جمع خير مقابل الشر على ما قيل.

٤٩ . (هذا ذكر وإن...) الظاهر أن الإشارة بهذا إلى القرآن، والمراد بالذكر: ما يشتمل عليه من الذكر.

٥٠ . (جنّات عدن مفتّحة...) جنات استقرار وخلود وكون الأبواب مفتحة لهم كناية عن أنهم غير ممنوعين عن شيء من النعم الموجودة فيها.

٥١ . (متّكئين فيها يدعون...) حال كونهم جالسين فيها بنحو الاتكاء والاستناد جلسة الأعزّة والأشراف. (يدعون فيها بفاكهة) يتحكمون فيها بدعوة الفاكهة وهي كثيرة والشراب، فإذا دعيت فاكهة أو دعي شراب، أجابهم المدعو فأتاهم من غير حاجة إلى من يحمله ويناوله.

---

٥٢ . (وعندهم قاصرات الطّرف...) المراد: قصور طرفهنّ على أزواجهنّ يرضين بهم ولا يرون غيرهم، أو هو كناية عن كونهنّ ذوات غنج ودلال. والأتراب: الأقران، أي أنهنّ أمثال لا يختلفن سنّاً أو جمالاً، أو أنهنّ أمثال لأزواجهنّ فكلّما زادوا نوراً وبهاءً زِدن حسناً وجمالاً.

٥٣ . (هذا ما توعدون لِيومِ...) الإشارة إلى ما ذكر من الجنّة ونعيمها.

٥٤ . (إن هذا لرزقنا...) النفاد: الفناء والإنقطاع.

٥٥ . (هذا وإن للطّاغين...) الإشارة بهذا إلى ما ذكر من مقام المتقين، والباقي ظاهر.

٥٦ . (جهنّم يصلونها فبئس...) الصلي: دخول النار ومقاساة حرارتها أو اتباعها. والمهاد . على ما في المجمع . الفراش الموطأ.

٥٧ . (هذا فليذوقوه حميم...) الحميم: الحار الشديد الحرارة. والغسّاق: على ما في المجمع . قيح شديد النتن.

٥٨ . (وآخر من شكله...) وهذا آخر من جنس الحميم والغساق، أنواع مختلفة ليذوقوها.

٥٩ . (هذا فوج مقتحم...) خطاب يخاطب به المتبوعون، يشار به إلى التابعين الّذين يدخلون النار من المتبوعين فوجاً. والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة وصعوبة. (لا مرحباً بهم) نفي الرحب والسعة عنهم.

٦٠ . (قالوا بل أنتم...) نقل كلام التابعين وهم القائلون، يردون إلى متبوعيهم نفي التحيّة ويذمون القرار في النار.

٦١ . (قالوا ربّنا من قدّم...) الضعف: المثل و (عذاباً ضعفاً) ضعفين من العذاب.

[٤٥٢]

٦٢ . (وقالوا ما لنا لا نرى...) القائلون . على ما يعطيه السّياق . مطلق أهل النار، ومرادهم بالرّجال الذين كانوا يعدّونهم من الاشرار: المؤمنون وهم في الجنة فيطلبهم أهل النار فلا يجدونهم فيها.

٦٣ . (اتّخذناهم سخريّاً...) أتخذناهم سخرياً في الدنيا فأخطأنا وقد كانوا ناجين، أم عدلت أبصارنا فلا نراهم وهم معنا في النار.

---

٦٤ . (إنّ ذلك لحقّ...) إشارة إلى ما حكى من تخاصمهم، وبيان أن تخاصم أهل النار ثابت واقع لا ريب فيه، وهو ظهور ما استقر في نفوسهم في الدنيا من ملكة التنازع والتشاجر.

٦٥، ٦٦ . (قل إنّما أنا منذر...) في الآيتين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بابلاغ أنه منذر وأن الله تعالى واحد في الالوهية.

٦٧، ٦٨ . (قل هو نبأ عظيم...) قيل: الضمير للقرآن فهو النبأ العظيم الذي أعرضوا عنه، وهو أوفق لسياق الآيات السابقة المرتبطة بأمر القرآن.

٦٩ . (ما كان لي من...) الملأ الأعلى: جماعة الملائكة، وكأن المراد باختصامهم: ما أشار تعالى إليه بقوله: (إذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة).

٧٠ . (إن يوحى إليّ...) لم أكن أعلم ذلك، لأن علمي ليس من قبل نفسي، وإنما هو بالوحي.

٧١ . (إذ قال ربّك...) الذي يعطيه السّياق أن الآية من كلامه تعالى يشير إلى زمان اختصام الملأ الأعلى. وقد عد في الآية مبدأ خلق الإنسان الطين.

٧٢ . (فإذا سوّيته ونفخت...) تسوية الإنسان: تعديل أعضائه بتركيب بعضها على بعض وتتميمها صورة إنسان تام. ونفخ الروح فيه: جعله ذا نفس حيّة إنسانية.

٧٣ . (فسجد الملائكة كلّهم...) ظاهر الدلالة على سجود الملائكة له من غير استثناء.

٧٤ . (إلاّ إبليس استكبر...) استكبر إبليس فلم يسجد له، وكان قبل ذلك من الكافرين.

٧٥ . (قال يا إبليس...) إستفهام توبيخ، أي: أكان عدم سجودك لأنك استكبرت، أم كنت من الذين يعلون، أي يعلو قدرهم أن يؤمروا بالسجود.

٧٦ . (قال أنا خير منه...) تعليل عدم سجوده بما يدعيه من شرافة ذاته، وأنه لكون خلقه من نار خير من آدم المخلوق من طين.

٧٧، ٧٨ . (قال فاخرج منها...) الرجم: الطرد، ويوم الدّين: يوم الجزاء.

---

٧٩ . ٨١ . (قال ربّ فأنظرني...) ظاهر تغير الغاية في السؤال والجواب حيث قال: (إلى يوم يبعثون) فاجيب بقوله: (إلى يوم الوقت المعلوم) أن ما اجيب إليه غير ما سأله، فهو لا محالة آخر يوم يعصي فيه الناس ربهم، وهو قبل يوم البعث.

٨٢، ٨٣ . (قال فبعزّتك لأغوينهم...) أقسم بعزّته ليغوينهم أجمعين، واستثنى منهم المخلصين، وهم الذين أخلصهم الله لنفسه فلا نصيب فيهم لإبليس ولا لغيره.

٨٤ . (قال فالحق والحق...) جوابه تعالى لإبليس وهو يتضمن القضاء عليه وعلى من تبعه بالنار.

٨٥ . (لأملأنّ جهنّم منك...) متن القضاء الذي قضى به وكأن المراد بقوله: (منك) جنس الشياطين حتى يشمل إبليس وذريته وقبيله، وقوله: (وممّن تبعك منهم) أي من الناس ذرية آدم.

٨٦ . (قل ما أسألكم عليه...) رجوع إلى ما تقدم في أوّل السورة وخلال آياتها، أن القرآن ذكر وأن ليس النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ منذراً لا غير. (وما أنا من المتكلّفين) مِن أهل التكلف، وهو التصنع والتحلي بما ليس له.

٨٧ . (إن هو إلاّ ذكر...) القرآن ذكر عام للعالمين من جماعات الناس ومختلف الشعوب والأُمم.

٨٨ . (ولتعلمّن نبأه بعد...) لتعلمن ما أخبر به القرآن من الوعد والوعيد وظهوره على الأديان وغير ذلك، بعد حين أي بعد مرور زمان.

«سورة الزّمر»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (تنزيل الكتاب من...) هذا كتاب منزل من الله العزيز الحكيم.
٢ . (إنّا أنزلنا إليك...) أنزلناه إليك متلبساً بالحق، فما فيه من الأمر بعبادة الله وحده حق.

(١٣٠/٢)

---

٣ . (ألا لله الدِّين...) معنى كون الدين الخالص له: أنه لا يقبل العبادة ممّن لا يعبده وحده، سواء عبده مع غيره أو عبد غيره وحده. (والّذين اتّخذوا من دونه...) المراد بهم: المشركون القائلون بربوبية الشركاء والوهيتهم دون الله، إلاّ ما ذهب إليه جهلتهم من كونه تعالى شريكاً لهم في المعبودية. (ما نعبدهم إلاّ ليقربونا...) يقولون ما نعبد هؤلاء إلاّ ليقربونا بسبب عبادتنا لهم إلى الله تقريباً. (إنّ الله يحكم بينهم...) إنّ الله يحكم بين المشركين وبين أوليائهم فيما هم فيه يختلفون. وقيل أن المعنى: أن الله يحكم بينهم وبين المخلصين للدّين.
٤ . (لو أراد الله أن...) إحتجاج على نفي قولهم: إن الله اتخذ ولداً، وقول بعضهم: الملائكة بنات الله. (سبحانه) تنزيه له سبحانه.
٥ . (خلق السّماوات والأرض...) الآية والتي تليها مسوقتان لتوحيد الرّبوبية. وقد جمع فيهما بين الخلق والتدبير. (ويكور اللّيل على النّهار...) المراد: استمرار توالي اللّيل والنّهار بظهور هذا على ذاك، ثمّ ذاك على هذا وهكذا. (وسخّر الشّمس والقمر...) سخر الشّمس والقمر فأجراهما للنظام الجاري في العالم الأرضي إلى أجل مسمّىً معين لا يتجاوزانه.

(١٣١/٢)

---

٦ . (خلقكم من نفس...) الخطاب لعامة البشر، والمراد بالنفس الواحدة: آدم أبو البشر، والمراد بزوجها: إمرأته. والمراد أنه تعالى خلق هذا النوع وكثر أفراده من نفس واحدة وزوجها. (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) الأنعام هي الإبل والبقر والضأن والمعز، وكونها ثمانية أزواج إعتبار انقسامها إلى ذكر وأُنثى. (يخلقكم في بطون أُمّهاتكم...) بيان لكيفية خلق من تقدم ذكره من البشر والأنعام، والخلق من بعد الخلق: التوالي والتوارد كخلق النطفة علقة وخلق العلقة مضغة وهكذا، والظلمات الثلاث: هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة. كما قيل ورواه في المجمع عن أبي جعفر عليه السلام. (فأنّى تصرفون) فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره وهو ربكم الذي خلقكم ودبر أمركم وهو المليك عليكم.
٧ . (إن تكفروا فإنّ...) إن تكفروا بالله فلم توحدوه، فإنه غني عنكم لذاته، لا ينتفع بايمانكم وطاعتكم

ولا يتضرر بكفركم ومعصيتكم. (وإنْ تشكروا يرضه لكم) وإن تشكروا الله بالجري على مقتضى العبودية وإخلاص الدين له، يرض الشكر لكم وأنتم عباده. (ولا تزر وازرة وزر أُخرى) لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أُخرى، أي لا يؤاخذ بالذنب إلاّ من ارتكبه. (ثمّ إلى ربّكم مرجعكم...) هذا في الدنيا من كفر أو شكر، ثمّ يبعثكم الله فيظهر لكم حقيقة أعمالكم ويحاسبكم على ما في قلوبكم.

٨ . (وإذا مسّ الإنسان...) إذا أصاب الإنسان ضر من شدة أو مرض أو قحط ونحوه، دعا ربه راجعاً إليه معرضاً عمّن سواه يسأله كشف الضر عنه. (ثمّ إذا خوّله نعمة منه...) وإذا أعطاه ربّه سبحانه بعد كشف الضر، نعمة منه اشتغل بها مستغرقاً ونسي الضر الذي كان يدعو إليه، أي إلى كشفه من قبل إعطاء النعمة. (وجعل لله أنداداً...) الأنداد: الأمثال والمراد بها . على ما قيل . الأصنام وأربابها. (قل تمتع بكفرك قليلاً...) تمتع تمتعاً قليلاً لا يدوم لك لأنك من أصحاب النار مصيرك إليها.

(١٣٢/٢)

---

٩ . (أم من هو قانت...) أهذا الكافر الذي هو من أصحاب النار خير، أم من هو لازم للطاعة والخضوع لربّه في أوقات الليل، إذا جن عليه ساجداً في صلاته تارة قائماً فيها اخرى، يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه لا يستويان. (إنّما يتذكّر أُولو الألباب) ذوو العقول.

١٠ . (قُل يا عبادي الّذين...) المراد: وعد الّذين أحسنوا، أي لزموا الأعمال الحسنة، أن لهم حسنة لا يقدر وصفها بقدر. (وأرض الله واسعة) حث وترغيب لهم في الهجرة من مكة، إذ كان التوقف فيها صعباً على المؤمنين بالنبيّ صلى الله عليه وآله،

[٤٥٤]

والمشركون يزيدون كل يوم في التشديد عليهم وفتنتهم، والآية بحسب لفظها عامة. (إنّما يوفى الصّابرون أجرهم...) توفية الأجر: إعطاؤه تاماً كاملاً.

١١، ١٢ . (قل إنّي أمرت...) أنا كأحدكم مأمور بعبادته مخلصاً له الدين، ولا ذلك فحسب، بل مأمور بأن أكون أوّل المسلمين لما ينزل إليّ من الوحي فاسلم له أوّلاً، ثمّ ابلغه غيري.

١٣ . (قل إنّي أخاف...) المراد بمعصية ربّه بشهادة السّياق مخالفة أمره بعبادته مخلصاً له الدّين. وباليوم العظيم: يوم القيامة.

١٤، ١٥ . (قل الله أعبد...) تصريح بأنه ممتثل لأمر ربّه مطيع له، وإيئاس لهم أن يطمعوا فيه أن يخالف أمر ربّه. (قل إنّ الخاسرين...) خسران النفس: هو إيرادها مورد الهلكة والشقاء، بحيث يبطل منها استعداد الكمال.

١٦ . (لهم من فوقهم ظلل...) الظلل: جمع ظلة وهي . كما قيل . الستر العالي. والمراد بكونها من فوقهم ومن تحتهم: احاطتها بهم، فان المعهود من النار الجهتان. والباقي ظاهر.

(١٣٣/٢)

---

١٧ . (والّذين اجتنبوا الطّاغوت...) قال الرّاغب: الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع. انتهى. والظاهر أن المراد بها في الآية: الأوثان وكل معبود طاغ من دون الله. ولم يقتصر على مجرد اجتناب عبادة الطاغوت بل أضاف إليه قوله: (وأنابوا إلى الله) إشارة إلى أن مجرد النفي لا يجدي شيئاً، بل الذي ينفع الإنسان مجموع النفي والإثبات، عبادة الله وترك عبادة غيره وهو عبادته مخلصاً له الدّين.

١٨ . (الّذين يستمعون القول...) مفاده: إنهم طالبو الحق والرشد، يستمعون القول رجاء أن يجدوا فيه حقاً، وخوفاً أن يفوت شيء منه.

١٩ . (أفمن حقّ عليه كلمة...) ثبوت كلمة العذاب: وجوب دخول النار بالكفر.

٢٠ . (لكنّ الّذين اتّقوا...) الغرف: جمع غرفة وهي المنزل الرفيع. (وعد الله) وعدهم الله ذلك وعداً. (لا يخلف الله الميعاد) إخبار عن سنّته تعالى في مواعيده، وفيه تطييب لنفوسهم.

٢١ . (ألَم تَرَ أنّ الله...) قال في المجمع: الينابيع: جمع ينبوع وهو الذي ينبع منه الماء. (فسلكه ينابيع في الأرض) فأدخله في عيون ومجاري في الأرض.

٢٢ . (أفمن شرح الله...) شرح الصدر: بسطه ليسع ما يلقى إليه من القول (فويل للقاسية قلوبهم...) تفريع على الجملة السابقة بما يدل على أن القاسية القلوب لا يتذكرون بآيات الله، فلا يهتدون إلى ما تدل عليه من الحق. وفي الآية تعريف الهداية بلازمها وهو شرح الصدر وجعله على نور من ربّه، وتعريف الضلال بلازمه وهو قساوة القلب من ذكر الله.

(١٣٤/٢)

---

٢٣ . (الله نزّل أحسن...) هو القرآن الكريم، والحديث: هو القول، فهو أحسن القول لاشتماله على محض الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلامه المجيد. (كتاباً متشابهاً) يشبه بعض أجزائه بعضاً. (مثاني) جمع مثنية بمعنى المعطوف، لانعطاف بعض آياته على بعض، ورجوعه إليه بتبين بعضها ببعض، وتفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها. (تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم) وليس ذلك إلاّ لأنهم على تبصر من موقف نفوسهم قبال عظمة ربّهم، فإذا

سمعوا كلامه توجهوا إلى ساحة العظمة والكبرياء فغشيت قلوبهم الخشية، وأخذت جلودهم في الاقشعرار. (ثمّ

[٤٥٥]

تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) ثمّ تسكن وتطمئن جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، لينة تقبله، أو تلين له ساكنة إليه. (ذلك هدى الله يهدي به...) ما يأخذهم من اقشعرار الجلود من القرآن، ثمّ سكون جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، هو هدى الله.

٢٤ . (أفمن يتّقي بوجهه...) مقايسة بين أهل العذاب يوم القيامة، والآمنين منه، والفريقان هما أهل الضلال وأهل الهدى.

٢٥ . (كذّب الّذين من...) في الآية وما بعدها بيان لما أصاب بعض الكفار من عذاب الخزي، ليكون عبرة لغيرهم.

٢٦ . (فأذاقهم الله الخزي...) الخزي: هو الذّل والصغار.

٢٧ . (ولقد ضرَبنا للنّاس...) ضربنا لهم من كل نوع من الأمثال شيئاً، لعلهم ينتبهون ويعتبرون ويتعظون بتذكر ما تتضمّنه.

٢٨ . (قرآناً عربيّاً غير...) العوج: الانحراف والانعطاف.

٢٩ . (ضرب الله مثلاً...) مثل ضربه الله للمشرك الذي يعبد أرباباً وآلهة مختلفين، فيشتركون فيه وهم متنازعون، فيأمره هذا بما ينهاه عنه الآخر، وكل يريد أن يتفرد فيه ويخصه بخدمة نفسه. وللموحد الذي هو خالص لمخدوم واحد، لا يشاركه فيه غيره فيخدمه فيما يريد منه من غير تنازع يؤدي إلى الحيرة.

٣٠، ٣١ . (إنّك ميِّت وإنّهم...) إن عاقبتك وعاقبتهم الموت، ثمّ إنكم جميعاً يوم القيامة بعدما حضرتم عند ربّكم تختصمون، والمراد بالاختصام: ما يقع بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين الكافرين من أُمّته يوم القيامة.

٣٢ . (فمن أظلم ممّن كذّب...) افترى عليه بأن ادعى أن له شركاء. (وكذّب بالصّدق إذ جاءه) المراد بالصّدق: الصّادق من النبأ، وهو الدين الإلهي الذي جاء به الرّسول. (أليس في جهنّم مثوىً...) إن في جهنّم مقام هؤلاء الظالمين لتكبرهم على الحق.

٣٣ . (والّذي جاء بالصّدق...) المراد بالمجيء بالصدّق: الإتيان بالدين الحق. والمراد بالتصديق به: الإيمان به. والذي جاء به: النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣٤ . (لهم ما يشاءون عند...) هذا جزاؤهم عند ربّهم، وهو أن لهم ما تتعلق به مشيئتهم.

٣٥ . (ليكفّر الله عنهم...) من المعلوم أنه إذا كفر أسوأ أعمالهم كفر ما دون ذلك، والمراد بأسوأ الذي عملوا: ما هو كالشرك والكبائر.

٣٦، ٣٧ . (أليس الله بكاف...) تأمين للنبيّ صلى الله عليه وآله قبال تخويفهم إياه بآلهتهم، وكناية عن وعده بالكفاية. (ومن يضلل الله فما له...) إشارة إلى أن هؤلاء المخوفين لا يهتدون بالإيمان أبداً، ولن ينجح مسعاهم وأنهم لن ينالوا بغيتهم ولا امنيتهم من النبيّ صلى الله عليه وآله فإن الله لن يضله وقد هداه.

٣٨ . (ولئن سألتهم من...) شروع في إقامة الحجة وقد قدم لها مقدمة تبتني الحجة عليها، وهي مسلمة عند الخصم، وهي أن خالق العالم هو الله سبحانه. (قل أفرأيتم ما تدعون...) أقم الحجة عليهم وقل: أخبروني عمّا تدعون من دون الله. (قل حسبي الله) أمر بالتوكل عليه تعالى. (عليه يتوكّل المتوكّلون) ثناء عليه تعالى بأنه الأمل للتوكل عليه.

(١٣٦/٢)

٣٩، ٤٠ . (قل يا قوم اعملوا...) قل مخاطباً للمشركين من قومك: يا قوم اعملوا . مستمرين . على حالتكم التي أنتم عليها من الكفر والعناد، إني عامل . كما اؤمر غير منصرف عنه . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويذلّه، وهو عذاب الدنيا كما في يوم بدر ويحل عليه، ولا يفارقه عذاب دائم وهو عذاب الآخرة.

[٤٥٦]

٤١ . (إنّا أنزلنا عليك...) في مقام التعليل للأمر الذي في الآية السابقة. والمعنى: إنما امرناك أن تهددهم بما قلنا، لأنا نزلنا عليك الكتاب بالحق، لأجل أن تقرأه على الناس لا غير، فمن اهتدى منهم فانما يعود نفعه إلى نفسه، ومن ضل ولم يهتد به فإنما يعود ضرره إلى نفسه، وما أنت وكيل من قبلنا عليهم، تدبر شؤونهم فتوصل الهدي إلى قلوبهم، فليس لك من الأمر شيء.

٤٢ . (الله يتوفّى الأنفس...) المراد بالأنفس: الأرواح المتعلقة بالأبدان. (والّتي لم تمت في منامها) ويتوفى الأنفس التي لم تمت وقت نومها. (فيمسك الّتي قضى عليها الموت...) فيحفظ النفس التي قضى عليها الموت كما يحفظ النفس التي توفاها حين موتها ولا يردها إلى بدنها، ويرسل النفس الأُخرى التي لم يقض عليها الموت إلى بدنها إلى أجل مسمى تنتهي إليه الحياة.

٤٣ . (أم اتّخذوا من...) قل لهم: هل تتخذونهم شفعاء لكم، ولو كانوا لا يملكون من عند أنفسهم شيئاً، كالملائكة. ولا يعقلون شيئاً كالأصنام.

٤٤ . (قل لله الشّفاعة جميعاً...) كل شفاعة فانها مملوكة لله، فإنه المالك لكل شيء، إلاّ أن يأذن لأحد في شيء منها فيملكه إياها. (ثمّ إليه ترجعون) تعليل آخر لكونه يملك الشفاعة جميعاً الدال

على الحصر، وذلك أن الشفاعة إنّما يملكها الذي ينتهي إليه أمر المشفوع له، إن شاء قبلها وأصلح حال المشفوع له، واما غيره فإنما يملكها إذا رضي بها وأذن فيها، والله سبحانه هو الذي يرجع إليه العباد دون الذين يدعون من دون الله، فالله هو المالك للشفاعة جميعاً.

(١٣٧/٢)

---

٤٥ . (وإذا ذكر الله...) المراد من ذكره تعالى وحده: جعله مفرداً بالذكر من غير ذكر آلهتهم. وإنما ذكر من وصفهم عدم إيمانهم بالآخرة، لأن ذلك هو الأصل في اشمئزازهم. ولو كانوا مؤمنين بالآخرة وأنهم يرجعون إلى الله فيجازيهم بأعمالهم، عبدوه دون أوليائهم ولم يرغبوا عن ذكره وحده. (وإذا ذكر الّذين...) المراد بالّذين من دونه: آلهتهم.

٤٦ . (قل اللّهمّ فاطر...) وصف الله تعالى بأنه فاطر السّماوات والأرض، أي مخرجها من كتم العدم إلى ساحة الوجود، وعالم الغيب والشهادة فلا يخفى عليه شيء، ولازمه أن يحكم بالحق وينفذ حكمه.

٤٧ . (ولو أن للّذين ظلموا...) ولو أن للظالمين المنكرين للمعاد ضعفي ما في الأرض من أموال وذخائر وكنوز، لجعلوه فدية من سوء العذاب. (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) المراد بيان أنهم سيواجهون يوم القيامة أُموراً على صفة، هي فوق ما تصوروه وأعظم وأهول مما خطر ببالهم.

٤٨ . (وبدا لهم سيِّئات...) ظهر لهم سيّئات أعمالهم بعد ما كانت خفية عليهم. (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) ونزل عليهم وأصابهم ما كانوا يستهزءون به في الدنيا، إذا سمعوه من أولياء الدين من شدائد يوم القيامة وأهواله وأنواع عذابه.

٤٩ . (فإذا مسّ الإنسان...) مرض أو شدة (دعانا) خصنا بالدعاء وانقطع عن غيرنا. (ثمّ إذا خولناه نعمة منّا...) التخويل: الإعطاء على نحو الهبة. (على علم) اوتيت هذا الذي اوتيت، على علم مني وخبرة بطرق كسب المعاش واقتناء الثروة وجمع المال. (بل هي فتنة...) بل النعمة التي خولناه منا فتنة أي إبتلاء وامتحان نمتحنه بذلك لكن أكثرهم

[٤٥٧]

لا يعلمون بذلك.

(١٣٨/٢)

٥٠، ٥١ . (قد قالها الّذين...) الآية رد لقولهم، وإثبات لكونها فتنة يمتحنون بها، بأنهم لو اوتوها على علم منهم واكتسبوها بحولهم وقوتهم، لأغنى عنهم كسبهم ولم يصبهم سيئات ما كسبوا، وحفظوها لأنفسهم وتنعموا بها ولم يهلكوا دونها وليس كذلك، فهؤلاء الذين قبلهم قالوا هذه المقالة فما أغنى عنهم كسبهم وأصابهم سيئات ما كسبوا. (والّذين ظلموا من هؤلاء...) الإشارة بهؤلاء إلى قومه صلى الله عليه وآله والمعنى: أن هؤلاء الذين ظلموا من قومك سبيلهم سبيل من قبلهم، سيصيبهم سيئات كسبهم ووبالات عملهم وما هم بمعجزين لله.

٥٢ . (أوَلَم يعلموا أن الله...) جواب آخر عن قول القائل منهم: (إنّما أُوتيته على علم).

٥٣ . (قل يا عبادي الّذين...) أمره صلى الله عليه وآله أن يدعوهم من قبله، ويناديهم بلفظة يا عبادي وفيه تذكير بحجة الله سبحانه على دعوتهم، وترغيب لهم إلى استجابة الدعوة. (لا تقنطوا من رحمة الله) القنوط: اليأس.

٥٤ . (وأنيبوا إلى ربّكم...) الإنابة إلى الله: الرجوع إليه وهو التوبة. والمراد بالإسلام: التسليم لله والانقياد له فيما يريد. (من قبل أن يأتيكم العذاب...) عذاب الآخرة.

٥٥ . (واتّبعوا أحسن ما انزل...) أمر باتباع أحسن ما انزل من الله، ولعل المراد من أحسن ما أُنزل: الخطابات التي تشير إلى طريق استعمال حق العبودية، في امتثال الخطابات الإلهية الاعتقادية والعملية.

٥٦ . (أن تقول نفس...) إنما نخاطبكم بهذا الخطاب، حذر أن تقول أو لئلا تقول نفس منكم: يا حسرتا على ما قصرت في جانب الله وإني كنت من المستهزئين. وموطن القول يوم القيامة.

٥٧ . (أو تقول لو أن الله...) المراد بالهداية: الإرشاد وإراءة الطريق.

٥٨ . (أو تقول حين ترى...) أو تقول نفس متمنية حين ترى العذاب يوم القيامة: ليت لي رجعة إلى الدنيا فاكون من المحسنين.

٥٩ . (بلى قد جاءتك...) رد لها وجواب لخصوص قولها ثانياً: (لو أن الله هداني...).

---

٦٠ . (ويوم القيامة ترى...) الكذب على الله: هو القول بأن له شريكاً، وأن له ولداً، ومنه البدعة في الدين. وسواد الوجه: آية الذلة وهي جزاء تكبرهم.

٦١ . (وينجي الله الّذين...) الظاهر أن مفازة: مصدر ميمي بمعنى الفوز وهو الظفر بالمراد. (لا يمسّهم) بيان لتنجيتهم كأنه قيل: ينجيهم لا يمسهم السوء من خارج ولا هم يحزنون في أنفسهم.

٦٢ . (الله خالق كل...) الجملة مسوقة للإشارة إلى توحده في الرّبوبية.

٦٣ . (له مقاليد السّماوات...) مفاتيح السّماوات والأرض: مفاتيح خزائنها. (والّذين كفروا بآيات...)

والّذين كفروا بآيات ربهم فلم يوحدوه ولم يعبدوه أولئك هم الخاسرون.

٦٤ . (قل أفغير الله...) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يخاطب المشركين المقترحين عليه أن يعبد آلهتهم، أنه لا يبقى مع هذه الحجج الباهرة الظاهرة، محل لعبادته غير الله وإجابة إقتراحهم، وهل هي إلاّ الجهل.

٦٥ . (ولقد أُوحي إليك...) تقدير الكلام: أُقسم لقد أُوحي إليك لئن أشركت...الخ، وإلى الذين من قبلك من

[٤٥٨]

الأنبياء والرسل، لئن أشركتم ليحبطن عملكم ولتكوننّ من الخاسرين.

٦٦ . (بل الله فاعبد...) كأنه قيل: فلا تعبد غير الله بل الله فاعبد. (وكن من الشّاكرين) وكن بعبادتك له من الذين يشكرونه على نعمه الدالة على توحده في الرّبوبية والالوهية.

٦٧ . (وما قدروا الله...) تمثيل أُريد به عدم معرفتهم به تعالى واجب المعرفة. (والأرض جميعاً قبضته...) الأرض بما فيها من الأجزاء والأسباب الفعالة بعضها في بعض، والقبضة: مصدر بمعنى المقبوضة. (والسّماوات مطويات بيمينه) يمين الشيء: يده اليمنى وجانبه القوى، ويكنى بها عن القدرة. (سبحانه وتعالى عمّا يشركون) تنزيه له تعالى عمّا أشركوا غيره في ربوبيّته والوهيته، فنسبوا تدبير العالم إلى آلهتهم وعبدوها.

---

٦٨ . (ونفخ في الصّور...) ظاهر ما ورد في كلامه تعالى في معنى نفخ الصور، أن النفخ نفختان نفخة للإماتة ونفخة للاحياء، وهو الذي تدل عليه روايات ائمة أهل البيت عليهم السّلام. (ونفخ فيه أخرى فإذا هم...) ونفخ في الصّور نفخة اخرى، فإذا هم قائمون من قبورهم ينتظرون ما يؤمرون، أو ينتظرون ماذا يفعل بهم، أو فإذا هم قائمون ينظرون نظر المبهوت المتحير.

٦٩ . (وأشرقت الأرض بنور...) إشراق الأرض: إضاءتها، ولا يبعد أن يراد . والله أعلم . من إشراق الأرض بنور ربّها: ما هو خاصة يوم القيامة من انكشاف الغطاء وظهور الأشياء بحقائقها. (وجيء بالنّبيِّين والشّهداء) أما النّبيون فليسألوا عن أداء رسالتهم، وأما الشّهداء وهم شهداء الأعمال فليؤدوا ما تحملوه من الشّهادة.

٧٠ . (ووفّيت كلّ نفس...) التّوفية: الإعطاء بالتمام. (وهو أعلم بما يفعلون) ليس حكمه بهذا النمط من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء عن جهل منه وحاجة، بل لأن يجري حكمه على القسط والعدل فهو أعلم بما يفعلون.

٧١ . (وسيق الّذين كفروا...) حث على السير (الّذين كفروا إلى جهنّم زُمرا) جماعة بعد جماعة

(حتّى إذا جاءوها) بلغوها (فتحت أبوابها) لأجل دخولهم (وقال لهم خزنتها) وهم الملائكة الموكلون عليها يقولون تهجيناً وإنكاراً عليهم (ألَم يأتكم رسل منكم) من نوعكم من البشر (يتلون) يقرأون (عليكم آيات ربّكم) من الحجج الدالة على وحدانيته ووجوب عبادته (قالوا) بلى قد جاءوا وتلوا (ولكن) كفرنا وكذّبنا و (حقّت كلمة العذاب على الكافرين).

٧٢ . (قيل ادخلوا أبواب...) القائل . على ما يفيده السّياق . خزنة جهنّم، وفي قوله: (فبئس مثوى المتكبّرين) دلالة على أن هؤلاء الذين كفروا هم المكذبون بآيات الله المعاندون للحق.

---

٧٣ . (وسيق الّذين اتقوا...) حث على السير (الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زُمرا) جماعة بعد جماعة (حتّى إذا جاءوها و...) قد (فتِّحت أبوابها وقال لهم خزنتها) الموكلون عليها مستقبلين لهم (سلام عليكم) أنتم في سلام مطلق لا يلقاكم إلاّ ما ترضون (طبتم) ولعلّه تعليل لإطلاق السّلام (فادخلوها خالدين) فيها.

٧٤ . (وقالوا الحمد لله...) وقال المتقون بعد دخول الجنّة: الحمد لله الذي صدقنا وعده أن سيدخلنا أو أن سيورثنا الجنّة، نسكن فيها حين نشاء ونختار . فلهم ما يشاءون فيها. (فَنِعْمَ أجرُ العامِلين) فنعم الأجر أجر العاملين لله تعالى، وهو على ما يعطيه السياق قول أهل الجنّة، واحتمل أن يكون من قوله تعالى.

٧٥ . (وترى الملائكة حافين...) الحف: الإحداق والاحاطة بالشيء، والعرش: هو المقام الذي تصدر منه الأوامر الإلهية يدبر بها العالم. والمعنى: وترى يومئذ الملائكة، والحال أنهم محدقون بالعرش مطيفون به لإجراء الأمر الصادر منه، وهم يسبحون بحمد ربّهم.

«سورة غافر»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (حم تنزيل الكتاب...) التقدير: هذا كتاب منزل من الله.

٣ . (غافر الذّنب وقابل...) المغفرة وقبول التوب من صفاته الفعلية، ولا يزال تعالى يغفر الذنب ثمّ يغفر، ويقبل التوب ثمّ يقبل. والعقاب والمعاقبة: المؤاخذة التي تكون في عاقبة الذنب. والطول . على ما في المجمع . الإنعام الذي تطول مدّته على صاحبه. (لا إله إلاّ هو إليه المصير) ذكر كلمة التوحيد للإشارة إلى وجوب عبادته وحده.

---

٤ . (ما يجادل في آيات...) المراد بالمجادلة في آيات الله: هي المجادلة لإدحاضها ودفعها، وهي المذمومة ولا تشمل الجدال لإثبات الحق والدفاع عنه. (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) المراد بهم الكفار المعاصرون للنبيّ صلى الله عليه وآله وإن لم يكونوا من أهل مكة. وتقلبهم في البلاد: إنتقالهم من طور من أطوار الحياة إلى طور آخر، ومن نعمة إلى نعمة. وتوجيه النهي عن الغرور إلى تقلبهم في البلاد، كناية عن نهي النبيّ صلى الله عليه وآله عن الاغترار بما يشاهده منهم، أن يحسب أنهم أعجزوه سبحانه.

٥ . (كذّبت قبلهم قوم...) إن الأُمم الماضين كقوم نوح والاحزاب من بعدهم كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، سبقوا هؤلاء إلى مثل صنيعهم من التكذيب والجدال بالباطل. (وهمّت كلّ أُمّة برسولهم ليأخذوه) قصدوا رسولهم ليأخذوه بالقتل أو الإخراج أو غيرهما كما قصّه الله تعالى في قصصهم. (وجادلوا بالباطل ليدحضوا...) الإدحاض: الإزالة والإبطال. (فأخذتهم) عذّبتهم.

٦ . (وكذلك حقّت كلمة...) كما أخذ الله المكذبين من الماضين بعذاب الدنيا، كذلك حقّت كلمته على مطلق الكافرين بعذاب الآخرة، والذين كفروا من قومك منهم.

٧ . (الّذين يحملون العرش...) الملائكة الذين يحملون العرش الذي منه تظهر الأوامر وتصدر الأحكام الإلهية التي بها يدبّر العالم، والذين حول العرش من الملائكة وهم المقرّبون منهم. (يسبِّحون بحمد ربّهم) ينزهون الله سبحانه والحال أن تنزيههم له يصاحب ثناءهم لربّهم. (ويستغفرون للّذين آمنوا) يسألون الله سبحانه أن يغفر للذين آمنوا. (فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا) فاغفر للذين رجعوا إليك بالايمان بوحدانيتك، وسلوك سبيلك الذي هو الإسلام، وقهم عذاب الجحيم وهو غاية المغفرة وغرضها.

(١٤٣/٢)

---

٨ . (ربّنا وأدخلهم جنّات...) تكرار النداء بلفظة ربنا لمزيد الاستعطاف. والمراد بالوعد: وعده تعالى لهم بلسان رسله وفي كتبه. (ومن صلح من آبائهم...) وأدخل من صلح لدخول الجنة، من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم جنات عدن.

٩ . (وقهم السيِّئات ومن...) ظاهر السّياق أن الضمير في (قهم) للذين تابوا ومن صلح جميعاً. والمراد بالسيئات التي سألوا وقايتهم عنها: هي الأهوال والشدائد التي تواجههم يوم القيامة.

١٠ . (إنّ الّذين كفروا...) ظاهر الآية والآية التالية أن هذا النداء المذكور فيها إنما ينادون به في الآخرة بعد دخول النار، ينادون من جانب الله سبحانه فيقال لهم: أُقسم لمقت الله وشدة بغضه لكم أكبر من مقتكم أنفسكم وشدة بغضكم لها إذ تدعون . حكاية حال ماضية . إلى الإيمان من قبل الأنبياء فتكفرون.

١١ . (قالوا ربّنا أمتّنا...) سياق الآية وما قبلها يشعر بأنهم يقولون هذا القول بعد استماع النداء السابق، وتقديم هذا الاعتراف منهم، نوع تسبيب وتوسل إلى التخلص من العذاب ولات حين مناص. والمراد بقولهم: (أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) كما قيل . الإماتة عن الحياة الدنيا والإحياء للبرزخ ثمّ الإماتة عن البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة.

١٢ . (ذلكم بأنّه إذا...) خطاب تشديد للكفار موطنه يوم القيامة، ويحتمل أن يكون موطنه الدنيا خوطبوا بداعي زجرهم عن الشرك. والكلام مسوق لبيان معاندتهم للحق ومعاداتهم لتوحيده تعالى، فهم يكفرون بكل ما يلوح فيه أثر

[٤٦٠]

التوحيد، ويؤمنون بكل ما فيه سمة الشرك.

١٣ . (هو الّذي يريكم...) المراد بالآيات: هي العلائم والحجج الدالة على وحدانيته تعالى في الرّبوبية والالوهيّة.

١٤ . (فادعوا الله مخلصين...) كأنه قيل: إذا كانت الآيات تدل على وحدانيته تعالى، فاعبدوه بالاخلاص ودَعوا الكافرين يكرهون ذلك.

(١٤٤/٢)

---

١٥ . (رفيع الدّرجات ذو...) صفات ثلاث له تعالى والآية مسوقة للإنذار. (يلقي الرّوح من أمره...) المراد بإلقاء الروح على من يشاء: تنزيلها مع ملائكة الوحي عليه، والمراد بقوله: (من يشاء من عباده) الرسل الذين اصطفاهم الله لرسالته. (لينذر يوم التلاق) يوم القيامة.

١٦ . (يوم هم بارزون...) تفسير ليوم التلاق، ومعنى بروزهم لله: ظهور ذلك لهم وارتفاع الأسباب الوهمية التي كانت تجذبهم إلى نفسها وتحجبهم عن ربّهم. (لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار) سؤال وجواب من ناحيته سبحانه، تبين بهما حقيقة اليوم وهي ظهور ملكه وسلطانه تعالى على الخلق على الاطلاق.

١٧ . (اليوم تجزى كل نفس...) بيان خصيصة اليوم، وهي أن كل نفس تجزى عين ما كسبت، فجزاؤها عملها.

١٨ . (وأنذرهم يوم الآزفة...) الآزفة: من أوصاف القيامة، ومعناها: القريبة الدانية. (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) كناية عن غاية الخوف. (ما للظّالمين من حميم...) ليس لهم قريب يقوم بنصرهم بحمية القرابة، ولا شفيع يطاع في شفاعته.

١٩ . (يعلم خائنة الأعين...) ليس المراد بخائنة الأعين كل معصية من معاصيها، بل المعاصي التي لا تظهر للغير كسارقة النظر، بدليل ذكرها مع ما تخفي الصدور. (وما تخفي الصّدور) وهو

ما تسره النفس وتستره من وجوه الكفر والنفاق وهيئات المعاصي.

٢٠ . (والله يقضي بالحق...) هذه حجة أُخرى على توحده تعالى بالالوهيّة، ومحصلها: أن من اللاّزم الضروري في الالوهيّة أنْ يقضي الإله في عباده وبينهم، والله سبحانه هو يقضي بين الخلق وفيهم يوم القيامة، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء، لأنهم عباد مملوكون لا يملكون شيئاً. (إنّ الله هو السّميع البصير) له حقيقة العلم بالمسموعات والمبصرات لذاته، وليس لغيره من ذلك إلاّ ما ملكه الله وأذن فيه لا لذاته.

(١٤٥/٢)

---

٢١ . (أوَ لَم يسيروا في...) أوَلم يَسِرْ هؤلاء الذين أرسلناك إليهم (في الأرض فينظروا) نظر تفكر واعتبار (كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم) من الأمم الدارجة المكذبين لرسلهم (كانوا هم أشدّ منهم قوة) أي قدرة وتمكناً وسلطة (وآثاراً) كالمدائن الحصينة والقلاع المنيعة والقصور العالية المشيدة (في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم) وأهلكهم باعمالهم (وما كان لهم من الله من واق) يقيهم وحافظ يحفظهم.

٢٢ . (ذلك بأنّهم كانت...) المراد بالبينات: الآيات الواضحات، والباقي ظاهر.

٢٣ . (ولقد أرسلنا موسى...) لعل المراد بالآيات: الخوارق المعجزة التي أرسل بها كالعصا واليد وغيرهما، وبالسلطان المبين: السلطة الإلهية القاهرة التي أيد بها.

٢٤ . (إلى فرعون وهامان...) فرعون جبار القبط ومليكهم، وهامان وزيره، وقارون من طغاة بني إسرائيل ذو الخزائن المليئة.

٢٥ . (فلمّا جاءهم بالحق...) مقايسة بين ما جاءهم به موسى ودعاهم إليه وبين ما قابلوه به من كيدهم، فقد جاءهم بالحق وكان من الواجب أن يقبلوه، لأنه حق وكان ما جاء به من عند الله وكان من الواجب أن يقبلوه ولا يردوه، فقابلوه بالكيد وقالوا ما قالوا لئلّا يؤمن به أحد، لكن الله أضل كيدهم فلم يصب المؤمنين معه.

٢٦ . (وقال فرعون ذروني...) اتركوني أقتله وليدع ربّه فلينجه من يدي ويخلصه من القتل إن قدر (إنِّي أخاف

[٤٦١]

أن يبدل دينكم...) تعليل لما عزم عليه من القتل، وقد ذكر أنه يخافه عليهم من جهة دينهم ومن جهة دنياهم.

٢٧ . (وقال موسى إنِّي...) مقابلة منه عليه السلام لتهديد فرعون إياه بالقتل واستعاذة منه بربه. (من

كل متكبّر لا يؤمن...) يشير به إلى فرعون وكل من يشاركه في صفتي التكبر وعدم الإيمان بيوم الحساب.

(١٤٦/٢)

---

٢٨ . (وقال رجل مؤمن...) ظاهر السّياق أن (من آل فرعون) صفة الرّجل و (يكتم إيمانه) صفة أخرى، فكان الرّجل من القبط من خاصة فرعون وهم لا يعلمون بايمانه لكتمانه إياهم ذلك تقية (أتقتلون رجلاً أن يقول ربِّي الله...) إنكار لعزمهم على قتله. (وإن يك كاذباً فعليه كذبه) قيل: ان ذكره هذا التقدير تلطف منه، لا أنه كان شاكاً في صدقه. (وإن يك صادقاً يصبكم...) كأنه يقول: وإن يك صادقاً يصبكم ما وعدكم من أنواع العذاب، ولا أقل من إصابة بعض ما يعدكم، مع أن لازم صدقه إصابة جميع ما وعد.

٢٩ . (يا قوم لكم الملك...) يا قوم لكم الملك حال كونهم غالبين عالين في أرض مصر على من دونكم من بني إسرائيل، فمن ينصرنا من أخذ الله وعذابه كما يعدنا به موسى إن جاءنا؟ وقد أدخل نفسه فيهم على تقدير مجيء البأس، ليكون أبلغ في النصح وأوقع في قلوبهم أنه يريد لهم من العافية ما يريده لنفسه. (قال فرعون ما أريكم...) يريد أنه على يقين مما يهدي إليه قومه من الطريق وهي مع كونها معلومة له مطابقة للواقع، وهذا كان تمويهاً منه وتجلداً. (وقال الّذي آمن...) يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأقوام الماضين، مثل العادة الجارية من العذاب عليهم واحداً بعد واحد لكفرهم وتكذيبهم الرسل، أو مثل جزاء عادتهم الدائمة من الكفر والتكذيب وما الله يريد ظلماً للعباد.

٣٢ . (ويا قوم إنِّي أخاف...) يوم التناد: يوم القيامة.

٣٣ . (يوم تولون مدبرين...) المراد به يوم القيامة، ولعل المراد أنهم يفرون من النار من شدة عذابها ليتخلصوا منها، فردوا إليها. (ومن يضلل الله فما له من هاد) بمنزلة التعليل لقوله: (ما لكم من الله من عاصم) أي تفرون مدبرين ما لكم من عاصم ولو كان لكان من جانب الله، وليس ذلك لأن الله أضلّهم ومن يضلل الله فما له من هاد.

(١٤٧/٢)

---

٣٤ . (ولقد جاءكم يوسف...) واقسم لقد جاءكم يوسف من قبل بالآيات البينات التي لا تدع ريباً في رسالته من الله، فما زلتم في شك مما جاءكم به ما دام حياً، حتى إذا هلك ومات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً، فَناقضتم أنفسكم ولم تبالوا.

٣٥ . (الّذين يجادلون في...) وصف لكل مسرف مرتاب، فان من تعدى طوره بالاعراض عن الحق واتباع الهوى واستقر في نفسه بالارتياب جادل في آيات الله بغير برهان إذا خالفت مقتضى هواه.
٣٦، ٣٧ . (وقال فرعون يا هامان...) أمر منه لوزيره هامان أن يبني له بناء يتوصل به إلى الاطلاع إلى إله موسى. (وكذلك زين لفرعون سوء عمله...) فقد زين الشيطان له قبيح عمله فرآه حسناً، وصده عن سبيل الرشاد. (وما كيد فرعون إلاّ في تباب) هلاك وانقطاع.
٣٨ . (وقال الّذي آمن...) يدعوهم إلى اتباعه ليهديهم، واتباعه إتباع موسى، وسبيل الرشاد: السبيل التي في سلوكها إصابة الحق والظفر بالسعادة.
٣٩ . (يا قوم إنّما هذه الحياة...) هذا هو السناد الذي يستند إليه سلوك سبيل الرشاد والتدين بدين الحق لا غنى

[٤٦٢]

عنه بحال، وهو الاعتقاد بأن للإنسان حياة خالدة مؤبدة هي الحياة الآخرة، وأن هذه الحياة الدنيا متاع في الآخرة ومقدمة مقصودة لأجلها.
٤٠ . (من عمل سيِّئة...) إن الذي يصيبه ويعيش به في الآخرة، يشاكل ما أتى به في هذه الحياة الدنيا التي هي متاع فيها، فانما الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء.
من عمل في الدنيا سيئة ذات صفة المساءة، فلا يجزى في الآخرة إلاّ مثلها ممّا يسوؤه. ومن عمل صالحاً من ذكر وأنثى منن غير فرق بينهما وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب.
وفيه إشارة الى المساواة بين الذكر والأُنثى في قبول العمل، وتقييد العمل الصالح في تأثيره بالإيمان، لكون العمل حبطاً بدون الايمان.

وقد جمع الدِّين بين الحق وهو سبيل الرشاد في أوجز بيان وهو أن للإنسان دار قرار يجزى فيها بما عمل في الدنيا من عمل سيئ أو صالح، فليعمل صالحاً ولا يعمل سيئاً. وزاد بياناً إذ أفاد أنه إن عمل صالحاً يرزق بغير حساب.
٤١، ٤٢ . (ويا قوم مالي أدعوكم...) كأنه لما دعاهم إلى التوحيد قابلوه بدعوتهم الباطلة. وقد كان يدعوهم إلى سبب النجاة ويدعونه إلى سبب دخول النار.
٤٣ . (لا جرم أنّ ما تدعونني...) ثبت ثبوتاً أن ما تدعونني إليه ممّا تسمونه شريكاً له سبحانه، ليس له دعوة في الدنيا، إذ لم يعهد نبي أرسل إلى الناس من ناحيته ليدعوهم إلى عبادته، ولا في الآخرة إذ لا رجوع إليه فيها من أحد، وأما الذي ادعوكم إليه وهو الله سبحانه، فان له دعوة في الدنيا وهي

التي تصداها أنبياؤه ورسله المبعوثون من عنده المؤيدون بالحجج والبيِّنات، وفي الآخرة وهي التي يتبعها رجوع الخلق إليه لفصل القضاء بينهم. (وإنّ مردّنا إلى الله...) لا جرم أن مردنا إلى الله، فيجب الإسلام له واتباع سبيله ورعاية حدود العبودية، ولا جرم أن المسرفين وهم المتعدون طور العبودية . وهُم أنتم . أصحاب النار، فالذي أدعوكم إليه فيه النجاة دون ما تدعونني إليه.

٤٤ . (فستذكرون ما أقول...) فستذكرون ما أقول لكم حين عاينتم العذاب، وتعلمون عند ذاك أني كنت ناصحاً لكم. (وأُفوِّض أمري إلى الله) التفويض على ما فسره الراغب هو الرد فتفويض الأمر إلى الله: ردّه إليه.

٤٥، ٤٦ . (فوقاه الله سيِّئات...) فكفاه الله شرهم ووقاه سيِّئات مكرهم. (وحاق بآل فرعون سوء...) نزل بهم وأصابهم العذاب السيّئ. (النار يعرضون عليها...) الآية صريحة في أن هناك عرضاً على النار ثمّ إدخالاً فيها والإدخال أشد من العرض. (ويوم تقوم السّاعة أدخلوا) يقال أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب.

(١٤٩/٢)

---

٤٧ . (وإذ يتحاجّون في النّار...) وحاق بآل فرعون سوء العذاب إذ يتحاجون في النار، أو واذكر من سوء عذابهم إذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا: إنا كنا في الدنيا لكم تبعاً وكان لازم ذلك أن تكفونا في الحوائج وتنصرونا في الشدائد، ولا شدة أشد مما نحن فيه، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار، وإن لم يكن جميع عذابها فقد قنعنا بالبعض.

٤٨ . (قال الّذين استكبروا...) جواب من مستكبريهم عن قولهم، ومحصله: أن اليوم يوم جزاء لا يوم عمل، فالأسباب ساقطة عن التأثير، وقد طاحت منا ما كنا نتوهمه لأنفسنا في الدنيا من القوة والقدرة فحالنا وحالكم . ونحن جميعاً في النار . واحدة.

٤٩ . (وقال الّذين في النّار...) مكالمة بين أهل النار . ومنهم آل فرعون . وبين خزنة جهنم، أوردها سبحانه تلو

[٤٦٣]

قصة آل فرعون، وهم إنما سألوا الخزنة أن يدعوا لهم، ليأسهم من أن يستجاب منهم أنفسهم.

٥٠ . (قالوا أوَ لَم تَكُ...) أجابوهم بالاستخبار عن اتيان رسلهم إياهم بالبينات، فاعترفوا بذلك وهو اعتراف منهم بأنهم كفروا بهم، فلم يجبهم الخزنة فيما سألوهم من الدعاء إثباتاً ولا نفياً، بل ردوهم إلى أنفسهم مشيرين إلى أنهم لا يستجاب لهم دعاء. (وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال) إن دعاءهم قد أحاط به الضلال، فلا يهتدي إلى هدف الإجابة. وهو تتمة كلام الخزنة على ما يعطيه السّياق.

٥١ . (إنّا لننصر رسلنا...) الأشهاد: جمع شهيد بمعنى شاهد.

٥٢ . (يوم لا ينفع الظّالمين...) تفسير ليوم يقوم الأشهاد. (ولهم اللّعنة) البعد من رحمة الله. (لهم سوء الدّار) الدّار السيئة وهي جهنّم.

٥٣ . (ولقد آتينا موسى...) المراد بالهدى: الدين الذي اوتيه موسى، وبايراث بني إسرائيل الكتاب إبقاء التوراة بينهم يعملون بها ويهتدون.

٥٤ . (هدىً وذكرى لأُولي...) حال كون الكتاب هدىً يهتدي به عامتهم، وذكرى يتذكر به خاصتهم من أولي الألباب.

---

٥٥ . (فاصبر إنّ وعد...) إذا كان الأمر على ذلك، فاصبر على ايذاء المشركين ومجادلتهم بالباطل، إن وعد الله حق وسَيَفي لك بما وعد. (واستغفر لذنبك) أمر له بالاستغفار لما يعد بالنسبة إليه ذنباً، وإن لم يكن ذنباً بمعنى المخالفة للأمر المولوي لمكان عصمته صلى الله عليه وآله. (وسبّح بحمد ربّك بالعشي والإبكار) نزهه سبحانه مصاحباً لحمده على جميل آلائه مستمراً متوالياً بتوالي الأيام أو في كل صباح ومساء.

٥٦ . (إنّ الّذين يجادلون في...) إن هؤلاء المجادلين لا ينالون بغيتهم ولن ينالوا، فلا يحزنك جدالهم وطب نفساً من ناحيتهم. (إنّ في صدورهم إلاّ كبر) ليس عاملهم في ذلك طلب الحق أو الارتياب في آياتنا والشك فيها، بل الذي في صدورهم وهو الداعي لهم إلى الجدال، الكبر، يريدون به إدحاض الحق الصريح. (ما هم ببالغيه) ما هم ببالغي مرادهم وبغيتهم من الجدال الذي يأتون به لكبرهم. (فاستعذ بالله) استعذ بالله منهم بما لهم من الكبر.

٥٧ . (لخلق السّماوات والأرض...) إنهم ليسوا ببالغي بغيتهم وليسوا بمعجزين، فان الله الذي قدر على خلق مجموع العالم، ولم يعجزه ذلك على ما فيه من العظمة، ليس يعجزه جزء يسير منه وهو الناس المخلوقون الذين هم أهون عليه، ولكن أكثر الناس جاهلون يظنون بجهلهم أنهم يعجزون الله بجدال يجادلونه، أو في كيد يكيدونه.

٥٨ . (وما يستوي الأعمى...) لما ذكر أن أكثر الناس لا يعلمون، أكده بأنهم ليسوا على وتيرة واحدة، فإن منهم الأعمى والبصير ولا يستويان. وعطف عليهما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمسيء، فالطائفة الأولى أولو بصيرة يتذكّرون بها، والثانية أعمى الله قلوبهم لا يتذكرون.

٥٩ . (إنّ السّاعة لآتية...) ذكرهم تعالى في هذه الآية بإتيان الساعة. كما نبه الذي آمن من آل فرعون في القصة السابقة بإتيان الساعة.

٦٠ . (وقال ربّكم ادعوني...) دعوة منه تعالى لعباده إلى دعائه ووعد بالاستجابة. (إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي...) الدخور: الذلة، وقد بدل الدعاء عبادة، فدل على أن الدعاء عبادة.

٦١ . (الله الّذي جعل...) جعل لأجلكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه من التعب الذي عرض لكم وجه النهار من جهة السعي في طلب الرزق، والنهار مبصراً لتبتغوا من فضل ربكم وتكسبوا الرّزق. (إنّ الله لذو فضل...) إمتنان عليهم بالفضل.

[٤٦٤]

٦٢ . (ذلكم الله ربكم...) ذلكم الذي يدبر أمر حياتكم ورزقكم بسكون الليل وسعي النهار، هو الله تعالى وهو ربّكم لأن تدبير أمركم إليه. (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

٦٣ . (كذلك يؤفك الّذين...) كمثل هذا الإفك يؤفك الجاحدون لآيات الله.

٦٤ . (الله الّذي جعل...) يذكر تعالى نعمة استقرار الإنسان على الأرض وتحت السماء. (وصوركم فأحسن صوركم) أحسن خلق صوركم. (ورزقكم من الطّيّبات) الأرزاق المتنوعة التي تلائم بطبائعها طبيعة الإنسان. (ذلكم الله ربّكم) المدبر لأمركم. (فتبارك الله ربُّ العالمين) ثناء عليه عزّ وجلّ بربوبيته لجميع العالمين، وقد فرّعه على ربوبيّته وتدبيره للانسان، إشارة الى أن الربوبية واحدة وتدبيره لأمر الإنسان عين تدبيره لأمر العالمين جميعاً، فإن النظام الجاري نظام واحد روعي في انطباقه على الكل.

٦٥ . (هو الحيّ لا إله إلاّ...) له تعالى وحده حياة لا يداخلها موت ولا يزيلها فناء، فهو تعالى حي بذاته، وغيرُه كائناً ما كان حي باحياء غيره. (الحمد لله ربّ العالمين) ثناء عليه بربوبيّته للعالمين.

(١٥٢/٢)

---

٦٧ . (هو الّذي خلقكم...) المراد بخلقهم من تراب: خلق أبيهم آدم من تراب. (ثمّ من نطفة) ثمّ خلقناكم من نطفة حقيرة معلومة الحال (ثمّ من علقة) كذلك (ثمّ يخرجكم) من بطون أُمهاتكم (طفلاً) أطفالاً. (ثمّ لتبلغوا أشدّكم) ثمّ ينشئكم لتبلغوا أشدكم وهو من العمر زمان اشتداد القوى (ثمّ لتكونوا شيوخاً) معطوف على (لتبلغوا)، (ومنكم من يتوفّى من قبل) فلا يبلغ أحد هذه المراحل من العمر كالشيخوخة وبلوغ الأشد وغيرهما. (ولتبلغوا أجلاً مسمّىً) وهو النهاية من الأمد المضروب. (ولعلّكم تعقلون) تدركون الحق بالتعقل المغروز فيكم.

٦٨ . (هو الّذي يحيي ويميت) هو الّذي يفعل الإحياء والإماتة، وفيهما نقل الأحياء من عالم إلى عالم.

٦٩ . (أَلَم تَرَ إلى الّذين...) ألا تعجب، أو ألم تعجب من أمر هؤلاء المجادلين في آيات الله، كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل.

٧٠ . (الّذين كذّبوا بالكتاب...) المراد بهؤلاء المجادلين: هم المجادلون من قوم النبيّ صلى الله عليه وآله، وعليه فالانسب أن يكون المراد بالكتاب: هو القرآن الكريم، وبقوله: (بما أرسلنا به رسلنا) ما جاءت به الرسل عليهم السّلام من عند الله من كتاب ودين، فالوثنية منكرون للنبوة. (فسوف يعلمون) سوف يعلمون حقيقة مجادلتهم في آيات الله وتكذيبهم بالكتاب وبالرسل.

٧١، ٧٢ . (إذ الأغلال في أعناقهم...) سوف يعلمون حقيقة عملهم، حين تكون الأغلال والسلاسل في أعناقهم، يجرون في الماء الحار الشديد الحرارة ثم يقذفون في النار.

٧٣، ٧٤ . (ثمّ قيل لهم...) قيل لهم وهم يتقلبون بين السحب والسجر: شركائكم من دون الله حتى ينصروكم بالإنجاء من هذا العذاب، أو يشفعوا لكم كما كنتم تزعمون. (قالوا ضلّوا عنّا...) إضراب منهم عن الجواب الأوّل، لما يظهر لهم أن الآلهة الذين كانوا يزعمونهم شركاء، لم يكونوا إلاّ أسماء لا مسمّيات لها.

---

٧٥ . (ذلكم بما كنتم...) ذلكم العذاب الذي أنتم فيه، بسبب كونكم تفرحون في الأرض بغير الحق من اللذات العاجلة، وبسبب كونكم تفرطون في الفرح، وذلك لتعلق قلوبهم بعرض الدنيا وزينتها ومعاداتهم لكل حق يخالف باطلهم،

[٤٦٥]

فيفرحون ويمرحون باحياء باطلهم وإماتة الحق واضطهاده.

٧٦ . (ادخلوا أبواب جهنّم...) ادخلوا أبوابها المقسومة لكم خالدين فيها فبئس مقام الذين يتكبّرون عن الحق جهنّم.

٧٧ . (فاصبر إنّ وعد...) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بالصبر معلّلاً ذلك بأن وعد الله حق. (فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم) هو عذاب الدنيا (أو نتوفينّك) بالموت فلم نرك ذلك (فالينا يرجعون) ولا يفوتوننا فننجز فيهم ما وعدناه.

٧٨ . (ولقد أرسلنا رسلاً...) مسوق للإشارة إلى كون ما سيذكره سنّة جارية منه تعالى. (فإذا جاء أمر الله...) فإذا جاء أمر الله بالعذاب، قضي بالحق فاظهر الحق وازهق الباطل، وخسر عند ذلك المتمسكون بالباطل في دنياهم بالهلاك وفي آخرتهم بالعذاب الدائم.

٧٩ . (الله الّذي جعل...) خلق لأجلكم أو سخّر لكم الأنعام، والغرض من هذا الجعل أن تركبوا بعضها وبعضها تأكلون.

٨٠ . (ولكم فيها منافع...) كانتفاعكم بألبانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها وغير ذلك.
(ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) وهي الانتقال من مكان إلى مكان لاغراض مختلفة.
٨١ . (ويريكم آياته فأي...) أي هذه الآيات التي يريكم الله إياها عياناً وبياناً، تنكرون إنكاراً يمهد لكم الإعراض عن توحيده؟.

---

٨٢ . (أفلم يسيروا في...) توبيخ لهم وعطف لأنظارهم إلى ما جرى من سنة القضاء والحكم في الأُمم السالفة. وقد صدّرت الآية بفاء التفريع فقيل: (أفلم يسيروا) مع الإلتفات من الخطاب الى الغيبة، وكأن الكلام تفريع على قوله: (فأيّ آيات الله تنكرون) فكأنه لما ذمّهم وأنكر إنكارهم لآياته رجع وانصرف عنهم الى النبيّ صلى الله عليه وآله مشيراً الى سقوطه من منزلة الخطاب وقال: إذا كانت آياته تعالى ظاهرة بيِّنة لا تقبل الإنكار ومن جملتها ما في آثار الماضين من الآيات الناطقة، وهم قد ساروا في الأرض وشاهدوها، فلِمَ لم ينظروا فيها فيتبيّن لهم أن الماضين مع كونهم أقوى من هؤلاء كمّاً وكيفاً، لم ينفعهم ما فرحوا به من علم وقوّة.
٨٣ . (فلمّا جاءتهم رسلهم...) ضمائر الجمع في الآية للذين من قبلهم، والمراد بما عندهم من العلم: ما وقع في قلوبهم وشغل نفوسهم من زينة الحياة الدنيا. والمراد بفرحهم بما عندهم من العلم: شدة إعجابهم بما كسبوه من الخبرة.
٨٤ . (فلمّا رأوا بأسنا...) البأس: شدة العذاب، والباقي ظاهر.
٨٥ . (فلم يك ينفعهم...) وذلك لعدم استناد الإيمان حينئذ إلى الاختيار. (سنّة الله الّتي قد خلت في عباده) سنّها الله سنّة ماضية في عباده، أن لا تقبل توبة بعد رؤية بأس.
«سورة فصِّلت»
بسم الله الرّحمن الرّحيم
١، ٢ . (حم تنزيل من...) التقدير: هذا منزل من الرحمن الرحيم.
٣ . (كتاب فُصِّلت آياته...) المراد بتفصيل آيات القرآن: تمييز أبعاضه بعضها من بعض بإنزاله إلى مرتبة البيان.
[٤٦٦]
٤ . (بشيراً ونذيراً فأعرض...) حالان من الكتاب في الآية السابقة.

---

٥ . (وقالوا قلوبنا في...) كناية عن كون قلوبهم بحيث لا تفقه ما يدعو صلى الله عليه وآله إليه من التوحيد، (وفي آذاننا وقر) ثقل من الصمم. (ومن بيننا وبينك حجاب) حاجز يحجزنا منك. (فاعمل إنّنا عاملون) إذا كان لا سبيل إلى التفاهم بيننا، فاعمل بما يمكنك العمل به في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك.

٦ . (قل إنّما أنا بشر...) قل لهم: إنما أنا بشر مثلكم، غير أن الذي أقوله لكم وأدعوكم إليه، وحي يوحى إليّ، وهو أنما الهكم الذي يستحق أن تعبدوه إله واحد لا آلهة متفرقون. (فاستقيموا إليه واستغفروه) فاستووا إليه بتوحيده ونفي الشركاء عنه واستغفروه فيما صدر عنكم من الشرك والذنوب.

٧ . (الّذين لا يؤتون الزّكاة...) تهديد للمشركين الذين يثبتون لله شركاء ولا يوحدونه، وقد وصفهم من أخص صفاتهم بصفتين هما عدم إيتائهم الزكاة وكفرهم بالآخرة.

٨ . (... لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع بل متصل دائم كما فسّره بعضهم، وفسره آخرون بغير معدود.

٩ . (قل أ إنّكم لتكفرون...) أمره ثانياً ان يستفهم عن كفرهم بالله، بمعنى شركهم مع ظهور آيات وحدانيته في خلق السّماوات والأرض وتدبير أمرهما. (وتجعلون له أنداداً) الأنداد: جمع ندّ وهو المِثل، والمراد بجعل الأنداد له اتخاذ شركاء له يماثلونه في الرّبوبية والالوهيّة. والمراد باليوم في قوله: (خلق الأرض في يومين) برهة من الزمان دون مصداق اليوم الذي نعهده.

١٠ . (وجعل فيها رواسي...) جبالاً رواسي أي ثابتات على الأرض. (وبارك فيها) جعل فيها الخير الكثير. (وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام...) قدر الأقوات في تتمّة أربعة أيام من حين بدء الخلق، فيومان لخلق الأرض ويومان . وهما تتمّة أربعة أيام . لتقدير الأقوات.

(١٥٦/٢)

---

١١ . (ثمّ استوى إلى...) توجه إليها وقصدها بالخلق. (وهي دخان) سماه الله دخاناً وهو مادتها التي البسها الصورة وقضاها سبع سماوات، بعد ما لم تكن معدودة متميزاً بعضها من بعض. (إئتيا طوعاً أو كرهاً) كلمة إيجاد وأمر تكويني كقوله لشيء أرادَ وجوده: كن. (قالتا أتينا طائعين) جواب السماء والأرض لخطابه تعالى باختيار الطوع.

١٢ . (فقضاهنّ سبع سماوات...) الأصل في معنى القضاء فصل الأمر، فتفيد الجملة أن السماء لما استوى سبحانه إليها وهي دخان، كان أمرها مبهماً غير مشخص من حيث فعلية الوجود، ففصل تعالى أمرها بجعلها سبع سماوات في يومين. (وأوحى في كلّ سماء أمرها) أوحى في كل سماء إلى أهلها من الملائكة الأمر الإلهي. (وزيّنّا السّماء الدّنيا...) توصيف هذه السماء بالدنيا للدلالة على أنها أقرب السماوات من الأرض. (وحفظاً) وحفظناها من الشياطين حفظاً.

١٣ . (فإن أعرضوا فقل...) قال في المجمع: الصاعقة: المهلكة من كل شيء.

١٤ . (إذ جاءتهم الرّسل...) نسبة المجيء إلى الرّسل وهو جمع . مع أن الذي ذكر في قصتهم رسولان هما هود وصالح . باعتبار أن الرسل دعوتهم واحدة والمبعوث منهم إلى قوم، مبعوث لآخرين، وكذا القوم المكذبون لاحدهم مكذبون لآخرين. (من بين أيديهم ومن خلفهم) من جميع الجهات، فاستعمال هاتين الجهتين في جميع الجهات شائع. (قالوا لو شاء ربّنا...) رد منهم لرسالتهم بأن الله لو شاء إرسال رسول إلينا لأرسل من الملائكة. (فإنّا بما أُرسلتم به كافرون) فإذا لم يشأ ولم يرسل فانا بما أُرسلتم به وهو التوحيد كافرون.

١٥ . (فأمّا عاد فاستكبروا...) رجوع إلى تفصيل حال كل من الفريقين.

١٦ . (فأرسلنا عليهم ريحاً...) فسر الصرصر بالريح الشديدة السموم، وبالريح الشديدة البرد، وبالريح الشديدة الصوت وتلازم شدة الهبوب. (وما لهم من ناصرين) لا منج يُنجيهم ولا شفيع يشفع لهم.

(١٥٧/٢)

---

١٧ . (وأمّا ثمود فهديناهم...) وأما قوم ثمود فدللناهم على طريق الحق وعرفناهم الهدى بتمييزه من الضلال،

[٤٦٧]

فاختاروا الضلال الذي هو عمى، على الهدى الذي هو بصر، فاخذتهم صيحة العذاب ذي المذلة أو أخذهم العذاب بما كانوا يكسبون.

١٨ . (ونجّينا الّذين آمنوا...) جمعهم بين الإيمان والعمل الصالح هو السبب لنجاتهم من عذاب الاستئصال.

١٩ . (ويوم يحشر أعداء...) المراد باعداء الله . على ما قيل . المكذبون بالنبيّ صلى الله عليه وآله من مشركي قومه لا مطلق الكفار.

٢٠ . (حتّى إذا ما جاءوها...) شهادة الأعضاء أو القوى يوم القيامة: ذكرها وإخبارها ما تحمّلته في الدنيا من معصية صاحبها.

٢١ . (وقالوا لجلودهم لم...) إعتراض وعتاب منهم لجلودهم في شهادتها عليهم. (الّذي أنطق كل شيء) توصيف لله سبحانه وإشارة إلى أن النطق ليس مختصاً بالاعضاء حتّى تختص هي بالسؤال، بل هو عام شامل لكل شيء، والسبب الموجب له هو الله سبحانه. (وهو خلقكم أوّل مرّة) إحتجاج على علمه بأعمالهم وقد أنطق الجوارح بما علم.

٢٢ . (وما كنتم تستترون...). (وما كنتم تستترون) نفي لاستتارهم وهم في المعاصي قبلاً وهم في الدنيا. (أن يشهد) التقدير: من أن يشهد. (ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم) وما كنتم تستخفون في الدنيا

عند المعاصي من شهادة أعضائكم التي تستعملونها في معصية الله، ولم يكن ذلك لظنكم أنها لا إدراك فيها لعملكم، بل لظنكم أنّ الله لايعلم كثيراً مما تعملون، أي لم تستهينوا عند المعصية بشهادة اعضائكم وإنما استهنتم بشهادتنا.

٢٣ . (وذلكم ظنّكم الّذي...) وذلكم الظن الذي ذكر، ظن ظننتموه لا يغني من الحق شيئاً، والعلم والشهادة على حالها، أهلككم ذلك الظن فأصبحتم من الخاسرين أو أن المعنى: وظنكم الذي ظننتم بربكم أنه لا يعلم كثيراً ممّا تعملون، أهلككم إذ هون عليكم أمر المعاصي، وادّى بكم إلى الكفر فاصبحتم من الخاسرين.

(١٥٨/٢)

---

٢٤ . (فإن يصبروا فالنّار...) فإن يصبروا فالنّار مأواهم ومستقرهم، وإن يطلبوا الرضى ويعتذروا لينجوا من العذاب، فليسوا ممّن يرضى عنهم ويقبل إعتابهم ومعذرتهم.

٢٥ . (وقيضنا لهم قرناء...) أصل التقييض . كما في المجمع . التبديل، والقرناء: جمع قرين وهو معروف. (وحق عليهم القول...) ثبت ووجب عليهم كلمة العذاب، حال كونهم في أُمم مماثلين لهم ماضين قبلهم من الجن والإنس.

٢٦ . (وقال الّذين كفروا...) الآية تدل على نهاية عجزهم عن مخاصمة القرآن، بإتيان كلام يعادله ويماثله أو إقامة حجة تعارضه، حتى أمر بعضهم بعضاً أن لا ينصتوا له، ويأتوا بِلَغْوِ الكلام عند قراءة النبيّ صلى الله عليه وآله القرآن لتختل به قراءته، ولا تقرع أسماع الناس آياته، فيلغو أثره وهو الغلبة.

٢٧ . (فلنذيقنّ الّذين كفروا...) المراد بالذين كفروا بحسب مورد الآية: هم الذين قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن. وإن كانت الآية مطلقة بحسب اللفظ.

٢٨ . (ذلك جزاء أعداء...) قوله: (لهم فيها دار الخلد) النار محيطة بهم جميعاً ولكل منهم فيها دار تخصه خالداً فيها.

٢٩ . (وقال الّذين كفروا...) محكي قول يقولونه وهم في النار، يسألون الله أن يريهم متبوعيهم من الجن والإنس، ليجعلوهما تحت أقدامهم، إذلالاً لهما وتشديداً لعذابهما، كما يشعر به قولهم ذيلاً: (نجعلهما تحت أقدامنا...).

٣٠ . (إنّ الّذين قالوا...) بيان حسن حال المؤمنين، كما كانت الآيات قبلها بيان سوء حال الكافرين. (تتنزّل عليهم الملائكة...) إخبار عمّا سيستقبلهم به الملائكة من تقوية قلوبهم وتطييب نفوسهم والبشرى بالكرامة.

٣١ . (نحن أولياؤكم في...) كون الملائكة أولياء لهم، لا ينافي كونه تعالى هو الولي، لأنهم وسائط

(١٥٩/٢)

ليس لهم من الأمر شيء. (ولكم فيها ما تشتهي أنفسهم...) الآية تبشرهم بأن لهم في الآخرة ما يمكن أن تتعلق به شهواتهم، من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك، بل ما هو أوسع من ذلك وأعلى كعباً، وهو أن لهم ما يشاءون فيها.

٣٣ . (ومن أحسن قولاً...) أيد سبحانه في هذه الآية نبيّه، بأن دعوته أحسن القول. فقوله: (ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله) المراد به النبيّ صلى الله عليه وآله وإن كان لفظ الآية يعم كل من دعا إلى الله.

٣٤، ٣٥ . (لا تستوي الحسنة...) الخصلة الحسنة والسيئة من حيث حسن التأثير في النفوس. (إدفع بالّتي هي أحسن) إدفع بالخصلة التي هي أحسن، الخصلة السيئة التي تقابلها وتضادها، فادفع بالحق الذي عندك باطلهم، لا بباطل آخر وبحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم وهكذا. (فإذا الّذي بينك وبينه...) بيان لأثر الدفع بالأحسن ونتيجته، والمراد أنك إن دفعت بالّتي هي أحسن، فاجأك أن عدوك صار كأنّه ولي شفيق. ثمّ عظّم سبحانه الدفع بالتي هي أحسن ومدحه أحسن التعظيم، وابلغ المدح بقوله: (وما يلقّاها إلاّ الذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم) ذو نصيب وافر من كمال الإنسانية وخصال الخير.

٣٦ . (وإمّا ينزغنّك من...) النزغ: النخس وهو غَرز جنب الدابة أو مؤخرها بقضيب ونحوه. والنازغ هو الشيطان. (فاستعذ بالله إنّه هو...) فالتجئ بالله من نزغه إنه هو السميع لمسألتك العليم بحالك، أو السميع لأقوالكم العليم بأفعالكم.

٣٧ . (ومن آياته اللّيل...) احتجاج بوحدة التدبير واتصاله على وحدة الرب المدبِّر، وبوحدة الرب على وجوب عبادته وحده. (إن كنتم إياه تعبدون) إن عبادته [لا تشترك مع] عبادة غيره.

٣٨ . (فإن استكبروا فالّذين...) فان استكبر هؤلاء الكفار عن السجدة لله وحده، فعبادته تعالى لا ترتفع من الوجود. فهناك من يسبحه تسبيحاً دائماً لا ينقطع من غير سأمة وهم الذين عند ربّك.

(١٦٠/٢)

---

٣٩ . (ومن آياته أنّك...) الخشوع: التذلل، والاهتزاز: التحرك الشديد، والربو: النشوء والنماء والعلو. واهتزاز الأرض وربوها: تحركها بنباتها وارتفاعه والآية مسوقة للإحتجاج على المعاد.

٤٠ . (إنّ الّذين يلحدون...) تهديد لملحدي هذه الأمة. (أفمن يلقى في النّار...) إيذان بالجزاء وهو الإلقاء في النار يوم القيامة قسراً، من غير أي مؤمن متوقع كشفيع أو ناصر أو عذر مسموع، فليس لهم إلاّ النار يلقون فيها.

٤١ . (اعملوا ما شئتم...) تشديد في التهديد. (إن الّذين كفروا...) المراد بالذكر: القرآن لما فيه من ذكر الله، وتقييد الجملة بقوله: (لمّا جاءهم) يدل على أن المراد بالذين كفروا: هم مشركو العرب المعاصرون للقرآن من قريش وغيرهم.

٤٢ . (لا يأتيه الباطل من بين...) إتى ان الباطل إليه: وروده فيه وصيرورة بعض أجزائه أو جميعها باطلاً، بأن يصير ما فيه من المعارف الحقة أو بعضها غير حقة، أو ما فيه من الأحكام والشرائع وما يلحقها من الأخلاق أو بعضها، لغو لا ينبغي العمل به. (من بين يديه ولا من خلفه) زمان النزول وما بعده إلى يوم القيامة. (تنزيل من حكيم حميد) بمنزلة التعليل لكونه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل.

٤٣ . (ما يقال لك إلاّ...) ما يقال لك من قبل كفار قومك حيث ارسلت إليهم فدعوتهم فرموك بما رموك، إلاّ ما قد قيل للرسل من قبلك، أي مثل ما قد قيل لهم. (إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) في موضع التهديد والوعيد.

٤٤ . (ولو جعلناه قرآناً...) لو جعلناه أعجمياً غير مبين لمقاصده غير بليغ في نظمه، لقال الذين كفروا من قومك: هلا فصلت وبيّنت آياته وأجزاءه فانفصلت وبانت بعضها من بعض بالعربية والبلاغة، أكتاب مرسل أعجمي ومرسل إليه

[٤٦٩]

(١٦١/٢)

عربي؟ أي يتنافيان ولا يتناسبان. (قل هو للّذين آمنوا هدىً وشفاء) بيان أثر القرآن وهو هدىً وشفاء للذين آمنوا يهديهم إلى الحق ويشفي ما في قلوبهم من مرض الشك والريب. وهو عمىً على الذين لا يؤمنون . وهم الذين في آذانهم وقر . يعميهم فلا يبصرون الحق وسبيل الرشاد. (أُولئك ينادون من مكان بعيد) فلا يسمعون الصوت ولا يرون الشخص، وهو تمثيل لحالهم حيث لا يقبلون العظة ولا يعقلون الحجّة.

٤٥ . (ولقد آتينا موسى...) تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله عن جحود قومه وكفرهم بكتابه. (ولولا كلمة سبقت من ربّك...) الكلمة هي قوله: (ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين) الأعراف: ٢٤.

(وإنّهم لفي شك منه مريب) في شك مريب من كتاب موسى عليه السلام.

٤٦ . (من عمل صالحاً...) إن العمل قائم بصاحبه ناعت له، فلو كان صالحاً نافعاً انتفعت به نفسه، وإن كان سيئاً ضارّاً تضرّرت به نفسه.

٤٧، ٤٨ . (إليه يرد علم السّاعة...) إرتداد علم السّاعة إليه: إختصاصه به فلا يعلمها إلاّ هو. (وما تخرج من ثمرات...) وليس تخرج ثمرات من أوعيتها، ولا تحمل انثى ولا تضع حملها، إلاّ مصاحباً لعلمه، أي هو تعالى يعلم جزئيات حالات كل شيء. (ويوم يناديهم أين شركائي...) الآية مسوقة لنفي الشركاء، ببيان قيام التدبير به تعالى، واعتراف المشركين بذلك يوم القيامة. (وظنّوا ما لهم من محيص) ويوم ينادي الله المشركين: أين شركائي؟ . على زعمكم . قالوا: أعلمناك ما منّا من يشهد عليك بالشركاء . أو ما منّا من يشاهد الشركاء . وغاب عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في الدنيا، وأيقنوا أن ليس لهم مَهْرَب من العذاب.

٤٩ . (لا يسأم الإنسان...) لا يمل الإنسان من طلب الخير، وهو ما يراه نافعاً لحياته ومعيشته، وإن مسّه الشر فكثير اليأس والقنوط لما يرى من سقوط الأسباب التي كان يستند إليها.

---

٥٠ . (ولئن أذقناه رحمة...) وأُقسِم لئن أذقنا الإنسان رحمة هي منا ولا يستحقها ولا يملكها، فاذقناها من بعد ضرّاء مسّته، نسي ما كان من قبل وقال: هذا لي وليس لأحد أن يمنعني عما أفعل فيه ويحاسبني عليه، وما أظن الساعة . وهي يوم الحساب . قائمة، وأُقسم لئن رجعت إلى ربّي وقامت الساعة، كانت لي عنده العاقبة الحسنى لكرامتي عليه كما أنعم عليّ من النعمة.

٥١ . (وإذا أنعمنا على...) الآية في مقام ذم الإنسان وتوبيخه أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عنه وتكبر، وإذا سلب النعمة ذكر الله وأقبل عليه بالدعاء مستمراً مُصرّاً.

٥٢ . (قل أرأيتم إن...) قل للمشركين أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثمّ كفرتم به، من أضل منكم أي لا أضلّ منكم لأنكم في خلاف بعيد من حقٍّ ما فوقه حق.

٥٣ . (سنريهم آياتنا في...) الآية تعد إراءة آيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين بها كون القرآن حقاً، والآيات التي شأنها إثبات حقيّة القرآن، هي الحوادث والمواعيد التي أخبر القرآن أنها ستقع، كإخباره بأن الله سينصر نبيّه صلى الله عليه وآله والمؤمنين ويمكّن لهم في الأرض، ويظهر دينهم على الدين كله وينتقم من مشركي قريش إلى غير ذلك. (أوَ لَم يكف بربّك أنّه على...) أوَلَم يكف في تبيّن الحق، كون ربك مشهوداً على كل شيء، إذ ما من شيء إلاّ وهو فقير من جميع جهاتهِ إليه متعلقٌ به، وهو تعالى قائم به قاهر فوقه، فهو تعالى معلوم لكل شيء وإن لم يعرفه بعض الأشياء.

٥٤ . (ألا إنّهم في مرية...) يفيد سياق الآية أن في الآية تَنْبيهاً على أنهم لا ينتفعون بالاحتجاج على وحدانيته تعالى، بكونه شهيداً على كل شيء وهو أقوى براهين التوحيد وأوضحها لمن تعقّل، لأنهم في مرية وشك من لقاء ربّهم، وهو كونه تعالى غير محجوب بصفاته وأفعاله عن شيء من خلقه.

«سورة الشورى»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (حم عسق...) من الحروف المقطعة الواقعة في أوائل عدة من السور القرآنية.

(١٦٣/٢)

٣، ٤ . (كذلك يوحى إليك...) إن الوحي الذي نوحيه إليكم معاشر الأنبياء هو كهذا الذي تجده وتشاهده في تلقي هذه السورة.

٥ . (تكاد السّماوات يتفطّرن...) التفطر: التشقق، من الفطر بمعنى الشق. فلكونه كلام ذي العظمة المطلقة، تكاد السّماوات يتفطرن بنزوله. (والملائكة يسبحون بحمد...) ينزهونه تعالى عمّا لا يليق بساحة قدسه ويثنون عليه بجميل فعله.

٦ . (والّذين اتّخذوا من...) أشار في هذه الآية إلى حال من اتخذ من دونه أولياء.

٧ . (وكذلك أوحينا إليك...) أُم القرى: هي مكة المشرفة. والمراد بإنذار أُمّ القرى: إنذار أهلها، والمراد بمن حولها: سائر أهل الجزيرة خارج مكة. (وتنذر يوم الجّمع...) يوم الجمّع: هو يوم القيامة. (فريق في الجّنّة وفريق في السّعير) إنهم يتفرّقون فريقين: سعيد مثاب وشقي معذب، فلينذروا حتى يتحرّزوا سبيل الشقاء والهبوط في مهبط الهلكة.

٨ . (ولو شاء الله لجعلهم...) ولو أراد الله لجعلهم أمّة واحدة فاستوت حالهم ولم يتفرقوا يوم القيامة فريقين لكن جرت سنّته أن يتولّى أمر قوم منهم وهم غير ظالمين فيدخلهم الجنّة في رحمته، ولا يتولّى أمر آخرين وهم الظالمون فيصيروا إلى السعير.

٩ . (أم اتّخذوا من دونه...) تعرض في هذه الآية لاتّخاذهم أولياء يدينون لهم ويعبدونهم من دونه، وكان يجب أن يتّخذوا الله ولياً يدينون له ويعبدونه فأنكر عليهم ذلك واحتج على وجوب اتّخاذه وليّاً بالحجّة بعد الحجّة وذلك قوله: (فالله هو الولي) والمعنى: أنه تعالى ولي تنحصر فيه الولاية، فمن الواجب على من يتّخذه وليّاً أن يتّخذه وليّاً ولا يتعدّاه إلى غيره، إذ لا ولي غيره. (وهو يحيي الموتى) حجّة ثانية على وجوب اتخاذه تعالى وحده ولياً. (وهو على كلّ شيء قدير) حجّة ثالثة على وجوب اتّخاذه تعالى وليّاً دون غيره.

١٠ . (وما اختلفتم فيه من...) حجّة رابعة على كونه تعالى ولياً لا ولي غيره، ومحصل الحجّة: أن الولي الذي يعبد ويدان له، يجب أن يكون رافعاً لاختلافات من يتولونه، سائقاً لهم إلى سعادة الحياة الدائمة بما يضعه عليهم من الحكم وهو الدين، والحكم في ذلك إلى الله سبحانه، فهو الولي الذي يجب أن يتّخذ وليّاً لا غير. (ذلكم الله ربّي...) لما اقيمت الحجج على أنه تعالى هو الولي لا ولي غيره، أمر صلى الله عليه وآله باعلام أنه الله وأنه اتخذه ولياً بالاعتراف له بالربوبية التي هي ملك التدبير، ثمّ عقب ذلك بالتصريح بما للاتخاذ المذكور من الآثار وهو قوله: (عليه توكّلت وإليه أُنيب).

١١ . (فاطر السّماوات والأرض...) موجدها من كتم العدم على سبيل الابداع. (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) وذلك بخلق الذكر والانثى. (ومن الأنعام أزواجاً) وجعل من الأنعام أزواجاً (يذرأكم فيه) يكثركم في هذا الجعل. (ليس كمثله شيء) ليس مثله شيء. (وهو السّميع البصير) السّميع لما يرفع إليه من مسائل خلقه، البصير لأعمال خلقه.

١٢ . (له مقاليد السّماوات...) المقاليد: المفاتيح. (يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر) بسط الرّزق: توسعته. وقدره: تضييقه.

١٣ . (شرّع لكم من الدِّين...) بيّن واوضح لكم من الدين، وهو سنة الحياة، ما قدم وعهد إلى نوح مهتماً به. (والّذي أوحينا إليك) ظاهر المقابلة بينه وبين نوح عليه السلام أن المراد بما أوحى إليه: ما اختصت به شريعته من المعارف والأحكام. (أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا) إقامة الدين: حفظه بالاتباع والعمل. أي أقيموا هذا الدين المشروع لكم. وعدم التفرق فيه: حفظ وحدته بالاتفاق عليه وعدم الاختلاف فيه. (ما تدعوهم إليه) دين التوحيد الذي كان يدعو

[٤٧١]

إليه النبيّ صلى الله عليه وآله. (الله يجتبي إليه من يشاء...) الله يجمع ويجتلب إلى دين التوحيد . وهو ما تدعوهم إليه . مَن يشاء مِن عباده ويهدي إليه من يرجع إليه.

١٤ . (وما تفرّقوا من بعد...) وما تفرق الناس الذين شرعت لهم الشريعة باختلافهم وتركهم الاتفاق، إلاّ حال كون تفرقهم آخذاً . أو ناشئاً . من بعد ما جاءهم العلم بما هو الحق، ظلماً أو حسداً تداولوه بينهم. (ولولا كلمة سبقت...) ولولا أن قضى فيهم الاستقرار والتمتع في الأرض إلى أجل سماه وعينه

لقضى بينهم إثر تفرقهم في دينه وانحرافهم عن سبيله فاهلكهم باستدعاء من هذا الذنب العظيم. (وانّ الّذين اورثوا الكتاب) إن البادئين بالاختلاف المؤسسين للتفرقة، كانوا على علم من الحق، وإنما أبدعوا ما أبدعوا، بغياً بينهم، وأخلافهم الذين أُورثوا الكتاب من بعدهم في شك مريب . موقع في الريب . منه.

١٥ . (فلذلك فادع واستقم...) فلأجل أنه شرع لكم جميع ما شرع لمن قبلكم، فادع، ولأجل ما ذكر من تفرّق بعضهم بغياً وارتياب آخرين فاستقم كما أُمرت، ولا تتبع أهواءهم. (وقل آمنت بما أنزل الله...) تسوية بين الكتب السّماوية من حيث تصديقها والايمان بها. (وأُمرت لأعدل بينكم) وأُمرت أن اعدِل بينكم. (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فلكل امرئ ما عمل، فلا ينتفع أحد بعمل آخر، ولا يتضرر بعمل غيره. (لا حجّة بيننا وبينكم) لعل المراد: أنه لا حجّة تدل على تقدم بعض على بعض، فتكون فيما بيننا، يقيمها بعض على بعض يثبت بها تقدّمه عليه. ويمكن أن يكون نفي الحجّة كناية عن نفي لازمها وهو الخصومة أي: لا خصومة بيننا بتفاوت الدرجات، لأن ربّنا واحد، ونحن في أنّنا جميعاً عباده واحد، ولكل نفس ما عملت، فلا حجّة في البين، أي لا خصومة حتى تتّخذ لها حجّة.

١٦ . (والّذين يحاجّون في...) إن الّذين يحاجون فيه تعالى، أو في دينه بعد استجابة الفطرة السليمة له، أو بعد استجابة الناس بفطرتهم السليمة لَه، حجتهم باطلة زائلة عند ربّهم وعليهم غضب مِنه ولهم عذاب شديد لا يقدّر قدره.

(١٦٦/٢)

---

١٧ . (الله الّذي أنزل...) الميزان: ما يوزن ويقدر به الأشياء، والمراد به: الدين المشتمل عليه الكتاب. (وما يدريك لعلّ السّاعة قريب) ما الذي يعلمك لعل إتيان السّاعة قريب.

١٨ . (يستعجل بها الّذين...) المراد: إستعجالهم إستعجالَ سخرية واستهزاء. والاشفاق: نوع من الخوف. (ألا إنّ الّذين يمارون...) المماراة: الإصرار على الجدال، والمراد: إلحاحهم على إنكارها بالجدال.

١٩ . (الله لطيف بعباده...) رتب الرّزق في الآية على كونه تعالى لطيفاً بعباده قوياً عزيزاً، دلالة على أنه تعالى بلطفه لا يغيب عنه أحد ممن يشاء أن يرزق ولا يعصيه، وبقوته عليه لا يعجز عنه، وبعزته لا يمنعه مانع عنه.

٢٠ . (من كان يريد...) ومن كان يريد النتائج الدنيوية بأن يعمل للدنيا دون الآخرة، نؤته من الدنيا وما له في الآخرة نصيب.

٢١ . (أم لهم شركاء...) سجّل على من كفر بالآخرة، عدم النصيب فيها بإنكار أن لا دين غير ما

شرعهُ الله يدين به هؤلاء حتى يرزقوا بالعمل به، مثل ما يرزق أهل الإيمان بالآخرة فيها. (ولولا كلمة الفصل...) إشارة إلى الكلمة التي سبقت منه تعالى، أنهم يعيشون في الأرض إلى أجل مسمى، وفيه إكبار لجرمهم ومعصيتهم. (وانّ الظّالمين لهم عذاب أليم) وعيد لهم على ظلمهم.

٢٢ . (ترى الظّالمين مشفقين...) يرى الراؤون هؤلاء الظالمين يوم القيامة، خائفين مما كسبوا من السيئات، وهو واقع بهم لا مناص لهم عنه.

[٤٧٢]

(١٦٧/٢)

---

٢٣ . (ذلك الّذي يبشر...) تبشير المؤمنين الصّالحين. (قل لا أسألكم عليه أجراً...) إني لا أسألكم عليه أجراً، إلاّ أن الله لما أوجب عليكم مودة عامة المؤمنين ومن جملتهم قرابتي، فإني احتسب مودّتكم لقرابتي وأعدّها أجراً لرسالتي. (ومن يقترف حسنة...) قيل المراد بالحسنة: مودة قربي النبيّ صلى الله عليه وآله، ويؤيده ما في روايات أئمة أهل البيت عليهم السّلام أن قوله: (قل لا أسألكم عليه أجراً) إلى تمام أربع آيات نزلت في مودة قربى النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢٤ . (أم يقولون افترى...) الكلام مسوق للتوبيخ. (فإن يشأ الله أن يختم على قلبك) كناية عن إرجاع الأمر إلى مشيّة الله، وتنزيه لساحة النبيّ صلى الله عليه وآله أن يأتي بشيء من عنده.

٢٥ . (وهو الّذي يقبل...) تحضيض على التوبة وتحذير على اقتراف السيئات، والمعنى ظاهر.

٢٦ . (ويستجيب الّذين آمنوا...) التقدير: ويستجيب للّذين آمنوا . على ما قيل. والاستجابة: إجابة الدّعاء.

٢٧ . (ولو بسط الله الرّزق...) ولو وَسّع الله الرّزق على عباده، فأشبع الجميع بإيتائه لظلموا في الأرض، ولكن ينزّل ما يشاء من الرزق بقدر وكمية معينة، إنه بعباده خبير بصير، فيعلم ما يستحقه كل عبد وما يصلحه من غنىً أو فقر، فيؤتيه ذلك.

٢٨ . (وهو الّذي ينزّل...) القنوط: اليأس، والغيث: المطر.

٢٩ . (ومن آياته خلق...) البث: التفريق، وظاهر الآية أن في السّماوات خلقاً من الدواب كالأرض.

٣٠ . (وما أصابكم من...) المراد: أن المصائب والنوائب التي تصيب مجتمعكم ويصابون بها، إنّما تصيبكم بسبب معاصيكم، والله يصفح عن كثير منها فلا يأخذ بها.

٣١ . (وما أنتم بمعجزين...) إنكم لا تعجزون الله حتى لا تصيبكم المصائب لذنوبكم، وليس لكم من دونه من ولي يتولّى أمركم، فيدفع عنكم المصائب، ولا نصير ينصركم ويعينكم على دفعها.

(١٦٨/٢)

٣٢ . (ومن آياته الجوار...) الجواري: جمع جارية وهي السفينة، والأعلام: جمع علم وهو العلامة ويسمى به الجبل.

٣٣ . (إن يشأ يسكن...) إن يشأ الله يسكن الريح التي تجري بها الجواري، فيصرن أي الجواري ثوابت على ظهر البحر.

٣٤ . (أو يوبقهنّ بما...) الإيباق: الإهلاك. والمعنى: ان يشأ يهلك الجواري بإغراقها بسبب ما كسبوا من السيئات، ويعف عن كثير منها، أي إنّ بعضها كاف في اقتضاء الاهلاك وإن عفا عن كثير منها.

٣٥ . (ويعلم الّذين يجادلون...) التقدير: نحو من قولنا: ليظهر به قدرته ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من مَفرّ ولا مخلص.

[٤٧٣]

٣٦ . (فما أُوتيتم من شيء...) فكل شيء أعطيتموه ممّا عندكم متاع تتمتعون به في أيام قلائل.

٣٧ . (والّذين يجتنبون كبائر...) كبائر الإثم: المعاصي الكبيرة التي لها آثار سوء عظيمة. (وإذا غضبوا هم يغفرون) إشارة إلى العفو عند الغضب، وهو من أخصّ صفات المؤمنين. (والّذين استجابوا لربّهم...) استجابتهم لربّهم: إجابتهم لما يكلفهم به من الأعمال الصالحة . على ما يفيده السياق . وذكر إقامة الصّلاة بعدها من قبيل ذكر الخاص بعد العام لشرفه. (وأمرهم شورى بينهم) قال الراغب: والتشاور والمشاورة والمشورة: إستخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض. إنتهى. فالمعنى: الأمر الذي يعزمون عليه شورى بينهم يتشاورون فيه.

٣٩ . (والّذين إذا أصابهم...) المراد: مقاومتهم لرفع الظلم.

٤٠ . (وجزاء سيِّئة سيِّئة...) بيان لما جعل للمنتصر في انتصاره، وهو أن يقابل الباغي بما يماثل فعله، وليس بظلم وبغي. (فمن عفا وأصلح...) وعد جميل على العفو والاصلاح.

٤١ . ٤٣ . (ولمن انتصر بعد...) الآيات الثلاث تبيين ورفع لبس من قوله في الآية السابقة: (فمن عفا وأصلح...) فمن الجائز أن يتوهم المظلوم أن في ذلك الغاء لحق انتصاره، فبين سبحانه بقوله أوّلاً: (ولمن انتصر بعد ظلمه...) أن لا سبيل على المظلومين ولا مجوّز لابطال حقهم في الشرع الإلهي. وبيّن بقوله ثانياً (إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون في الأرض بغير الحق) أن السبيل كله على الظالمين في الانتقام منهم للمظلومين. وبيّن بقوله ثالثاً: (ولمن صبر وغفر...) أن

الدعوة إلى الصبر والعفو ليست إبطالاً لحق الانتصار، وإنما هي إرشاد إلى فضيلة.
٤٤ . (ومن يضلل الله...) من قبيل وضع السبب موضع المسبب وهو الهداية والرّزق. (وترى الظّالمين لمّا رأوا...) إشارة إلى تمنيهم الرجوع إلى الدنيا بعد اليأس عن السعادة ومشاهدة العذاب.
٤٥ . (وتراهم يعرضون عليها...) ضمير (عليها) للنار. وخفي الطرف: ضعيفه (وقال الّذين آمنوا إن الخاسرين...) إن الخاسرين كل الخسران هم الذين خسروا أنفسهم بحرمانها عن النجاة، واهليهم بعدم الانتفاع بهم يوم القيامة. وقيل: أهلوهم: أزواجهم من الحور وخدمهم في الجنة، لو آمنوا.
٤٦ . (وما كان لهم من...) هذا التعبير للدلالة على ظهور بطلان دعواهم ولاية أوليائهم في الدنيا، وأن ذلك كان باطلاً من أوّل الأمر. (ومن يضلل الله فما له من سبيل) كناية عن أنه لا سبيل إلى السعادة إلاّ سبيل الله الذي شرعه لعباده من طريق الوحي والرسالة، فمن أضلّه عن سبيله لكفره وتكذيبه بسبيله، فلا سبيل له يهتدي به إلى سعادة العقبى والتخلص من العذاب والهلاك.

(١٧٠/٢)

---

٤٧ . (استجيبوا لربّكم...) دعوة وانذار بيوم القيامة المذكور في الآيات السابقة على ما يعطيه السّياق. (لا مردَّ له من الله) يوم لا ردَّ له من قبل الله، أي إنه مقضي محتوم. (ما لكم من ملجأ يومئذ...) ما لكم من ملاذ تلتجئون إليه من الله، وما لكم من إنكار لما صدر منكم، لظهور الأمر من كل جهة.
٤٨ . (فان أعرضوا فما...) عدول عن خطابهم إلى خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله، لإعلام ان ما حمّله من الأمر إنما هو التبليغ. (وإنّا إذا أذقنا...) في الآية استشعار باعراضهم وتوبيخهم بعنوان الإنسان المشتغل بالدنيا، فإنه بطبعه حليف الغفلة، إن ذكّر بنعمة يؤتاها صرفه الفرح بها عن ذكر الله، وإن ذكّر بسيئة تصيبه بما قدمت يداه شغله الكفران عن ذكر ربّه.
٤٩ . (ولله ملك السّماوات...) قصر الملك والسلطنة فيه تعالى على جميع العالم. (يهب لمن يشاء إناثاً) المراد: هبة الأُناث فقط لمن يشاء، وهبة الذكور فقط لمن يشاء.
٥٠ . (أو يزوّجهم ذكراناً...) يجمع بينهم حال كونهم ذكراناً وإناثاً معاً. (ويجعل من يشاء عقيماً) لا يلد ولا
[٤٧٤]
يولد له.
٥١ . (وما كان لبشر...) ما كان لبشر أن يكلمه الله نوعاً من أنواع التكليم، إلاّ هذه الأنواع الثلاثة، أن يوحي وحياً، أو يكون من وراء حجاب، أو أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء.
[٤٨٩]

٥٢ . (وكذلك أوحينا إليك...) ظاهر السّياق كون (كذلك) إشارة إلى ما ذكر في الآية السابقة من الوحي بأقسامه الثلاث. (ما كنت تدري ما الكتاب...) ما كان عندك قبل وحي الروح، الكتاب بما فيه من المعارف والشرائع، ولا كنت متلبساً بما أنت متلبس به بعد الوحي من الالتزام الاعتقادي والعملي بمضامينه، وهذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وآله مؤمناً بالله موحداً قبل البعثة صالحاً في عمله. (ولكن جعلناه نوراً نهدي به...) الآية في مقام تصديق النبيّ صلى الله عليه وآله، تصدقه في دعواه أن كتابه من عند الله بوحي منه، وتصدقه في دعواه أنه مؤمن بما يدعو إليه.

٥٣ . (صراط الله الّذي...) بيان للصراط المستقيم الذي يهدي إليه النبيّ صلى الله عليه وآله.

«سورة الزخرف»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (حم والكتاب المبين...) كون القرآن مبيناً، هو إبانته وإظهاره طريق الهدى.

٣، ٤ . (إنّا جعلناه قرآناً...) الضمير للكتاب، وَ (قرآناً عربيّاً) مقروءاً باللغة العربية. ومعنى الآيتين: أن الكتاب عندنا في اللوح المحفوظ، ذو مقام رفيع وإحكام لا تناله العقول لذينك الوصفين، وإنما أنزلناه بجعله مقروّاً عربياً، رجاء أن يعقله الناس.

٥ . (أفنضرب عنكم الذكر...) أفنصرف عنكم الذكر . وهو الكتاب الذي جعلناه قرآناً لتعقلوه . للاعراض عنكم لكونكم مسرفين، أو أفنصرفه عنكم إلى جانب لكونكم مسرفين، أي انا لا نصرفه عنكم لذلك.

٦ . (وكم أرسلنا من نبيّ...) كثيراً ما أرسلنا من نبي في الأمم الماضين، والحال انه ما يأتيهم من نبيّ إلاّ استهزأوا به، وانجر الأمر إلى أن أهلكنا من أولئك من هو أشد بطشاً منكم، فكما كانت عاقبة إسرافهم واستهزائهم الهلاك دون الصرف، فكذلك عاقبة إسرافكم.

٧ . (فاهلكنا أشدّ منهم بطشاً...) معنى قوله: (ومضى مثل الأولين) ومضى في السور النازلة قبل هذه السورة من القرآن وصف الأُمم الأوّلين وأنه كيف حاق بهم ما كانوا به يستهزئون.

٨ . (ولئن سألتهم مَن...) الآية توطئة لما تتضمنه الآيات التالية من الحجة.

٩ . (الّذي جعل لكم...) جعل لكم الأرض بحيث تربون فيها كما يربي الأطفال في المهد، وجعل لكم في الأرض سبلاً وطرقاً تسلكونها وتهتدون بها إلى مقاصدكم.

١١ . (والّذي نزل من السّماء...) لما استدل بتنزيل الماء بقدر واحياء البلدة الميتة على خلقه وتدبيره، إستنتج منه أمراً آخر لا يتم التوحيد إلاّ به، وهو المعاد الذي هو رجوع الكل إليه تعالى.

١٢ . (والّذي خلق الأزواج...) قيل المراد بالازواج: أصناف الموجودات من ذكر وانثى وأبيض وأسود وغيرها، وقيل: المراد: الزوج من كل شيء، فكل ما سوى الله كالفوق وتحت واليمين واليسار والذكر والانثى، زوج.

١٣ . (لتستووا على ظهوره...) الإستواء على الظهور: الاستقرار عليها. (وما كنّا له مقرنين) مطيقين، والإقران: الإطاقة.

١٤ . (وانّا إلى ربّنا منقلبون...) صائرون شهادة بالمعاد.

١٥ . (وجعلوا له من...) المراد بالجزء: الولد، فإن الولادة إنما هي الاشتقاق، فالولد جزء من والده منفصل منه متصوّر بصورته.

[٤٩٠]

١٦ . (أم اتّخذ ممّا يخلق...) أخلصكم للبنين، فلكم بنون وليس له إلاّ البنات، وأنتم ترون أن البنت أخس من الابن، فتثبتون له أخس الصنفين وتخصون أنفسكم باشرفهما.

١٧ . (وإذا بُشِّر أحدهم...) وحالهم أنه إذا بشر أحدهم بالأُنثى التي جعلها شبهاً مجانساً للرحمن صار وجهه مسوداً من الغم وهو مملوء كرباً وغيظاً، لعدم رضاهم ذلك وعده عاراً لهم، لكنهم يرضونه له.

١٨ . (أوَ مَن ينشأ في الحلية...) أو جعلوا لله سبحانه من ينشأ في الحلية، أي يتربّى في الزينة [المرأة]، وهو في المخاصمة والمحاجّة غير مبين لحجّته، لا يقدر على تقرير دعواه.

١٩ . (وجعلوا الملائكة الّذين...) هذا معنى قولهم: إن الملائكة بنات الله. (أشهدوا خلقهم...) استفهام إنكاري ووعيد على قولهم بغير علم، أي لم يشهدوا خلقهم.

---

٢٠ . (وقالوا لو شاء الرّحمن...) هو منهم قول مبني على الجهل، فإنه مغالطة خلطوا فيها بين الارادة التكوينية والارادة التشريعية وأخذ الأُولى مكان الثانية، فهو سبحانه لمّا لم يشأ أن لا يعبدوا الشركاء بالارادة التكوينية، كانوا مختارين غير مضطرين على فعل أو ترك. (إن هم إلاّ يخرصون) الخرص . على ما يظهر من الراغب . القول على الظن والتخمين، وفسّر أيضاً بالكذب.

٢١ . (أم آتيناهم كتاباً...) نفي أن يكون لهم حجة من طريق النقل كما أن في الآية السابقة نفي حجتهم من طريق العقل، ومحصّل الآيتين: أن لا حجّة لهم على عبادة الملائكة لا من طريق العقل ولا من طريق النقل، فلم يأذن الله فيها.

٢٢ . (بل قالوا إنّا وجدنا...) لا دليل لهم على حقية عبادتهم، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على دين، وإنا على آثارهم مهتدون، أي إنهم متشبثون بتقليد آبائهم فحسب.

٢٣ . (وكذلك ما أرسلنا...) إن التشبث بذيل التقليد ليس ممّا يختص بهؤلاء، فقد كان ذلك دأب أسلافهم من الأُمم المشركين، وما أرسلنا مِن قبلك في قرية من نذير، وهو النبيّ إلاّ تشبث متنعموها بذيل التقليد وقالوا: إنّا وجدنا اسلافنا على دين وإنا على آثارهم مقتدون، لن نتركها ولن نخالفهم.

٢٤ . (قل أوَ لَو جئتكم...) القائل هو النذير، والخطاب للمترفين. والمعنى: هل أنتم لازمون لدينهم حتى لو كان ما جئتكم به من الدين أهدى منه؟

٢٥ . (فانتقمنا منهم فانظر...) إنا أهلكناهم بتكذيبهم، فانظر كيف كان عاقبة أولئك السابقين من أهل القرى، وفيه تهديد لقوم النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢٦ . (وإذ قال إبراهيم...) واذكر لهم إذ تبرأ إبراهيم عن آلهة أبيه وقومه، إذ كانوا يعبدونها تقليداً لآبائهم من غير حجة، وقام بالنظر وحده.

٢٧ . (إلاّ الّذي فطرني...) إلاّ الّذي أوجدني وهو الله سبحانه. (فإنه سيهدين) إلى الحق الذي اطلبه.

(١٧٤/٢)

---

٢٨ . (وجعلها كلمة باقية...) المراد بعقبه: ذريته وولده. (لعلّهم يرجعون) يرجعون من عبادة آلهة غير الله إلى عبادته تعالى، أي يرجع بعضهم إلى عبادته تعالى وبهذا يظهر أن المراد ببقاء الكلمة في عقبه عدم خلوهم عن الموحد ما داموا.

٢٩ . (بل متّعت هؤلاء...) إن رجوعهم عن الشرك إلى التوحيد، كان هو الغاية المرجوّة منهم، لكنهم لم يرجعوا، بل متّعت هؤلاء من قومك وآباءهم فتمتعوا بنعمي (حتّى جاءهم الحقّ ورسول مبين) والمراد بالحق الذي جاءهم: هو القرآن، وبالرّسول المبين: محمّد صلى الله عليه وآله.

٣٠ . (ولمّا جاءهم قالوا...) هذا طعنهم في الحق الذي جاءهم وهو القرآن ويستلزم الطعن في الرّسول.

٣١ . (وقالوا لولا نزِّل...) المراد بالقريتين: مكّة والطائف.

٣٢ . (أهم يقسمون رحمة...) إنهم لا يملكون النبوة التي هي رحمة لله خالصة به، حتى يمنعوك منها ويعطوها لمن

[٤٩١]

هَوَوا. (نحن قسمنا بينهم معيشتهم...) بيان لوجه الإنكار في الجملة السابقة، بأنهم عاجزون عن قسمة ما هو دون النبوة بمراحل ولا منزلة له، وهو معيشتهم في الحياة الدنيا فنحن قسمناها بينهم، فكيف يقسمون ما هو أرفع منزلة منها بما لا يقدّر قدره، وهو النبوة التي هي رحمة ربّك الخاصة به.

٣٣ . (ولولا أن يكون...) ولولا أن يجتمع الناس على الكفر، لو رأوا تنعُّم الكافرين وحرمان المؤمنين، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ودرجات عليها يظهرون لغيرهم.

٣٤ . (ولبيوتهم أبواباً وسرراً...) الزخرف: الذهب أو مطلق الزّينة.

٣٥ . (...وإنْ كل ذلك لما متاع...) ليس كل ما ذكر من مزايا المعيشة إلاّ متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية التي لا تدوم. (والآخرة عند ربّك للمتّقين) إن الحياة الآخرة السعيدة بحكم من الله تعالى وقضاء منه مختصة بالمتقين.

٣٦ . (ومن يعْشُ عن...) من تَعامى عن ذكر الرحمن ونظر إليه نظر الأعشى، جئنا إليه بشيطان (فهو له قرين) مصاحب لا يفارقه.

(١٧٥/٢)

---

٣٧ . (وإنّهم ليصدّونهم...) وإن الشياطين ليصرفون العاشين عن الذكر، ويحسب العاشون أنهم مهتدون إلى الحق.

٣٨ . (حتّى إذا جاءنا...) حتى إذا حضر الواحد منهم عندنا ومعه قرينه، وكشف له عن ضلاله وما يستتبعه من العذاب الأليم، قال مخاطباً لقرينه متأذياً من صحابته: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرق والمغرب فبئس القرين أنت.

٣٩ . (ولن ينفعكم اليوم...) المراد . والله أعلم . أنكم إذا أساء بعضكم إلى بعض في الدنيا فأوقعه في مصيبة، ربما تسليتم بعض التسلي لو ابتلي هو نفسه بمثل ما ابتلاكم به، فينفعكم ذلك تسلياً وتشفياً، ولكن لا ينفعكم يوم القيامة اشتراك قرنائكم معكم في العذاب، فإن اشتراكهم معكم في العذاب وكونهم معكم في النار هو بعينه عذاب لكم.

٤٠ . (أفأنت تسمع الصمّ...) نبّه صلى الله عليه وآله أن هؤلاء صم عمي لا يقدر هو على إسماعهم كلمة الحق وهدايتهم إلى سبيل الرشد، فلا يتجشم ولا يتكلف في دعوتهم ولا يحزن لإعراضهم، والاستفهام للإنكار.

٤١، ٤٢ . (فامّا نذهبن بك...) إنا منتقمون منهم بعد توفيك او قبله لا محالة.

٤٣ . (فاستمسك بالّذي...) اكّد عليه الأمر بعد ذلك كله، أن يجدّ في التمسك بالكتاب الذي اوحي إليه، لأنه على صراط مستقيم.

٤٤ . (وإنّه لذكر لك...) عن أكثر المفسرين أن المراد بالذكر: الشرف الذي يذكر به، والمعنى: وإنّه لشرف عظيم لك ولقومك من العرب تذكرون به بين الأُمم.

٤٥ . (واسأل من أرسلنا...) قيل: الآية ممّا خوطب به النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة المعراج، أن يسأل أرواح الأنبياء عليهم السّلام وقد اجتمع بهم، أن يسألهم هل جاءوا بدين وراء دين التوحيد. وقد

وردت به غير واحدة من الروايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام.

٤٦ . (ولقد أرسلنا موسى...) اللاّم في (لقد) للقسم، والباء في قوله (بآياتنا) المراد بمجيئهم بالآيات: إظهار المعجزات للدلالة على الرسالة، والمراد بالضحك: ضحك الاستهزاء استخفافاً بالآيات.

---

٤٨ . (وما نُريهم من آية...) الأخت: المثل، والمعنى: فلما أتاهم بالمعجزات إذا هم فيها يضحكون، والحال أن كلاً منها تامة كاملة في إعجازها ودلالتها من غير نقص ولا قصور. (وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون) رجاء أن يرجعوا عن استكبارهم إلى قبول رسالته.

٤٩ . (...بما عهد عندك...) بعهده عندك والمراد به: عهده أن يكشف عنهم العذاب لو آمنوا كما قيل، أو أن يستجيب دعاءه إذا دعا كما احتمله بعضهم.

٥٠ . (فلمّا كشفنا عنهم...) النكث: نقض العهد وخلف الوعد، ووعدهم هو قولهم: (إنّنا لمهتدون).

٥١ . (ونادى فرعون في...) ناداهم وهو بينهم.

[٤٩٢]

٥٢ . (أم أنا خير من هذا...) الإشارة إلى موسى بهذا من دون أن يذكر باسمه للتحقير وتوصيفه بقوله: (الّذي هو مهين ولا يكاد يبين) وللدلالة على عدم خيريته.

٥٣ . (فلولا أُلقي عَليه...) لو كان رسولاً وساد الناس بذلك، لألقي إليه أسورة من ذهب. (أو جاء معه الملائكة...) المراد: إتيان الملائكة معه متقارنين لتصديق رسالته.

٥٤ . (فاستخفّ قومه فاطاعوه...) استخف عقول قومه وأحلامهم، والباقي ظاهر.

٥٥ . (فلمّا آسفونا انتقمنا...) الإيساف: الاغضاب. أي فلما أغضبونا بفسوقهم إنتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين.

٥٦ . (فجعلناهم سلفاً ومثلاً...) السلف: المتقدم. والظاهر أن المراد بكونهم سلفاً للآخرين: تقدمهم عليهم في دخول النار.

٥٧ . (ولمّا ضرب ابن مريم...) المراد: ما أنزله الله من وَصفه في أوّل سورة مريم. (إذا قومك منه يصدُّون) يضجون ويضحكون ذم لقريش في مقابلتهم المثل الحق بالتهكّم والسخرية.

٥٨ . (وقالوا أ آلهتنا خير...) آلهتنا خير من ابن مريم. (ما ضربوه لك إلاّ جدلاً) ما وجهوا هذا الكلام إليك، إلاّ جدلاً يريدون به إبطال المثل المذكور، وإن كان حقاً (بل هم قوم خصمون) ثابتون في خصومتهم مصرون عليها.

٥٩ . (إن هو إلاّ عبد...) ليس ابن مريم إلاّ عبداً متظاهراً بالعبودية، أنعمنا عليه بالنبوة وتأييده بروح القدس وإجراء المعجزات الباهرة على يديه وغير ذلك، وجعلناه آية عجيبة خارقة نصف به الحق لبني إسرائيل.

٦٠ . (ولو شئنا لجعلنا...) الظاهر أن الآية متصلة بما قبلها مسرودة لرفع استبعاد أن يتلبس البشر من الكمال ما يقصه القرآن عن عيسى عليه السلام فيكون كالملائكة المتوسطين في الإحياء والاماتة والرزق وسائر أنواع التدبير، ويكون مع ذلك عبداً غير معبود ومألوهاً غير إله. وقوله: (يخلفون) يخلف بعضهم بعضاً.

٦١ . (وإنّه لعلم للسّاعة...) ضمير (إنه) لعيسى عليه السلام. والمراد بالعلم: ما يعلم به.

٦٢ . (ولا يصدنّكم الشّيطان...) الصد: الصرف.

٦٣ . (ولمّا جاء عيسى...) المراد بالبيّنات: الآيات البيّنات من المعجزات، وبالحكمَة: المعارف الإلهية من العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة.

٦٤ . (إنّ الله هو ربِّي...) دعوة منه إلى عبادة الله وحده، وانه هو ربّه وربّهم جميعاً، وإتمام للحجة على من يقول بالوهيّته.

٦٥ . (فاختلف الأحزاب...) فاختلف الأحزاب المتشعبة من بين أُمته في أمر عيسى من كافر به قال فيه، ومن مؤمن غال فيه، ومن مقتصد لزم الاعتدال. (فويل للّذين ظلموا...) تهديد ووعيد للقالي منهم والغالي.

٦٦ . (هل ينظرون إلاّ السّاعة...) ما ينتظر هؤلاء الكفار بكفرهم وتكذيبهم لآيات الله، إلاّ أن تأتيهم السّاعة مباغتة لهم، وهم غافلون عنها مشتغلون بامور دنياهم.

٦٧ . (الأخلاّء يومئذ بعضهم...) الاخلاء: جمع خليل وهو الصديق حيث يرفع خلة صديقه وحاجته، وفي الخبر النبوي: إذا كان يوم القيامة انقطعت الارحام وقلَّت الأنساب وذهبت الاخوّة إلاّ الاخوة في الله وذلك قوله: (الاخلاء يومئذ بعضهم...).

٦٨ . (يا عباد لا خوف...) من خطابه تعالى لهم يوم القيامة كما يشهد به قوله بعد: (ادخلوا الجنّة).

٦٩ . (الّذين آمنوا بآياتنا...) المراد بالإسلام: التسليم لإرادة الله وأمره.

[٤٩٣]

٧٠ . (ادخلوا الجنّة أنتم...) ادخلوا الجنّة أنتم وازواجكم المؤمنات، والحال أنكم تسّرون سروراً يظهر

أثره في وجوهكم، أو تزينون بأحسن زينة.

٧١ . (يُطاف عليهم بصحاف...) الصحاف: جمع صحفة وهي القصعة أو أصغر منها. (وأنتم فيها خالدون) إخبار ووعد وتبشير بالخلود، ولهم في العلم به من اللذة الروحية ما لا يقاس بغيره ولا يقدر بقدر.

٧٢ . (وتلك الجنّة الّتي...) تقدّم الكلام في المعنيين في تفسير قوله تعالى: (أُولئك هم الوارثون) المؤمنون: ١٠.

٧٣ . (لكم فيها فاكهة...) لا يخلو من إشارة إلى أنها لا تنفد بالأكل.

٧٤، ٧٥ . (إنّ المجرمين في...) التفتير: التخفيف والتقليل، والإبلاس: اليأس.

٧٦ . (وما ظلمناهم ولكن...) ظلموا أنفسهم حيث أوردوها بأعمالهم مورد الشقوة والهلكة.

٧٧ . (ونادوا يا مالك ليقض...) مالك هو الملك الخازن للنار. فالمعنى: أنهم يسألون مالكاً أن يسأل الله أن يقضي عليهم والمراد بالقضاء عليهم: إماتتهم. (قال إنّكم ماكثون) فيما أنتم فيه من الحياة الشقيّة والعذاب الأليم، والقائل هو مالك جواباً عن مسألتهم.

٧٨ . (لقد جئناكم بالحق...) لقد جئناكم معشر البشر بالحق، ولكن أكثركم وهم المجرمون كارهون للحق.

٧٩ . (أم أبرموا أمراً...) الإبرام اخلاف النقض وهو الإحكام، والمعنى: بل أحكموا أمراً من الكيد بك يا محمّد، فإنا محكمون الكيد بهم.

٨٠ . (أم يحسبون أنّا...) السِّر: ما يَتسترونه في قلوبهم. والنجوى: ما يناجيه بعضهم بعضاً بحيث لا يسمعه غيرهما. (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) بلى نحن نسمع سرهم ونجواهم، ورسلنا الموكلون على حفظ أعمالهم عليهم يكتبون ذلك.

٨١ . (قل إن كان للرّحمن...) قل لهم إن كان للرّحمن ولد كما يقولون، فأنا أوّل من يعبده أداء لحقّ بنوّته وُمسانخةِ لوالده، لكنِّي أعلم أنه ليس [كذلك] ولذلك لا أعبده لا لبغض ونحوه.

---

٨٢ . (سبحان ربّ السّماوات...) تسبيح له سبحانه عمّا ينسبون إليه.

٨٣ . (فذرهم يخوضوا...) فاتركهم يخوضوا في أباطيلهم ويلعبوا في دنياهم ويشتغلوا بذلك، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدونه.

٨٤ . (وهو الّذي في السّماء...) هو الّذي في السّماء إله مستحق للمعبودية وهو في الأرض إله.

٨٥ . (وتبارك الّذي له...) ثناء عليه تعالى وكل من الصفات الثلاث المذكورة حجّة على توحّده في الرّبوبية.

٨٦ . (ولا يملك الّذين يدعون...) المراد: كل معبود غيره تعالى من الملائكة والجن والبشر وغيرهم، والمراد بـ «الحق» التوحيد. والمراد بقوله: (وهم يعلمون) علمهم بحقيقة حال من شفعوا له وحقيقة عمله والآية مصرّحة بوجود الشفاعة.

٨٧ . (ولئن سألتهم من...) إلى متى يصرفون عن الحق الذي هو التوحيد، إلى الباطل الذي هو الشرك، وذلك أنهم معترفون أن لا خالق إلاّ الله، والتدبير الذي هو ملاك الرّبوبية غير منفك عن الخلق، كما اتضح مراراً فالرب المعبود هو الذي بيده الخلق وهو الله سبحانه.

٨٨ . (وقيله يا ربّ إن...) ضمير (قيله) للنبيّ صلى الله عليه وآله بلا إشكال، والقيل مصدر كالقول والقال، و (قيله) معطوف . على ما قيل . على الساعة في قوله: (وعنده علم السّاعة) والمعنى: وعنده علم قوله: (يا ربّ انّ هؤلاء قوم لا يؤمنون).

٨٩ . (فاصفح عنهم وقل...) أمر بالاعراض عنهم واقناط من إيمانهم. (فسوف يعلمون) تهديد ووعيد.

«سورة الدّخان»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (حم والكتاب المبين...) المراد بالكتاب المبين: القرآن.

٣ . (إنّا أنزلناه في...) المراد بالليلة المباركة التي نزل فيها القرآن: ليلة القدر.

٤ . (فيها يفرق كلّ...) الفرق: فصل الشيء من الشيء بحيث يتمايزان.

٥ . (أمراً من عندنا...) المراد بالأمر: الشأن.

٦ . (رحمة من ربّك...) إنزاله رحمة من ربّك، أو أنزلناه لأجل إفاضة الرحمة على الناس، أو لاقتضاء رحمة ربّك إنزاله.

---

٧ . (ربّ السّماوات والأرض...) هو الذي يعرفه الموقنون بأنه رب السّماوات والأرض وما بينهما، إن كنتم منهم عرفتموه.

٨ . (لا إله إلاّ هو...) قوله: (يحيي ويميت) من أخص الصفات به تعالى وهما من شؤون التدبير. (ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين) فيه كمال التصريح بأنه ربّهم ورب آبائهم فليعبدوه ولا يتعللوا باتباع آبائهم في عبادة الأصنام.

٩ . (بل هم في شك...) إنهم لا يوقنون ولا يؤمنون بما ذكر من رسالة الرسول وصفة الكتاب الذي أنزل عليه، بل هم في شك وارتياب فيه يلعبون بالاشتغال بدنياهم.

١٠ . ١٢ . (فارتقب يوم تأتي...) الارتقاب: الانتظار. وهذا وعيد بالعذاب، وهو إتيان السماء بدخان

مبين يغشي الناس. (يغشي النّاس) أي يشملهم ويحيط بهم. (هذا عذاب أليم...) يقول الناس يوم تأتي السماء بدخان مبين: هذا عذاب أليم، ويسألون الله كشفه بالاعتراف بربوبيته وإظهار الإيمان بالدعوة الحقّة.

١٣ . (أنّى لهم الذّكرى...) مِن أين لهم أن يتذكروا ويذعنوا بالحق، والحال أنه قد جاءهم رسول مبين ظاهر في رسالته، لا يقبل الارتياب، وهو محمّد صلى الله عليه وآله.

١٤ . (ثمّ تولّوا عنه وقالوا...) التولّي: الإعراض. والمعنى: ثمّ أعرضوا عن الرّسول وقالوا هو معلم مجنون.

١٥ . (إنّا كاشفو العذاب...) إنا كاشفون للعذاب زماناً، انكم عائدون إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب [أو أنّ] المعنى: إنكم عائدون إلى العذاب يوم القيامة.

١٦ . (يوم نبطش البطشة...) البطش . على ما ذكره الراغب . تناول الشيء بصولة.

١٧ . (ولقد فتنّا قبلهم...) الفتنة: الامتحان والابتلاء للحصول على حقيقة الشيء. (وجاءهم رسول كريم) تفسير للامتحان، والرّسول الكريم موسى عليه السلام.

١٨ . (أن أدّوا إليّ عباد...) المراد بعباد الله: بنو إسرائيل، وعبر عنهم بذلك استرحاماً.